سلسلة
دراسات الفكر الإسلامى (٣)

دراسات فلسفية
فى الحوار والإستشراق

الأستاذ الدكتور
صابر عبده أبازيد



تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ / ٠٣- الإسكندرية

سلسلة

دراسات الفكر الإسلامى

(3)

دراسات فلسفية

فى الحوار والاستشراق

الأستاذ الدكتور

صابر عبده أبا زيد

أستاذ الفلسفة الإسلامية

عميد كلية الآداب بأسوان

الطبعة الأولى

2011م

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس : 5274438 - الإسكندرية



﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا
يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة آل عمران ــ الآية 64

المقدمة العامة

هذا هو الجزء الثالث من سلسلة "**دراسات فى الفكر الإسلامى**" ، ويشتمل هذا الكتاب على أربعة دراسات كانت أغلبها بحوث أو ملخصات بحوث ألقيت في مؤتمرات وندوات علمية داخل مصر وخارجها ونشر بعضها فى المجلات والدوريات العلمية المحكمة وتتكون الدراسات الأربعة كما يلى :.

الدراسة الأولى :

تتكلم عن الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية (محاولة نحو فهم الآخر) ألقى فى المؤتمر الدولى الخامس للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة بعنوان : الإسلام وحوار الحضارات — ضمن محور الحوار الدينى خلال الفترة من 26 – 27 محرم 1421 هجرياً الموافق 2 – 3 مايو 2000 م

الدراسة الثانية :

تتكلم عن دور الاستشراق فى تشكيل صورة الإسلام فى الغرب ، وألقى ملخص لهذا البحث فى المؤتمر الدولى للإسلام وحوار الحضارات الذى عقد بفرع جامعة جنوب الوادى بسوهاج بالإشتراك مع القنصلية اليونانية والإيطالية وجامعة القاهرة بتاريخ 2002/4/14م ، وقد أخترت الفكر الفلسفى الإسلامى كنموذج لإبراز دور الاستشراق والمستشرقين فى تشكيل صورة الإسلام فى الغرب الأوروبى والأمريكى فى أوقات نرى الإسلام فيها وهو يتلقى الطعنات والهدم من كل حدب وصوب .

الدراسة الثالثة :

تتكلم عن المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون وجهوده فى الفكر الفلسفى الإسلامى ، مع التركيز على التصوف الإسلامى الذى كان جل هم المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون ، وقد قمت بكتابة أصول هذه الدراسة

أثناء تواجدى فى فرنسا (صيف عام 2003م) عندما كنت فى بعثـة علميـة بجامعة باريس (السوربون ــ 3) ، وأعتمدت فيها على أصول ومصادر لـم يتطرق إليها أحد من قبل ، وهى نصوص أصلية للفيلسوف المستشرق لويس ماسينيون ، كما سنرى فى متن الدراسة .

الدراسة الرابعة :

تتكلم عن شيخ من شيوخ الإسلام وفيلسوف إسلامى معاصـر وأول من قام بتدريس الفلسفة الإسلامية بالجامعة الأهلية (جامعة القـاهرة) باللغـة العربية ويعتبر أحد أعمدة الفلسفة الإسلامية فى مصر والعالم العربى ، وتلقى تعليمه فى فرنسا بجامعة باريس وكان من الطلائع الأوائل الذين نقلوا ثقافات الغرب إلى الشرق ، ذلك هو الشيخ الفيلسوف مـصطفى عبـد الـرازق ، والدراسة التى نحن بصددها بعنوان : الشيخ مصطفى عبد الرازق وجهـوده فى الفكر الفلسفى الإسلامى المعاصر ، وألقى ملخص هذه الدراسة فى مؤتمر بكلية الآداب بجامعة المنيا عام 2001.

وقد قمت بعملية التنقيح والإضافات والحذف لتلك الدراسـات طبقـاً لتطور العصر حتى تخرج بالشكل المناسب لتطلعات مستقبل أمتنا فى ظـل هذا الكون الفسيح الذى يسير بسرعة مذهلة ومتلاحقة تكنولوجياً ومعلوماتياً ، وأثرت أن أجمع هذه الدراسات وظروف كتابتها بين دفتـى هـذا الكتـاب لأهميتها فى العصر الحالى ، فأرجو من الله علعلى القدير أن أكون قد وفقت وقدمت جهداً ضئيلاً لخدمة الفكر الإسلامى لأمتنا العربية الإسلامية .

والله ولي التوفيق والسداد ، وهو من وراء القصد ،،،

الأستاذ الدكتور

صابر عبده ابازيد

الدراسة الأولى

الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية

(محاولة نحو فهم الآخر)

.. وتتضمن هذه الدراسة أهم العناصر الآتية :-

تقديم عام للدراسة ..

أولاً :- مكانة الحوار في الفكر الديني.

ثانياً :- من القضايا التوحيدية / الكلامية / اللاهوتية.

ثالثاً :- حول مؤتمرات ومراكز الحوار الديني بين الإسلام والمسيحية.

رابعاً :- الخاتمة واهم نتائج الدراسة.

تقديم عام

1ـ فى الموضوع :

مما لاشك فيه ان موضوع الإسلام وحوار الحضارات ومايتفرع عنه من حوار دينى / ثقافى / سياسى ، يعتبر من أهم موضوعات الساعة فنحن اليوم فى أشد الحاجة لمرتكزات منهجية للحوار واشكاله وبيان ضروراته واصوله وضوابطه واهدافه ؛ وكما أن للاستشراق دوره فى الحوار بين الحضارات فان الإسلام لعب دوراً هاماً فى تاريخ الحوار مع الآخر باستخدام الجدل والمناظرات والإقناع وإيراد الحجج ودفع الشبهات.

والمرجعية الدينية / العقدية جعلت للحوار مكانة بارزة فى الفكر الإسلامى بصفة عامة والفكر الفلسفى / الكلامى بصفة خاصة . كما لعب اللاهوت نفس الدور فى المسيحية . وكان للإسلام موقفاً واضحاً جلياً من الشرائع السماوية السابقة عليه ، وهو موقف جاوز الإيمان النظرى بالتعددية الدينية وقبول الآخر فى المجتمع الإسلامى إلى حيث قننت أول دستور لأول دولة إسلامية (دولة المدينة) ، وعلى المستوى الفلسفى اليونانى القديم كان سقراط اوضح من أقام منهجاً للحوار – يعتمد على أسس ومرتكزات عقلية – مع السوفسطائية قبل الميلاد بقرون عديدة.

فللفكر الإنسانى تجارب صوفية / أخلاقية / معرفية أثرت بلاشك فى الحوار بين الأديان إبان ظهورها بالترتيب الزمنى : الديانة اليهودية (سيدنا موسى/التوارة) الديانة المسيحية (سيدنا عيسى/ الإنجيل) والديانة الإسلامية (سيدنا محمد ﷺ / القرآن الكريم) مع الأخذ فى الإعتبار أن القرآن الكريم هو الكتاب الإلهى الوحيد الذى لم يمسه التحريف ولا التبديل ومن هنا جاء التسامح من قِبل الإسلام ولعب دوراً هاماً فى درء ــ التعصب والإرهاب بما يحمل بين دفتيه من تسامح وقبول للديانات السابقة كما جاءت

من عند الله تعالى لا كما حرفها وبدلها اصحابها على اهوائهم؛ وبما تحتوى على نصوص تدعو صراحة بعدم الإنكفاء على الذات والإقتصار على التجربة الذاتية / الفردية ، ونادى بمعرفة الواقع المعاش بكل مكوناته وزخمة الفكرى بعيداً عن المادية المفرطة والروحانية الغالية ، متمثلاً منهجاً وسطاً يجمع بين مادية اليهود وروحانية المسيحية فى معادلة صعبة فكان حقاً ديناً عالمياً لكافة الناس .

ويدور موضوع البحث حول الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية فى محاولة لفهم الآخر وذلك من خلال دوائر التفكير الإنسانى كما خلفتها لنا الفلسفة التى من أهم مبادئها توضيح وجهة نظر الآخر جنباً إلى جنب مع وجهة نظر الذات وإبراز فكرة أمام فكرة والإنسجام بين الأفكار .. وهكذا .. إلى أن نصل إلى الحقيقة من منطلق ان الكل يحتاج إلى الكل والله سبحانه وتعالى خلقنا وجعلنا شعوباً وقبائل لنتعارف لا لنتصارع ، فمرحباً بتعارف الحضارات وسحقاً لصراع الحضارات والإسلام يرجب بالحوار والكلمة الطيبة السوية والموعظة الحسنة والجدل البناء وقديماً قيل شعراً :-

الناس للناس من بدو ومن حضر كل لكل وإن لم يشعروا خدم

إن المسلمين والمسيحيين يعيشون اليوم فى بلد واحد وفى عالم واحد بل فى قرية واحدة وربما فى منزل واحد ، وتشتد روابط العلاقة بين اجزائه اشتداداً يزداد عاماً بعد عام . ومن هنا فالحاضر واحد وإن اختلف الماضى بعض الشئ وسيكون المستقبل واحداً مشتركاً دون أن يستبد به أحد على حساب الآخر ، فالحوار المتبادل باسلوب التقديم والتعقيب والوضوح وإعادة الاعتبار لمنطق الحوار بين أصحاب الرأى بالإضافة إلى الجرأة والصراحة فى طرح الرأى والرأى الأخر أو وجهة النظر المقابلة للموقف المسئول ؛ أهم بكثير من أصالة الفكر وهى حقيقة معروفة من أيام سقراط إلى عصر

برونو ، ومن عصر رحمت الله الهندى إلى الداعية احمد ديدات أشهر مناظرى القرن العشرين.

ومن هنا جاء بحثنا هذا عن الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية فى محاولة نحو فهم الآخر فى المعالم والملامح , تتضامن من قبل الجميع تجاه الجميع (من الأنا إلى الأخر) بالتحليل الحيوى والموضوعى فى محاولة لكشف مواضع الإختلاف والائتلاف فى العقيدة والفكر والسلوك ومعطيات الإيمان لا لندحر إيمان الطرف الآخر ولا لنذل مؤمنى الدين الأخر (لكم دينكم ولى دين) ، ولا لنوسع الشقة بيننا (قل تعالوا إلى كلمة سواء) بل لنحدد تحديداً دقيقاً مقدار

الاشتراك فى المعطيات والإختلاف فى التأزم والوسطية فى الطرح طبقاً لخطاب فلسفى / كلامى / لاهوتى ، لرفع سوء الفهم السائد ليس على المستوى الشعبى العام (الحوار الصامت) بل على مستوى النخبة (حوار مقنع) تمهيداً لسبيل الحوار المنفتح / الشجاع / الحضارى وفتح المجال الواسع للتعاون المجدى المزدهر باشواق الحاضر وآمال المستقبل بين المسلمين والمسيحيين .

2ـ فى المنهج :

ومن منطلق ان موضوع البحث يدور حول الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية ومن منطلق انها محاولة لفهم الآخر ، وان البحث العلمى لابد وان يخضع لمنهج معين من مناهج البحث المتعارف عليها فإننى سأخطط لنفسى منهجاً ملائماً للموضوع وهو **المنهج التحليلى المقارن** وذلك لقيامى بتحليل الأفكار والآراء تحليلاً موضوعياً بعيداً عن الذاتية مستنداً إلى النص فى تناصه بقدر حساسية الموضوع وأهميته ، ثم سأقوم بعقد مقارنات بين الإسلام والمسيحية وأثر الحوار وثمرته واشكاله وجدواه فى إثراء أهم

المضامين الروحية والعقدية والصوفية والكلامية والفلسفية من خلال طرح عدة قضايا تتمحور فى الآتى :-

أولاً : مكانة الحوار فى الفكر الدينى ويتضمن بدايات الحوار فى القرآن الكريم والأناجيل وموقف الإسلام من الشرائع السماوية السابقة وبيان لنماذج المناظرات والحوارات عبر التاريخ بشكل مختصر تمهيداً للإجابة على التساؤل .. هل نستطيع فهم الآخر عن طريق الحوار ؛ وماهى أشكال الحوار ؟ وشروطه وموضوعاته ، وهل هناك مساحات مشتركة بين الديانتين تساهم فى إثراء الحوار.

ثانياً : من القضايا التوحيدية / الكلامية / اللاهوتية بين الإسلام والمسيحية وسنختار عدة نقاط محورية من أمثلة التنزيه والتشخيص والتجسيد والتشبيه ، ومشكلة الكلمة (فى القرآن والأنجيل) وقضية كلام الله ، ومشكلة الصفات الإلهية والأقانيم الثلاثة (الآب – الأبن – الروح القدس).

ثالثاً : من القضايا الجدلية / الحوارية فى الفكر الدينى ، وسنتناول فى هذا المحور عدة قضايا نصية من القرآن الكريم وهى أمور يجب الإيمان بها قبل الخوض فى الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية.

رابعاً: حول مؤتمرات ومراكز الحوار الدينى الإسلامى/ المسيحى وذلك من خلال علاقات الشرق بالغرب والحوار المقنع / الهادى / الهادف ، والتصور الأيديولوجى وتحمس الغرب للعقلانية والعلمنة، ودور الفاتيكان فى الحوار الإسلامى المسيحى فى مقابلة المنهج الإسلامى للحوار ، وحوار الحضارات من التصادم إلى التدافع ، وسنجيب من خلال البحث عن التساؤل الهام والمحورى وهو : هل هناك حوار دينى بين الإسلام والمسيحية أم لا ؟

أولاً : مكانة الحوار فى الفكر الدينى :

يتزايد ظهور عوارض الدمار الخطير الذى أصاب الإنسان يوماً بعد يوم فى العصر الحديث مما أفقده شخصيته الفطرية وأفرغه من محتواه الإنسانى ، كما أراد الله له أن يكون ، فهو يركض وراء قيم حضارية / مادية / خالصة ، سواء فى ذلك إتجاهها الذى ينادى بالإلحاد الصريح ديناً وعقيدة أو إتجاهها الآخر الذى يعترف – من غير حماس – بإيمان شكلى باهت لاقيمة له .

ومن هنا بدأ الإنسان فى العقود الأخيرة من هذا القرن يعى وضعه الوجودى وأنه يعانى من إختلال عميق فى وضعيته الوجودية ، لأن هذه الحضارة وفرت له اللذة وفشلت فى جعله يمتلك السعادة . وإن إنسان الحضارة يعيش على الصعيد الإجتماعى والدولى بين ثلاثة حروب :-

1- حرب يخوض غمارها .
2- حرب يصفى ذيولها.
3- حرب يتأهب لاشعالها.

كما يعيش على مستوى حياته الشخصية والداخلية فى حرب داخل ذاته دائمة الإشتعال يحاول ان يخفف من وطأتها بالفرار من وعيه لذاته إلى خارج ذاته ونفسه بوسائل اللهو والإستغراق فى اللذات الجسدية والمادية وما إليها[1].

وفى غمرة هذا الإدراك المتناهى للواقع البائس واخطاره المستقبلية على الإنسان ولد الشعور بالحاجة إلى حوار بين الإسلام والمسيحية ، وقد أستجابت قيادات الفكر والروح فى هذا الدين وذاك لهذا الشعور بالحاجة إلى الحوار من منطلق المسئولية العميقة أمام الله تعالى وأمام الضمير والمجتمع ، ومن منطلق

---

(1) د. سعود نعمة المولى : الحوار الإسلامى المسيحى – ضرورة المغامرة – تقديم الشيخ محمد مهدى شمس الدين – دار المنهل اللبنانى – النويرى – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1996م

ان الإسلام والمسيحية يرفعان معاً شعارات تدور حول تقدم الإنسان وخلاصة فى عالم الغيب وعالم الشهادة ، وفى الدنيا والآخرة ؛ ومن ثم فهمــا يبتغيــان أهدافاً هى فى النهاية واحدة ، ولكن وسيلة كل واحد منهما إلــى بلــوغ هــذه الأهداف تختلف عن وسيلة الآخر وكل واحد منهما يؤكد بشكل جازم ونهائى انه الوسيلة الوحيدة المضمونة لخلاص الإنسان دون غيره مــن الأديــان(*) ، وهذا الوضع بالذات وبكل الصراحة والموضوعية هو ما جعل كل واحد مــن الدينين يمثل بالنسبة إلى الآخر إحدى مشاكله الكبرى وتحدياته الخطيرة . ومن هنا فإن الحوار لم ينقطع بين الدينين منذ ظهور الإسلام ولن ينقطع .

1ـ بدايات الحوار فى القرآن الكريم والأناجيل :

لقد بدأ الإسلام الحوار .. وهذا أمر طبيعى ، فهو الدين الذى انزلــه الله تعالى بعد النصرانية ، فواجه حين بعث به النبى محمد ﷺ وضعاً دينياً سائداً قائماً فى العالم يتمثل فى النصرانية وقبلها اليهودية ، وقد تجلــى هــذا الحوار أول تجلياته فى القرآن الكريم من خــلال ســرد قــصص الأولــين وحواراتهم ، أو من خلال حوار الرسل والأنبياء والأولياء مع الله تعالى ومع قومهم من خلال الحُجاج والمناظرة والحوار والجدل والقــول ولقــد وردت لفظة (قال) ومشتقاتها أكثر من 529 مرة فى القرآن الكريم [2] ، فــالحوار

(*) ومن هنا يفرق الفقهاء بين من لم يعتنق الإسلام تنيجة للقصور وبين من لم يعتنقه تنيجة أو الجحود ، فالأول معذور والثانى مسئول – المرجع السابق – هامش ص9.

(2) من أمثلة ذلك ما ورد فى القرآن الكريم فى سورة آل عمران آية 61 ، آية 65 ، وسورة الأنعام آيــة 80 ، وسورى الشورى آية 16 ، وهناك أكثر من عشرين إشتقاق للفظة (قال) ، (يقول) من أمثلة ذلــك : قالها وردت 529 مرة قالا وردت 3 مرات ، قالت 43 مرة ، قالتا 23 مرة ، قالها مرة واحدة ، قــالوا 331 مرة ، قلت 6 مرات ، قلتم 9 مرات ، قلنا 27 مرة ، أقل 6 مرات ، أقول 9 مــرات ، تقــول 12 مرة ، تقولوا 16 مرة ، نقول 11 مرة ، يقول 68 مرة ، يقولوا 17 مرة ، يقولــون 92 مــرة ، قــل (بالأمر الإلهى) 332 مرة ... وهكذا ، يراجع فى ذلك محمد فؤاد عبــد البــاقى – المعجــم المفهــرس لألفاظ القرآن الكريم – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى – 1986م من ص 554 – 574.

قول بين أثنين أو سؤال وإجابة على السؤال والحوار يختلف عن الجدل والمناظرة ، فالجدل معرفة آداب المناظرة والحوار تجاوب ومجاوبة ، فلفظة (الحوار) فى معاجم اللغة العربية بضم الحاء من التحاور أو التجاوب والمحاورة تعنى المجاوبة[3].

كما يختلف الحوار عن المجادلة بدليل ذكرهما معاً فى آية قرآنية واحدة فى قول الله تعالى:- ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ [4]، وأيضاً قوله تعالى : ﴿ فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا اكثر منك مالاً وأعز نفراً ﴾ [5]. والمعنى هنا "**يخاطبه**" كما يذهب الإمام الطبرى[6].

المهم فى الأمر أن القرآن الكريم كله حوار عقلانى يدل على ان الإسلام يشجع على التفكير والتأمل والتساؤل والدهشة ، ألم يكن سيدنا إبراهيم أول متساءل بين البشر ولقد كان حوار الإسلام فى إتجاهين :-

<u>أحدهما</u> : يتمثل فى دعوة المسيحية إلى الإيمان به واعتناقه والإعتراف له بانه يمثل الكلمة الأخيرة والكاملة فى التاريخ الدينى للانسانية .

<u>وثانيهما</u> : يتمثل فى دعوة المسيحية – إذا رفضت الإيمان به – إلى التعايش معه بعد الإعتراف به .

ولكن هذا الحوار باتجاهيه بقى وحيد الجانب فلم تستجب المسيحية

---

(3) الشيخ الإمام محمد بن أبى بكر الرازى – مختار الصحاح – عنى بترتيبه السيد محمود خاطر وراجعه نخبة من علماء اللغة العربية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، بدون ت. ص161.

(4) سورة المجادلة – آية 1 .

(5) سورة الكهف – آية 34.

(6) الإمام الطبرى : التفسير الميسر للإمام الطبرى – دار الشروق – الطبعة الأولى – القاهرة – 1980م – ص333.

كنظام ثقافى ومؤسسة عقيدية للإتجاه الأول فى الحوار ، كما أنها لم تستجب كسلطة سياسية للإتجاه الثانى فى الحوار(7).

ومن المعلوم ان القبائل العربية المشركة فى الجاهلية تجاوروا مع القبائل النصرانية لان النصارى كثيراً ما كانوا يدعون تلك القبائل إلى عقيدتهم ، ويبشرون بها وينذرون بالبعث والنشور وغير ذلك مما كان بعض العرب ينكره ، وقد حكى القرآن الكريم عنهم ذلك فى قوله تعالى : "﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (8).

وكان القسيسون والرهبان يردون الأسواق العربية ويعظون ويبشرون ويذكرون البعث والجنة والنار ، ولعل خطبة قس بن ساعدة التى أشتهرت فى كتب الأدب من ذلك النوع من الخطاب الحوارى ولكن يظهر أن العقل الغربى الفطرى لم يستسغ عقيدة التثليث ولا الإيمان برب مصلوب ، لذلك تصدوا للرد على النصارى وإبطال دعاويهم ، وكانت الحوارات والمناقشات بين الفريقين التحام عقل ساذج فطرى (قبل الإسلام) لايدرك تعقيداً ، وعقل معقد يدعو إلى عقيدة ليس من السهل إستساغتها(9)، وقد روى فى التاريخ مناظرات وحوارات تصور لنا ذلك الإلتحام تمام التصوير كما سنرى فى ثنايا البحث.

ما نود أن نقوله إن الإسلام أتى ومعه كتابه المقدس الذى أنزل على

---

(7) د. سعود المولى : الحوار الإسلامى المسيحى – ص10.

(8) سورة الرعد : آية 5 . { ولمزيد من المعلومات عن دور القبائل العربية فى مصر منذ الفتح الإسلامى حتى قيام الدولة الفاطمية – يراجع فى ذلك د. ممدوح عبد الرحمن الريطى – دور القبائل العربية فى صعيد مصر – مكتبة مدبولى – القاهرة – الطبعة الأولى 1996 – ص247}.

(9) الإمام محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل – دار الفكر العربى للطبع والنشر – الطبعة الثانية – القاهرة – 1980م – ص 34.

أخر الأنبياء والرسل محمد ﷺ فكان كالرحيق المختوم ، وللحق نقول إن حوارات ومجادلات النبى ﷺ مع اليهود كانت أكثر منها مع النصارى لأن الإحتكاك كان كثيراً بسبب الحوار وبسبب كثرة اليهود فى مكة وبقاع الجزيرة العربية وبسبب مراوغة اليهود وكثر جادلتهم وأكبر دليل على ذلك موقفهم من سيدنا موسى نفسه الذى يعتبر أكثر الأنبياء ذكراً فى القرآن الكريم بسبب اليهود.

أما عن حوارات النبى ﷺ مع النصارى فكان يهاجمهم فى عقيدة التثليث ويبين كفرهم بها كما قال الله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة..﴾[10] وينكر عليهم ادعائهم ان عيسى وامهِ إلهان من دون الله، كما ينكر عليهم إن الله هو المسيح وينكر عليهم عبادة الصليب وأكلهم الخنزير وان لله ولداً وغير ذلك من الأمور التى سنبحثها فى الصفحات القادمة وممن جادلهم النبى ﷺ نصارى نجران بالمدينة المنورة .

ومن هنا نقول إن دعوة النبى ﷺ شغلت البلاد العربية وتجاوزت هذه البلاد وأخذ يتحدث بشأنها قيصر الروم فى بلاده وكسرى الفرس فى طاغوته . وقد ذكر الإمام البخارى فى صحيحه حديث قيصر الروم مع أبى سفيان وقد أخذت شكل محاورة ومناقشة [11] ولقد كان الرسول الكريم ﷺ رقيقاً ومتسامحاً مع محاوريه من الأديان السابقة على الإسلام ولكن تغيرت التوراة وحرفت الأناجيل بعد عصر سيدنا عيسى عليه السلام ، ومن الملوك الذين تحدثوا فى شأن محمد ﷺ النجاشى ملك الحبشة الذى قال : أشهد بالله أنه النبى الأمى الذى ينتظره أهل الكتاب وإن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب

---

(10) سورة المائدة : جزء من آية 72 .

(11) وقد ذُكر الحديث فى كتاب تاريخ الجدل للشيخ الإمام محمد أبو زهرة كما جاء فى صحيح البخارى فى كتاب بدء الوحى ص 56/55 فليراجع .

الجمل وإن العيان ليس بأشقى من الخبر(12) ودخل النجاشى الإسلام وكتب إلى النبى ﷺ يخبره بذلك .

2ـ موقف الإسلام من الشرائع السماوية السابقة :

النص القرآنى يدعو صراحة بعدم الإنكفاء على الذات والإقتصار على التجربة الذاتية الفردية ، فلابد من معرفة الواقع المعاش بكل مكوناته وزخمه الفكرى ومحاولة تحليله وإرجاعه إلى عوامل نشوئه وأسباب علله وامراضه أو نهوضه وإنجازه هو فرض من الفروض الحضارية ورغم ان النص سدد بحراسة الوحى فإنه يتطلب التوغل فى التجربة البشرية ودراستها بأمر الوحى نفسه(13) ، وهذا التوجه – حتى يحقق عبرته ووقايته سلباً أو إيجاباً – لابد له من معيار دقيق وسليم ، فإذا فقد المعيار أو شابته شائبة كان الإرتماء ، وإذا قصرت الرؤية لعطاء الوحى وخلوده كان الإنكفاء .. وإذا استصحب الوحى كما ينبغى كان التبادل المعرفى وإغناء التجربة الذاتية من خلال الفضاء الحضارى الرحب ، وتزداد أهمية هذا التبادل المعرفى لأنه يبصرنا (بالآخر) وبعقيدته وثقافته وتاريخه وحاضره ويشكل دليل عمل للتعامل مع الآخر من منطلق بشرى ، ورسالة الإسلام رسالة عالمية ولاخيار للمسلم من وجوب إبلاغها (للآخر) وكيف يتحقق هذا البلاغ إذا لم نعرف من هو (الآخر) تماماً فى محاولة لفهمه وبالذات فى هذا العصر الذى بلغ شأوًا مذهلاً فى الإتصال والتواصل يصعب معه تجاهل الآخر أو تجاوزه ، أو ان

---

(12) الإمام محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل ص 58 .

(13) بدران بن سعود بن الحسن : الظاهرة الغربية فى الوعى الحضارى (أنموذج مالك بن نبى) – كتاب الأمة – العدد 73 رمضان 1420هـ – السنة التاسعة عشر – ص 15 – وبخصوص الوحى فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة – أنظر فى ذلك : الشيخ مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام – مكتبة الشباب – الطبعة الثانية – القاهرة – 1997م – ص8 ، وما بعدها.

يتجاهلنى الآخر المضاد أو يتجاوزنى والذى لايذهب إلى العالم يجئ العالم إليه فى حجرته الضيقة .

من هذا المنطلق يجب أن نحدد موقف الإسلام من الشرائع السابقة عليه ولو رجعنا تاريخياً قليلاً ، وعندما جاء الفكر العربى الإسلامى إلى المجتمعات المسيحية الشرقية لم تكن جيوشه محاربة للمسيحيين الشرقيين وإنما كانت محاربة للروم البيزنطيين، لقد كانت حرب تحرير للشرق من السيطرة الغربية التى بدأها الأسكندر الأكبر (256-223 ق.م) ، ولذلك وقفت الشعوب المسيحية مع الفتح العربى الإسلامى ضد الروم البيزنطيين ، فالدولة – كما يذكر الدكتور محمد عماره – فى هذه المجتمعات التى فتحها الإسلام لم تكن مسيحية / شرقية وطنية ومصر على سبيل المثال لم يحكمها قبطى فى يوم من الأيام !!

فمنذ ان تدين أهلها بالنصرانية وهى مضطهدة حتى جاء الإسلام فآمن أقباطها وأعاد لهم كنائسهم التى كان قد أغتصبها منهم البيزنطيون (14) كما سنوضح فيما بعد .

فالدولة الإسلامية لم تقم بعد الفتح كبديل للدولة القبطية ، والدولة المسيحية الوطنية وإنما قامت بديلاً للدولة البيزنطية الاستعمارية ، والشريعة الإسلامية لم تقم فى مصر بديلاً لشريعة المسيحية وإنما قامت – منذ الفتح الإسلامى – بديلاً عن القانون الرومانى بدليل تواجد المسيحيين بتقاليدهم

---

(14) د. محمد عمارة : المشروع الإسلامى للتغيير ومطاعن العلمانيين – مقال بمجلة الجامعة الإسلامية – تصدر عن الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية – لندن – العدد الثالث 1994م – ص32 وما بعدها وبخصوص دولة المدينة يورد لنا د./ محمد عمارة ، نص مواد الصحيفة المسجلة كأول دستور للدولة الإسلامية الأولى ممارسة تطبيق . أنظر فى ذلك : الإسلام وحقوق الإنسان – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى 1989م – ص 192/158 . كأول دستور للدولة الإسلامية الأولى ممارسة / تطبيق . أنظر فى ذلك : الإسلام وحقوق الإنسان – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى 1989م – ص 192/158 .

واعرافهم إلى الآن فى مصر يتمتعون بكل الحقوق وعليهم نفس الواجبات التى على المسلمين ، ومن هنا نقرر أن الإسلام ليست له أية مشكلة مع الشرائع السماوية التى سبقت شريعة سيدنا محمد ﷺ فآمن باليهودية كدين سماوى أنزل عليهم رسول وكتاب (موسى / التوارة) وآمن بالمسيحية كدين سماوى أنزل عليهم رسول وكتاب (عيسى/ الأنجيل) مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ [15]. وقوله أيضاً ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ [16]. فهو الدين الذى لايكتمل الإيمان به إلاَّ بالإيمان بهذه الشرائع ، وهنا نجد قمة التسامح وفهم الآخر.

وموقف الإسلام من هذه الشرائع السابقة سواء كانت (يهودية أو مسيحية) تجسد فى موقف المسلمين من اتباع تلك الشرائع (أهل الكتاب) وهو موقف جاوز الإيمان النظرى بالتعددية الدينية فى المجتمع الإسلامى إلى حيث قننت – كما قلت – أول دستور لأول دولة اسلامية (الصحيفة ـــ الكتاب ـــ دستور ـــ دولة المرتية) الذى نص على أن اليهود من عرب المدينة أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وان بينهم النصر على من حارب أهله (أهل هذه الصحيفة) وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وحلف الفضول ليس ببعيد عن أذهاننا ، هذا الحلف الذى قال عنه الرسول ﷺ " **لو دعيت به فى الإسلام لأجبته** " .

ولقد شهد الرسول ﷺ هذا الحلف فى قريش ومعهم واعجب به وكان هذا الحلف للخير وليس للشر (كما يحدث الآن) وهى دعوة قريش (وهم يهود)

---

(15) سورة البقرة : آية 136 .

(16) سورة البقرة : آية 285 .

التى كانت تأتى افعالاً حين يفكر الإنسان فيها يدرك ان خيراً كثيراً سيصيب الناس من قريش هذه . ولقد اجتمعت خمسة من قبائلها إلى حلف يدافع عن المظلومين المهددة حقوقهم فى مكة وفى غيرها ممن تصل إليه أيديهم وهم :- كما جاء فى كتب التراث : بنو هاشم – وبنو الـ ـب – وأسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مره وأختاروا واحد منهم لمكانته فيهم وكبر سنه وحكمته وكرمه وحسن ادارته للحوار مع الآخرين وهو عبد الله بن جدعان وتحالفوا على ان يكونوا ضد أى شرير أو ظالم يعتدى على حقوق الإنسان فى مكة وكان ذلك قبل بعثة الرسول ﷺ ومن هنا جاءت قولته الشهيرة التى أوردتها من قبل ومن هنا أيضاً تجسد المبدأ القرآنى والفكر الدستورى فى التعددية الدينية التى راعاها المجتمع المسلم المتحاكم إلى الشريعة الإسلامية على أمتداد تاريخه الطويل ومازال . على حين كانت الحروب الدينية فى الغرب (الأخر) قائمة على قدم وساق ليس فقط ضد التعددية فى الدين بل وضد التعددية فى المذهب داخل الدين المسيحى الواحد وللانصاف نقول إن التعددية فى المذهب داخل الدين الواحد موجوده أيضاً لدى المسلمين (فى الفروع وليس فى الأصول العقدية) والصراع القائم بين أهل السنة والشيعة غير خاف علينا ويحتاج منا إلى تضافر الجهود لعودة ميراثنا المفقود وتوحيد الفرق الإسلامية فى إسلام بلا مذاهب.

3ـ نماذج لمناظرات وحوارات عبر التاريخ :

قلنا من قبل ان الحوار كان دائراً بين الإسلام والمسيحية ومن قبلها بين الإسلام واليهودية ؛ وان الإسلام لم ينكر الحوار من منطلق أن القرآن الكريم بآياته المتعددة يدعو إلى الحوار والجدل بالتى هى أحسن.

ولقد كان ظهور الإسلام وإنتشار الدعوة بين أصحاب الديانات المنتشرة فى الجزيرة العربية فى ذلك الحين باعثاً لقيام الجدل والحوار بين أصحاب هذه

الديانات وبين الإسلام والمسلمين ، ولم يكد يتجاوز هذا الجدل – فى بادئ الأمر – الدعوة إلى الإسلام والإعتراض على بعض معتقدات الديانات الأخرى من جهة ، وسؤال عن كنه الإسلام ومحاولة دفع هذه الاعتراضات من جهة أخرى، وكانت النصرانية واحدة من هذه الديانات المنتشرة فى الجزيرة أيام ظهور الإسلام وكانت بلاشك واحدة من الديانات التى نشأ الجدل والحوار بينها وبين الإسلام فقد أشتمل القرآن الكريم فى أكثر من موضع على بعض الاعتراضات على النصرانية – كما سنرى – فقام النصارى يردون على الاعتراضات ، ولكنهم كانوا لايعرفون إلا القليل عن هذا الدين الجديد وقد بقى لنا عدد من هذه المحاورات بعضها بالعربية والبعض الآخر بالسريانية وتختلف هذه المحاورات بإختلاف العصور التى تنسب إليها فقد كانت بسيطة ساذجة فى بادئ الأمر ، فإذا جاء القرن الثانى أخذ النصارى يثيرون فى الإسلام بعض المسائل والقضايا التى أثيرت من قبل فى اديانهم ومعتقداتهم كمسألة صفات الله وذات الله ومسألة خلق القرآن وكلام الله وغير ذلك ، وجاء القرن الثالث الهجرى وكثرت المناظرات والمحاورات الدينية بين الإسلام والمسيحية معتمداً على المنطق والفلسفة التى كانت قد أنتقلت إلى الإسلام بفضل الترجمات والعلاقات وغير ذلك مما كان له أكبر الأثر فى نشأة علم الكلام الإسلامى .

ولأن كان الإسلام قد هاجم اليهودية هجوماً عنيفاً فإنه لم يفعل هذا مع المسيحين لقد كانت المسيحية – رغم الاعتراضات – عودة للروح فى قلب اليهودية ومن العجب ألا تثير قصة المسيح كُتاب بنى إسرائيل ولايذكرونها رغم حدوثها ، وأتى الإسلام بالوثيقة الوحيدة النادرة التى تثبت وجود المسيح الأخير من مسيحى اليهود ويفتتح الوحى الإلهى حادث المسيح بقوله : .. ﴿إن هو إلاّ عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل﴾ [17] أى ان الله تعالى أنعم على

---

(17) سورة الزخرف : آية 59 .

سيدنا عيسى بالإيمان والتوفيق وجعله آية لبنى إسرائيل وحجة عليهم بإصرار عجيب أمام أهل التوراة الذين أنكروه ولفظوه ولم يدعوا له مكاناً فى تاريخهم ، وليست التوارة سوى تاريخ لبنى إسرائيل على مر القرون . وكذا أمام أهل الأناجيل الذين اعتبروه إلهًا أو ابن إله أو رباً تعذب وصلب من أجل خطاياهم وغفر لهم به .

وكل هذا فى نظر الإسلام غير حق . حيث أعلن الإسلام إعلاناً قاطعاً وفى إصرار عجيب ان معجزة ميلاد المسيح لاينبغى ان تصور فى أى صور مغالية ، إنما هى فقط صرخة إلهية لبنى إسرائيل ، ولكن على ألاّ تتجاوز حدود الإنسان ، وتجعل منه إلهاً أو ابن إله[18].

أ – من النزاع إلى الجدال إلى الحوار :

قلنا إن الإسلام أعلن أن ميلاد المسيح ماهى إلاّ معجزة إلهية ، ورأى نصارى نجران أول قوم بدأ معهم النزاع أيام الرسول الكريم ﷺ عظمة الهوة بينهم وبين الدين الجديد (الإسلام) . وإن كان النزاع الفكرى الإيديولوجى بدأ ليناً فإنه أشتد بعد ذلك .

وهنا ينزل الوحى يصرخ فيهم صرخته الرهيبة فى قول الله تعالى : ﴿ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾[19]، وهنا أصاغ الوفد النصرانى آذانهم وقد رأوا محمداً ﷺ على قمة الكون فى صلاة إبتهالية يدعوهم إلى إستنزال العذاب الكونى على

---

(18) د. على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – دار المعارف – بمصر – الطبعة الثانية 1981م – ج1 ص 90 . أنظر أيضاً : آنا مارى شيملّ : الإسلام دين الإنسانية – ترجمة وتعليق د.صلاح محجوب ، تقديم د. محمود حمدى زقزوق ، راجعه د. محمود فهمى حجازى – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر – سلسلة دراسات إسلامية – العدد (60) – القاهرة – اكتوبر /2000م – ص 87 وما بعدها

(19) سورة آل عمران : آية 61 .

من كذب فأخذوا أمتعتهم وفروا قافلين ، وقد عرف هذا النـــزاع الأول بـــين الرسول ﷺ وبين وفد نصارى نجران بإسم **قصة المباهلة** وقد أفتتن المسلمون بها وراحوا يصورنها – شيعة وسنة – فى صور متعددة [20].

وسار أتباع الرسول ﷺ بالدين الإسلامى والقرآن الكريم إلى ما بـــين النهرين والشام ومصر ، وهناك رأوا مسيحية تختلف عن مسيحية نـــصارى نجران (النصيين) وفى البلاد الأخرى مسيحية مختلفة ، مسيحية عقلية فلسفية متسلحة بالإجتهاد والمنطق حتى آخر الأشكال الوجوديـــة حيـــث إتـــصالها بالفلسفة اليونانية والهندية والإيرانية ، مسيحية مختلفة فيما بينها منقسمة على نفسها وكان على علماء المسلمين ان يواجهوا هذه الفرق مجتمعة أو منفردة ، فكيف بدأ النزاع ؟ وكيف ساعد هذا على أقامة ميتافيزيقا إســـلامية مـــستندة على القرآن الكريم ؟ تساؤل نطرحه مع الدكتور النشار والإجابة عليه نجدها فى القرآن الكريم نفسه حيث أقبل كثير من المسيحين من أهل الـــبلاد التـــى دخلها المسلمون – على الإسلام فاعتنقوه وقد رأوا فى المـــسيحية القرآنيـــة صورة متكاملة تغنيهم عن خلافات الفرق المسيحية نفسها حول طبيعة المسيح وحقيقته وقد رأوا مسيحاً واحداً فى القرآن فى صورة بسيطة فأمنوا بالإسلام، وهنا تقدم آباء الكنيسة للدفاع عن دينهم أو بمعنى أدق عـــن نظـــريتهم فـــى طبيعة المسيح فتصدى لهم مفكرو الإسلام وبدأ الجدال العنيف حول قضايا : وحدة الله وطبيعة الله وصفات الله ... إلخ ...

وهنا كان دور علماء الكلام بارزاً ، وبدأ الجدال مع كهان الحبـــشة حول فكرة القرآن عن المسيح ، ونرى أن من الصحابة من يضع المناقـــشة

---

(20) يراجع فى ذلك تفصيلاً : د. النشار – نشأة الفكر – ص 92 وما بعدها
د. صابر أبا زيد – الإمامية الإثنى عشرية " شخصيات وآراء " –
دار الحضارة للطبع والنشر – طنطا – الطبعة الأولى 1994م – ص 63 وما بعدها.

فى صورة جدلية عقلية تقترب من الحوار وكانت الأحاديث والحوارات بين النصرانية والإسلام فى بداية الأمر أحاديث جدل فى لين ورقة ورفق ثم أخذت صورة أخرى من الشدة فى عهد الأمويين حين أصطدم يوحنا الدمشقى فى جدال عنيف مع المسلمين حول وحدة الله . رطبيعة الكلمة ، وقد أعتبر يوحنا الدمشقى الإسلام عقيدة فلسفية ووضع أصول الجدل على هذا الأساس ويبين للمسيحى طريق أو منهج مناقشة العقائد الإسلامية[21] ثم بلغ النقاش بعد ذلك ذروته من الشدة على يد حنا النقيوسى المصرى وقد رحل إلى الحبشة وبدأ يرسل رسائله إلى أقباط مصر يحاول فيها مناقشة العقائد الإسلامية والحيلولة دون أعتناقهم الإسلام.

ثم نتابع النقاش – تاريخياً – فى عهد العباسيين وقد قاوم المعتزلة الأوائل (القدرية) المسيحية مقاومة شديدة من ناحية عقلية ، ثم تطور هذا النزاع فى المدرسة المعتزلية ، وقد كشف لنا الشيخ المعتزلى الكبير القاضى عبد الجبار[22] مناقشات أبى على الجُبائى للمسيحية ولم يقتصر الأمر على فرقة المعتزلة بل تعدت كل من أهل السنة والشيعة بفرقهما وفى ذلك كتب كثيرة ليس هذا مجاله .

---

(21) الإمام محمد ابو زهرة : تاريخ الجدل – ص 21 .

(22) القاضى عبد الجبار الهمدانى : المغُنى فى أبواب العدل والتوحيد – بتحقيق المرحوم د. محمود الخضيرى – ج5 – ص 150/80. { وفى نطاق أهل السنّة ناقش الإمام ابن حزم الأندلسى فى كتابه (الفِصَل) المذاهب المسيحية بالأندلس وأيضاً الشهرستانى فى الملل والنحل ثم أبو بكر الباقلانى يناقش المسيحية نقاشاً شديداً كما فعل إمام الحرمين الجوينى وتلميذه الإمام الغزالى فى أغلب مؤلفاته حتى ابن تيميه السلفى ورسائله وتلميذه ابن القيم الجوزية تولى هذه الأمور ، وتوالت المحاورات والمناقشات حتى العصر الحديث على يد رحمت الله الهندى فى كتابه الضخم الهلم << إظهار الحق >> حيث قام بدراسة الأناجيل الأربعة على أساس علمى/ نقدى / ونقض فكرة الصلب وفكرة الأقانيم الثلاثة (فليراجع) ج1 ، ج2 ، ص 243 ، ص7 ، تقديم فضيلة الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود (شيخ الأزهر السابق) تعريب وتحقيق محمد كمال فراج – مطابع منارة الأزهر بمصر– الطبعة الأولى 1978م.

ب – من أمثلة المناظرات والمحاورات :

ولو وددنا عرض لبعض أهم المحاورات التى أخذت شكل المناظرات بين الإسلام والمسيحية عبر التاريخ وحتى عصرنا هذا (كنماذج ممثلة) تدل على مدى انطلاقية الفكر الإسلامى وعدم نمطيته وجموده وتدليلاً على قبول الإسلام للتعددية وفهم الآخر ، ولو استعرضنا كتب الجـدل والحـوار بـين الإسلام والمسيحية سنجد الآتى:–

– المناظرة والحوار بين الإمام الشافعى ﷺ وأحد رجال المعتزلة من البصرة حول حجية السنة [23] إذ كان السلف الصالح متمسكاً بسنة الرسول ﷺ قدر تمـسكهم بكتاب الله العزيز فإن فرقة شذت فى عصر الإمام الـشافعى (القـرن الثالـث الهجرى) فردت سنة رسول الله ﷺ ورأت انها لاتقوم على الكتاب الذى أنزله الله تبياناً لكل شئ ، وأشار الإمام الشافعى إلى هذه الفرقة ويقصد بهم المعتزلة وذكر حواره مع أحد منهم فى كتاب جماع العلم[24] ، فإذا كان هذا الحوار بين المسلمين أنفسهم فما بالنا بما كان بيـن المسلمين والمسيحيين . ولقد كان ظهور الإسلام وإنتشار الدعوة بين أصحاب الديانات المنتشرة فى الجزيرة العربية فى ذلك الوقت باعثاً لقيام الحوار والجدل بين أصحاب هذه الديانات.

– محاورة البطريرك يوحنان مع أمير العرب (عمرو بن سعد بـن أبـى وقاص) (••) والتى كانت مع مطلع القرن الثانى عشر المـيلادى والتـى

(23) يراجع النص تفصيلاً : د. عبد الغنى عبد الخالق – حُجية السـنة – دار التربية للطباعة والنـشر والتوزيع – الطبعة الأولى – القاهرة – 1942م – ص 257/225.

(24) ابى عبد الله محمد بن أدريس الشافعى : كتاب الأم بتصحيح الاستاذ / احمد محمد شاكر – المطبعـة الأميرية الكبرى – الطبعة الأولى – القاهرة – 1321هـ – كتـاب جمـاع العلـم ج7 ص 250 ومابعدها.

(••) قتل يوم الحرة فى ذى الحجة 63هـ أو 67هـ كما جاء فى شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى – الطبعة الأولى – القاهرة – 1350هـ – ج1 ص 74 .

أتصفت محاوراتها بإغفال أسم المؤلف وأسمى المتحاورين والغموض في تاريخ نسبة المحاورة وغير ذلك(25).

- وهناك محاورة أخرى بين المهدى وتيموتاوس أوردها لنا الدكتور / حمدى البكرى الذى يقرر أن الجدل ظفر بعناية الكتب فى عصر النهضة الأخيرة وقد كان الكتاب يريدون أن يكسبوا لديهم مركزاً ممتازاً بعد أن رأوا إن سلطان الدولة الحاكمة قد أخذ يضعف ويقولون إن هروب مرقص بن قيقى مقريان الموصل إلى بغداد 1016م ودخوله الإسلام هو السبب المباشر فى مضاعفة إيقاظ الشعور الدينى وحفز الكتاب إلى زيادة الإهتمام بالكتابات الدينية والحوارات الجدلية .
- فكثرت كتب الجدل وموضوعات الحوار بين الإسلام والمسيحية باللغة العربية خلال القرن الحادى عشر الميلادى (26) والخامس الهجرى ومابعدها.

ولكن العجيب فى الأمر أن هناك آراء تقول إن هذه المحاورات والمناظرات مدسوسة على أصحابها ومؤلفيها وان صحت لطرف أغفلت للأخر.

ومن هنا فالأمر يحتاج إلى دراسات تحقيقية للمخطوطات الموثوق

---

(25) د. محمد حمدى البكرى : محاورة البطريق يوحنان مع أمير العرب – بحث بمجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – م16 – ج1 – مايو 1954 – ص 39/23 { ولقد أورد لنا المؤلف أدلة راجحة بان التاريخ المكتوب على وجه الورقة الأول من المخطوطة هو 1184م واعتمد على مخطوطات سريانية محفوظة فى مكتبات أديرة وادى النطرون بمصر . وأثبت ان العرب المسلمين لم يحرقوا مكتبة الاسكندرية وانها لم تكن موجودة عند فتح العرب لمصر ، وان أول من قال بساحراق العرب لهذه المكتبة هو ابن العبرى فى تاريخ الكنيسة – ص 41 – فليراجع}.

(26) د. محمد حمدى البكرى : محاورة المهدى مع تيموتاوس – بحث بمجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – م 12 – ج2 – ص 42 – ديسمبر 1950م.

فيها بجميع مكتبات العالم ، وهذا ما قام به المستشرق ميجانا Migana حيث نشر الصورة الشمسية للرسالة السريانية التى تشتمل على هذه المحاورة فى مجموعة دراسات وود بروك Wood Brook وهى صورة المخطوط الذى نسخه لمنجانا القسيس إبراهام شيكوانا القوشى عن أقدم مخطوط محفوظ لهذه المحاورة فى دير العذراء بالقرب من القوش ، ويقول ميجانا إنه علم أثناء رحلته التى قام بها إلى الشرق 1925م ، أن الأكراد قد أعدموا هذا المخطوط أيام الحرب العالمية الأولى فيما بين سنتى 1918/1914 ؛ ويوجد نسخة أخرى محفوظة فى الفاتيكان (تحت رقم 81 ونسخة ماردين رقم 50 ونسخة منجانا رقم 17) ، ويؤكد منجانا مطابقة نسخته للنسخة القديمة حيث راجعها بنفسه أثناء رحلته إلى الشرق ، وقام بوصف شامل لهذه المخطوطة وقدم له وترجمه للأنجليزية [27] وقد نشر الأب لويس شيخو ترجمة عربية لهذه المحاورة فى مجلة الشرق (م 19 ص 360 ومابعدها) .

وهذه المناظرة – لو وقعت بالفعل – لم تسجل فى حينها ولكن بعد ذلك بحين ومن الصعب تحديد الفترة التى أنقضت بين وقوع المناظرة وبين تدوينها ، وإن صحت هذه المناظرة أيضاً فإنها وقعت باللغة العربية والذى سجلها هو المناظر المسيحى وانه كتبها باللغة السريانية ثم ترجمت إلى العربية بما اوحته إليه نزعته الدينية كبطريرك نسطورى ، ويؤكد الدكتور / حمدى البكرى أن هذه المناظرة تمثل وجهة نظر المسيحية أصدق تمثيل ، وقد شعر منجانا بذلك فقال فى مقدمته ان الرسالة عبارة عن حوار دينى خاص بين تيموثاوس وبين المهدى وليس من الضرورى ان نفترض ان كل كلمة فى هذه الرسالة قد قيلت حرفياً ، ولكنها تحتوى على تحليل دقيق لأسئلة

---

(27)Caliph Migana (A):The Apology of Timothy The Patriarch before the Mahdi – Wood Brooks Studies, Vol. II, P. 91, Manchester. 1928.

الخليفة المسلم وإجابات البطريرك المسيحى ، ومن المحتمل ان الحوار أستمر عدة أيام حيث كان بينهما عدة مقابلات أما لشئون الدولة إما حباً فى الحكمة والعلم اللذين كانا يتوقدان فى نفس أمير المؤمنين(28) .

وكما قلت ـ إن المفهوم من النص أن حوار كان على دفعتين فى يومين مختلفين وقد بدأه المهدى قائلاً : ﴿ياجاثليق رجل مثلك أوتى كل هذا العلم ويقول مثل هذه الكلمات الجليلة عن الله لايحق له أن يقول إن الله تزوج أمرأة ورزق منها بغلام﴾ .

وختم أمير المؤمنين الحوار فى اليوم الأول **بقوله : .. " سنسمع كلامك عن هذا فى وقت آخر إذا اعطتنا الظروف الفرصة السانحة لمثل هذا الحوار الهادى الودى " وأمير المؤمنين كذلك هو الذى بدأ الحوار فى اليوم الثانى بقوله** :.. " هل أحضرت الأناجيل معك كما قلت لك ؟ وختم بقيام الملك المظفر إلى مناظرته..الخ (29).

والحوار فى هذه المناظرة على طريقة السؤال والجواب ، ونستطيع ان نتبين من استعراض كتب الجدل منذ نشأ الجدل بين الإسلام والمسيحية حتى مطلع القرن السادس الهجرى أنه لم يطرأ عليها إختلاف جوهرى إذ أنها حميعاً تتفق فى موضوعات اسئلتها وإجاباتها والصورة التى تمثلها أصدق تمثيل هو كتاب ابن الصليبى فى الرد على الغرب الذى ألف فى أوائل القرن السادس الهجرى . وأبرز ما بين مؤلفى هذه الكتب من خلاف هو أن ابن الصليب كان معتداً بنفسه فلم يحاول نسبه كتابه إلى غيره ، فأما غيره من المؤمنين فقد انكروا ذاتهم وحاولوا نسبة مؤلفاتهم إلى غيرهم من الشخصيات البارزة وتنكروا لعصرهم وحاولوا نسبتها إلى عصر قريب من

---

(28) د. حمدى البكرى : محاورة المهدى مع تيموثاوس ص 14 .

(29) المرجع السابق : ص 45

صدر الإسلام لكى يكسبوا قضيتهم قوة كما نرى فى قصة بحيـرا الراهـب وحواره مع الرسول ﷺ إن صدق أو كذب ، ورسالة الهاشمي إلى الكندى(***) أو إشراك شخصية بارزة معهم كما نرى فى محاورة يوحنـان مـع أميـر المؤمنين ومحاورة ثيموتاوس مع المهدى التى نحن بصددها ، والغريب فى الأمر ان المحاور المسيحى يهاجم ويدافع وهو على علم بكل ما جـاء فـى المعتقدات الإسلامية وكل ما ورد عن المسيحية في القـرآن الكـريم وكمـا سيأتى تفصيله فيما بعدومن المناظرات والحوارات فى العـصر الحـديث – ومع التوجه العام لدى الكثير من المعتدلين (فكراً / عقيدة) ازداد الشوق إلـى الحوار والتعايش مع الآخر من منطلق ان الآخر فى المفهوم الإسلامى ليس عدواً ولا مناهضاً ولاهو فى مرتبة دونية كما تـردد المنظومـات الفكريـة المختلفة من الرومان واليونان إلى الرجل الأبيض مروراً بمن أدعـوا أنهـم شعب الله المختار[30] - نجد ان أبرز شخصية على الساحة هـو الـدكتور / أحمد ديدات الداعية المسلم الحاصل على الدكتوراه فى اللاهـوت المـسيحى والذى عاش فى جنوب افريقيا – ويرأس المركز الإسلامى وتجـول فـى العالـم كله وصال وجال عبر البلاد والأقطار داعياً ومجادلاً ومحاوراً لأكبر قساوسة العالم ومنهم جيمى سواجارت القس الامريكى الشهير فى منـاظرة تاريخية بعنوان: " هل الأنجيل كلمة الله " ؛ والتى أقيمت فى أمريكا ، وكـذا نجـد د. أنيس شروش قس من قساوسة الأنجليز يحاور د. أحمد ديدات فـى قاعة ألبرت هول الكبير ، وتناولت المحاورة عدة نقاط غاية فـى الأهميـة

(***) وقد جُـمـع فى كتاب تحت عنوان : رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمى إلى عبد المسيح ابـن إسحاق الكندى يدعوه إلى الإسلام ، ورسالة عبد المسيح إلى الهاشمى يـرد عليـه ويـدعوه إلـى النصرانية .

(30) فهمى هويدى : المسلمون وسيناريو الصراع بين الحضارات – مقال بمجلـة المـسلم المعاصـر– العددان 67/68 – السنة السابعة عشر – فبراير / يوليو 1993م – ص10 .

سنوردها فى حينها(••••) بالإضافة إلى المحاورات التى وردت فى كتاب إظهار الحق واشهرها ما كان من القسيس فندر ومعينه القسيس فريح مع الشيخ / رحمة الله الهندى ومعينه الحكيم محمد وزير خان(31).

4ـ شروط الحوار وأشكاله وموضوعاته :

قبل الخوض فى تحديد شروط الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية وسرد أشكاله وعرض موضوعاته نجد لزاماً علينا ان نحدد بدقة المساحات المشتركة وأوجه الإتفاق والإختلاف وأوجه الخلاف بين الديانتين .

ويجب أن نعلم أن الحوار الدينى اليوم يتميز بمنهج خاص يسير عليه،

(••••) ولد الشيخ أحمد حسين ديدات عام 1918 فى بلدة تاد كيشنار بولاية سوارت الهندية وهاجر إلى جنوب أفريقيا فى عام 1927م عمل بائعاً فى دكان لبيع المواد الغذائية عام 1934م ثم عمل سائقاً فى مصنع أثاث ثم شغل وظيفة كاتب فى المصنع نفسه حتى وصل إلى درجة مدير ، سافر بعد ذلك إلى باكستان عام 1949م ، وفى بداية الخمسينات وبعد أن أكمل تعليمه أصدر كتيبه الأول: ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد (ﷺ) ؟ ، ثم نشر بعد ذلك أحد أبرز كتيباته: هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ بعد ذلك أسس معهد السلام لتخريج الدعاة وترأس المركز الدولى للدعوة الإسلامية بمدينة ديربان بجنوب أفريقيا ، ألف أكثر من عشرين كتاب وبذل مجهودات ضخمة فى إلقاء المحاضرات والندوات والمناظرات والمحاورات مع كبار رجال المسيحية من أمثال : كلارك – جيمى سواجارت – أنيس شروش وغيرهم ، ومنح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1986م ، ومن أهم مؤلفاته : مناظرة العصر – بين العلامة الداعية أحمد ديدات والقس أنيس شروش ، والمسيح فى الإسلام ، ومحاوراة مع القسيس حول ألوهية المسيح ، ومسألة صلب المسيح بين الحقيقة والإفتراء ومناظرتان فى أستكهولم ..إلخ { راجع فى ذلك:أحمد ديدات – هذه حياتى – سيرتى ومسيرتى – حوارات جديدة ومثيرة للشيخ ديدات أعده للنشر وأشرف عليها محمد الوحش – علق عليه رمضان الصفناوى – دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة – الأمارات – الطبعة الأولى – ص 7 وما بعدها – 1997م }.

(31) الشيخ رحمت الله الهندى–إظهار الحق - مرجع سابق ص2 وما بعدها (المقدمة) وكما جاء فى التقديم ان كتاب إظهار الحق كتاب نفيس جداً ومزاياه ومحاسنة لاتكاد تحصى ولاتحصر ولاتعد وذكر فيه مؤلفة المناظرة والمحاورة الأولى فى المسائل الخمسة المتنازع عليها بين المسلمين والمسيحيين وهى :التحريف–النسخ–التثليث = = حقيقة القرآن – نبوة سيدنا محمد (ﷺ) وقد وقعت المناظرة فى قرية أكبر آباد بالهند فى شهر رمضان 1370هـ .

فقد أنتقل من نهج دفاع كل من المتحاورين عن دينه الخاص ، عن طريق إظهار ضلال الدين الآخر إلى نهج شهادة كل من المتحاورين للحقيقة التى يؤمن بها ، ودون التهجم على الآخر لإظهار ضلاله ، وهذا يستلزم نظرة جديدة إلى الحقيقة الدينية وقبولاً للتعددية ، ومن خلال مقولة جزئية بعنوان : " نظرة جزئية إلى الحقيقة الدينية" يتساءل المطران كيرلس بسترس بسؤال مفادة : ماذا نعنى – نحن المؤمنين – بقولنا إننا عرفنا الحقيقة ؟ وهل الحقيقة فى الأمور الدينية تعنى الأمر نفسه الذى نعنيه فى الأمور العلمية ؟ ويستطرد المطران – راجعاً إلى الفلسفة اليونانية – قائلاً : إن ارسطوطاليس حدد الحقيقة بقوله إنها مطابقة الفكر للواقع أى إن ما نفكر فيه بعقولنا ونقوله فى كلامنا ونعبر عنه فى مقولاتنا الفلسفية هو صورة طبق الأصل لما هو فى الواقع – أى لما هو خارج عنا [32] ، وهذه المقولة تتطابق تماماً – فى الفكر الإسلامى على مقولة مشهورة فى الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام وهى مطابقة ما فى الأذهان على ما فى الأعيان أو قياس الشاهد على الغائب . وقد طبق هذا التحديد كل من اللاهوتيين فى المسيحية وعلماء الكلام فى الإسلام – على الحقيقة الدينية ، وراح كل منهم يبين ان دينه هو وحده المطابق للواقع أى ان التصورات الدينية التى فى أذهان أتباعه هى وحدها الصور المطابقة لكل مايتعلق بالأمور الإلهية أو الإجابة عن التساؤل من هو الذى يسير على الصراط المستقيم ؟ وبالتالى من هم الخالصون ؟ هذا التصور للحقيقة قد أظهر بطلانه تعرف أصحاب الأديان بعضهم على بعض فالإنسان عدو ما يجهل ، وبالتالى لابد من ان يعرف كل إنسان ما لدى الآخر وعلى المستوى العقدى لابد من الحوار مع الآخر لمعرفة حقيقة عقيدته ، ومن خلال قبول التعددية كما ذكرنا من قبل .

---

(32) د. مشير باسيل عون : مقالات لاهوتية فى سبيل الحوار – تقديم كيرلس سليم بسترس –تعقيب د./ عادل تيودور خورى – المكتبة البوليسية – جونية – لبنان 1998م. ص7.

ومن خلال قبول تعدد طرق الخلاص – بالمفهوم المسيحى – لقد أعلنت الكنيسة رسمياً فى المجمع الفاتيكانى الثانى أن الكنيسة الكاثوليكية ليست الطريق الوحيد ، فقال آباء المجمع : " إن الذين على غير ذنب منهم يجهلون إنجيل المسيح وكنيسته ويطلبون من [illegible] الله بقلب صادق ويجتهدون بنعمته ان يتمموا فى اعمالهم إرادته كما يمليها عليهم ضميرهم ، فهؤلاء يمكنهم ان ينالوا الخلاص الأبدى " (33).

وبصفة عامة فالخلاص فكرة مسيحية صرفة ، وعن المسلمين أكد المجتمع نفسه فى محاولة لفهم الآخر بالنسبة لهم ان تدبير الخلاص يشتمل أيضاً اولئك الذين يؤمنون بالخالق وأولهم المسلمون الذين يعلنون أنهم على إيمان إبراهيم (الدين الحنيف) ويعبدون معنا الله الواحد الرحمن الرحيم الذى يدين الناس فى اليوم الأخر.

أ – الاشكال العلمية للحوار :

إن الحوار الدينى لمهمة عسيرة لاسيما بين الإسلام والمسيحية لان علاقاتهما التقليدية ظلت متسمة – حتى الآونة الأخيرة – بالريبة والعداء والشك بل الحقد احياناً ضف إلى ذلك الأحكام التعميمية التى يطلقها كل طرف على الآخر علماً بان تلك الأحكام لاتزال حتى الآن تتسم فى معظمها بالتحيز والتحامل وسوء الفهم والإنفراد بالرأى وغالباً ما تكون أيضاً ذريعة لتغطية مخاوف من شأنها ان تجر عواقب اجتماعية / سياسية لايعلم مداها إلاّ الله يضاف إلى ذلك ان التطورات التاريخية أدت إلى تباعد الفكر المسيحى

---

(33) المرجع السابق : ص9 ، نقلاً عن المجمع الفاتيكانى الثانى – دساتير ، قرارات ، بيانات . تعريب الآباء – جورج الفاقورى ، ويوسف درّة وحنا الفاخورى ويوسف الكلاّسى ، إشراف الأب حنا الفاقورى – معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت – حريصا – منشورات المكتبة البولسية – جونية – لبنان – 1992م – ص 16.

عن المفاهيم الإسلامية تباعداً متزايداً ، فالظروف الاجتماعية والثقافية تغيرت سواء كان ذلك فى المناهج اللاهوتية والمقولات الفكرية والتوجيهات الايديولوجية لدى المسيحيين أو فى مناهج الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام فى الإسلام مما يزيد من الفوارق والهوة التى بين الديانتين كما يزيد من خطورة ومغامرة الحوار الدينى مع إزدياد إتهام الإسلام بالتمسك بسلفية القرون الوسطى من قبل الكتاب المسيحيين ، وهذا ما نجده لدى تيودور فى قوله : ﴿ إن الإسلام لايزال متمسكاً أشد التمسك بسلفية القرون الوسطى وانه لم يجد حتى الآن سبيلاً إلى الدخول فى المنهجية الفكرية الحديثة ﴾ [34].

ويعود ويقول إن المقارنة المباشرة بين الأقوال اللاهوتية / الكلامية والمناهج الدينية بين الطرفين فى المرحلة الأولى من الحوار قد لاتجدى ، ونقول له : إن الإسلام عندما يتمسك بالسلفية فلا يتمسك بسلفية القرون الوسطى (ظلام الغرب) بل انه يتمسك بسلفية السلف الصالح أى ما كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين بمنهاج أهل السنة والجماعة إعتماداً على الكتاب والسنة [35] وأحيل تيودور إلى قراءة فلسفة العصور الوسطى – كما يطلق عليها – فى الإسلام ليعلم ماذا قدم علماء وفلاسفة الإسلام من أفكار وآراء جديرة بالدراسة من أمثال ابن سينا وابن رشد والغزالى وابن حزم وغيرهم . فليقرأ كتاب Oliver Leaman ليعرف حال الغرب المسيحى وحال الشرق الإسلامى فى العصور الوسطى[36].

---

(34) د. عادل تيودور خورى : الإسلام فى عقيدته ونظامه – ترجمة عن الألمانية : علم إلياس علم– المكتبة البولسية – جونية – لبنان – الطبعة الأولى 1997م – ص 251 .

(35) د. صابر عبده أبا زيد : منهاج أهل السنة فى الرد على الشيعة والقدرية – دار دنيا الوفاء للطباعة والنشر – الطبعة الأولى – اسكندرية – 2000م – ص 17 ومابعدها.

(36) Oliver Leaman : An Introduction to Medieval Islamic Philosophy. Cambridge University Press – U.S.A. 1999. PP. 23-74

وعلى الرغم من المصاعب التى ذكرناها لابد من مواصلة المساعى من أجل الدخول فى التحاور الفعلى بكل أشكاله وموضوعاته إذ لا فائدة فـى الإنتظار أو فى المدارأة لان الأحسن – كما يقول المثل – غالباً ما يكون عدو الحسن . ومادمنا نطرح للأشكال العلمبة للـ ر دون الدخول فى مجـاملات لاتجدى فعلينا ان نتسلح بالصبر وألاّ نستبق الأحداث بهدف الوصـول إلـى المرحلة الختامية من الحوار ، ولإنعاش ذلك يستند الدين المسيحى على مـا جاء في إنجيـل متـى : " من ثمـارهم تعرفـونهم " (37) ويـستند الـدين الإسلامى على ما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ (38). فالمهم هو إحلال شهادة الحيـاة وشهادة التاريخ وبالتالى اعتبار النواحى التالية:–

- **الحياة الدينية واشكال النفوس .**
- **فعالية الدين فى حياة الأفراد والجماعات والمجتمع والأسرة الدولية.**
- **قدرة الدين على التكييف والتأقلم وقابليته للحياة فى العالم المعاصر.**

ومن محاسن الحوار الدينى انه يؤهلنا لمعرفة ثمار الدين وفعالياته ، ويعلمنا كيف ننظر وكيف نقدر بعين ناقدة ، ومن ثم لن يبقى الحـوار بعـد اليوم منازلة لتحطيم الخصم أو دفاعاً عن الدين هدفه تفنيد الإعتراضـات – رغم اهميتها – بل يمس حوار الإصغاء والمشاركة ، حوار من يقف لأنجاز الإتصال الإيجابى والشهادة الحية (39).

تلك هى أسس الحوار العملية / العلمية ليعترف كل طرف بما لـدى الآخر من قيم دينية / إيمانية مع الأخذ فى الإعتبار ان هناك مـن الفـضائل الاساسية فى المجتمع الإسلامى عاد المسيحيون من جديد إلى ممارسـتها ،

---

(37) العهد الجديد – إنجيل متى (21:7).
(38) سورة الحجرات : آية 13.
(39) د. عادل تيودور خورى : المرجع السابق – ص 252.

فمن شأن الحوار والتعاون ان يحملا المسيحيين والمسلمين على أن ينفتحوا بعضهم على بعض ويتقاربوا ومن شأنها ان يُتيحا لهما إختيار التضامن مع الجميع والإخاء الشامل فى عالمنا هذا الواحد . ويطبقوا هذه المفاهيم عملياً ولايجوز لنا بعد اليوم ان نعادى بعضنا البعض ونبقى خصوماً ولايجوز لنا أن نكتفى بأن نعيش الواحد إزاء الأخر كغرباء ولا أن نعتبر بعضنا البعض متنافسين بل متعاونين لأن الأسس وضعت والقيم رسخت والعقائد ثابتة لكل دين ، وكل ماهو مطلوب حوار دينى / عقلى / متسامح / لفهم الآخر ..

ب- شروط الحوار وموضوعاته :

هناك من يطرح لنا تأملات فى صيغة الحوار الإسلامى / المسيحى ، وهناك من يضع لنا أشكالاً للحوار التقليدى بين المسيحية والإسلام ، وهناك من يضع لنا شروطاً للحوار السليم بين الإسلام والمسيحية ، ومهما يكن من أمر فكان لزاماً علينا أن نوضح بدايةً المساحات المشتركة (أوجه الأتفاق) بين الديانتين ، ونقول إن هناك تأملات تجعل الباحث يستبعد جميع أشكال الحوار التاريخية من دائرة اهتمامه لقضية الحوار الإسلامى / المسيحى وألتماس شكل أخر لم يمارس من قبل فى محاولة لفهم الأخر . ولعله يقوم أساساً على ان يبحث قادة الفكر والروح فى كلا الدينين عن المساحات المشتركة بينهما ، وإن الهدف من الحوار لايجوز ان يقتصر على المعرفة النظرية فقط ، كما لايجوز ان يقتصر الهدف من الحوار على توجيه نداء وعظى للدين الآخر ، وان المعرفة النظرية وأكتشاف الآخر هدف مرحلى ووسيلة للإنخراط فى عمل حقيقى مشترك تجاه القضايا الكبرى (الإنسان والحضارة) لتقدم المجتمع البشرى (المادة والروح).

ومن هنا – وكما يقرر الدكتور / سعود المولى – يكون لكل واحد من الدينين مجالان للعمل :-

احداهما : مجال عمله فى عالمه الخاص وهو عالم المؤمنين بـــه ، وهــذا يشمل كل الذين يخضعون لتوجيهه الثقافى .

وثانيهما: مجال عمل مشترك يتوجه الدينان فيه بعملهما الموحد نحو إنسان الحضارة الذى يكاد ان يفقد إنسـ ـيته [40]

إذا كان هذا هو المشروع المقترح ليكون موضوعاً للحــوار الإســلامى المسيحى جاز لنا ان نتساءل . هلى توجد فى المسيحية والإسلام مساحات مشتركة يمكن ان تكون مجالاً لعمل موحد بينهما ينطلق منها ويتوجهان نحو العالم ؟

لعل التاريخ أوجد لنا – من وجهة النظر الإسلامية – نصرانيتان

الأولى : النصرانية القرآنية أو المسيحية القرآنية طبقاً للعرض القرآنى مــن خلال النص الموحى المقدس فى كل ما يخص ولادة سيدنا عيسى ﷺ وتكليمه الناس فى المهد وبعثه ونجاته ورفعه وقضايا العقيدة كما سنرى فيما بعد .

والثانية : النصرانية كما تبدو فى مؤسسة الكنيسة وسيتضح ذلك أثناء عرض القرآن الكريم لمسألة التثليث .

فالنصرانية الأولى ليست موضوعاً لحوار الإسلام معها لان إيمانهـــا جزء من إيمانه ومن ثم فهو يحتويها ، والنصرانية الثانية توجه القرآن إليها بالنقد واعتبرها طرفاً فى الحوار وموضوعاً له ، وقلنا من قبل إن الإســـلام نفسه بدأ يفتح الحوار مع النصرانية كما تبدو من خلال الكنيسة [41]، كما أن

---

(40) د. سعود المولى : الحوار الإسلامى المسيحى – مرجع سابق – ص16.

(41) لمزيد من التفاصيل يراجع : الإمام محمد أبو زهرة : محاضرات فى النـصرانية – ملتـزم الطبــع والنشر –دارالفكر العربى – الطبعة الرابعة – القاهرة – 1982م – ص30.

– ابن الخطيب (محمد محمد عبد اللطيف) : هذا هو الحق – رد على مفتريات كــاهن كنيـسة – المطبعة المصرية – الطبعة الأولى – القاهرة 1961م. ص33 ، 34.

ثقافتنا ترحب بالحوار مع الآخر وتدعو إليه ولاتخاف منـــه ولاتخــشاه (42) وكذلك الإسلام يعتبر النصرانية طرفاً فى الحوار وموضوعاً له يعنى أنـــه لايعتبر نفسه نقيضاً كاملاً (الإطلاق فى المبدأ والتفصيل فى الثانوى) ، وكما لاتوجد مساواة مطلقة بينهما يوجد بينهما ما يمكن أن نسميه (نسبة العمــوم والخصوص من وجه) ؛ فالإسلام يفترق عن نصرانية الكنيسة فى كثير مــن المسائل الكبرى فى العقيدة والشريعة وكثيراً مــن المسائل الثانوية الفرعيــة والنصرانية تفترق عن الإسلام فى كثير من المسائل جملـــةً وتفــصيلاً وإذا تجاوزنا مسائل الإفتراق تبقى لدينا مساحات يلتقى فيها الدينان معاً . ويعتبر الإسلام إستيعاب نصرانية الكنيسة للمسائل (المــساحات) المــشتركة فيمـــا يتصل بالوحى الإلهى الذى نزل على سيدنا عيسى عليه السلام والذى يتمثــل فـــى نصرانية القرآن أو كما نسميه مسيحية القرآن وعليه يجب عليهما ان ينطلقا فى الحوار من هذا القدر المشترك بينهما بحيث يؤدى بهما الحوار إلى تكوين نظرة موحدة إلى قضية الإنسان / المجتمع / الحضارة ويمكن إجمال الأمور المشتركة بين الدينين فيما يلى:-

- الإيمان بالله الخالق لكل شئ ولذا فالإنسان مخلوق لله .
- الإيمان باليوم الأخر وان الله تعالى يبعث الناس ويحاسبهم ويعاملهم بعدله ورحمته ورحمته تسبق عدله سبحانه .
- الإيمان بان الله تعالى لم يخلق الإنسان سُدى وإنما أُرشده إلـــى الهـــدى بواسطة الدين المرسل عن طريق الأنبياء والرسل مـــن خـــلال تبليـــغ الرسالة .
- الإيمان بان للإنسان بعداً روحياً متفرداً فى الكون وان العبـــادة حاجـــة

(42) د. يوسف القرضاوى : ثقافتنا بين الإنفتاح والإنغلاق – دار الشروق – الطبعة الأولى – القـــاهرة – 2000 م– ص 49.

إنسانية أساسية يستمد منه الكرامة والتكامل الوجودى .

.. هذه الأصول وغيرها مشتركة بين المسلمين والمسيحيين وهى تشتمل الوضيعة الروحية والاخلاقية للإنسان والمجتمع والحضارة.

ويذكر د/ سعود ان الحوار المنشود ى هذا الخطاب الفلسفى الجديد سيكون على مرحلتين أو يكون ذا شقين :-

المرحلة الأولى : تكون هذه الأصول فيها موضوع الحوار وينتهى الحوار فى هذه المرحلة إلى تأكيد ان الإيمان بهذه الأصول جزء لايتجزأ من الإيمان الشامل فى كل واحد من الدينين على حده . وإن إشتراك المسلمين والمسيحيين فى الإيمان بهذه الأصول جاء من إتفاق المسيحية والإسلام عليها .

ومن ناحية أخرى إلى شرح التفصيلات الثانوية والفرعية لهذه الأصول الكبرى مع الحرص الكامل على الإبتعاد عن دائرة حوار اللاهوت المسيحى وعلم الكلام الإسلامى .

المرحلة الثانية: تكون فيها الأصول المشتركة كمنطلق للحوار وذلك بان يواجه قادة الفكر والروح فى المسيحية والإسلام الوضعية الانسانية السائدة فى العالم المعاصر وإلتزام كل منهم للعمل على تحويلها إلى واقع حى معاش[43].

ومن ناحية أخرى ونحن بصدد شروط الحوار السليم بين الإسلام والمسيحية وضع لنا " باسيل عون " فى مقالة لاهوتية بعنوان : " يسوع المسيح " أعتلان الله الآب وخلاص الإنسان أساس الحوار المسيحى الإسلامى شروط إنعقاد الحوار السليم بين المسيحية والإسلام نذكر بعضها:-

---

(43) د. سعود المولى : الحوار الإسلامى المسيحى – مرجع سابق – ص 17 ، 18 .

- الإعتراف الصريح بدقة الخوض فى ميادين الحوار المختلفة مثل :-
  * تاريخ العلاقات المسيحية / الإسلامية ومواضع الحوارات
  * مبادئ الحوار وروحانيته وأهدافه وغاياته .
  * ضرورات الحوار ومقتضياته .
  * خصوصية الحوار المسيحى الإسلامى (لبنان كنموذج).
- ما ينجم عن هذا الإعتراف الإقرار بالخلاف العقائدى فى شأن تحديد ماهية وهوية السيد المسيح [44] ، فنحن المسلمون نكرم ونبجل السيد المسيح نبياً لله وروحاً من الله ومؤيداً بقدرة الله وكلمة الله ، وبهذا نحن أقرب من اليهود فى ذلك وهم الذين ينكرون هذه الصفات وبل ينكرون وجوده أصلاً ، وإقرار المسلمون بهذه الصفات النبوية ينقلب هو بعينه معضلة شديدة التفسير فى سبيل الحوار لأن المسلمين يظنون على حد قول باسيل إن ديانتهم تحتوى الديانة المسيحية وتهيمن عليه هيمنة الكل على الجزء . والأصل على الفرع ، والحقيقة أن الإسلام يعترف بمسيحية القرآن أى كما جاءت فى القرآن ومع ماتناسب عقيدة الإسلام . بينما اليهودية لاتقر لا بمسيحية تورانية ولا بإسلام تورانى وهى فى رفضها الصريح هذا تبطل كل إمكانات الحوار العقائدى فى شأن المسيح.
- ومن منطلق ان شخص المسيح ومقامه المتميز ورسالة الخلاصية هو العنصر الأساسى لخصوصية الديانة المسيحية ، فإن الصورة القرآنية الإسلامية لاتعترف به أبناً لله (أى إعتلاناً تاريخياً نهائياً لجوهر الألوهية) ومخلصاً للبشر (التضحية والأفتداء) للآخرين من حتمية الخطيئة وميراث الأثم وعدمية الموت (القيامة) هى صورة إختزال وتقليص لكيان المسيح تلغى فى المسيحية خصوصيتها وتدرجها فى سياق الأختبارات البشرية

(44) د. مشير باسيل عون: مقالات لاهوتية فى سبيل الحوار – مرجع سابق – ص 145.

النبوية المهيئة لظهور الإسلام .

- ويعود من يضع شروطاً للحوار ويقرر أن الإسلام لايعترف بالمسيحية !!

كما تود هى أن يعترف الآخرون بها بل يعترف بالمسيحية كما يود هو ان يراها . ومن هنا نتساءل كيف تسعى الأديان بان يعترف بعضها بالبعض الآخر ؟ ولذلك ينبغى للمسلمين الذين يعاتبون المسيحيين على تباطئهم فى الإعتراف بالدين الإسلامى وبنبوة محمد ﷺ اقتداءً بالمسلمين الذين يعترفون بالدين المسيحى وبنبوة السيد المسيح ينبغى لهم - على حد قول باسيل عون - أن يدركوا أن أعترافهم بالمسيح نبياً وكلمة الله وروحاً منه هو إستئثار قرآنى بالمسيح يقدره المسيحيون حق قدرة ، ولكن لايستندون إليه فى ترسم هوية المسيح التى اختبروها منذ عهد الرسل والصحابة ولاخروج للمسيحيين من هذا المأزق إلا باحترام نظرة القرآن الكريم إلى السيد المسيح وإعتبارها مرجع الرؤية اللاهوتية / الإسلامية المبنية على التشدد المطلق فى تنزية الله تعالى (45). (ليس كمثله شئ) ، وكذا مراعاة موقف الإسلام الرافض لكل حقائق الوساطة بين الله والبشر (لا وساطة ولا رهبنة ولا كبش فداء فى الإسلام) وبالتالى رفض فكرة الصلب والخلاص كما سيأتى فيما بعد .

ونعود لشروط الحوار وموضوعاته ونقرر أن الحوار الإسلامى / المسيحى يندرج ضمن إطار أوسع هو حوار الحضارات فى عالم اليوم . كما أنه يحمل فى طياته حوار ضفتى المتوسط وحوار العرب والغرب الأوروبى، ولذا حق القول إن التعامل مع عنوان الحوار ينبغى ان يكون على مستوى عال من المسئولية والدقة والحذر . وينبغى عند مباشرة الحوار التمسك بشرطين لازمين : المعرفة - والتضامن ذلك لأن الجهل عدو الحوار وعدو

---

(45) المرجع السابق : ص 147.

السلام والإنسان كما قلنا عدو ما يجهل ، واحترام الآخر وفهمه لايكون إلا على أساس معرفته حق المعرفة . فالمعرفة طريق المشاركة فى صنع المستقبل وإن اقتراح العناوين والموضوعات (على الأقل فى المؤتمرات كما سيأتى) يجب ان يكون بأفق واسع تجديدى غير تقليدى وبروح نابعة عن الخبرة والممارسة أو العيش المشترك ، ويقدم لنا د / سعود المولى شروط محددة للحوار نذكر منها:-

1- هناك تحفظ إسلامى عن حوار اللاهوت وعلم الكلام ، وإن هذا الحوار مرغوب ومطلوب ولكن مجاله العلماء والمحافل العلمية وليس الصحف والسجلات والمنتديات العامة والحاجة اليوم ماسة إلى حوار الحياة والعيش المشترك (وهو موجود بالفعل فى بعض البلاد) . حوار قضايا المجتمع والإنسان لاستنطاق قيم الأديان وأستنباط صيغ مجتمعه ومواجهة ظروف ومعتقدات عالم اليوم .

2- قيام حلف جديد فى مواجهة النظام العالمى الجديد (وهنا يجب ان نفصل بين مسيحى الشرق ومسيحى الغرب) أو جبهة إيمانية مشتركة تضم كل المؤمنين على قواعد أفضل تسوده قيم الحق والخير والعدل والكرامة .

3- التعرف النقدى على المساهمات المسيحية فى الحضارة العربية الإسلامية وإعطاء معنى جديد للعروبة والقومية .

4- التعرف على قضايا الأديان والفكر الدينى لدى الطرفين أو على الأقل لدى أطراف الحوار الدينى . ومن هنا فإن تدريس تاريخ الأديان المقارنة وتاريخ الفلسفات والأفكار الدينية وتاريخ الجماعات المختلفة هو المدخل لبناء نظرة جديدة موحدة أو مشتركة .

5- المشاركة فى صوغ مشروع حضارى عربى مشترك فى ضوء تحديد علاقة الدين والمجتمع والدولة والمجتمع ، والدولة والدين . من منطلق

ان الدين هو المدخل الأول لبناء المجتمع [46] ثقافياً ونفسياً وأخلاقياً وإجتماعياً ، وهو ما يمثل (ثابت/ رئيسى) ؛ وذلك بان يواجه قادة الفكر والروح فى المسيحية والإسلام الوضعية الإنسانية السائدة فى العالم المعاصر.

* * *

ثانياً
من القضايا التوحيدية / الكلامية / اللاهوتية :

ونحن بصدد الحديث عن الحوار الدينى سنجد أمامنا قضايا توحيدية/ كلامية / لاهوتَية بين الإسلام والمسيحية تعد نقاط محورية فى سبيل الحوار المنشود ، من أمثلة ذلك التنزيه والتشخيص والتجسيد والتشبيه ومشكلة الكلمة (فى القرآن والإنجيل) وقضية كلام الله ومشكلة الصفات الإلهية فى الإسلام والأقانيم الثلاثة (الأب – والإبن – والروح القدس) فى المسيحية – كما أن هناك قضايا جدلية / حوارية فى الفكر الدينى لدى الديانتين يجب الإيمان بها قبل الخوض فى الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية .

1 ـ **بين التنزيه والتشخيص والتجسيد والتشبيه :ـ**

قلنا من قبل إن الخلاف الأكبر بين الإسلام والمسيحية كان ومايزال فى قضية التوحيد أو تنزيه الله تعالى ، وأى حوار لابد وان يتجاوز تلك القضية المحورية من منطلق إن توحيد الإسلام يختلف عن توحيد المسيحية رغم ان الديانتين تؤكدان على أن الله واحد / خالق / قادر (وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل مفادة) من أين أتى الخلاف إذن ؟؟

بداية لابد من توضيح بعض المصطلحات والمفاهيم الأولية لتتضح

---

(46) د. سعود المولى : الحوار الإسلامى المسيحى – مرجع سابق – ص 30 ، 31

الصورة فى الأذهان فالله : علم دال على الإله الحق دلالة جامعة لمعانى الأسـماء الحسنى كلها . وإله : فى الديانات المختلفة كل معبود يستعان بـه ويلجـأ إليـه ، وفلسفياً : مبدأ العالم وغايته فهو مصدر وجود الكون ونظامه ومن صفاته تعـالى القدرة على كل شئ والوجود فى كل مكان كدلالة على أن الله موجود فـى كـل الوجود والعَالِمَ بكل شئ والمحيط أزلاً بكل شئ ، وهذه المـصطلحات الثلاثـة عُنى بها كل مفكرو الإسلام كما عُـنى بها الفيلسوف ليبنتـز خاصة فى كتابـه " العدل الإلهى " ولقد أستدل الفلاسفة على وجود الله تعالى بأدلة مختلفة منها ما هـو طبيعى / لاهوتى ومنها ما هو غائى / كونى ومنها ما هو وجودى [47]... إلخ .

والتنزيه المطلق فى الإسلام هو ان الله سبحانه وتعالى ليس كمثلـه شئ ، والمعتزلة من الفرق الكلامية التى ذهبت إلى هذا المذهب : إما مذهب المؤلهة theisme هو المذهب الذى يقول بوجود إله أو أكثر من إله ويقابله مذهب الإلحاد Atheisme ويتفرع إلى :-

- **التوحيد** Monotheisme وهو مذهب يقول بإله واحد كما فى الإسـلام ومقسم إلى توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية وفى المسيحية الأقانيم الثلاثة.
- **تعدد الآلهة** أو الشرك Polytheism وهو يقول بأكثر من إله .
- **وحدة الوجـود** Pantheism وهو يقول بان الحق والخلـق حقيقـة [48] واحدة وهو ما نجده لدى الصوفية من أمثال الجنيد بن محمد والبسطامى وابن عربى .
- أما **التشخيص** : Individuation فهو مصطلح مدرسى يطلق على مـا به يتشخص الكائن ويتعين وجوده فى الزمان والمكـان (والله سـبحانه

(47) المعجم الفلسفى : مجمع اللغة العربية بتصدير أ.د./ إبراهيم بيومى مدكور – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – الطبعة الأولى – القاهرة – 1979م – ص 21 .

(48) المرجع السابق : ص 167.

لايحده مكان ولا زمان) .

أنتقل هذا المصطلح من إبن سينا إلى فلاسفة القرون الوسطى المسيحيين عن طريق الترجمة إلى اللاتينية وترجع هذه التسمية إليه .

أما **التشبيه** anthropomorphism فهو تصور الآلهة في ذاتها وصفاتها على غرار الإنسان والفكرة في أساسها وثنية قديمة عُرفت لدى الشعوب البدائية التي صورت آلهتها على صورة إنسان أو كائن عظيم حيواناً كان أو جماداً وبدت صور من هذا التشبيه في اليهودية والمسيحية وفي القرآن الكريم ما يؤذن بشئ من التجسيم والمادية وقد أخذت بهذا المشبهة الذين شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثلوه بالمحدثات [49] وأنكر عليهم ذلك القائلون بالتنزية مؤولين للآيات المؤذنة بالتشبيه أو مفوضين أمرها إلى الله تعالى ، وهناك فرق إسلامية مشبهة ومجسمة مثل أصحاب هشام بن سالم الجواليقي وهشام بن الحكم وبعض فرق الشيعة .

أما التجسيد أو التجسد فهو يتضح جلياً في دعوى المسيحية أن الإله تجسد في عيسى ابن مريم عليه السلام ؛ قالوا : إن الله تعالى وهو غيب أراد أن يؤنس البشرية بصورة بشرية يتجلى فيها فجاء بعيسى عليه السلام لذلك. ويقول الشيخ الشعراوى: إن هذه القضية نعرضها بالعقل بدون عصبية وبدون حساسية ونقول إنكم تقرون وتقولون عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه كان طفلاً ثم تدرج في المراحل حتى صار كبيراً[50] ، وهنا نجد قول الله تعالى: ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين﴾[51] وقوله أيضاً : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ

---

(49) المرجع السابق : ص 44 ، 45 .

(50) الشيخ محمد متولى الشعراوى : مريم والمسيح عليهما السلام – دراسة وإعداد وتحقيق مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة، مكتبة التراث الإسلامى، الطبعة الأولى، القاهرة، 1999م، ص 226.

(51) سورة آل عمران : آية 46 .

﴿مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [52] فأى صورة من صور حياته المرحلية تمثل الله سبحانه وتعالى لتؤنس البشرية ؟ ومتى كان التجسد ؟

ان كانت صورته وهو طفل فقد نسيتم صورته وهو فى دور الكهولة فالله – عندكم – على أى صورة من هاتين الصورتين إذن ؟ أم هو على كل هذه الصور ؟ إن كان هو الله على كل هذه الصور ، فالله على هذا الاعتبار أغيار أى يتغير من طفل إلى إلى فتى إلى كهل ، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك بقانون التنزيه وانتم متسكون بالتجسيم والتشبيه والتجسيد.

ثم نقول لهم فى حوارنا إن كان الله أراد ان يجعل صورته فى بشر ليؤنس الناس بالإله فما هى المدة التى عاشها سيدنا المسيح فى الدنيا بين البشر ؟ ثلاثون سنة 00إذن الله قد أنس الناس بنفسه ثلاثين سنة فقط فمن أنسهم بعد ذلك ؟ وكم عمر الكون قبل المسيح ؟ انه ملايين السنين ، فى هذه الملايين من السنين الماضية ترك الله خلقه بلا إيناس وبدون ان يبدو لهم فى صورة ما ؟ ثم ترك خلقه بعد المسيح بلا صور ، ورب مثل هذا رب ظالم لانه أنس خلقه ثلاثين سنة وترك الناس قبل ذلك وبعد ذلك بدون إيناس ولاصوره بشرية [53]. فاى منطق يستقيم بعد ذلك.

وإذا اخذنا صورة من صور اختلافات المسيحيين من كتب التراث نجد الشهرستانى – مؤرخ الفرق – يرى ان اختلافهم بين أنفسهم يعود إلى أمرين أساسيين:–

أ – كيفية نزول المسيح وإتصاله بأمه .

ب – كيفية صعوده وتوحد الكلمة .

---

(52) سورة مريم : آية 29 .

(53) الشيخ محمد متولى الشعراوى : مريم والمسيح – ص 227.

وأختلفوا فى كيفية الأتحاد والتجسد ، ففرقة ترى أنه إشراق النـــور على الجسد المشف وفرقة ترى أنه إنطباع النقش على الشمعة ، وفرقة ترى أنه ظهور الروحانى بالجسمانى وفرقة ترى ان اللاهوت تدرع بالناســوت ، وفرقة ترى ان الكلمة مازجت جسد المسيح ـازجة اللبن بالماء [54]، وفرق كبير أن بمازج اللبن الماء وأن يمازج الزيت الماء مثلاً .

أما عن حقيقة الله عند المسيحيين فهو انه جوهر واحد غير متميــز وليس بذى حجم بل هو قائم بالنفس وهو واحد بالجوهرية ثلاثة بالاقنومية ، والأقانيم هى الصفات المتمثلة فى الوجود / الحياة / العلم ، المقابلة لــلأب / الأبن / الروح القدس ولكن العلم من بين تلك الصفات تدرع وتجــسد دون سائر الأقانيم .

ويذكر الشهرستانى رأى أبو على الجبائى (من رجال المعتزلة) الــذى يصف أيضاً النظرية المسيحية فى الله وصفاً متقناً ، فيرى فى مــذهبهم ان الله خالق الأشياء والخالق حى / يتكلم ، وحياته هى الروح التى يــسمونها (الــروح القدس) وكلامه هو علم ومنهم من يجعل فى الحياة قدرة ، ويذكر أن المــسيحية ترى أن الله وكلمته وقدرته قدماء وان معنى الكلمة عندهم هو الأبن، والأبن هو المسيح الذى ظهر فى الجسد الذى كان فى الأرض كما جاء فى إنجيل يوحنــا " والكلمة صارت جسداً" ثم أختلفوا فيمن يستحق اسم المسيح ؟

- فمنهم من يرى انه الكلمة والجسد .
- ومنهم من يرى انه الجسد المحدث .
- ومنهم من يرى ان الكلمة صارت جسداً كما جاء فى الأناجيــل ولكــن جسداً محدثاً لما صارت فى بطن امه مريم وظهرت للنـــاس.

---

(54) الشهرستانى : الملل والنحل – ج2 – ص40.

غير انهم جميعاً يزعمون ان الكلمة هى الأبن وان الذى له الـــروح والكلمة هو الأبن والثلاثة فى رأى المسيحية جميعاً إله واحد وخـــالق واحـــد وانها من جوهر واحد[55]!!

أما فى الإسلام فالله واحد أحد والتوحيد أساس الإسلام بمنطوق شهادة المسلم وبما تؤكده بوجيز العبارة سورة الإخلاص ، والقرآن الكـــريم ينتقـــد ويحمل على المشركين الذين يعبدون آلهة أخرى دون الله كما ينتقـــد بعـــض تعاليم المسيحية .

وأهمها إن سيدنا عيسى ليس آلهاً ولا أبن إله كما تدعى النصارى بل هو عبد الله ورسوله وكلمته كما جاء فى الآيات الآتية :-

- " إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمُهُ المسيح عيـــسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين "[56].
- ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً ﴾ [57].
- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [58].

إن توحيد الإسلام الصارم لا يحمل على المشركين فحسب بل علـــى النصارى أيضاً إذ يأخذ عليهم غلو النصارى فى تكريم المسيح ابن مريم وفى نفس الوقت يعترف القرآن الكريم بالمسيح نبياً ورسولاً عظيمـــاً لله ويـــسمى

---

(55) المرجع السابق : ج2 ص 44 .
(56) سورة آل عمران : آية 45 .
(57) سورة النساء : آية 171 .
(58) سورة التوبة : آية 30 .

المسيح عيسى ابن مريم وهو روح من عند الله وكلمة الله كما جاءت في الآيات السابقة ولايجوز ان يسمى إبن الله فهو إنسان عادي تعتريه كل الظواهر البشرية ويرفض القرآن الكريم إيمان النصارى بالثالوث ويعتبره إيماناً بثلاثة آلهة وهذا شرك بالله. مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلاّ الله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ (59)

ويتساءل د. عادل تيودور كيف يتصور القرآن الثالوث المسيحي على وجه التدقيق ؟ هنالك مقطعان قد يلقيان ضوءاً على ذلك في أحدهما يبين القرآن ان مريم قديسة لكنها هي وابنها بشران لا إلهان وفي المقطع الثاني يؤكد القرآن الفكرة عينها (60) بجلاء ووضوح وحوار قرآني : ﴿ وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس أتخذوني وأمي إلهين من دون الله !! ﴾ وقول سيدنا عيسى لله سبحانه وتعالى : ﴿ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ... ﴾ (61).

فإذا رجعنا إلى المقاطع التي تقول إن الله ما أتخذ صاحبة ولا ولد قد ينشأ لدى البعض الإنطباع ان الثالوث المسيحي يتألف في نظر القرآن من الله (الآب) ومريم (الأم / ويسوع أو المسيح (الإبن) ولم تتوصل الأبحاث العلمية حتى الآن من ان توضح إيضاحاً جازماً ما هي اشكال العبارات المسيحية أو الآراء الدينية للطوائف المسيحية التى حملت القرآن على ان يصف الثالوث على هذا النحو ويتخذ منه هذا الموقف ؟

ومن منطلق ان التوحيد الإسلامي يعارض تعدد الآلهة ويرفض

---

(59) سورة المائدة : آية 73 .

(60)) د. عادل تيودور : الإسلام في عقيدته ونظامه – ص 110 .

(61) سورة المائدة : آية 116 .

الشرك ويرفض حتى أى تقسيم فى ذات الله وصفاته نجد ان تيودور يقرر ان هذا الموقف الذى يقفه علم أصول الدين فى الإسلام أدى إلى كثير من الجدل فى فهم لغة الوحى القرآنية غير ان ثمة إجماع بين العلماء المسلمين على تأييد كل صفة تنفى ان يكون الله كذا وكذا .. وهذا ما يسمى – على حد قوله – لغة بالمستندات السلبية وعليه يمكن أن يقال إن الله لا زمن له ولا بدء له ولا نهاية له فهو ازلى لا فى زمان ولامكان لانه خارج عنهما(62) .

ورغم ذلك فلله صفات هى كما وصف الله بها نفسه فى القرآن الكريم. ولقد اختلفت المذاهب والفرق الكلامية فى إنطباع العلاقة بين هذه الصفات فأصر المعتزلة مثلاً على ألا تذكر هذه الصفات إلا مقرونة بالله صراحة ، وذلك حرصاً على وحدانيته وتنزيهه ، أما السنة فتؤمن كالأشعرية فى التمسك بلغة الوحى وتعتبر الصفات الإيمانية نعوتاً دقيقة تعود إلى ذات الله . أجل ليست هو الذات الآلهية عينها ومع ذلك فهى لاتختلف جوهرياً على الذات الإلهية(63).

ويرى الأستاذ العقاد انه قد مضى عصر المسيح وجاء عصر بولس الرسول وعقيدة الخلاص الموقوفة على سلالة إبراهيم الخليل باقيه مسلمة بين العبريين الجامدين على تقاليدهم دين المسيحيين المتجردين من تلك التقاليد ، وإنما أضيف إليها تفسير جديد لهذه النبوة وهو انها نبوة روحية لاتتوقف على نبوة الجسد ثم تطورت هذه العقيدة الإلهية بعد ظهور المسيحية فانتقلت من

---

(62) د. عادل تيودور : الإسلام فى عقيدته ونظامه – ص111.

(63) لمزيد من التفاصيل عن المعتزلة وأهل السنة والفرق يراجع – بالإضافة إلى كتب الفرق والطبقات والرجال المعروفة وكتب التراث فى الفلسفة الإسلامية – د. صابر أبا زيد : منهاج أهل السنة فى الرد على الشيعة والقدرية – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – اسكندرية – الطبعة الأولى – سنة 200م – بخصوص معانى التوحيد عند الشيعة والمعتزلة ورد إبن تيمية فى منهاج السنة النبوية من ص 61/55 ، وبخصوص مشكلة الذات والصفات (تحليل ونقد) من ص83/80.

الإيمان بالأله لأبناء إبراهيم فى الجسد إلى الإيمان بالآله لأبناء إبراهيم فى الروح وانقضى عصر المسيح وعضر بولس الرسول واتصلت المسيحية بالأمم الأجنبية وفى مقدمتهم الأمة المصرية القبطية فشاعت فيها على أثر ذلك عقيدة إلهية جديدة فى مذهب الغربيين و ، عقيدة الثالوث المجمع من الآب والإبن والروح القدس وفحواها ان المسيح المخلص هو ابن الله وإن الله ارسله فداءً لأبناء آدم وحواء وكفارة عن الخطيئة التى وقعا فيها عندما أكلا من شجرة المعرفة فى الجنة بعد ان نهاهما عن الأقتراب منها(64)، كما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ (65) ولم يكن غريباً ان يرى دعاة المسيحية ان المسيح هو هو يهوه إله اليهود فالرب يسوع – كما يقول القمص إبراهيم جبرة : إذا هو ذاته يهوه المخلص الذى لاغيره يهوه ولاغيره مخلص لان الله يعطى مجده لآخر(66).

- وعن ألوهية المسيح يُوصف السيد المسيح فى أسفار العهد الجديد تارة بانه ابن الله (إنجيل يوحنا) وتارة بانه ابن الإنسان (إنجيل متى) بحيث أصبح المولود لأى منهما فى مكان نجده للآخرى فى مكان أخر(67) ،

---

(64) عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام واباطيل خصومه – دار الإسلام – القاهرة – الطبعة الأولى – 1957م – ص 52 – 53..

إستدراك : من المعلوم ان الخطيئة الأولى لأبى الخلق آدم كما وردت فى التوراة (العهد القديم) هى المحور الذى يدور حوله الفكر الدينى المسيحى كله. يراجع فى ذلك : ويل ديورانت : قصة الحضارة بتحقيق محمد بدران – الإدارة الثقافية – جامعة الدول العربية – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى 1955م – ج3 ص 230.

(65) سورة البقرة : آية 35 ، وبقية الآيات تحكى القصة كاملة (فليراجع).

(66) القمص إبراهيم جبرة : المولود من العذراء – رقم (2) – المكتبة اللاهوتية – مكتبة المحبة – القاهرة – الطبعة الأولى 1975م – ص76.

(67) عبد الكريم الخطيب : الله والإنسان (قضية الألوهية بين الفلسفة والدين) – دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الثانية – 1971 – ص 258.

فعندما يسمى نفسه ابن الإنسان إنما يقول الحقيقة وعندما يسمى نفسه ابن الله إنما يقولها مجازاً [68]، ولكن أغلب المسيحيين يقولون عن المسيح إنه أبن الله الحى ويحلفون ويقسمون بالمسيح الحى والمسلمون يحلفون بـــالله فقط ، والله ليس أب لأحد . ومن هنا كان من أشد الخلافات بين الإسلام والمسيحية إيمان المسيحيين إيماناً مطلقاً من خلال إنجيلهم المُحـــرف ان المسيح ابن الله ، والله أب ونحن أبناء الله وليس عبيده – كما فى الإسلام – وهذا واضح فى قول السيد المسيح – حسب زعمهم – " مـــن كانـــت عنده وصاياى وحفظها فهو الذى يحبنى والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى .. إن أحبنى أحد يحفظ كلمتى وأبى يحبه وإليـــه نـــأتى وعنده نجعل مقامنا "[69].

- ولكن الدين الإسلامى مع تأكيده – إن هذا الكلام ليس من عند الله – فإنه دين يوحد بالله المطلق الذى ليس له ولد ولم يولد كما جاء فى أكثر مـــن آية القرآن الكريم .

ويرى العالم السلفى الناقد ابن تيمية إن النصارى يقولون : إن المسيح الذى هو عندهم اللاهوت والناسوت جميعاً إنما مكن الكفار من صلبه – كمـــا سيأتى الحديث فيما بعد – ليحتال بذلك على عقوبة إبليس فقالوا أخفى نفسه عن إبليس لئلا يعلمه قالوا : " ولكن اعداءه ، من أخذه وضربه وبصق فى وجهه ووضع الشوك على رأسه وصلبه وأظهر الجذع من الموت وصار يقول : " يا إلهى لم سلطت أعدائى علىّ ليخفى بذلك عن إبليس فلا يعرف انه الله أو ابـــن الله ويريد إبليس ان يأخذ روحه إلى الجحيم كما أخـــذ أرواح الأنبيـــاء نـــوح

---

(68) د. عبد الغنى عبود : المسيح والمسيحية والإسلام: سلسلة الإسلام وتحديات العصر – الكتاب الرابع عشر – ملتزم الطبع والنشر – دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الأولى 1984م – ص 166.
(69) العهد الجديد : إنجيل القديس يوحنا : 14 (21–23).

وإبراهيم وموسى[70].

2ـ بين الخطاب اللاهوتى وعلم الكلام الإسلامى :ـ

إذا كان علم الكلام الإسلامي – كما هو معروف – من العلوم التى أنشئت خصيصاً للدفاع عن العقائد الإيمانية بـ بأدلة العقلية ، وإن علماء الكلام هم بالأحرى أول من أقاموا حوار مع الآخر بالمفهوم الدفاعى وبالخطاب الفلسفى ، وفى المقابل نجد علم اللاهوت المسيحى هو الكلام فى الله المتجلى لهم فى يسوع المسيح ، وإنه كلام بشرى فى إختبار إيمانى موضوعه غير بشرى ، وهنا نجد باسيل عون يؤكد على أن الخطاب اللاهوتى الذى ينوى اليوم التعبير عن الإختبار المعاصر ليتجلى المسيح فى الزمن الحاضر ينبغى أن ينطلق من هذا الإختبار عينه فى أدق معطياته [71] ، فاللاهوت هو إذن وجه من وجوه التعبير عن الإختبار الإيمانى أو ما يشعر به المؤمنون أفراداً وجماعات إزاء نداء المسيح المنقول إليهم فى تضاعيف الإنجيل المقدس على أعتبار ان الخطاب اللاهوتى إعلاناً لحقيقة الوحى كما أختبرها وعاشها ودوّنها تدويناً أصلياً لامُعدل عنه – من عاش مع المسيح وسمع كلامه وتخلق بأخلاقه .

وهنا إعتراف صريح بأن الإنجيل والمستمد منه الخطاب اللاهوتى ليس هو المنزل من عند الله على سيدنا عيسى بل هو موجز لمدونات من عاش معه وسمع كلامه وتخلق بأخلاقه ومن هنا نذهب مع موريس بوكاى عندما قرر أن الأناجيل بمثابة الأحاديث النبوية مقابلةً مع المسلمين [72] ولايمكن أن يرقى إلى مستوى القرآن الكريم .

---

(70) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – تقديم على صبح المدنى – مكتبة المدنى ومطبعتها – السعودية – جده – ب. ت – ج1 ص35 ومابعدها .

(71) د. مشير باسيل عون : مقالات لاهوتية فى سبيل الحوار – مرجع سابق – ص 32.

(72) د. موريس بوكاى : القرآن الكريم والتوارة والإنجيل ... مرجع سابق – ص 35 ، 241.

ويعترف (الآخر) بأن الفكر العربى الفلسفى / الدينى / الإسلامى هو الذى يعبر عن منتهى قناعات هذا المجتمع فى قضايا علوم الإنسان والكون والطبيعة(73).

واللاهوت الشرقى القديم ولد من أحتكاك فكر المؤمنين الحاملين بشرى الإيمان لفكر الفلاسفة اليونان الذين كانوا يسيطرون على حيز عظيم الشأن من الحضارات القديمة ، ولو تسنى له أن يحتك بحضارة أخرى فارسية أو هندية لكان التعبير الكلامى عن هذه النواه الإيمانية فى غير ماتناهى إلينا من مقولات لاهوتية معهودة وبتحليل هذا نجد أن الفكر اللاهوتى القديم ما إنبسق إلى حيز الوجود إلا لأنه ألغى ذاته ليواجه فكراً يونانياً أكتملت عناصر رؤيته للإنسان والكون والوجود ، وهى مسائل ميتافيزيقية تمثل مثلث الفلسفة بصفة عامة ، وتمثل إهتمامات علم الكلام بصفة خاصة . وهناك ثلاثة حقول متداخلة متشابكة يؤثر بعضها فى بعض فى المجتمع الشرقى العربى للسعى نحو الخطاب اللاهوتى / الكلامى للحوار بين الإسلام والمسيحية :-

الحقل الأول : وهو معترك خاص بالمسيحيين تتجلى فيه معضلات وجودهم الناشئة أولاً من أحتكاكهم المستمر بسكان هذا الشرق وهم الآخر (مسلمين / يهود / ملحدين / علمانيين) إلتماساً لحوار بناء صادق يرمى إلى إظهار خير الإنسانية .

الحقل الثانى : ويعنى الخطاب اللاهوتى / المسيحى فى نحو غير مباشر وميزان خاص بالمؤمنين غير المسيحيين ولاسيما المسلمين الشرقيين فى نهضتهم لقراءة جديدة لمعتقدهم وجوهر إسلامهم وحوارهم مع الديانات

---

(73) د. مشير باسيل عون : مقالات لاهوتية ... مرجع سابق – ص 37 .

الأخرى طبقاً للثقافة الراهنة.

الحقل الثالث : وهو مشترك بين سكان الشرق العربى كافةً (مسيحيين / مسلمين / يهود) وغيرهم وهم يبحثون عن حلول لمعضلات القضايا وعلى رأسها الحرية والأخلاق والتيقظ السياسى والأ؟ سادى لعمق أعماق الوعى الشرقى / العربى ، واليقظة الفكرية لتحديات البشرية (74) على عتبة الألفية الثالثة التى حلت أولى سنواتها.

ومن خلال هذه الحقول الثلاثة دخلت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين مرحلة يمكن أن نسميها محاولة للتغلب على الماضى بكل زخمها، فرأى المسلمين فى المسيحية والمسيحيين منذ القدم وحتى عصرنا هذا وردت خطوطه الرئيسية فى القرآن الكريم نفسه . وأما رأى المسيحية فى الإسلام والمسلمين فلم يتم التعبير عنه على نطاق واسع إلا فى الأزمنة الحديثة (كما سنرى فى الصفحات المقبلة).

وهدفنا من البحث بعد عرض نظرة عامة على الوضع الحالى وعلى إمكانات الحوار والتعاون بين المسلمين والمسيحيين فى عالمنا الحالى الآخذ فى التقارب يوماً بعد يوم .

---

(74) نفس المرجع السابق : ص 40-41.

استدراك : قضايا الحرية والأخلاق فى الفكر الإسلامى قُتلت بحثاً ، ولكن أن يكتب مؤرخ مسيحى عن الإسلام فى عقيدته ونظامه يخصص فصلاً عن " الله " ويقول إن الإيمان بالله والخضوع التام لمشيئته السابقة هما صلب الإسلام ويستشهد بالقرآن الكريم ، فهذا هو الجديد ، ويذكر لنا تصوراته على إستناد الإسلام من خلال المسلم المؤمن إلى القرآن والسنة وإن الله خالق السموات والأرض وخالق الإنسان وهو المدبر والقدير . أما الحرية أو (حرية الإرادة) فدافعت عنها فى مطلع القرن التاسع الميلادى فرقة المعتزلة التى كانت تعتمد على العقل المطلق وفى القرن العاشر الميلادى حاول المذهب السُنى (الأشعرى) صياغة نظرية جديدة توفق بين قدرة الله المطلقة ومسئولية الإنسان عن أعماله (نظرية الكسب) أما علم الكلام الإسلامى الحالى فهو يتمسك بحرية الإنسان وفى الوقت نفسه بقضاء الله . (د.عادل تيودور خورى : الإسلام فى عقيدته ونظامه – مرجع سابق – ص102/95)

وبقدر ما كان هناك – وكما سبق القول – أوجه إختلاف وإتفاق بين الديانتين فإن هناك أيضاً مواقف متبادلة بين الطرفين :

أ – عن موقف القرآن من المسيحيين :–

موقف القرآن الكريم من المسيحيين واضح وضوح الشمس فى كبد السماء بآيات بيانات من لدن عزيز حكيم ، وهنا نجد تيودور يقول: إن القرآن يرى أن هناك ثمة فئتين من النصارى الصالحين والطالحين ، فالصالحون منهم يقفون قريباً من الإسلام ، أما الطالحون فأبتعدوا عن رسالة المسيح الحقيقية بل حرفوها فى كثير من النقاط الأساسية فيما يختص بالعقائد ويقول القرآن الكريم فى النصارى الصالحين إنهم آمنوا بيسوع المسيح وظلوا أوفياء له لذا سيبقون إلى يوم القيامة فوق الذين كفروا (يقصد بهم اليهود) أقرأ معى قول الله تعالى :– ﴿ إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىَّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين أتبعوك فوق الذين كفروا وإلى يوم القيامة ثم إلىَّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون . فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لايحب الظالمين ﴾ (75).

لقد جاء الحق سبحانه وتعالى بعد عرضه لمسألة المكر بهذا القول الحكيم وذلك دليل على أن عيسى عليه السلام أحس من بنى إسرائيل الكفر والتبييت ومؤامرة للقتل فطمأن الله عيسى إلى نهاية المعركة(76) وأتى له بأربعة مواقف : (التوفى / الرفع / التطهير / الفوقية) وسيحظون بتأييد الله لهم على الكفار ويصبحون ظاهرين أقرأ معى قول الله تعالى :– ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت

---

(75) سورة آل عمران : آيات 55 ، 56 ، 57

(76) الشيخ محمد متولى الشعراوى : تفسير الشعراوى – دار أخبار اليوم للنشر – القاهرة – الطبعة الأولى – 1988م – ج3 – ص 1510.

﴿ طائفةُ من بنى إسرائيل وكفرت طائفةُ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ (77)

وفى المقابل – نحو تقدير القرآن – يقف المسيحيون الصالحون من البعثة الإسلامية موقفاً متفتحاً ويرون فيها وحياً إلهياً ويبقون مستعدين لقبولها وللإعتراف بالقرآن كما جاء فى قول الله تعالى - ﴿ وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا أنا كنا من قبله مسلمين ﴾ (78) فهذا الموقف الإيجابى الذى يعزوه القرآن لكثير من المسيحيين حمل محمداً ﷺ على أن يعرض عليهم صراحةً أن يتحالفوا معه وأن ينضموا ببساطة إلى الإسلام وأن يتبعوا نداءهم الموجه إلى الناس فى قوله تعالى:- ﴿قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ... ﴾ (79) ، وينص القرآن على الإيمان بالله والرسول النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلمته والهدايه تأتى مع الأتباع ، وهذا الموقف المتفتح / المتنور الذى لاحظه القرآن لدى كثير من المسيحيين أحتفظ لهم حتى النهاية ببعض الكلمات الودية ومن أشهرها قول الله تعالى : ﴿ .. ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا أنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وإنهم لايستكبرون ﴾ (80) ، ولكن القرآن يتحفظ فى موقفه ويقول إن هنك من النصارى الطالحين يحارب الصالحين ، وهؤلاء هم الذين يعتقدون إن القرآن لايتضمن أساساً الرسالة الإلهية عينها التى بشر بها الأنبياء الأولون لاسيما سيدنا موسى وسيدنا عيسى

---

(77) سورة الصف : آية 14 .

(78) سورة القصص: آية 53.

(79) سورة الأعراف: جزء من آية 158 .

(80) سورة المائدة : جزء من آية 82 .إستدراك : ويقرر أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ان الله تعالى لم يعن هؤلاء النصارى بل هى إشارة إلى طائفة النسطورية من النصارى وضروب بحيرا الراهب النصارى الذى لقى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى الشام قبل البعثة أو ضروب الرهبان الذين كان يخدمهم سلمان الفارسى ويعول على العامة سوء تأويل الآية التى نازعت الخاصة وحفظتها النصارى واحتجت بها واستمالت قلوب الرعاع والسفلة (يراجع فى ذلك : المختار فى الرد على النصارى للجاحظ – تحقيق ودراسة د. محمد عبد الله الشرقاوى – دار الجيل – بيروت – مكتبة الزهراء – القاهرة – الطبعة الأولى 1991 – ص 60/59).

وعليه يؤكد القرآن فى قوله تعالى :- " لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولأن أتبعت أهواؤهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولانصير "[81].

ويثبت المسيحيون كما يؤكد د. تيودور على أعتبار الدين المسيحى وحده طريقاً للخلاص على غرار ما يقوله اليهود فى دينهم عن طريق فهم خاطئ للخطاب القرآنى فى قوله تعالى فى سورة البقرة ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾[82]، لكن القرآن يرفض قولهم هذا ويعتبره إدعاء لايستند إلى أى برهان ، فإذا قالوا لن يدخل الجنة .. قال القرآن لهم تلك أمانيهم (مجرد أمنيه) وحتى الأمنيه محتاجة إلى برهان فإن كانوا صادقين فأين البرهان ؟ ومن هنا جاء الرد القرآنى فى نفس الآية السابقة (111) كدليل إعجازى لكلام الله ، ولقصر فهم الآخر لكتاب الله

<u>ب- عن موقف المسلمين من المسيحيين وأثر ذلك فى الحوار :-</u>

نقول إن موقف المسلمين من المسيحيين يختلف بأختلاف مايستندون إليه من آيات قرآنية لتحديد هذا الموقف فمن أعتمد الآيات التى تحمل على النصارى الطالحين وقف منهم موقفاً صارماً ، أما من أخذ بالآيات التى تمتدح النصارى والصالحين فإنه – على النقيض من ذلك – يقف منهم موقف الأنفتاح ، وهنالك موقف متطرف لايجيز الحوار ولا إقامة علاقات ودية مع المسيحيين ويشير د. تيودور إن هذا الموقف هو السائد لدى الجماهير فى البلاد الإسلامية لأنها ترى فى المسيحيين مجرد كفار[83] إستناداً على الآية القرآنية التالية:-

---

(81) سورة البقرة : آية 120 .

(82) د. عادل تيودور خورى : الإسلام فى عقيدته ونظامه – مرجع سابق – ص 237-238.

(83) نفس المرجع السابق – ص 238 .

﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ (84).

وهناك موقف مضاد يرى أن الحوار مع الإسلام لايجدى كما جاء فى أفكار وآراء فى الحوار المسيحى/ الإسلامى للمطران جورج خضر الذى يرفض الحوار بدايةً من مرجعية إستكمال الدين المسيحى والدين الإسلامى وإن أى محاولة توفيق ستتحول إلى تلفيق(85) .

ومع ذلك فثم مسلمون يرون الحوار مع المسيحيين جائزاً وهم يستشهدون بتبرير رأيهم هذا بقول القرآن الكريم : ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه وجادلهم بالتى هى أحسن﴾(86)، ولاسيما وأن القرآن ذاته باشر الحوار مع النصارى حيث قال الله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (87).

كما أنه يعترف بشرعية التعدد فى الأديان المنزلة فى قوله تعالى ﴿ .. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة..﴾ (88) والمسلمون الذين يعتبرون الحوار مع المسيحيين جائزاً يلاحظون بحق كما يذكر تيودور " إن الأحكام القاسية والتدابير السياسية التى أقرها القرآن الكريم ضد اليهود والنصارى فرضتها الأوضاع التى كانت سائدة فى ذلك العصر(89) ونقول له أى عصر ياسيدى ؟ القرآن الكريم لكل العصور وأين هى الأحكام القاسية والتدابير السياسية التى تتحدث عنها ؟ ونتساءل من جانباً

---

(84) سورة آل عمران : آية 85 .

(85) المطران جورج خضر : أفكار وآراء فى الحوار الإسلامى المسيحى – مرجع سابق – ص 75 وما بعدها.

(86) سورة النحل : جزء من آية 125 .

(87) سورة آل عمران : آية 64 .

(88) سورة المائدة : جزء من آية 48 .

(89) د. عادل تيودور خورى : مرجع سابق – ص 240 .

أى حوار يمكن أن يقام وانتم تصفون القرآن كـلام الله بأنه تدابير سياسية ؟! والبعض الأخر يقول حتى ولو جازت إقامة علاقات وديـة حواريـة مـع المسيحيين فإن عدداً كبيراً من المسلمين يرون انـه لافائـدة فـى التحـاور الإيجابى معهم لأن الإسلام هو الصيغة النهـائية الكاملة للديـن ، وعلـى الرغم من هذا الموقف المنغلق [90] (من وجهة نظر المسيحية) فهنالك أقلية مسلمة تؤيد الحوار والتعاون لفهم الآخر بلا تحفظ مبدئى ، فهى تـرى ان بقاء الإسلام لايمكن ضمانه ودرء الأزمات عنه دون إنفتاح على الآخـرين وإجراء إتصال بهم فى عالم تتقارب أقطاره بإستمرار ، فتعزيـز الإسـلام بحركات النهضة الإسلامية المعاصرة يحرره من الشعور بمركـب الـنقص ويؤهله لتبنى مناهج الأبحاث الدينية العلمية[91] .

ونقول لتيودور إن الإسلام ونهضته المعاصرة متحرر فى الأصـل ولايوجد شعور بالنقص لأن الدين الإسلامى دين كامل ونحـن كمسلمين مؤهلين لتبنى أى مناهج فى الأبحاث الدينيه والعلمية ، والغرب كله أخذ منا أرقى مناهج البحث على طوال التاريخ فلماذا المغالطة وخلط الأوراق ؟ إذا كنا بحق نريد حواراً هادئاً من أجل رفعة الأنسانية هادفاً إلى تحرر الفرد من عبودية المادية وطغيان الروح فى معادلة وسـطية لخطـاب إسـلامى خالص .

ج- <u>المواقف المختلفة فى سبيل الحوار</u> :

ونظراً للفروق القائمة بين المسلمين والمسيحيين – مع كل ما يجمعهم – ونظراً للمجابهة – دون المناوأة – التى نشبت فى غـابر الزمـان بـين الطرفين أتخذ المسيحيون مواقف مختلفة من المسلمين .

---

(90) نفس المرجع السابق – ص 242 .

(91) نفس المرجع السابق – ص 244 .

فكثير من المسيحيين – إن لم يكن معظمهم – تسود الريبة قلوبهم فى أوروبا بالذات – وناهيك عن علاقات مسيحى الشرق بالمسلمين فهم إلى حد ما متعاونين لأن العروبة تجمعهم فى كثير من المواقف (نموذج مصر ولبنان والجزائر) – مثلاً يرى الناس فى المسلمين ة ` كل شئ أجانب وغرباء كما يرى الناس فى المسيحيين – فى الطرف الآخر – مثل كل شئ أجانب وغرباء ، هذه النظرة فى حد ذاتها هى مدعاة للتحفظ والأبتعاد عنهم وفى أقطار أخرى فإن ذكرى الأيام المشئومة السالفة سواء كان أيام إذلال المسيحيين أو أيام التعصب الإسلامى أو أيام الحروب الصليبية وما فعله الغرب المسيحى من مهاترات وقتل وسبى ونهب وسلب لاتزال حية فى القلوب ، وعليه يتساءل هؤلاء المسيحيون هل بقى من هنالك بعض من المسيحيين يرون فى الحوار مع المسلمين لاسيما فى أوروبا وأمريكا ودول الغرب مناسبة للنهوض بنشاط تبشيرى بينهم وردهم إلى الدين المسيحى ؟ هذا بالطبع لم يحدث على الأقل لدى الطرفين.

غير أن هناك أيضاً مسيحيين عددهم آخذ فى الأزدياد ويؤيدون الدخول فى حوار صادق مع المسلمين ومباشرة التعاون معهم بلا تردد، وهم فى ذلك يستندون إلى البيان الصادر عن المجمع الفاتيكانى الثانى والذى يدعو جميع الأطراف إلى نبذ الماضى وبذل الجهود للتفاهم المتبادل والعمل المشترك لصياغة العدالة الأجتماعية والقيم الأخلاقية والسلام والحرية . والبابا بولس السادس نفسه وجه كلمة إلى جماعة المسلمين فى العالم بمناسبة عيد الفطر المبارك لعام 1972م قال فيه :– " لما كنا نشاطر الإيمان بالله الواحد وجب علينا ان ندعوه ليقربنا كل يوم بعضنا إلى بعض ويؤهلنا لأن يعمل كلٌ منا على طريقته للتعاون فى سبيل الحقيقة السامية والعدالة والسلام

فى العالم أجمع "[92].

وفى سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين والتعايش بين الجماعتين تثار عدداً من المُعضلات النظرية والعملية الكثيرة ، فهذه الحركة والمهمة العسيرة تقتضى من الطرفين إنفتاح ذهنى جاسم وإقدام قلبى عظيم على التضحية ، ذلك ان من أراد الحوار وجب عليه أن يخرج من ذاته ونهجه الخاص فى الحياة لينفتح على الآخرين ويذهب إليهم أو أن يقبل على الأقل أن يأتى إليه الآخرين .

ورغم التحفظ من الترحيب الأعمى والإنقياد غير المبرر نشجع الأنفتاح الأنتقادى والتعاطف الأنتقادى حباً للحقيقة وإحتراماً للمحاور الذى ينبغى أن يؤخذ حقاً مأخذ الجد فى شخصيته وفى ذاتيته وفى دينه وحماية المتحاورين من الإكتفاء بتبادل مهذب لوجهات النظر وبذلك يُمس عنصراً أساسياً للحوار الأصيل / المثمر وبقدر ما يكون المتحاور متعمقاً فى دينه ومقتنعاً بصحته نراه منفتحاً على القيم التى تعبر عنها الخبرة الدينيه لأتباع الأديان الأخرى فى محاولة لفهم الآخر دون الإنصهار فيه ودون أن يتخلى عن ذاته أو عقيدته او أن يترك إنطباع بأنه يتخذ مواقف يتعذر عليه بتاتاً الدفاع عنها .

ومن هنا ننتقل إلى قضايا جدلية / حوارية فى الفكر الدينى تتمحور فى نصوص قرآنية إيمانية من أمثلة قضايا الألوهية والصلب وخلافه.

3ـ الوحى (المبادرة الإلّهية) بين الإسلام والمسيحية :

يقول باسيل عون : " إن محاولات المقارنة التى اختبرها تاريخ العلاقات المسيحية / الإسلامية منذ ظهور الإسلام إلى اليوم لاتخلو فى

---

(92) نفس المرجع السابق – ص 245 .

معظمها من عيب بنيويّ افقدها صلاحيتها فى تعزيز الحوار المثمر الفعّال". [93] وبعد ذلك يتهم المؤلف علماء الدين فى المسيحية والإسلام بان غايتهم دمج الآخر بالذات وهذا غير وارد فى الحوار التقاربى أو المقارنة التمايزية المطلقة حتى هنا يسقط مواضع الإلتقاء والمأث_ات المشتركة فى التراثين المسيحى والإسلامى ومن هنا نرى أن نظرة باسيل نظرة تشائمية لاتفاعل فيها.

ويعود فى موضع آخر ويتعمد أستعراض خصوصيات المذهب وتباينها وتمايزها ويعرض المذاهب المسيحية (الكاثوليكية / الأرثوذكسية / البروتستناتية) ويعرض لمذاهب الإسلام (السنى/ الشيعى) وفى رأيه ان المقارنة لاتستقيم إلاّ إذا اقتصر ميدانها على مقارنة الجوهر بالجوهر وان المقارنة قائمة على حدود العام والخاص ، ومن المسلم به ان المفردات والمصطلحات والأوضاع اللغوية والتعابير والمفاهيم والتصورات التى تتسق بها مقارنة المضامين والمواضيع اللاهوتية / الكلامية لاتحمل المدلول عينه فى المسيحية والإسلام فالفقه فى الإسلام غيره فى المسيحية والتفسير فى المسيحية غيره فى الإسلام .. وهكذا .

إن المقارنة لاتنوى على الاطلاق دمج المفاهيم الخاصة فى كل ديانة وإفراغها من خصوصيتها ولا أظن أن أى الديانتين يرضى بهذا[94]

---

(93) د.مشير باسيل عون: بين المسيحية والإسلام – بحث فى المفاهيم الأساسية مرجع سابق – ص 15

(94) نفس المراجع السابق : ص 16–17 . إستدراك : وهنا نجد المطران كيرلس يقول انه يجب علينا ان نبرز بوضوح ان القرآن الكريم يدعو بقوة وإلحاح شديدين وبالإكثار من الحجج والإنذارات إلى إعتناق الإسلام بإعتباره أخر الأديان السماوية أُنزل تأييداً أو إكمالاً لها ، ولما جاء فى الكتب المنزلة السابقة (التوارة والإنجيل) بل ان الإسلام يدقق بدون أدنى لبس إن كل من أقتنع فى قرارة نفسه إقتناعاً طبيعياً بصحة الرسالة القرآنية وأراد بدافع الأنتهازية أو غيرها أن يمارس ديناً أخر ، هذا – كما قال الله تعالى : لن يقبل منه وهو من الخاسرين – آل عمران – آية 85 ، ويواصل المطران كيرلس مغالطاته فى فهم النص القرآنى ويقول إن المنطق نفسه نجده فى الإنجيل المقدس " من آمن بالإنجيل وأعتمد يُخلص ومن لايؤمن يقضى عليه " – الإنجيل بحسب القديس

فالدين يفترض أسبقية المبادرة الإلهية ، فالله هو الذى يبـادر إلـى الإنسان يكشف له ما يود تبليغه إليه ، وتتفق المسيحية والإسلام على الإقرار بهذه الأولوية المطلقة بالله فى ملاقاة الإنسان وهى أولوية يبررهـا إرتبـاط الخليقة البشرية بالخالق الإلهى نفس الرؤية اللاهوتية المسيحية – كما يـذكر باسيل عون – نجد التلازم بين قطبى اللقاء الله والإنسان ، وتؤيدها مقـولات التجسد ومقولات الحرية المسيحية وما تستصحبه مـن تأسـيس لاسـتقلالية الإنسان الوجودية ، وبخلاف هذه الرؤية المسيحية التكاملية بين الله والإنسان، يلح الإسلام فى التشديد على تعالى المصدر الذى تنبثق منه المبادرة الإلهية ، فالتسامى الإلهى المطلق فى الإسلام يصبغ هذه المبـادرة بـصبغة الهيمنـة والتفرد وإنقـياد الإنسان الذى يُسلم أمره لهذه المبادرة إسلاماً واثقـاً كـاملاً بينا(95) ، ورغم إلتقاء الديانتان فى موضع الأعتراف بالوحى الإلهى ولكـن المسيحية والإسلام يعودان فيفترقان حين يعمدان إلـى إسـتجلاء مـضمون الوحى ومحتواه .

فالوحى Revelation فكرة دينيه وفلسفية معناها كشف الحقيقة كشفاً مباشراً مجاوزاً للحس ومقصوراً على من اختارته العناية الإلهية ويتخذ هذا الكشف صوراً شتى نظمها المتكلمون فى مراتب مختلفة كالرؤيا الصادقة أو الإتصال بجبريل فى صورة رجل عادى .

مرقص – 16:16 والذى ينقل إليهم بإيمان الرسل بأن السيد المسيح هو كمال الوحى فـى قولـه : "قد تم " على الصليب ومنه الخلاص 00 إلخ – يراجع فى ذلك : تقديم كيرلس سـليم بـستـرس لكتاب مقـالات لاهـوتية فى سبيل الحوار لمشير باسيل عون – ص 12 ، أنظر أيضاً : د. محمـد الطالبى – الإسلام والحوار – أفكار حول موضوع يشغل بال العصر الحديث فى وثائق عصرية فـى سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين – المكتبة البولسية – جونية – لبنـان – الطبعـة الأولـى 1992م – ص57/56

(95) المرجع السابق – ص 21.

يذهب فلاسفة الإسلام إلى ان الوحى إتصال النفس الانسانية بالنفوس الفلكية إتصالاً روحياً فترتسم فى صور الحوادث وتطلع على عالم الغيب ، كما نجده عند إبن سينا ، وفى الصوفية يدركه الولى والعارف فى درجات أدنى وهذا ما يسمى بالإلهام كما نجده عند سام الغزالى[96] وفسرها الشيخ مصطفى عبد الرازق فى كتابه " الدين والوحى والإسلام " [97] بما يتناسب مع ما ورد فى أكثر السنن وما تدل عليه ظواهر الآيات فى غير موضع من القرآن الكريم وقسمها إلى: مذاهب المتكلمين فى الوحى وكيف انهم تناولوها من ناحتين : -

الأولى : وحى القرآن الكريم إلى سيدنا محمد ﷺ بواسطة سيدنا جبريل.

والثانية : الوحى الحاصل بسماع كلام الله من غير واسطة .

ثم **مذاهب الفلسفة الإسلامية فى الوحى** عرضاً لآراء ابن سيدنا فى رسالته فى النبوات وتأويل رموزهم وامثالهم وكذا فى رسالته للحدود وغير ذلك.

ثم **مذاهب التصوف فى الوحى** كما جاء فى كتاب المنقذ من الضلال للإمام الغزالى.

وفى معرض حديثه عن الوحى بين الله والإنسان يعرض لنا باسيل عون مضمون الوحى ومحتواه قائلاً :-

فالوحى أولاً : فى الإسلام تنزيل والتنزيل هابط من كلٍ على مستقل عن مسرح التاريخ ومعصوم بحرفه وروحه من الخطأ ، وأما الوحى فى المسيحية فهو مقترن بقرائن الإنسان الذى يستقبله

---

(96) مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفى – مرجع سابق – ص 213.

(97) الشيخ مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام – مرجع سابق – ص 75/62 .

أنظر أيضاً – فيما يختص بالنظرية الإسلامية فى الوحى بين الإسلام والمسيحية – الإمام محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية – مرجع سابق – ص 96 وما بعدها.

إستيعاباً وتمثلاً وتدويناً .

الوحى ثانياً فى الإسلام :

من حيث مضمونه هو وحى المشيئة الإلهية به يبلغ الإنسان إرادته وشريعته وناموسه . أما الوحى فى المسيحية من حيث مضمونه فهو وحى الذات والكيان به يتجلى الله للبشر شخصاً فريداً فى التاريخ (يقصد السيد المسيح) وبين وحى المشيئة يظهره فى أكمل صوره له نص القرآن ، ووحى الذات الإلهية يجسده فى ملء الأزمنة تجسيداً كاملاً كلمة الله الوحيد ، ترتسم دلائل التباين بين المسيحية والإسلام .

الوحى ثالثاً فى الإسلام :

مُلكاً لله الذى يُمسك بمبادئه أيما إمساك إذ هو الذى يُبطل من آيات وحيه ما يشاء وينسخ منها ما يشاء ويأتى بأفضل منها وفاقاً لما يشاء[98] وهى مسألة الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم ويقول الله تعالى : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير** ﴾ [99].

وأما فى المسيحية فالوحى هو وحى الشخص ، فالله يعهد فى وحيه الكامل وهو كلمته يسوع المسيح إلى بنى الإنسان به يختبرونه فى صميم وجودهم ، فالوحى المدون هو إختيار بشرى للوحى المتجسد ، والوحى المتجسد هو قمة الاعتلانات التاريخية للوحى الإلهى .

الوحى رابعاً فى المسيحية والإسلام :

يمتد على فترات متلاحقة قبل ان يبلغ ذروته وكماله فى ملء الأزمنة واختتام النبوة ؛ تتفق الديانتان على الإعتراف باشكال وكيفيات مختلفة للوحى

---

(98) د. مشير باسيل عون : بين المسيحية والإسلام – مرجع سابق – ص 24 .

(99) سورة البقر : آية 106 .

الإلهى ، فتجمعان على التمييز بين الوحى الطبيعى والوحى الذاتى والوحى النبوى وتختلفان على الأقرار بالوحى الشخصى الحاصل بالتجسد وهو الوحى الذى تنفرد المسيحية باعتناقه ، فالوحى الطبيعى هو الوحى غير المعلن وغير المباشر والذى يجعل الإنسان يدرك ... لق بواسطة الطبيعة فى سر تكوينها وسيرها والوحى الذاتى الذى تعترف به المسيحية والإسلام أيضاً هو ما تلقيه نعمة الله فى فؤاد الإنسان من استعداد الانفتاح على الله والتعرف التلقائى على ارادته بواسطة الاستضاءة وبهدى الضمير المستتير هو أيضاً بنور أحكام الله ، ولاريب ان هذين الوحيين ينتميان إلى نمط من الاختيار البشرى قد يكون سابقاً أو معاصراً لاختيار الوحى النبوى وهو الشكل الذى تتوافق فيه الديانتين من خلال ما بُلغ من كتب العهدين القديم والجديد والقرآن الكريم(100).

أما الاختلاف الخطير الذى بينهما (الإسلام والمسيحية) فهو إقتصار الإعتقاد فى الإسلام على هذه الضروب الثلاثة من الوحى وإتساع المسيحية للإيمان بوحى التجسد الشخصى لكلمة الله فى المسيح، أما الوحى فى الإسلام فهو محصور بوحى الكلمة المكتوبة (النص القرآنى) والأعتقاد بختم النبوة فى شخص سيدنا محمد ﷺ .

* * *

(100) د. مشير باسيل عون : مرجع سابق – ص 25 .

ثالثاً

من القضايا الجدلية / العقدية فى الحوار :

أستكمالاً لما سبق سنتناول فى هذه الجزئية عدة قضايا نصية من القرآن الكريم وهى أمور يجب الإيمان بها قبل الخوض فى أى حوار مع الآخر ومن أمثلة ذلك نجد:-

❖ **حوار سيدنا عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم مع الحواريين** وهو حوار قرآنى شديد الضبط يتمثل فى قول الله تعالى : ﴿ .. فلما أحس عيسى منهم الكفر (أى بنى إسرائيل) قال : من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون : لله نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ [101].

❖ **جدلية إنزال المائدة من السماء كأسلوب تعجيزى** وتحدى سافر من قِبل بنى إسرائيل ودعوة سيدنا عيسى عليه السلام لله وإستجابة الله تعالى له ثم توعد الله لمن يكفر بعد ذلك بعذاب أليم لم يره أحد من قبل ويتمثل فى قوله تعالى : ﴿ إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن يُنزل علينا مائدة من السماء قال أتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهمَّ ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وأية منك وارزقنا وانت خير الرازقين ﴾ [102] إلى أخر الآيات البينات فى حوار قرآنى معجز بديع يدل دلالة واضحة جلية على تعظيم وتبجيل السيد المسيح وامه فى القرآن الكريم فى أكثر من آية مع ذكر معجزاته المتعددة فى الآيات التى تسبق الآيات التى أوردناه سالفاً.

❖ **تلكم هى بعض القضايا الجدلية / النصية** بالإضافة إلى ما سبق والتى يجب أن نؤمن بها جميعاً إذا كنا نريد حواراً هادفاً يدرك مغزى

---

(101) سورة آل عمران : آية 2 – ؛ أنظر أيضاً : سورة المائدة : آية 111.

(102) سورة المائدة : آيات من 112 – 114 .

الرسالة المحمدية والرسالة العيسوية الحقه .. دون تحريف ، وبعيداً عن " .. يحرفون الكلم عن موضعه .. "[103].

وقد قلنا من قبل إن الإختلاف الأكثر أهمية وخطورة بين المسلم والمسيحى تكمن فى نقطة واحدة ألا وهى ألو بة المسيح Diety of Jesus [*****]، وترديد المسيحى مقولات : إبن الله أحياناً وإبن الإنسان أحياناً أخر ، ضف إلى ذلك مسألة الصلب وما تفرع عنها من قضايا كثيرة كما سنرى .

❖ **جدلية رفع السيد المسيح ونفى قتله أو صلبه بين الخطاب الإسلامى** والخطاب المسيحى من القضايا التى أحتدم فيها النقاش والحوار وأخذت أشكالاً متعددة ومسألة الفداء للبشرية أو التضحية من الأمور التى يرفضها الإسلام بنص القرآن الكريم مما يعوق حركة الحوار مثلها مثل قضية التثليث المسيحى ، وإذا كنا نبذل الجهد الجهيد من أجل فهم الأخر من خلال الحوارات والمناظرات والمؤتمرات – كما سيأتى فيما بعد – بين

---

(103) سورة المائدة : جزء من آية 13 (وبخصوص من كانوا يحرفون كلام الله عن مواضعه أحياناً ، وبخصوص الأخطاء فى الإناجيل الأربعة – يراجع : الشيخ أحمد ديدات فى كتاب مناظرة العصر – ترجمة د. على الجوهرى – دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة والإمارات – الطبعة الأولى 1992م – ص 11 ، ص 34 .

(*****) .. وهذا ما أشار إليه التصريح الختامى الصادر عن المجمع الفاتيكانى الثانى (1962/1965م) فى أن المسلمين يُجلون يسوع كنبى وان لم يعترفوا به كإله والحقيقة ان المسودات الأولى مرت بصمت أمام هذه المسألة الإشكالية (أنظر فى ذلك تفصيلاً : أليكس جورافسكى – الإسلام والمسيحية – ترجمة د. خلف محمد الجراد – تقديم ومراجعة د/ محمود حمدى زقزوق – سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت – العدد 215 نوفمبر 1996م – ص 148/149).

(104) الشيخ أحمد ديدات : المرجع السابق – ص 19 ، 61، أنظر أيضاً : الشيخ أحمد ديدات : المسيح فى الإسلام ومحاورة مع قسيس حول ألوهية المسيح – ترجمة د. على الجوهرى – دار الفضيلة للنشر – القاهرة / الأمارات – الطبعة الأولى 1998م – ص 12 وما بعدها – أنظر أيضاً : ابن الخطيب – هذا هو الحق – رد على مفتريات كاهن كنيسة – مرجع سابق – صفحات 49-51-63-64 – (بخصوص عقيدة التثليث وبطلان ألوهية المسيح وعقيدة الصلب).

رجال الديانتين فإن البعض منهم يجهلنا حتى فى فهم حقيقة التثليث المسيحى[104] ، فما بالك بألوهية المسيح ومسألة الصلب تلك المسألة التى شغلت بال جميع المفكرين وأصحاب الأدبيات الحوارية فى المشرق والمغرب .

1. **المسيح** Messias **بين معجزة الميلاد وفرية الصلب :-**

- نبذة تاريخية :

ولد السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام أثناء عهد الإمبراطور أوغسطين فى بيت لحم بفلسطين وفى الوقت الذى أخذ العالم الرومانى يشعر فيه بنوع من الفراغ والعبادة الشكلية والواقع إن القرنين الثالث والرابع الميلاديين لم يشهدا إنتصاراً سريعاً للمسيحية فحسب بل لكثير من الديانات الأخرى الوثنية ، وفى وسط هذا الفراغ الدينى لم يجد شعب الأمبراطورية الرومانية وسيلة أخرى سوى الإتجاه شطر العقائد الدينية المختلفة المستوردة من الشرق مثل ديانة سيبيل Cybele من آسيا الصغرى وديانة مثراس Mithras من فارس وديانة إيزيس Isis من مصر القديمة وأخيراً المسيحية التى نبتت فى فلسطين[105] وقامت غيرها من الديانات لأن قصة السيد المسيح وحياته فاقت فى سموها وروحانيتها بقية القصص الدينى المعاصرة لها ضف إلى ذلك إن تعاليمه مستمدة من كتاب مقدس ودين سماوى ، ومن هنا إنتشرت سريعاً بخلاف غيرها من الديانات فى العقائد الشرقية المعاصرة

---

(104) الشيخ أحمد ديدات : المرجع السابق – ص 19 ، 61، أنظر أيضاً : الشيخ أحمد ديدات : المسيح فى الإسلام ومحاورة مع قسيس حول ألوهية المسيح – ترجمة د. على الجوهرى – دار الفضيلة للنشر – القاهرة / الأمارات – الطبعة الأولى 1998م – ص 12 وما بعدها – أنظر أيضاً : ابن الخطيب – هذا هو الحق – رد على مفتريات كاهن كنيسة – مرجع سابق – صفحات 49-51-63-64 – (بخصوص عقيدة التثليث وبطلان ألوهية المسيح وعقيدة الصلب).

(105) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – الطبعة السادسة – 1991م – ج1 ص49 وما بعدها.

لها وإنتقلت إلى أوروبا على يد الرسل والمبشرين وخاصة القديس بولس فى تنظيمه للمجتمعات المسيحية الأولى ووضعه لقواعد اللاهوت وما يترتبط بها من فلسفة مسيحية ، فضلاً عن جهوده فى وضع دعائم الكنيسة الكاثوليكية العالمية ... وهكذا إنتشرت المسيحية إنتشاراً ثيثاً بحيث لم يكن ينتهى القرن الأول الميلادى إلا وكانت كل ولاية رومانية تضم بين جوانبها جالية مسيحية ومع إصرارهم على رفض عبادة الأمبراطور وتقديم القرابين لـه أدى إلى مناهضتهم وإضطهادهم فبدأت حركة إضطهاد كبيرة لهم سنة 302م على يد الأمبراطور دقلديانوس الذى أصدر عدة مراسيم طردهم بمقتضاها من البلاط، ومن صفوف الجيش ونفيهم إلى جهات نائية وحرمانهم من حقوق المواطنة ، ومنعهم تولى الوظائف الإدارية بل وحرق كتبهم المقدسة وهدم كنائسهم ، وأتبع دقلديانوس ذلك بحركة تنكيل عنيفة سنة304م جرى فيها إعدام كثير من المسيحيين وإذاقوهم ألوان العذاب ، وكانت سنوات حكمه فترة محنة حقيقية للمسيحيين أطلق عليها عصر الشهداء أو الإستشهاد[106] ، وأعقب ذلك كله فترة سلام وإطمئنان وتولى الأمبراطور قسطنطين الحكم وأعترف بالمسيحية كديانة مسيحية وحرم إضطهاد المسيحيين فى الجزء الغربى من الأمبراطورية ، وأعطاهم ذلك الجزء قدراً من الأمان وأوهم نفسه بأن النصر والغلبة كانا فى ظل شعار السيد المسيح ، وتحت لوائه وأمر بإعادة كل أملاك الكنيسة المسيحية التى جرى مصادرتها وأعفاء رجال الدين المسيحى من كافة أعباء الصخرة وأسس القسطنطينية وأتخذها عاصمة للأمبراطورية الرومانية فى خطوة جرئية حاسمة بحنكة سياسية وبصيرة نافذة وسواء كان الدافع الأساسى إلى ذلك دينى أو سياسى أو حربى فالمهم

---

(106) د. محمد مرسى الشيخ : معالم التاريخ الأوروبى الوسيط – دار المعرفة الجامعية – اسكندرية – الطبعة الثانية – 2000م – ص 24 وما بعدها.

فى الأمر أن الفكرة نفذت سنة 330م فتم تشييد المدينة محل بلـــدة بيزنطيـــة القديمة على ضفاف البسفور فقيام القسطنطينية فى القرن الرابع المـــيلادى غير وجه التاريخ الأوروبى الألـــف ســـنة التاليـــة وحماهـــا مـــن خطـــر المسلمين[107] .. إذا كان للإسلام خطورة أو يمثل خطراً بالنسبة للمسيحية!!

نذكر أيضاً من أعمال الأمبراطور قسطنطين إصداره لمرسوم ميلان 313م معترفاً لوضع الديانة المسيحية كإحدى الشرائع المـــصرح بإعتناقهـــا داخل الأمبراطورية وهى خطوة جرئية أقدم عليها قسطنطين ، ومهما يكـــن من أمر فإن مرسوم ميلان جعل من المسيحية ديانـــة مرخـــصة Religio Licitia كما ساوى بينهما وبين الـــديانات الأخـــرى وكفـــل حمايـــة أرواح المسيحيين ، وأهم مافى الأمر مجمع نيقية 325م ويسمى بالمجمع المسكونى الأول Ecumenism عقد فى نيقية عاصمة بثينية بآسيا الصغرى فـــى 20 مايو 325م بأمر من الأمبراطور قسطنطين الكبير قد حضره بنفسه ومعـــه 318 أسقفاً غير القساوسة والشمامسة من كل أنحاء العالم المسيحى ، وكـــان للرد على آراء أريوس فى وحدانية الله وإنسانية المسيح وقد حضره أيـــضاً 2048 من الآباء الروحانيين فى أنحاء العالم المسيحى وقد أنحاز أغلبهم إلى أريوس فأصدر الأمبراطور أمره بفض الأجتماع ثم أعيد إنعقاده بعـــد ذلـــك وأتخذت أخطر القرارات فى تاريخ العقيدة المسيحية وهى تمثـــل المرحلـــة الثانية لإكتمال المسيحية بعد وفاة المسيح وتسمى مرحلـــة تقريـــر المجـــامع المسكونية لأصول العقيدة.

أ – القول بالتثليث وألوهية المسيح ونزوله ليـــصلب تكفيـــراً عـــن خطـــايا البشر.

(107) د. سعيد عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى – مرجع سابق – ج2 ، ص 45 .

ب- إختيـــار المجمع للكتب المقدسة التى لاتتعارض مــع قــرارات المجمع والقضاء على سائر الرسائل والأناجيل.

ولقد كانت المرحلة الأولى وهى مرحلة كتابة الأناجيل الأربعة المعروفة (متى – مرقص – لوقا – يوحنا) لم تبدأ إلا . عام 63م (ولقد عاش المسيح حوالى 33 عاماً) حقيقة كان بولس قد كتب رسائله منذ عام 55م ولكن بــولس لم يكن من حوارى المسيح ولم يلقه بل كان خصماً لدوداً للمسيح وحواريـــه ، ولم يتحول إلى المسيحية إلا بعد وفاة المسيح وأعلن فكرة المسيح ابن الله .

ثم توالت المجامع بعد ذلك مثل مجمع القسطنطينية الأول عــام 381م للرد على مقدونيوس القسطنطينى وحضره 150 أسقفاً وفيه تقرر أن الــروح القدس الأقنوم الثالث – إله . ثم مجمع أفـسوس 431م رداً علــى نــسطور بطريرك الكنيسة الشرقية الذى أعلن إن مريم إنسان ولايلد الإنسان إلا إنساناً، ومن ثم فإن مريم هى أم المسيح الإنسان فقرر المجمع أن العذراء مريم هى أم الإله ، ثم مجمع خلقدونية 451م حضره 630 أسقفاً وفى هذا المجمع تقــررت عقيدة المذهب الكاثوليكى أو الملكانى ، وقد رفض أقباط مصر قــرارات هــذا المجمع لقوله بالطبيعتين : اللاهوت والناسوت والمشيئتين : الإلهية والإنسانية للمسيح ، وإنفصلت بذلك بطريركية الأسكندرية نهائياً عن كــل مــن رومــا والقسطنطينية . ثم كان مجمع القــسطنطينية الثــانى 553م والثالــث 680م وعقدت عدة مجامع فى روما وتشكلت نهائياً عقيدة المذهب الكاثوليكى[108] .

---

(108) لمزيد من التفاصيل حول بنود المجامع الكنسية – يراجع – ذكى شنودة : موسوعة تاريخ الأقبــاط – مطابع البلاغ – القاهرة – الطبعة الثانية 1998م – ج1 ، ص 171 ، 175 .

أنظر أيضاً : د.أحمد صبحى – فى علم الكلام – المعتزلة – ج1 ص 4/41

الشيخ محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية – مرجع سابق – ص241.

د. عبد المنعم الحفنى – موسوعة الفلــسفة والفلاســفة – المــسيح Messie وبــولس الرســول Apostal Paulus – ج2 ، ص 344 وما بعدها.

تلك كانت نبذة تاريخية / عقدية حول نشأة المسيحية ودور المجامع فى الحوار بين الإسلام والمسيحية ، ونعود ونقول – وكما قلنا من قبل – إن الإسلام أعلن إعلاناً قاطعاً وفى إصرار عجيب إن معجزة الميلاد للسيد المسيح لاينبغى أن تصور فى أى صور مغالية إنما هى فقط صرخة إلهية لبنى إسرائيل ولكن على ألا تتجاوز حدود الإنسان وتجعل منه إلهاً أو إبن إله[109] ، والمسيحية نسبة إلى المسيح عيسى ابن مريم ولفظ المسيح أسم مفعول من مسح بمعنى بارك – مسحه الرب أى باركه – وفى التعميد يتم المسح بالزيت لنوال البركة وبذلك يصبح معنى المسيح " المبارك " ومعنى النصرانية لأنه كان فى بلدة الناصرة بفلسطين[110] وهو رسول الله وكلمته ومبعوث بعد سيدنا موسى "عليه السلام" وقبل سيدنا محمد (ﷺ) ومبشر فى التوارة وكانت له آيات ظاهرة ومعجزات نذكر منها :–

- إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص .
- وجوده وفطرته آية على صدقة .
- خلقه من غير نطفة سابقة .
- إنطاقه فى المهد .

إن سيرة نبى الله المسيح عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام فيها من دلائل الأعجاز والقدرة الإلهية ما يحرص كل مسلم على دراستها وفهمها فهماً دقيقاً لأمور كثيرة منها إنه نبى الله ورسول من أولى العزم وإن من

---

(109) د. على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – ج1 ، ص 90.

(110) د. أحمد صبحى : فى علم الكلام – ج1 المعتزلة – ص 39 وما بعدها .

أنظر أيضاً : د. عبد المنعم الحفنى – موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج2 ، ص1309. ولقد ورد ثلاثة وعشرون قولاً بهذا الخصوص وعدة تخريجات حول لماذا سُمى عيسى عليه السلام بالمسيح؟ ونزوله آخر الزمان فى القرآن والحديث وإجماع أهل السُنة على نزوله وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة – أنظر فى ذلك: الشيخ محمد متولى الشعراوى : مريم والمسيح عليهما السلام – مرجع سابق – ص 9 ، ص15 ، ص 26.

صحة إيماننا كمسلمين أن نؤمن به عليه السلام ، يقول الله تعـالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ (111) .

وقد قال رسول الله ﷺ :- " **من شهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وإن الجنة حق وإن النار حق أدخله الله من أى أبواب الجنة شاء** "(112) .

وإنه ولد لأم بدون أب وإن كانت هذه معجزة عظيمة فإنها فتنة أعظم إفتتن بها كثير من الناس ، وكذا كان رفعه إلى السموات العُلى آيـة كبـرى وفتنة أعظم ، ومعجزاته عليه السلام فى الخلق والإحياء والشفاء وإن كانـت بإذن الله تعالى إلا أنه قد أفتتن فيها الخلق الكثير والجم الغفير(113).

2- المسيحية فى القرآن توحيد :

ينص القرآن الكريم على أن عقيدة المسيح هى التوحيد الكامل وبكل شعبه والتوحيد فى العبادة فلا يعبد إلاّ الله ، والتوحيد فـى التكـوين فخـالق السموات والأرض وما بينهما هو الله الواحد وحده لاشريك له ، والتوحيـد فـى الذات والصفات فليست ذاته بمركبة وهى منزهه عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى .

فالقرآن الكريم يثبت ان عيسى علـيه السلام ما دعى إلاّ إلـى التوحيـد الكامل وهذا ما يقوله الله تعالى عما يكون من عيسى يوم القيامة فى مجاوبـة أو محاورة بينه وبين ربـه فى قولـه تعـالى:- ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ

---

(111) سورة البقرة : آية 285 .

(112) حديث صحيح أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه عن عبادة بن الصامت – حديث رقم 3435 .

(113) الشيخ محمد متولى الشعراوى : مريم والمسيح عليهما السلام – مرجع سابق – ص 4 ، 5 (المقدمة).

عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ (114) فهـذا نـص يفيـد بصريح العبارة أن عيسى ابن مريم ما دعا إلاّ إلى التوحيد ، فغيـر التوحيـد إذن دخل النصرانية من بعده ، وما كان عيسى إلاّ رسول الله رب العالمين(115) ، ولقد نزل على السيد المسيح كتاب هو الإنجيـل وهو مصدق للتوارة ومُحيي لشريعتها ومؤيد للصحيح من أحكامها ، وهو مُبشـر برسول يأتي من بعده أسمه أحمـد ، وإن كان على أهل الإنجيـل أن يحكموا بما أنزل فيه ولذلك قـال الله تعـالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (116) ، كما أن دعوة المسيح عليه السلام كانت تقوم على أسس منها :-

- إنه لاتوسط بين الخالق والمخلوق.
- إنه لاتوسط بين العابد والمعبود.
- إنه لاوساطة للأحبار والرهبان بين الله والناس .
- كل مسيحى يتصـل بالله فى عبادته بنفسه دون توسط كاهن أو قسيس .

ومن هنا نقول إن ميلاد المسيح معجزة إلهية فوق العادة إفتتن لهـا قوم كثيرون ومن هنا أيضاً نقرر إن المسيحية فى القرآن توحيـد خـالص وأكثرهم لايعلمون .

3. **عقيدة الصلب وعقبة الحوار :-**

وقد ألتقى الإسلام بالنصرانية فى شبه الجزيرة العربية قبل أن يلتقـى بها فى البلدان المفتوحة كالشام ومصر ، وقد أعتنقت بعض القبائل فى الجاهلية الديانة المسيحية كما ذكرنا من قبل على أيدى بعض الرهبان الذين راعهـم إن الدين الجديد يخالف معتقداتهم فى أشياء كثيرة مثل :- الغلو فـى تأليه المسيح، وطبيعة المسـيح ، ولقد خالفهم الإسلام وطالبهم ألا يغلو فـى ديـنهم بتأليـه

---

(114) سورة المائدة : آية 116 .

(115) الإمام محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية – مرجع سابق – ص 12 .

(116) سورة المائدة : آية 47 .

المسيح فنشأ الصراع بين الإسلام والمسيحية حول إنسانية المسيح أو ألوهيته وكذلك أنكر الإسلام عقيدة الصلب بالأدلة القرآنية والنصوص الآلهية فى قوله تعالى :- ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ .. ﴾ (117) أى رأوا شبهه فظنوه إياه وإن من قتله كان يهودياً ، ويرى د. أحمد صبحى إن إقرار الصلب إنما يتصل بأصول العقيدة فإذا كان الشر قد دخل العالم بمعصية آدم ، وورث بنوه ميراث الخطيئة الأصلية فإنه لايخلص البشرية من الشر المتأصل فيهم إلاّ فداء عام ، ولما كان الذى يفدى الإنسانية جمعاء لايكون إنساناً – لإن الشر متأصل فى الإنسان فالذى يفديها لابد وأن يكون خالصاً من الشر ومن ميراث الخطيئة، فالمسيح من وجهة نظرهم آلهه أو ابن آلهه وقد تم خلاص البشرية من ميراث الخطيئة بصلب المسيح فالخطيئة الأصلية وألوهية المسيح وصلبه أركان ثلاثة متلازمة فى العقيدة المسيحية(118).

وهذه الأركان الثلاثة فيما نرى تقف عقبة كئود فى سبيل الحوار ، إلاّ أنها أشياء تمس العقيدة ، وإن كان الصلب لأجل هذا الـ (الفداء / الغفران / الخلاص) فإن الإسلام يرفض هذا ، فالمسئولية فردية وكل مسئول عن عمله ولايخلص الإنسان الفردى فداء عام كما قلت ووقف الإسلام ضد فكرة الصلب لأنها تؤدى إلى إنفكاك المسئولية الفردية وتلغى آليات التكليف.

والشهرستانى يؤكد إن المسيحيين آمنوا بأن المسيح قتل وصلب، قتله اليهود ، ولكن أختلفوا هل القتل ورد على الجزء اللاهوتى أم ورد على الجزء الناسوتى ، أم على الجزئين معاً؟ ثم قام وصعد إلى السماء(119) .

---

(117) سورة النساء : جزء من آية 157 .

(118) د. أحمد صبحى : فى علم الكلام – ج1 ، المعتزلة ، ص 40 .

(119) الشهرستانى : الملل والنحل – ج2 ، ص 44.

إذن واجه الإسلام مسيحى شبه الجـزيـرة العربية بأدلـة بسيطة تدركهـا العقـول بفطرتها دون تعقيد أو إلتواء .. ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [120] ، وقد نزلـت هـذه الآيـة عنـدما جـاء وفد نجران إلى المدينة وكان فيهم كبراء الملـة النـصرانية وقـالوا للرسول ﷺ : " أيوجد ابن بلا أب ؟ فنزلت الآية السابقة ، والحجـة فى آدم أقوى لأن المسيح بلا أب وآدم بلا أب ولا أم ، فلمـاذا يفتـتن المـسيحيون فـى المسيح ولايفتتنوا فى آدم ؟! .

4. **إنتفاء الصلب نفى للمسيحية :**

إن وفاة عيسى على الصليب هى عصب كل العقيدة المسيحية ، وإن كل النظريات المسيحية عن الله وعـن الخليقة وعن الخطيئة وعن المـوت تستمد محورهـا مـن المسيـح المصلوب ، وكل النظريات المسيحية عـن التاريخ وعن الكنيسة وعن الإيمان وعن التطهر وعن المستقبل وعن الأمـل إنما تنبع من المسيح المصلوب فيما يقول البروفيسور جـوردن مولتمـان J. Maltmann فى كتابه عن الآله المصلوب The Crucified-God وهذا ما يؤكده ديدات فى مجمل قوله إن إنتفاء الصلب إنتفاء للمسيحية وتلك هـى تجربتنا – نحن المسلمين الذين نعيش فى خضم المسيحية فى جنوب أفريقيا ، وتتنافس آلاف الطوائف المسيحية كل طائفة مع الأخرى لتخلـيص الـوثنى (يقصد غير المسيحى) من نار جهنم (عندما يـؤمن بـصلب المـسيح)[121]

---

(120) سورة آل عمران : آية 59 .

(121) الشيخ أحمد ديدات : مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والإفتراء – ترجمة د. على الجـوهرى – دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة / الأمارات – الطبعـة الأولـى 1989م – ص 11/10 ، أنظر أيضاً : الإمام أبى حامد الغزالى – الرد الجميل لألهية عيـسى بـصريح الإنجيـل – تقـديم وتحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوى – مكتبة الزهراء ، دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعـة الثالثة – 1980 – ص62 وما بعدها بخصوص نظرية بولس فى الصلب والخلاص والفداء .

فعقيدة صلب المسيح مرتبطة – كما قلت – بعقيدة الخلاص.

ويعتقد المسيحيون أن المسيح عيسى هو الله تجسداً – لله على صورة الإنسان – وحسب التصور المسيحى فإن عيسى يجب أن يموت لأن الآلاف من التضحيات لايمكن أن تخلص الإنسان من آثامه ، لكن تضحية المسيح وحدها هى التى تخلص البشرية من خطاياها.

والقول الفصل فى الإدعاء المسيحى فيما يتعلق بمسألة الصلب هو أننا لانجد أكثر إقناعاً من قول الله تعالى :– " وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم ، وإن الذين أختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن ، وما قتلوه يقيناً "(122) ، وقوله تعالى : " إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافع إلىَّ ومطهرك من الذين كفروا "(123).

والآن وبعد عرض وتحليل ونقد بعض القضايا الجدلية / الكلامية / اللاهوتية فى الحوار الدينى والعقدى بين الإسلام والمسيحية .. ماهو دور المؤتمرات والندوات واللقاءات فى حل لغز الحوار والوصول إلى خطاب شامل / عام يجمع بين الطرفين فى بوتقة واحدة من أجل رفعة الإنسانية ؟ تلك هى سطور الصفحات التالية .

---

(122) سورة النساء : آية 157 .

(123) سورة آل عمران : آية 55 . إستدراك : أورد لنا الشيخ شلتوت (شيخ الأزهر السابق) فى كتابه الفتاوى – دراسة لمشكلات المسلم المعاصر فى حياته اليومية والعامة (مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف) – القاهرة – الطبعة الأولى 1959م – ص 54 وما بعدها – ما يفيد ان القرآن الكريم عرضٌ لعيسى عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه فى ثلاث سور:آل عمران – آية 53/52 ، النساء – آية 158/157، المائدة – آية 117/116، كما أورد معنى كلمة التوفى ومعنى رفعه الله إليه وما إلى ذلك من مسائل الخلاف بين الإسلام والمسيحية (فليراجع).

رابعاً

حول مؤتمرات ومراكز الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية

قلنا من قبل إن الإدراك المتناهى للواقع المعاش البـــائس ، ووعـــى أبعاده وأخطاره المستقبلية على الإنسان ولّد الشعور بالحاجة إلى حوار بـــين الإسلام والمسيحية ، وقد أستجابت قيادات الفكر والروح فى هذا الدين وذلك لهذا الشعور بالحاجة إلى الحوار فكان أن تشكلت هيئات وعقدت مـــؤتمرات وملتقيات ومراكز بحوث أسهمت – ومازال – فى دفع الحوار إلى الأمام ، ومن أمثلة ذلك نذكر الآتى:-

1- لعل أول محاولة بروتـــستانتية لفهم الإسلام ودراسته وفهم مسألة العلاقة بينه وبين المسيحية قد تمثلت فى البرلمان العالمى للأديان الذى إنعقد فى إيفانستون بولاية أيللينوس عام 1893م والذى حضره ألكسندر راســـل وب وهو أول أمريكى مسلم ، وكان دبلوماسياً سابق وحمل أسم "مُحمد"، وكان أول مؤتمر مسكونى مسيحى يسبق تأسيس مـــؤتمرات الحركـــة التبشيرية ومهد له .

2- وخلال الفترة من 1971/1955م كان التركيز الكنسى يتمحـــور حـــول الجانب الإنسانى: الرغبة فى فهم الآخر وتقديره والحـــوار معـــه، أمـــا الجانب اللاهوتى فقد كان غائماً وشديد الضبابية وخصوصاً الموقف من تعدد الأديان ومن الحوار الدينى. وكان الجانب الرئيـــسى مـــن العـــداء للحوار فى الأصولية المسيحية / الغربية وهى قوية وغنيـــة ومنظمـــة خصوصاً فى أمريكا ، وهناك عرض لأبرز مؤتمرات مجلس الكنـــائس العالمى يقدمه د. سعود المولى ويسرد لنا حوالى أثنان وعشرون مؤتمراً تدور حول قضايا المحاورات الإسلامية / المـــسيحية ، وحـــوار بـــين الشعوب والمعتقدات الحية والأيدلوجيات Dialogue with people of

.[124]living Faiths and Ideologies "D.F.I. "

3- المؤتمر العالمى للأديان من أجل السلام "W.C.R.P." نظم مؤتمر كيوتو باليابان عام 1970م .

4- مركز دراسة الإسلام والعلاقات الإسلامية / المسيحية كليات سلسى أوك جامعة برمنجهام بريطانيا عقد أول مؤتمر سنة 1975م ، وحضره حوالى 120 مندوباً من 18 دولة من أجل الحوار وتطويره بين الكنائس المسيحية والمبادرات الإسلامية .

5- فى دعوة لصياغة برنامج نضالى مشترك وردت للمرة الأولى فى رسالة للإمام الشيخ محمد مهدى شمس الدين إلى مؤتمر الحوار المنعقد فى طرابلس الغرب فى ليبيا (فبراير 1976م) تستند إلى أن الإسلام والمسيحية ينطويان على قيم أخلاقية وإنسانية تصلح لبناء الإنسان وسعادته ، ولإقامة حوار يولد قيم جديدة لإكتشافات مساحات مشتركة كبداية إنطلاق لضرورة الحوار[125] كما قلنا .

6- عقد مؤتمر للحوار الإسلامى / المسيحى فى لبنان فى الخمسينيات حضره العلامة الشيخ الدكتور مصطفى السباعى ، كما شارك وفد من رابطة العالم الإسلامى برئاسة الشيخ محمد على الحركان رحمه الله فى السبعينيات من القرن العشرين فى حوار مع الفاتيكان وكرادلته وكان فى الوفد عدد من العلماء والمفكرين منهم د. محمد معروف الدواليبى والأستاذ محمد المبارك ، وكان الحوار عن حقوق الإنسان بين الإسلام والمسيحية ، كما نظمت الجماهيرية العربية الليبية عن طريق جمعية الدعوة الإسلامية بها حواراً أخر مع الكنيسة حول أربع موضوعات بين

---

(124) د. سعود المولى : الحوار الإسلامى المسيحى .. ص 164/163.

(125) نفس المرجع السابق .. ص 235.

الإسلام والمسيحية . كما شارك د. يوسف القرضاوى فى بعض الحوارات مع المستشرقين فى مؤتمر عقد فى باريس فى أكتوبر عام 1994م من منطلق أن التفاعل الثقافى حوار بين ثقافتين على أرض واحدة ، وأهم ما فى هذا الحوار أن يكون متكافئاً من حيث التأثير والتأثر بحيث لايستبيح إحداهما الأخر أو يجور عليه ، وهى أرقى درجات الحوار بين الحضارات الإنسانية[126]. وفى لقاء أخر فى مدينة كولن الألمانية عقد مؤتمر نظمه الدكتور عبد الجواد فلاتورى رحمه الله ، وقد إشترك فى الوفد المصرى الشيخ محمد الغزالى رحمه الله والدكتور محمود حمدى زقزوق (وزير الأوقاف) وعدد من علماء الأزهر وحدث تفاهم وتقارب وتعارف أحسبه يفيد الطرفين[127] .

7- وفى المؤتمر الأول لبطاركة الشرق الكاثوليك فى بكسفيا بتاريخ 19-24 إبريل 1991م ألقى الآب مايكل فيتز جيرالد الأمين العام للمجلس البابوى للحوار كلمة حارب فيها العلمانية ووصفها بالـ (الخرقاء) وتساءل .. كيف يعتبرها العالم المسيحى منارات إقتداء؟ وما السر فى تقديم الإسلام بأعتباره (الجهاد) وجعل الجهاد مرادفاً للحرب والقوة والعنف فى مقابل تصوير المسيحية على أنها السلام والمحبة ؟[128] .

8- وفى ندوة عقدت فى واشنطن بتاريخ 1994/8/28م بدعوة من مجلس سياسة الشرق الأوسط حول إنبعاث الإسلام أو الصحوة الإسلامية تحدث جون أسبوزيتو مدير مركز التفاهم الإسلامى المسيحى فى جامعة جورج

---

(126) د. يوسف القرضاوى : ثقافتنا بين الأنفتاح والإنغلاق – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى – 2000م – ص 51 ، 64 .

(127) نفس المرجع السابق : ص 53 .

(128) الآب مايكل فيتز جيرالد : مجلة الغدير – المجلس الإسلامى الشيعى الأعلى – بيروت – لبنان – العدد 88/17 – ابريل 1994 / ص 26-40 .

تاون Georg Town عن التعددية والمشاركة السياسية وإن القمع يولد الراديكالية[129].

9- أقيمت ندوة الحوار الوطنى بالقاهرة عام 1994م بعنوان : "المصالحة عند مشارف المستقبل " وألقى الأستاذ ذ مرقص وهو قبطى وباحث إجتماعى فى شئون التنمية كلمة قال فيها .. " نحن نقبل بهيكلة الحوار فى إطار الإسلام الحضارى الذى نشارك جميعاً مسلمين ومسيحيين ، متدينين وعلمانيين فى صياغة مضمونة للتحرر من صراعات الماضى والإتجاه نحو المستقبل "[130].

10- ونختم سرد المؤتمرات والندوات التى دارت عن الحوار وأهميته باللقاء الإسلامى – المسيحى عن " المسلمون والمسيحيون فى المجتمع المعاصر – صور الآخر ومعنى المواطنة " – عمان – الأردن 1998م – المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية – مؤسسة آل البيت بالتعاون مع المركز الأرثوذكسى للبطريركية المسكونية القائم قرب جنيف بسويسرا[131] .

11- وفى أمريكا نجد أشهر محاورات القرن العشرين بين القس الأمريكى جيمى سواجارت والدكتور أحمد ديدات مدير المركز الإسلامى بجنوب

(129) د. سعود المولى : الحوار الإسلامى المسيحى – ص 48 .

(130) نفس المرجع السابق – ص 143/142 .

(131) المطران جورج خضر : أفكار وآراء فى الحوار المسيحى الإسلامى والعيش المشترك – ص 151

إستدراك : الإسلام فى سويسرا والمسلمون السويسريون وقضية الهوية الدينية الحضارية موضوع ندوة أقامتها سفارة مصر فى سويسرا خلال شهر سبتمبر 2000م وتحدث فيها الدكتور / السيد الشاهد استاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر وبدعوة من سفير مصر فى سويسرا العديد من المسئولين والمفكرين ورجال الدين الإسلامى والمسيحى كان الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية مجدياً للغاية . (جريدة الأهرام – صفحة الفكر الدينى – بتاريخ 2000/9/7م ، ص 10) .

أفريقيا ، وهذا القس باعترافه لم يكن يعرف الكثير عن الإســـلام ودرس الإسلام فى شهور قليلة بشكل شخصى، ويقول إن المسلمين مـــن أكثـــر الناس كرماً على وجه الأرض ، وأن أكثر الديانات تأثيراً فى عالم اليوم هما : المسيحية والإسلام ، والقس لايؤمن بالقرآن كلام الله ولا بمحمد ﷺ رسول الله !! ويؤمن بأن الإنجيل هو كلمة الله الوحيدة ويعارضه د. أحمد ديدات ويقول إن القرآن كلام الله لأنه ليس محرفاً ويذكر القس سواجارت أن المسيح هو الأبن المتفرد الوحيد وأعتمد على نصوص مـــن إنجيـــل يوحنا ، وإن الرب لم يكتب أبداً كلمة الرب ولا أحد يقول إن الرب هـــو الذى كتب الإنجيل ، والرب لـــم يكتب أبداً ولايوجد مسيحى واحد يقـــول هذا ، والإنسان هو الذى كتب بوحى من الروح القدس كما يـــروى لنـــا سمعان بطرس ، وهذا إعتراف منه أن الإنجيل ليس كلام الله بـــل كـــلام أصحاب الأناجيل الأربعة كما سبق القول .

ولايوجد أى كتاب على وجه الأرض تعرضـــت نـــصوصه بالنقـــد والتعريض مثلما تعرض الإنجيل ويقول القـــس عن الإنجيل إنه أقدم كتاب ، وكتب منذ حوالى 3500 عام مـــن وجهة نظره ، وان أخر الكتب دوّن بعد حوالى 100 عـــام من هـــذا التاريـــخ وكتبه الحـــوارى يوحنا ونقـــــول مادام النص محـــرف فالعقيدة محرفة إذن هى ليست كلمة الرب والكل باطل. ولكنه يبرهن ان عقيدته ليست باطلة فالله عظيم القدرة .. ويحفظ العهد القديم والعهد الجديد !!

المهم فى الأمر أن المحاورات والمناظرات يجب أن تنبع من دراسة الكتب المقدسة دراسة وافية من كل الجوانب دون ظلم أو عدوان، وهنا نجـــد د. موريس بوكاى "طبيب فرنسى" يقرر أن القرآن وقد أتـــى بعـــد المـــسيح بقرون ستة أو يزيد يتناول معطيات عديدة جـــاءت فـــى التـــوراة العبريـــة

والإناجيل ، ولذلك يذكر كل من التوراة والإنجيل كثيراً ، والقرآن يوصى كل مسلم الإيمان بالكتب السابقة عليه(132) ، مصداقاً لقول الله تعـالى: ﴿ يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾(133) وهكذا فإن القرآن يؤكد المكانة البارزة التى يحتلها رسل الله فى تاريخ التنزيل مثل نـوح وإبـراهيم وموسى والأنبياء خاصة المسيح الـذى يحتل مكـانة بارزة بينهم . والقرآن مثل الإناجيل يقدم ميلاد المسيح كفعل خارق يفوق الطبيعة – كما قلنا مـن قبل – ويخص بالذكر أيضاً السيدة مريم ويطلق فى القرآن الكـريم سـورة بأسمها وهى تحمل رقم 19 فى سورة مريم .

ويقول بوكاى : "إن هناك بعض الأوساط المسيحية تحتقر المسلمين!! ولقد خبرت هذا حين حاولت إقامة حوار من أجل دراسة مقارنة حول عـدد من الأخبار المذكورة فى القرآن والتوارة معاً فى موضوع واحد ، ولاحظت الرفـض التـام للنظر بعين الأعتبار المجرد المتأمل " أما اليوم يبـدو أن هنـاك تغييراً جـذرياً تحقق على أعلى مستوى فى العالم المسيحى فالوثيقة التى طبقتها سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسلمين إثر مجمـع الفاتيكـان الثانى بعنوان : "توجهات لإقامة حوار بين المـسلمين والمـسيحيين" (134) ، تشهد بعمق التحول فـى المـواقـف الرسمية .

وأورد لنا بوكاى البنود الهامة لتلك الوثيقة من أجل إقامة حـوار مسيحى – إسلامى فلقد أهتمت الوثيقة بمايلى :-

---

(132) موريس بوكاى : القرآن الكريم والتوراة والأنجيل والعلم – دراسة الكتـب المقدسـة فـى ضـوء المعارف الحديثة – دار المعارف – مصر – ص 6 – مترجمة عن الفرنسية بعنـوان : La Bible le caran et la Science par Maurice Bucaille – Paris – 1978

(133) سورة النساء : آية 136 ، أنظر أيضاً : سورة البقرة : آية 285.

(134) وهى التى طبعت للمرة الثالثة فى عام 1970 بعنوان فرنسى :- Oriontations pour un dialague entre chretiens et Musulmens. يراجع ص7 ، 8

أ- الإعتراف بمظالم الماضى التى أرتكبها الغرب ذو التربية المسيحية فى حق المسلمين

ب- إنتقاد مفاهيم المسيحيين الخاطئة عن الحتمية الإسلامية وحرفية الإسلام وتعصبه.

ج- التأكيد على وحدة الإيمان بالله عند الجماعتين .

ولكن دون محاولة تبريرية لتشابهه الأحاديث النبوية فى الإسلام بالأناجيل الأربعة لدى المسيحية (135) كما يحاول موريس بوكاى رغم موضعيته فى دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة وثناؤه على القرآن الكريم .

1 – حوار الحضارات من التصادم إلى التدافع :-

.. هناك تساؤل يفرض نفسه على الباحث .. هل الحضارات اليوم فى تصادم أم تدافع أم تحاور ؟ والإجابة عليه تجعل من قضية الحوار أطروحة من الأطروحات التى تفرض نفسها على ساحة الفكر الإنسانى بصفة عامة وساحة الفكر الفلسفى بصفة خاصة وساحة الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية بصفة أخص فهى قضية الأمس واليوم وغداً.

---

(135) لمزيد من التفاصيل يراجع – المرجع السابق – ص 10 ، 11 ، 65

<u>إستدراك :</u> فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أنشأ المبشرون الكاثوليك مجموعة من المراكز العلمية فى البلدان العربية (أغلبية مسلمين وأقلية مسيحية / مثل جامعة القديس يوسف الكاثوليكية فى بيروت (الجزويتيون / اليسوعيون) والمعهد الدومينيكانى للدراسات الشرقية فى القاهرة ، ومعهد دراسات الآباء البيض وهى جمعية من الكهنة الكاثولوليك أسسها الكاردينال لافيجرى أسقف الجزائر للعمل فى أفريقيا وفى تونس (1868م). وهى تمثل اليوم مفاصل رئيسية للحوار الإسلامى / المسيحى (يراجع فى ذلك : أليكس جورافسكى – الإسلام والمسيحية – ترجمة د. خلف محمد الجراد ومراجعة د. / محمود حمدى زقزوق – ص 135 – سلسلة عالم المعرفة – العدد 215 نوفمبر 1996م) .

وهنا تبرز الأهمية الكبرى للدين فى حياة الإنسانية وأنـــه يمكـــن أن يؤدى دوراً أساسياً فى تهدئة الصراعات بين الشعوب والأمم ، لأن هذا الدور هو جوهر الأديان بأعتبارها فى الأصل رسالة حب وسلام تجمع بين النـــاس بلا تفرقة ولاتحيز ولاتعصب .

ومن تحليلنا للربط بين زيارة البابا يوحنا بولس الثانى بابا الفاتيكـــان ورأس الكنيسة الكاثوليكية فى العالم الغربى إلى منطقة الشرق الأوسط (العالم العربى) وبين تحركات وتصريحات وبيانات ومواعظ البابا ، تمثل رداً عملياً براجماتياً وناجماً فى مواجهة الدعوات السلبية التى أنطلقت فـــى الـــسنوات الأخيرة والمبشرة بما يسمى بصدام الحضارات على أسس دينية ومذهبيـــة ، وهى الدعوات التى تبلورت فى مقالة المؤرخ وعـــالم الـــسياسة الأمريكـــى صموئيل هانتنجتون (1993) [136] ، وأثارت ردود فعل واسعة فى العـــالم ، وأخطر ما فـــى هـــذه الفكرة – التى نشرت فيما بعد فى كتاب – أنها راحت تتخيل بناءً هيكلياً لنظام العالم الجديد يقوم على أساس إنقـــسام العـــالم فـــى المستقبل القريب إلى حضارات متصارعة بدوافع دينية وعقائدية .

ومن قبل نادى الأديب الإنجليزى الشهير كبلينج (1936/1865م) بـــأن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا ، والغريب أن هذا الأديب حصل على جائزة نوبل عام 1907م إذن مقولة صموئيل هانتنجتون بخصوص صراع أو صدام الحضارات تذكرنا بمقولة كبلينج ، فهل هى مجرد مـــصادفة أن يبـــدأ القرن العشرين بمقولة كبلينج وتنتهى بدعوى هانتجتون ؟. تساؤل يطرحـــه الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق (وزير الأوقاف) [137] ، ويقـــول إن

---

(136) مدير معهد أدلن للدراسات الأستراتيجية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية .

(137) د. محمود حمدى زقزوق : مقال بعنوان قضايا وآراء – جريدة الأهرام القاهريـــة ، عـــدد يوليـــو 2000م ص10.

من المعروف إن كبلينج كان مشبعاً بالأفكار الأستعمارية عندما أطلق مقولته، ولكن الظروف والأحداث قد تغيرت وإنحصر المد الأستعماري في صورته القديمة ، ولعل هانتجتون يكون هو الأخر مشبعاً بالأفكار الأستعمارية مثل سلفه في صورتها الجديدة التي تكتسي ثوب العولمة وتتشح بـرداء النظام العالمي الجديد كما سنرى فيما بعد . ولكن وبصرف النظر عن خلفيات مقولة الأديب الأنجليزي والمفكر الأمريكي ، فإننا نرى إن الحضارة الإسلامية وبوصفها إحدى حضارات الشرق الكبرى – حضارة عميقة ضاربة في أعماق التاريخ ، ويجب أن نسمي الأمور بمسمياتها ولاننكر أن هناك من يشعرون بنوع من النشوة بالتلذذ بأزمات الآخرين ، هذا لو أفترضنا بأن المسلمين حالياً في أزمة من أزمات دورات التاريخ (على حد قول فلاسفة التاريخ) ولكن ليس معنى هذا بالضرورة إن الإسلام في أزمة دائماً ، فهو بخير ويشق طريقه في مختلف القارات متطلعاً إلى إنقاذ البشرية داعياً إلى قيم الحق والخير والجمال والأمل في المستقبل .

ولقد تخلصنا من الصراع الطبقي بالعدالة الأجتماعية ، وسنتخلص من صراع الحضارات بتدافع الحضارات ، لأنه ليس هناك صراع حضارات كما يدعي الغرب بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب ، فقد أعطى الله سبحانه وتعالى الإجابة الدائمة والحاسمة فيها من خلال آيات القرآن الكريم ، وهي أن هناك تدافعاً بين البشر حيث يقول الله تعالى : – ﴿ ... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [138] .

هذا هو التوجه الآلهي الذي يجب على العالم أن يفكر فيه جيداً اليوم فيما أنزله الله تعالى في قرآنه منذ خمسة عشر قرناً من الزمان ، من هنا نؤكد أن الحضارة الإسلامية في جوهرها تقوم على أساس إسلامي / عقدي ، والذي

---

(138) سورة البقرة : آية 251.

ينص على أن الأرض ستفسد إذا ألغى التدافع والتدافع فيما يعنـــى التـــسابق والتنافس نحو الخير وفى إطار التعارف الإنسانى والتعاون البناء كما جاء فى قول الله تعالى مخاطباً كـــل البـــشر: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (139) وفى قولـــــه تعالى : ﴿ ... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (140) . فالشرق والغرب ، والإسلام والمسيحية لابـــد وأن يكون بينهما نقاط إلتقاء كما ذكرنا من قبل من خلال حـــضارة الـــشرق وحضارة الغرب ، وتشابك وتداخل الثقافات دون قطيعة معرفـــية ، ولكـــن دون الوصول أيضاً إلى حد الذوبان فى الأخر فهناك دائماً تمايز حـــضارى سيظل قائماً ومن شأنه أن يهيئ المناخ لتفاعل إيجابى خـــلاق لحـــوار بـــين الحضارات يسهم بشكل فعال ومجدى فى خدمة قضايا البشرية وأولها السلام والأمن العالميين .

والحوار المتبادل وإسلوب التقديم والتعقيب والوضوح والنقد بـــشكل مركز وعميق تمثل أربعة ركائز وأطروحات نحسبها مجدية فـــى الحـــوار الدينى بين الإسلام والمسيحية . وما ندعو إليه هو تحول فرضية الصراع أو الصدام إلى حوار / مهادن / متفاهم / مقنع لتعود مرجعية التوازن العادل بين الشرق والغرب ، والواقع أن الغرب هو الأقوى الآن على الأقل فى التقـــدم التكنولوجى وثورة المعلومات ، وفى المقابل نجد الشرق هو الأقوى روحانياً وأخلاقياً وسلوكاً.

وإذا كان الشرق فى حالة مرحلة الصحوة والصعود والإرتقاء ، لـــذا يجب أن نستفاد من حالة الصحوة هذه بفتح ملف الحوار فى سياق المـــصالح

---

(139) سورة الحجرات : آية 139 .

(140) سورة المائدة : جزء من آية 2 .

المشتركة وتبادل الآراء وأن نؤمن بأن الشمال بحاجة إلى كثير مما عند الجنوب ، والجنوب مفتقر إلى كثير مما عند الشمال والشرق محتاج إلى كثير مما عند الغرب ، والغرب أيضاً يحتاج إلى كثير مما عند الشرق .. ذلك هو حوار الثقافات وتدافعها وليس صراعها .

2 – حوار الثقافات أم صراع الثقافات ؟

... إن الصراع الآتى فى المستقبل المتطور سيكون بين الثقافات فى المقام الأول بعيداً عن القوميات والعقائد والمصالح الأقتصادية المتعارضة والسياسات المتنوعة ، وإذا كانت هذه أحدث مقولات الفكر السياسى الأمريكى الآن بعدما هدأت أو تراجعت مقولة (نهاية التاريخ) التى أطلقها فرانسيس توكوياما فى كتابه إبان إنشاء الإدارة الأمريكية السابقة وحديثها عن نظام عالمى جديد (العولمة) [141] وفى أعقاب إنهيار الأتحاد السوفيتى

---

(141) العولمة Glabalization أو الكونية وهى العملية التى يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب التى تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزؤ إلى حالة الأقتراب والتوحد ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق .. (أنظر فى ذلك : د. أحمد مجدى حجازى مقال بعنوان : العولمة وتهميش الثقافة الوطنية – رؤية نقدية من العالم الثالث – مجلة عالم الفكر – المجلد 28 – العدد الثانى ، أكتوبر / ديسمبر 1999م – الكويت – ص126 أنظر أيضاً : فى نفس العدد : مقال الدكتور / عبد الخالق عبد الله بعنوان / العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها . ص 39 وما بعدها) ونرى أن أغلب أوجه العولمة إقتصادى وهى تختلف بلاشك عن العلمانية Secularism وبالفرنسية Laique وأصلها الرومانى (لاييكوس) أى الذى ينتمى للشعب وأصلها اليونانى Seculum ومعناها الحرفى الزمنية أو الدنيوية وتستخدم بمعنى فصل الدين عن الدولة .. (يراجع فى ذلك : د. رفعت السعيد – العلمانية بين الإسلام والتأسلم – كتاب الأهالى ، العدد رقم 65 يوليو2000م – ص11 وما بعدها ، والوجه الأقتصادى للعولمة بالنسبة للعالم الثالث هى السيطرة الكاسحة لرأس المال الغربى على اقتصاديات العالم الثالث ووضعه بين فكى الكماشة .. (يراجع فى ذلك : محمد قطب : المسلمون والعولمة – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى 2000م – ص 10) . والعولمة مصطلح غامض اخطبوطى يشمل الأقتصاد والسياسة والفكر والدين والأخلاق والثقافة والفلسفة والعادات والتقاليد . وبخصوص الحوار والتحديات الراهنة بين السنانة Cnnization والكوكبة أو الغولمة Glabalism وبما تحمله

والسقوط الشيوعى المدوى ، ومع بدء تصورات عالم ما بعد الحرب الباردة خرج عن المألوف الحوارى واحد من أشهر علماء السياسة الأمريكية وهو صموئيل هانتجتون حيث مضى يدق جرس الأنذار محذراً من سيناريو الصراع الحضارى[142] فى الوقت الذى ند فيه دعاة للحوار وليس للصراع ، بعد أن أصبح العالم اليوم قرية صغيرة – بل غرفة مغلقة.

– بسبب ثورة الإتصالات والتقدم التكنولوجى وعصر الكمبيوتر والإنترنت والإميل والموبايل ، وأصبحت التفاعلات والحوارات بين الشعوب والثقافات فى مختلف الحضارات تزداد بصورة كبيرة ، الأمر الذى يكثف ظاهرة الوعى الحضارى ، وحيث أن التغيرات الإجتماعية والأقتصادية تفصل الناس عن هوياتهم المحلية التى يعتادوا عليها منذ فترة طويلة ، فإن الظاهرة الدينية تحركت فى مناطق عديدة فى العالم لتملأ هذا الفراغ متخذةً شكل الحركات (الأصولية) وهذه الحركات تنتشر الآن فى المسيحية الغربية والإسلام الشرقى ، ونرى أنها من الأسباب التى تعوق تطور حركة الحوار ، وفى الوقت نفسه كان ظاهرة العودة إلى الجذور أو الأصول (الراديكالية) تحدث أيضاً بين أبناء الحضارات غير الغربية فظاهرة (الآسينة) من العودة إلى الجذور الآسيوية واضحة فى اليابان

من تأثيرات على القيم والعلاقات والثقافات الوطنية م ، يبرز الحاجة إلى حوار متبادل ومتساو بين الثقافات الإنسانية المعاصرة والأديان السماوية .

أنظر فى ذلك : د. يوسف الحسن : الحوار الإسلامى المسيحى – الفرص والتحديات – منشورات المجمع الثقافى Cultural Faundation Publications – أبو ظبى – الأمارات – الطبعة الأولى 1997م – ص48 وما بعدها.. (والكتاب يتناول الإنتقال من التحديات والصعوبات والتوجهات الى الرؤية الإسلامية للحوار بين الإسلام والمسيحية – مؤكداً على التفاعل المشترك نافياً لنظرية صدام الحضارات والثقافات) .

(142) فهمى هويدى : مقال بعنوان – المسلمون سيناريو الصراع بين الحضارات – مجلة المسلم المعاصر – العددان 67 ، 68 ، السنة السابعة عشر ، فبراير / يوليو 1993 ، ص 5 وما بعدها.

مثلاً ، كذلك الهند تتجه إلى الهندوسية كما أن (أسلمة) الشرق الأوسط ماضية على قدم وساق[143] ... وهكذا .

وفى الوقت الذى أختفى فيه الأنقسام الأوروبى الأيديولوجى (بين الشيوعية والرأسمالية) فإن الأنقسام الأوروبى الثقافى بين المسيحية الغربية (الكاثوليكية) والمسيحية الأرثوذكية والإسلام عاد للظهور ثانية فى تلك القارة، فالصراع بين الحضارتين الغربية والإسلامية مستمر منذ أربعة عشر قرناً ولايبدو أنه فى طريقه إلى التلاشى ، والشواهد على ذلك ما يجرى عند الحدود الشمالية للحضارة الإسلامية وقد بدأ الصراع يتفجر بصورة متزايدة بين الأرثوذكس والمسلمين (وما حدث فى البوسنة والهرسك يدخل فى هذا الإطار) ، وكذلك العنف الواصل إلى نقطة الغليان بين الصرب والألبانيين والأقلية التركية فى بلغاريا والمذابح المتواصلة فى الشيشان وغير ذلك . وطريق التلاشى يبدو فى الحوار مع الآخر بالشكل اللائق وليس ذلك هو أسوأ ما فى الأمر لأن الأسوأ – من وجهة نظر فهمى هويدى – يتمثل فى إفتقار ذلك العالم الكبير إلى الحد الأدنى من المعرفة بموقف الإسلام وفهمه – من الحضارات الأخرى غربية كانت أو شرقية إذ تزعم فى هذا الصدد إن الإسلام كدين سماوى هو الأسبق وإن لم يكن الأوحد الذى قدم إطاراً عقيداً واضحا للعلاقة والتحاور مع الأخر[144] . ومن ثم فالعلاقة الصراعية التى إنطلق منها هانتجتون لايعرفها الفكر الإسلامى السوى ، وما يعرفه هو الحوار والدفع والجدل بالتى هى أحسن كما سبق القول .

وحول ظاهرة العولمة والحوار نجد د. تيودور يقرر أن عالمنا اليوم تشد روابطه عوامل علمية وتقنية وإقتصادية مختلفة تحاول أن تقيم على هذه

---

(143) نفس المرجع السابق – ص 7.

(144) نفس المرجع السابق – ص 9.

الأرض وحدة ثقافية وحضارية لجميع الشعوب والبلاد ، فظاهرة العولمة هـذه تشمل المسيحيين والمسلمين فى مختلف جماعاتهم وبلدانهم وتنبههم إلى واجبهم فى التأثير على مسيرة العولمة لكى لاتتسلط عليها الوجهة الأقتصادية فحسب بل تكون موطناً للقيم والتوجهات الأخلاقية : بنمو فيها السلام والعدالة وإحترام كرامة الأنسان ويحمل المسيحيين والمسلمون فى هذه المسيرة مسئولية خاصة إذ تربطهم بعضهم ببعض أواصر القربى وإن كانت علاقاتهم ترزح هنا وهناك تحت عبء الماضى المثقل بالمنزاعات وتحت غوامض الحاضر ومغيبات المستقبل ، ومن هنا لابد من أن يضطلعوا بدورهم فى مسيرة البشرية وتطوير العلاقات من مرحلة الصدام أو النزاع إلى مرحلة الحوار السلمى المتفتح ومنها إلى مرحلة المرافقة والتعاطف والتضامن خصوصاً إذا كانوا يعيشون فى بلد واحد (مثال مصر ولبنان) ولكى تكلل مثل هذه المساعى بالنجاح فلابد من إقامة حوار رصين واع بين المسلمين والمسيحيين ولايقوم هذا الحوار إلا إذا كان المسيحيون لهم إدراك دقيق بدين الإسلام وقيمه الأخلاقية ونظمه الأجتماعية ، وإذا كان المسلمون لهم إدراك دقيق بدين المسيحية فى معتقداتها ونظمها وأخلاقياتها(145).

3ـ دور الفاتيكان فى الحوار الإسلامى/ المسيحى :ـ

ولو تتبعنا مسيرة الحوار فى القرن العشرين سنجد أن هناك تطوراً فى الحوار بين مجالس الكنائس المسيحية والمبادرات الإسلامية . وإن الحركات التبشيرية العالمية المتصاعدة منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى نهاية العشرين تحولت إلى معطى سياسى / ثقافى / إجتماعى يخترق البنية المجتمعية العربية / الإسلامية وكانت إحدى أسباب إعاقة الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية ، بالأضافة إلى الإلتباس الثانى فى إطاره العام والصراع بين الشرق

---

(145) د. عادل تيودور خورى : الإسلام فى عقيدته ونظامه – مرجع سابق – المقدمة ، ص 8/7

والغرب وبين المنظومتين الأشتراكية والرأسمالية[146] .

ولا ينفصل الكلام عن الحوار وعن أعمال مؤسسات وهيئات الحوار فى الجانب المسيحى عن عنوان : "الحركة المسكونية"[147] ، والمجامع الكنسية، والبعض يرى ان حركات التبشير العالمية من خلال مجالس التبشير ومؤتمراته الأستفزازية تقف حجر عثرة أمام الحوار مع الأخر إلى اليوم. وهنا يبرز السؤال .. ماهو دور الفاتيكان فى الحوار الإسلامى / المسيحى ؟

لقد كان العالم العربى قد أستقر على إستقلالات وطنية وبرامج ومشاريع تنموية وهدنة أهلية وصراعات عربية / عربية (حوار الذات قبل حوار الآخر) وكانت الولايات المتحدة الأمريكية منشغلة بالحرب الباردة والأزمة الكوبية والتدخل فى فيتنام وحركات السود والطلاب ومقتل الرئيس كينيدى ... إلخ .

فى نفس الوقت تصاعد الحوار العربى / الأوروبى مع تصاعد وزن ودور أوروبا (مثال الجنرال ديجول) ودور ووزن حركة عدم الإنحياز إلى إستقراء التجربة اللبنانية إلى تصاعد الصراع فى الأراضى المقدسة وحولها (قضية فلسطين) وإستناداً إلى الوثيقة الرئيسية الصادرة عن المجمع الفاتيكانى الثانى (1962/ 1965) وهى بعنوان :- Nostra-Actate أخذت الكنيسة

---

(146) د. سعود المولى : الحوار الإسلامى المسيحى – ص 127 .

(147) ولفظة مسكونية كانت تدل على الأرض المسكونة وهى فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين كانت تمثل الأمبراطورية اليونانية والرومانية ، وبهذا المعنى يطلق على البطريرك الأرثوذكسي فى القسطنطينية (العاصمة الثانية للأمبراطورية الرومانية) لقب البطريرك المسكونى ، أما على مستوى الكنيسة تدل صفة المسكونى (ومسكونى) على لقاءات الأساقفة على هيئة مجامع للبحث فى المسائل المختصة بالكنيسة كلها . (لمزيد من المعلومات يراجع : الآب روبير كليمان اليسوعى : تاريخ الحركة المسكونية – دار الشروق – بيروت – الطبعة الأولى 1990/ ص 17 ومنذ مطلع القرن العشرين استعمل لفظ مسكونية لوصف الجهود المبذولة لجمع شمل المسيحيين فى كنيسة واحدة – يراجع فى ذلك : د. سعود المولى – الحوار الإسلامى المسيحى – ص128 وما بعدها) .

الكاثوليكية المبادرة على المستوى المسكونى كما قلنا من قبل ، وعلى مستوى الحوار الإسلامى المسيحى وإعتماداً على الفقرة التالية الواردة فيها ونصها : " إن الكنيسة تنظر نظرة تقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الأحد الحى القيوم الرحمن الرحيم القدير فاطر السموات والأرض وقد ألقى كلمته إلى البشر وإنهم يجتهدون فى الإستسلام والخضوع الكلى لأوامر الله حتى الخفية منها ، كما خضع (سيدنا) إبراهيم الذى يفخر الإسلام بالأنتساب إليه وإنهم يجلون يسوع (المسيح) كنبى وإن لم يعترفوا به كإله ويكرمون مريم أمه العذراء كما أنهم يدعونها أحياناً بتقوى ... وعلاوة على ذلك فهم ينتظرون يوم الدين والبعث والحساب ويلتزمون الحياة الأخلاقية ويؤدون العبادة لله لاسيما الصلاة والزكاة والصوم والحج " (148) .

وإستناداً على توجيهات البابا بولس السادس فى رسالته العامة (كنيسة المسيح – آب 1964) وإلى التوجهات العامة من أجل حوار مع المسلمين الصادرة عن أمانة السر للعلاقات مع غير المسيحيين ، إنطلقت مبادرات الحوار فى منتصف الستنيات محكومة عليها بالهواجس الكاثوليكية (والأوروبية عموماً) فى الإنفتاح على العالم العربى – الإسلامى بعد صمود الناصرية وإتساع الموجه التحررية الأستقلالية لتشمل آسيا وأفريقيا ، وإندلاع النزاعات الثورية من أمريكا اللاتينية وتورط واشنطن فى الهند الصينية ووضوح خيار الوحدة الأوروبية والمصالح الأوروبية المستقلة وحوار ضفتى المتوسط .. إلخ .

لذا حق القول بإن المجمع الفاتيكانى الثانى كان نقطة إنعطاف تاريخية إذ أنه أسس لمرحلة تاريخية جديدة من الحوار ومن العلاقات الإسلامية / المسيحية .

---

(148) د. سعود المولى : الحوار الإسلامى المسيحى .. ص137.

وقام البابا بولس السادس بالخطوة الجريئة الأولى حين خرج من الفاتيكان ومن إيطاليا فى أول رحلة يقوم بها حبر أعظم فى إتجاه الأراضى المقدسة (القدس 4-6-كانون الثانى 1964) حيث قابل مفتى القدس والملك الأردنى حسين بن طلال رحمه الله ، وفى 19 آيار 1964 أسس البابا أمانة سر العلاقات مع غير المسلمين كمؤسسة دائمة فى الفاتيكان للحوار مع المؤمنين من بقية الأديان ، وهى التى تحولت عام 1988م إلى المجلس البابوى للحوار بين الأديان .

ثم توالت الزيارات المتعددة للبابا فى مختلف البلاد والعواصم العربية الإسلامية ، وكان أخرها زيارته للقاهرة العام الماضى .

وقد أخدث المجمع الفاتيكانى الثانى ثورة روحية بكل معنى الكلمة إذ دعا إلى العودة إلى الأصل الإنسانى الواحد وإلى إعادة النظر فى التاريخ وتزكية الضمائر وإلى إطلاق تقييم إيجابى لما يعيشه المسلم ، وهذا الكلام يعود إلى الآب موريس بورمانس أحد أبرز العاملين للحوار فى الفاتيكان ، والذى يرى ان المجمع الثانى أطلق أيضاً نظرة جديدة فى العلاقات ما بين الأديان ، وإن هذا التطور التاريخى قد مهدت له جهود كثيرة سابقة أبرزها أعمال الآب لويس ماسينيون والآب جورج شحاته قنواتى وغيرهما(149) . ويعود الأهتمام الكاثوليكى بالحوار مع المسلمين إلى حقبة

(149) نفس المرجع السابق – ص 139 (وبخصوص جهود الآب جورج شحاته قنواتى ، أنظر د. عاطف العراقى : العقل والتنوير فى الفكر العربى المعاصر – قضايا ومذاهب وشخصيات – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – القاهرة 1998م – ص468/466 ، وقد قام أستاذنا الدكتور / عاطف العراقى بتحليل كتاب المسيحية والحضارة العربية للآب قنواتى والكتاب يكشف عن فكرة التأثير والتأثر وهى تعنى التواصل لا الإنقطاع فى مجال المعرفة الدينية وتحدث المؤلف عن الأسس المشتركة بين الديانتين المسيحية والإسلامية وعن مواطن الإلتقاء والأسس المشتركة للمقصد النهائى لأوجه التلاقى والحوار بين الإسلام والمسيحية) .

سابقة بالطبع على المجمع الفاتيكانى الثانى ، وإلى التعايش الفز الذى عرفته بلدان عربية مثل (لبنان ومصر) ، ولقد تأثر الكثير من المرسلين الكاثوليك بأعمال لويس ماسينيون فى الفترة ما بين الحربين ، وفى مصر أسس هو والآب جورج قنواتى ومن خلال معهد الد ات الدومنيكانى حركة حوارية عرفت بأسم جماعة الإخاء الدينى (1941م) التى أسست فى القاهرة دار السلام (1944م) ، كما أسس الفرنسيسكان مركزاً للحوار فى حى الموسكى بالقاهرة ، وينبغى هنا الإشادة إلى جهود الآب جورج قنواتى (1905-1994م) ودوره العظيم من خلال دير الآباء الدومينيكان (فى العباسية بالقاهرة) والمركز الدومنيكى للدراسات الشرقية .I.D.E.O والتى أسهمت فى التعريف بالفكر الدينى والفكر الفلسفي الإسلامى والمسيحى[150].

ويمكن لنا رصد السياسة الفاتيكانية فى الحوار عبر ثلاثة خطوط :

الخط الأول : إقامة العلاقات الدبلوماسية مع البلدان العربية / الإسلامي وتعزيز وتطوير هذه العلاقات ، وبدأ هذا مع لبنان ومصر (1947م) وتبادل الزيارات والمجاملات مع المؤسسات الدينية الرسمية ، وقد شهدت فترة السبعينات من هذا القرن تبادلاً للزيارات بين الفاتيكان وكل من المجلس الأعلى للشئون الدينية فى مصر (تمثيل سُنى) ، ورابطة العالم الإسلامى بالسعودية (تمثيل سلفى) ، والحوزة الدينية فى النجف الأشرف بالعراق (تمثيل شيعى) ؛ وهناك لقاءات بين شيخ الأزهر ورئيس الوفد الرسمي لمبادرة البابا بولس السادس بالقاهرة 1968م ، ولقاء آخر خلال العام الماضى كما ذكرت .

---

(150) د. سعود المولى : الحوار الإسلامى المسيحى – ص141/140 .

الخط الثانى : ويتمثل فى الأنشطة المشتركة مع المؤسسات الدينية الرسمية ، وهنا يمكن لنا ذكر بعض المؤتمرات والندوات التى عقدها الفاتيكان بالتنسيق مع رابطة العالم الإسلامى وذلك فى أسبانيا ، وقد بدأت بمؤتمر عام 1974م دعت إليه الجمعية الأسبانية للصداقة الإسلامي / المسيحي وشارك فيه الفاتيكان ومجلس كنائس أسبانيا ورابطة العالم الإسلامى ، وكان عنوانه إضافة إلى " تعارف أفضل " – " أزمة الإيمان فى العالم الحديث " وشاركت فيه وفود رسمية من 23 دولة .

- والمؤتمر الثانى إنعقد فى عام 1977م بعنوان : " محمد والمسيح فى الإسلام والمسيحية " وشارك فيه حوالى 200 شخص من عشرين دولة .
- والمؤتمر الثالث إنعقد فى مدريد عام 1978م بالتنسيق مع مكتب الإعلام بجامعة الدول العربية وكان موضوعه التعريف بالإسلام بطريقة أفضل فى كتب التعليم الدينى . وحتى عام 1985م توقفت المؤتمرات المشتركة على غرار توقف الزيارات الرسمية حين إنعقد المؤتمر الإسلامى / المسيحى لجمعية الصداقة الأسبانية فى قرطبة فى تشرين الأول 1985م ، تلاه إحتفال تشرين الأول 1986م فى الذكرى المئوية الثانية عشر بتأسيس جامع قرطبة (786م – 170هـ) .
- وعلى خط أخر شكل مؤتمر طرابلس الغربى 1976م مناسبة لبناء تنسيق رسمى بين الفاتيكان وليبيا تحولت إلى علاقة ثابتة بين المجلس البابوى للحوار بين الأديان من جهة والجمعية العالمية للدعوة الإسلامية من جهة أخرى (وهى جمعية ليبية المنشأ والتوجيه) ونتج عن ذلك عدة مؤتمرات تالية .

الخط الثالث : يتمثل فى الأنشطة المشتركة مع جامعات ومراكز وأبحاث نذكر منها – بالإضافة إلى ما سبق – الآتى :–

أ – جماعة الأبحاث الإسلامية / المسيحية G. R. I. C. ورئيسها د. سعد غراب وأمينها العام روبير كسبار وهو ولدت من لقاءات دينية – أصولية في دير سنينكا – فرنسا في صيف 1974م وتجتمع سنوياً حتى اليوم[151].

ب–جرى إتفاق تعاون بين جامعة أنقرة (تركيا) وجامعة الفاتيكان في عام 1988م تلاوة عقد عدة مؤتمرات إسلامية / مسيحية مشتركة حملت العناوين التالية :

– إيصال القيم الدينية إلى شباب اليوم 1989م .

– الدين ، والثقافة ، والتسامح ، 1990م .

– العلاقات الإسلامية / المسيحية 1991م .

ج– في عام 1974م بدأ مركز الدراسات والبحوث الأقتصادية والإجتماعية في الجامعة التونسية C. E. R. E. S ورئيسه د. عبد الوهاب بوحديبه – تنظيم ملتقيات حوار إسلامي/ مسيحي بالتنسيق مع الفاتيكان ومجلس الكنائس وكانت على التوالي بالعناوين التالية:–

– الضمير الإسلامي والضمير المسيحي تجاه مسائل التدين 1974م .

– معاني الوحي والتنزيل ومستوياتها 1979م .

– حقوق الإنسان 1982م .

– الروحانية من متطلبات عصرنا 1986م .

– مساهمة الأديان في السلام 1991م .

---

(151) نفس المرجع السابق : ص 145/143 (والدكتور / سعد غراب هو عميد كلية الآداب – جامعة تونس – متوية)

د- عقدت عدة مؤتمرات وندوات ساهم فيها الآب جورج شحاته قنواتى مساهمة فعالة وكانت تدور حول موضوعات الإستشراق وفلسفة العصور الوسطي ومقارنة الأديان ، والمقارنة بين الفلسفة العربية والفلسفة المسيحية ومن أشهرها – كما أوردها لنا أستاذنا د . عاطف العراقى [152] – على سبيل المثال :

- مؤتمر ابن سينا فى بغداد 1953م ، وفى طهران 1954م
- مؤتمر المستشرقين والمستعربين عقد فى أسطنبول عام 1951م ، وميونيخ بألمانيا عام 1957م.
- مؤتمر تاريخ الأديان بروما 1953م .
- مؤتمر بروكسل 1970م ، وباريس 1973م.

4. **المنهج الإسلامى للحوار مع المغاير (الآخر) :-**

إذا كان الحوار ضرورة حضارية (إسلامية / مسيحية) فإننا نجد فى السنوات الأخيرة إن دعوات الحوار الإسلامى / المسيحى قد تعاظمت ومبادراته تعددت بحيث شكلت حصيلة غنية بلاشك سواء على صعيد موضوعاتها وعناوينها ومؤتمراتها ، أو على صعيد أطرافها وميادينها ، فى المقابل نجد معاناة ونقص فى المنهجية والتصويب والإستجابة ، وفى غياب التراكم المعرفى والجهد التوثيقى – إفتقدت الأطر النظرية فى بلورة خبرات الحوار وتطوره [153]. وإن المطلوب من الحوار هو توليد قيمة تصلح لبناء حياة الإنسان وسعادته وكما قلنا من قبل إن الإنطلاق من المساحات المشتركة بين الإسلام والمسيحية يعطى للحوار زخماً خلاقاً وضرورة ملحة للعيش

---

(152) د. عاطف العراقى: العقل والتنوير فى الفكر العربى المعاصر – مرجع سابق – ص 56.

(153) د. سعود المولى : الحوار الإسلامى المسيحى – ص 25 .

المشترك ويبنى دولة واحدة لمجتمع سياسى واحد فى ظل مجتمع أهلى متنوع (مصر / لبنان / الجزائر) فى ظل قاعدة الكرامة والعدالة والمساواة للجميع ، كما تزايد – من جهة أخرى – الوعى بأن الدين شيئ والطائفية والمذهبية شيئ أخر ، وإن التعصب المذموم جهل مُتّ فى حين إن التعايش السليم أساسه معرفة وحرية وإن المعرفة والتضامن طريق إحترام الأخر وإحترام حقه فى الإختلاف ﴿ لكم دينكم ولى دين﴾ (154) ، ولقد صح قبول التنوع الدينى والمذهب الثقافى بإعتباره مصدر غنى وثروة لايجوز التفريط فيها ، والطريق الوحيد الصحيح لصوغ مشروع عربى حضارى للقرن الجديد لمنهج إسلامى للحوار مع المغاير (الأخر) من أجل أن نحقق حوار الحياة من أجل الحياة .

والإسلام صريح فى أنه لا إكراه فى الدين ، وهذا يدل أبلغ الدلالة على تسامح المسلمين الأولين الذين لم يفرضوا دينهم على الأمم التى فتحوها ، ولم يكرهوا الناس حتى يكونوا مؤمنين ، ولأن القرآن ينص على أنه لا إكراه فى الدين ولأن المسلمين الأولين تركوا النصارى واليهود والمجوس فى بلاد الشام والعراق ومصر على دينهم بقيت فى هذه البلاد إلى يومنا هذا طوائف لم تدخل فى دين العرب وهو الإسلام .

ولقد شعر أهل مصر بعد الفتح العربى الإسلامى بأنهم كانوا أكثر حرية فى تدينهم بمذهبهم المسيحى لما كانوا عليه حين كانوا خاضعين لسلطان الروم(155).

---

(154) سورة الكافرون : آية 6 .

(155) د. محمد حسين هيكل والبروفسير كرزويل وآخرون : إسلاميات – مودى جرافيك للنشر – مطابع الأهرام – الطبعة الأولى / القاهرة 1990م – ص 9.

أنظر أيضاً : د. مصطفى الفقى : الأقباط فى السياسة المصرية – دار الشروق – القاهرة الطبعة الأولى 1980م – ص 19.

ولقد أعتمد الحوار الإسلامى مع الآخر على **دعائم منهجية** مستمدة من القرآن الكريم نعددها فى الآتى :-

1. أعتبر القرآن الكريم أن الناس جميعاً خُلقوا من نفس واحدة وهناك وشائج أساسية تربط بينهم تنطلق من كونهم (أناس) ينتمون إلى أب واحد وأم واحدة وهنا نجد قول الله تعالى:-

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ... ﴾ (156)

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ... ﴾ (157)

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... ﴾ (158)

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ﴾ (159)

2. أعتبر القرآن الكريم إن لكل إنسان كرامته وحرمته بصرف النظر عن لغته أو جنسه أو لونه أو ثقافته ، وقرر إن الإنسان ذو نسب إلهى حيث نفخ الله فيه من روحه وجعله مخلوقه المختار وخليفته فى الأرض وهنا نجد قول الله تعالى :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ .. ﴾ (160)

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(161)

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (162)

---

(156) سورة النساء : جزء من آية 1.

(157) سورة الأنعام : جزء من آية 98.

(158) سورة الأعراف : جزء من آية 189 .

(159) سورة الزمر : جزء من آية 6 .

(160) سورة الأنبياء : آية 26.

(161) سورة الأسراء : جزء من آية 62 .

(162) سورة التين : آية 4 .

3. أعتبر القرآن الكريم من خلال نصوصه إن الإختلاف بين الناس سُنة من سُنن الله تعالى فى الكون ، وإن الله خلق الناس وأرادهم مختلفين وجعلهم شعوباً وقبائل لكي يتعاونوا ويتعارفوا ويتحاوروا لا ليتعاركوا ويتصارعوا، يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (163).

4. أعتبر القرآن الكريم إن للإختلاف والحوار والجدل قانون صارم ، وأعترف بالأديان الأخرى ولم ينكرها كما فعل الأخرون مع الإسلام، وأعتبر إن إيمان المسلم بأنبياء اليهود والنصارى هو جزء من سلامة الإعتقاد فهم من أهل الكتاب ضف إلى ذلك إن الإسلام أستوعب من عداهم بما فى ذلك الصابئة والمجوس واعتبرهم أهل ذمة ودعا الجميع إلى عدم التنازع فى الأمور الاعتقادية وردها إلى الله تعالى كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (164) .

وأكثر من ذلك تلاحظ لنا أن لفظة التوراة (كتاب اليهود) ورد فى القرآن الكريم (كتاب المسلمين) حوالى 18 مرة ، كما وردت لفظة الإنجيل (كتاب المسيحيين) حوالى 12مرة(165) .

5. وفى كل الأحوال فلقد نهى القرآن الكريم – المسلمين – عن العدوان على غيرهم وقرر صراحة ان الله لايحب المعتدين ، ودعا المجتمع الإنسانى

---

(163) سورة الحجرات : آية 13.

(164) سورة النساء : آية 59 .

(165) محمد فؤاد عبد الباقى : المُعجم المُفهرس لألفاظ القرآن الكريم – ص 158 ، ص 688 ، وغالباً ما يقترن التوراة مع الإنجيل مع الحكمة ، كما فى سورة آل عمران آية 48 / سورة المائدة آية 110 وأقترن القرآن الكريم مرة واحدة بالتوراة والإنجيل فى سورة التوبة : آية 111.

إلى التعاون على البر والتقوى على أعتبار أنه دين عالمى.

6. ان الآخر والحوار معه فى المفهوم والمنهج الإسلامى ليس عدواً ولا مناهضاً ولا هو فى مرتبة دونية وإلا كيف يتم الحوار إذ لم يكن بين ندين أو متكافئين . يعترف أحدهما بالأخر ويستمع إلى وجهة نظره بإحترام – فالإسلام ينكر المنظومات الأيديولوجية فى حضارات الرومان أو اليونان وحضارة الرجل الأبيض أمام الرجل الأسود ، وينكر من يدعون انهم شعب الله المختار ، وخير مثال على مرجعية الحوار ما كان فى زمن الرسول ﷺ عندما أيد حلف الفضول الذى أقامة نفر من قريش فى الجاهلية وهم يهود ، وقال انه لو أدركه لأيده كما سبق القول .

فالحوار كأصل ومبدأ فى الإسلام أمر لايختلف عليه أثنين وهو ليس ملحقاً ولاهامشياً نضيفه إلى مفردات وصياغات علم الكلام أو الفقة أو السياسة ، وبداهة فإنه ليس تكتيكاً براجماتيا أو حيلة تقتضيها ظروف تراجع قسرى .

والحوار بالنسبة للإسلام هو فى صلب العقيدة ، والقرآن الكريم يذكر آيات متعددة لمادة "حوار" كما قلنا من قبل[166] .

فالحوار تعبير عن قيمة عظيمة بل القيمة الكبرى فى التكوين الأساسى للإنسان والبشرية أجمع ، فالدين هو الحوار والحوار هو الدين

- فالدين هو الحوار فى قوله تعالى : ﴿ لا إكراه فى الدين 000 ﴾
- والحوار هو الدين فى قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك 000 ﴾

فالحوار الدينى الذى نعنيه فى هذه الدراسة يقع بين نفى الإكراه أى إن لا نكره أى صاحب دين مخالف لأن يوافق ما أعتقدنا والعكس صحيح ، ويتمثل الحوار فى الدين فى الدعوى إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة

(166) من أمثلة ذلك ما تجده فى سورة الكهف : آية 37/34 وسورة المجادلة 1 .

خامسا

الخاتمة ونتائج الدراسة

ختاماً لعرضنا لموضوع الحوار بين الإسلام والمسيحية فى محاولة لفهم الآخر وبعد أن أوضحنا مكانة الحوار فى الفكر الدينى ، وموقف الإسلام من الشرائع السماوية السابقة (اليهودية والمسيحية) ، وأفردنا صفحات لنماذج المناظرات والمحاورات عبر التاريخ وحددنا شروط الحوار وأشكاله وموضوعاته مع عرض موجز لبعض القضايا التوحيدية / الكلامية / اللاهوتية ، والقضايا الجدلية / العقدية فى الحوار الإسلامى المسيحى متبعين المنهج التحليلى المقارن ، نود أن نحدد بعض الملامح العامة التى تعتبر بمثابة النتائج العامة التى أنتهينا إليها نذكر منها الآتى :-

1- إن القرآن الكريم كتاب الإسلام الأول والأخير وضع للحوار مكانة عظيمة ، وكذا المسيحية ولكن هناك بعض الأمور يجب أن تنقى من الأناجيل المحرفة .

2- لقد كان موقف الإسلام - ومازال - من الشرائع السماوية والأديان السابقة موقفاً معتدلاً بل منصفاً ، ولقد صور القرآن - المسيح وأمه فى أحسن تصوير .

3- ضرورة عقد صلات علمية بين المؤسسات الإسلامية والمستشرقين المعتدلين بهدف إجراء حوار مستمر معهم ، وعقد لقاءات ومؤتمرات تجمع بينهم وبين العلماء المسلمين لما له من أثر إيجابى على كلاّ الجانبين (الإسلامى والمسيحى) .

4- يجب أن يكون هدف الحوار فهم الآخر ومعرفة ما لديه من منطلق إن الإنسان بطبعه عدو ما يجهل ، فعندما يعرف ويفهم الآخر يتفاهم معه بمدخل مقبول للتوفيق بين المصالح المشتركة .

5- البحث يؤكد إن الإسلام يرفض فكرة الصراع أو الصدام بين الحضارات فى الحوار ويتبنى بدلاً منه فكرة التدافع والحوار بين الحضارات كما يؤكد على التعددية فى الأجناس والمجتمعات والثقافات ، والأديان ليست عائقاً أمام توحيد جهود الناس وتآلفهم وتعاونهم وليس تصارعهم من مرجعية البقاء للأقوى ، بل البقاء للأصلح للبشرية أجمع ، مع إحتفاظ كل فرد بدينه وعقيدته وإحترام الأخر له .

6- من خلال العرض الموجز لبعض القضايا التوحيدية / الكلامية / اللاهوتية، والقضايا الجدلية/ العقدية فى الحوار بين الإسلام والمسيحية، إتضح ان هناك من يرى أن الحوار مستحيل ،ومن يرى أنه مجرد مغامرة غير مضمونة العواقب ، ومن يرى أنه جائز ومحتمل لو أتفق الطرفان على شروط الحوار وأشكاله المختلفة وموضوعاته المتعددة ، ومن أمثلة القضايا الخلافية الحادة نجد مسألة **صلب المسيح** فهى عند المسيحين ضرورة مؤكدة وإنتفاء الصلب نفى للمسيحية كلها ، فى المقابل نجد الإسلام لايقر بمبدأ الصلب من أساسه ، كما لايقر بأن المسيح إبن الله . ومن هنا يأتى التخوف والتحفظ من الحوار المنشود ، كما كانت – ومازال – مسألة **ألوهية المسيح** نقطة الخلاف المركزية والمرجعية الأساسية فى الحوار بين الإسلام والمسيحية .

7- ومن هنا يأتى دور المؤتمرات واللقاءات والحوارات ومراكز الحوار الدينى للوصول إلى صيغة مرضية ، ولكنا نرى ان كل جانب متمسك بوجهة نظره وهذا حقه ، ومن هنا أيضاً جاءت مقولة كبلنج إن الشرق شرق وسيظل شرقاً والغرب غرب وسيظل غرباً ولن يلتقيا ونحن نقول إن فى الشرق مسيحية وفى الغرب إسلام ..... فلماذا لايلتقيان ؟! ....

8- وأخيراً هى دعوة لأخواننا المسيخيين .. ليكونوا بحق مسيحيين على

النحو الذى أراده السيد المسيح عليه السلام قبل أن تمتد إلى ما قاله بـــالتحريف يد، وأن يتمثلوا قول الله تعالى: ﴿ .. قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران ـــ الآية (64)

وأخر دعوانا :

﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

(سورة البقرة الآية : (286)

ثبت بأهم مراجع الدراسة الأولى (*)

سادساً

المصادر والمراجع (العربية والأجنبية)

(*) روعى فى ثبت المراجع الترتيب الهجائى مع إسقاط " أبا ، إبن ، أبو ، أبى ، ال التعريف " مع أسبقية اللقب أحياناً ، وقد آثرنا عدم ذكر المصادر الرئيسية وهى القرآن الكـريم والإناجيـل الأربعـة (العهد الجديد) والتوارة (العهد القديم) فى قائمة المراجع .

1 ـ المراجع العربية

1 ـ **البخارى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل):**

صحيح البخارى – 9 آجزاء – المطبعة العثمانية المصرية – الطبعة الأولى – 1314هـ.

2 ـ **بوكاى (د. موريس) :**

القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم – دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة – مترجم عن اللغة الفرنسية – دار المعارف بمصر – الطبعة الأولى – 1982م.

3 ـ **إبن تيمية (الإمام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم) :**

الجواب الصحيح لمن بدّل الدين المسيح – تقديم على صبح المدنى – مكتبة المدنى ومطبعتها – السعودية – جدة – الطبعة الأولى – ج1 – ب.ت.

4 ـ **الجاحظ (أبى عثمان عمرو بن بحر):**

المختار فى الرد على النصارى – تحقيق ودراسة د. محمد عبد الله الشرقاوى – دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1991م.

5 ـ **جبرة (القمص إبراهيم ...):**

المولود من العذراء – المكتبة اللاهوتية – القاهرة – الطبعة الأولى – 1975م.

6 ـ **إبن حزم (الإمام أبى محمد على بن حزم الظاهرى):**

الفصل فى الملل والأهواء والنحل – طُبعت على نفقة أحمد ناجى الحلبى ومحمد أمين الخانجى – مطبعة التمدن – القاهرة – الطبعة الأولى – 1321هـ.

7 ـ **الحسن** (**د. يوسف** ..):
الحوار الإسلامى المسيحى – الفرص والتحديات – منشورات المجمع الثقافى – أبو ظبى – الإمارات – الطبعة الأولى – 1997م.

8 ـ **الحنبلى** (**أبى الفلاح عبد الحى بن العماد**):
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب – ج 1 – الطبعة الأولى – القاهرة – 1350هـ.

9 ـ **خضر** (**المطران جورج** ...):
أفكار وآراء فى الحوار الإسلامى المسيحى والعيش المشترك – المكتبة البولسية – جونيه – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1999م.

10 ـ **إبن الخطيب** (**محمد محمد عبد اللطيف**):
هذا هو الحق – رد على مفتريات كاهن كنيسة – المطبعة المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى – 1961م.

11 ـ **الخطيب** (أ. **عبد الكريم**):
الله والإنسان (قضية الألوهية بين الفلسفة والدين) – دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الثانية – 1971م.

12 ـ **خورى** (**د. عادل تيودور**) :
الإسلام فى عقيدته ونظامه – ترجمة عن الألمانية علم إلياس علم – المكتبة البولسية – جونيه – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1997م.

13 ـ **ديدات** (**الداعية الشيخ أحمد حسين**) :
مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والإفتراء – ترجمة د. على الجوهرى – دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة – الإمارات العربية – الطبعة الأولى 1989م (ومصحوبة بالنص الأنجليزى) .

14 ـ ـــــــــــ :

هذه حياتى – سيرتى ومسيرتى – حوارات جديدة ومثيرة للشيخ ديدات أعده للنشر أشرف محمد الوحش – علق عليه رمضان الصفناوى – دار الفضيلة للنشر و" زيع – القاهرة – الإمارات – الطبعة الأولى – 1997م.

15 ـ ـــــــــــ :

مناظرة العصر – ترجمة د. على الجوهرى – دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة – الإمارات – الطبعة الأولى – 1992م.

16 ـ ـــــــــــ :

المسيح فى الإسلام ومحاورة مع قسيس حول ألوهية المسيح – ترجمة د. على الجوهرى – دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة – الإمارات – الطبعة الأولى – 1998م.

17 ـ **ديورانت** (**المستشرق ديل** ..):

قصة الحضارة – ج1 ، ج2 ، ج3 – المجلد الثالث – بتحقيق محمد بدران – الإدارة الثقافية – جامعة الدول العربية – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى 1955م.

18 ـ **الريطى** (**د. ممدوح عبد الرحمن** ..):

دور القبائل العربية فى صعيد مصر – مكتبة مدبولى – القاهرة – الطبعة الأولى – 1996م .

19 ـ **أبو زهرة** (**الشيخ الإمام محمد** ..):

تاريخ الجدل – دار الفكر العربى للطبع والنشر – القاهرة – الطبعة الثانية – 1980م.

20ـ ــــــــــــ :

محاضرات فى النصرانية – ملتزم الطبع والنشر – دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الرابعة – 1999م.

21ـ **أبازيد** (**د. صابر عبده**) :

الإمامية الإثنى عشرية – شخصيات وآراء – دار الحضارة للطبع والنشر – طنطا – الطبعة الأولى – 1999م.

22ـ ــــــــــــ :

منهَاج أهل السُنة فى الرد على الشيعة والقدرية – دار دنيا الوفاء للطباعة والنشر – اسكندرية – الطبعة الأولى – 2000م.

23ـ **الشافعى** (**الإمام أبى عبد الله محمد بن أدريس**) :

كتاب الأم – بتصحيح الأستاذ أحمد محمد شاكر – المطبعة الأميرية الكبرى – القاهرة – الطبعة الأولى – 1321م.

24ـ **الشعراوى** (**الشيخ محمد متولى**) :

مريم والمسيح عليهما السلام – دراسة وإعداد وتحقيق مركز التراث لخدمة الكتاب والسُنة – مكتبة التراث الإسلامى – القاهرة – الطبعة الأولى – 1999م.

25ـ ــــــــــــ :

تفسير الشعراوى – ج3 – دار أخبار اليوم للنشر – القاهرة – الطبعة الأولى – 1988م.

26ـ **شلتوت** (**الشيخ الإمام محمود ..**):

الفتاوى – دراسة لمشكلات المسلم المعاصر فى حياته اليومية والعامة – مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف – القاهرة – الطبعة الأولى – 1959م.

27ـ **الشهرستانى (ابو الفتح محمد بن عبد الكريم)**:
الملل والنحل بهامش كتاب الفِصل لإبن حزم – المطبعة الأدبية – القاهرة – الطبعة الأولى – 1320هـ.
28ـ **الشيخ (د. محمد مرسى ..)** :
معالم التاريخ الأوروبى الوسيط – دار المعرفة الجامعية – اسكندرية – الطبعة الثانية – 2000م.
29ـ **صبحى (د. أحمد محمود ..)**:
فى علم الكلام – المعتزلة – مؤسسة الثقافة الجامعية – اسكندرية – الطبعة الرابعة – 1982م.
30ـ **الطالبى (د. محمد ..)** :
الإسلام والحوار – أفكار حول موضوع يشغل بال العصر الحديث فى وثائق عصرية فى سيل الحوار بين المسلمين والمسيحين – المكتبة البولسية – جونيه – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1992م.
31ـ **الطبرى (الإمام محمد بن جرير...)** :
تاريخ الطبرى – ج1 ، ج3 – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف بمصر – الطبعة الثانية – 1960م.
32ـ ــــــــــــــ:
التفسير الميسر – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى – 1980م.
33ـ **عاشور (د. سعيد عبد الفتاح ..)** :
أوروبا فى العصور الوسطى – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – الطبعة السادسة – 1991م.
34ـ **عبد الخالق (د. عبد الغنى ...)** :
حُجية السنة – دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة –

الطبعة الأولى – 1942م.

35ـ **عبد الرازق** (**الشيخ مصطفى** ..) :

الدين والوحى والإسلام – مكتبة الشباب – القاهرة – الطبعة الثانية – 1997م.

36ـ **عبود** (**د. عبد الغنى** ..) :

المسيح والمسيحية والإسلام – سلسلة الإسلام وتحديات العصر – الكتاب 14 – ملتزم الطبع والنشر – دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الأولى – 1984م.

37ـ **العراقى** (**د. عاطف** ..) :

العقل والتنوير فى الفكر العربى المعاصر – قضايا ومذاهب وشخصيات – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى – 1998م.

38ـ **العقاد** (**أ. عباس محمود** ...) :

حقائق الإسلام وأباطيل خصومه – دار الإسلام للطبع والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى – 1957م.

39ـ **عمارة** (**د. محمد** ...) :

الإسلام وحقوق الإنسان – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى – 1997م.

40ـ **عون** (**د. مشير باسيل**..):

مقالات لاهوتية فى سبيل الحوار – تقديم كيرلس سليم بسترس – تعقيب د. عادل تيودور خورى – المكتبة البولسية – جونيه – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1999م.

41- **عون** (**د. مشير باسيل**..):

بين المسيحية والإسلام – بحث فى المفاهيم الأساسية – المكتبة البولسية – جونيه – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 2000م.

42- **الفقى** (**د. مصطفى** ...) :

الأقباط فى السياسة المصرية – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى – 1985م.

43- **القرضاوى** (**د. يوسف** ..) :

ثقافتنا بين الإنفتاح والإنغلاق – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى – 2000م.

44- **قطب** (**د. محمد** ..) :

المسلمون والعولمة – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى2000م.

45- **المولى** (**د. سعود نعمة** ..):

الحوار الإسلامى المسيحى – ضرورة المغامرة – تقديم الشيخ محمد مهدى شمس الدين(*) – دار المنهل اللبنانى – النويرى – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1996م.

46- **النشار** (**د. على سامى** ..) :

نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – دار المعارف بمصر – الطبعة الثامنة – 1981م.

(*) الإمام الكبير الشيخ محمد مهدى شمس الدين – رئيس المجلس الإسلامى الشيعى الأعلى فى لبنان – رحل عن دنيانا أثناء الإعداد لهذا البحث خلال شهر يناير 2001 ، وفقدت الأمة الإسلامية إماماً جليلاً من رموز الإعتدال والحوار بن الأديان وعميد الحوار الإسلامى المسيحى فى عصر الجاه والتطرف والنزعة الطائفية البغيضة ، وقد زار رحمه الله مصر فى 1997م وألتقى بشيخ الأزهر وقداسة البابا شنوده الثالث فى لقاء حب وود تعتبر رسالة إلى كل أصحاب الإرادة الواعية .

47ـ **الهمدانى (القاضى عبد الجبار المعتزلى) :**

المُغنى فى أبواب العدل والتوحيد – عدة أجزاء بتحقيق المرحوم د. محمود الخضيرى – القاهرة – الطبعة الأولى – 1958م.

48ـ **الهندى (الشيخ رحمت الله ..) :**

إظهار الحق – ج1 ، ج2 – تقديم فضيلة الشيخ د. عبد الحليم محمود – تعريب وتحقيق محمد كمال فراج – مطابع منارة إظهار الحق بمصر – الطبعة الأولى – 1978م.

49ـ **هيكل (د. محمد حسين والبروفيسور كرزويل وآخرون):**

إسلاميات – مودى جرافيك للنشر – مطابع الأهرام – القاهرة – الطبعة الأولى – 1990م.

50ـ **اليسوعى (الآب روبير كليمان) :**

تاريخ الحركة المسكونية – دار الشروق – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1980م.

* * *

2- بحوث ومقالات فى المجلات والدوريات

1- البكرى (د. محمد حمدى ..) :

محاورة البطريق يوحنان مع أمير العرب – بحث بمجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – المجلد 16 – ج1 – مايو 1954م.

2- ـــــــــ:

محاورة المهدى مع تيموثاوس – بحث بمجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – المجلد 12 – ج2 – ديسمبر 1950م.

3- جورافسكى (د. أليكسى) :

الإسلام والمسيحية – ترجمة د. خلف محمد الجراد – تقديم ومراجعة د. محمود حمدى زقزوق – سلسلة عالم المعرفة – العدد 215 – المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت – نوفمبر 1996م.

4- جيرالد (الآب مايكل فيتز) :

مقال بمجلة الغدير – المجلس الإسلامى الشيعى الأعلى – بيروت – لبنان – العدد 17 /88 – إبريل 1990م.

5- حجازى (د. أحمد مجدى ..) :

العولمة وتهميش الثقافة الوطنية – رؤية نقدية من العالم الثالث – مقال بمجلة عالم الفكر – العدد الثانى – المجلد 28 – الكويت – أكتوبر/ ديسمبر 1999م.

6- إبن الحسن (بدران بن مسعود) :

الظاهرة الغربية فى الوعى الحضارى " أنموذج مالك بن نبى " – قطر – سلسلة كتاب الأمة – العدد 73 – رمضان 1420هـ.

7- زقزوق (د. محمود حمدى ..) :
مقال بجريدة الأهرام – صفحة الفكر الدينى – قضايا وآراء – بتاريخ 2000/9/7م.
8- السعيد (د. رفعت ..) :
العلمانية بين الإسلام والتأسلم – سلسلة كتاب الأهالى – العدد 65 – يوليو 2000م .
9- شيمّل (المستشرقة آنا مارى) :
الإسلام دين الإنسانية – ترجمة وتعليق د. صلاح محجوب – تقديم د. محمود حمدى زقزوق – مراجعة د. محمود فهمى حجازى – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر – بسلسلة دراسات إسلامية – العدد 60 – القاهرة – الطبعة الأولى – أكتوبر 2000م.
10- عبد الله (د. عبد الخالق ..) :
العولمة وجذورها وفروعها وكيفية التعامل معها – مقال بمجلة عالم الفكر – العدد الثانى – المجلد 28 – الكويت – ديسمبر 1999م.
11- عمارة (د. محمد ..) :
المشروع الإسلامى للتغيير ومطاعن العلمانية – مقال بمجلة الجامعة الإسلامية – تصدر عن الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية – لندن – العدد الثالث – 1994م.
12- هويدى (أ. فهمى ..) :
المسلمون وسيناريو الصراع بين الحضارات – مقال بمجلة المسلم المعاصر – العددان 68/67 – السنة السابعة عشر – فبراير/ يوليو 1993.

* * *

3ـ القواميس والمعاجم والموسوعات

1. **الحفنى** (**د. عبد المنعم ..**) :

موسوعة الفلسفة والفلاسفة – ج2 – نشر مكتبة مدبولى – القاهرة – الطبعة الثانية 1992م.

2. **الرازى** (**الشيخ الإمام محمد بن ابى بكر**) :

مختار الصحاح – عُنى بترتيبه السيد محمود خاطر وراجعه نخبة من علماء اللغة العربية – دار نهضة مصر للطبع والنشر – الفجالة – القاهرة – ب.ت.

3. **شنودة** (**ذكى ...**) :

موسوعة تاريخ الأقباط – مطابع البلاغ – القاهرة – الطبعة الثانية – 1998م.

4. **عبد الباقى** (**محمد فؤاد**) :

المُعجم المُفهرس لألفاظ القرآن الكريم – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى – 1986م.

5. **مجمع اللغة العربية** :

المُعجم الفلسفى بتصدير أ.د/ إبراهيم بيومى مدكور – الهيئة العامة للمطابع الأميرية – القاهرة – الطبعة الأولى – 1979م.

* * *

4- المراجع الأجنبية

1- **Akbar (S.A) Islam to day :**

A short Introduction to the Muslim World I.B. touris – London. New York – 1992.

2- **Gardet (L) et Anaweti (G) :**

Introduction a la theologie Musulmane – Paris – 1940.

3- **Mingana (A) :**

The Apolagy of timothy the patriarche before the coliph Mahdi – wood brook studies. Vol. 11 – Manchester – 1928.

4- **Oliver leaman :**

An Introduction to Medieval philosophy. Cambridge University – paress. U.S.A – 1999.

* * *

الدراسة الثانية

دور الاستشراق فى تشكيل

صورة الإسلام فى الغرب
(الفكر الفلسفى نموذجاً)

.. وتتضمن هذه الدراسة أهم العناصر الآتية :ـ

.. تقديم عام للدراسة ..

أولاً :ـ الاستشراق (تطوره ومنحناه) .

ثانياً :ـ جهود المستشرقين فى الميزان .

ثالثاً :ـ دور الإعلام فى تصحيح صورة الإسلام لدى الغرب .

.. تقييم ونقد وخاتمة الدراسة ..

تقديم عام

(فى الموضوع – فى المنهج)

لعل من أخطر الأبعاد الأيدولوجية وأعمقها .. فهم العلاقة بين الإسلام والغرب وخاصة فى تلك الأيام (بعد الأحداث التى وقعت فى أمريكا يوم 11 سبتمبر 2001 وما تلتها من أحداث) .. وبعد أن أكتشفنا (نحن العرب) بأن الآخرين (الغرب) لا يعرفون عنا إلا أقل القليل وبصورة مغلوطة تحتاج إلى تصحيح المفاهيم .

وفى المقابل نجد أن هذا القرن من بدايته بزخم بنظريات وأفكار وآراء جديدة تدور حول مقولات ومصطلحات تطرح شكلاً من أشكال الجدل والحوار ، وتضع أمام الباحث المدقق والمراقب المتابع لما يدور من حوله – إطروحات التصادم والصراع فى مقابل التفاعل والتداخل والإلتقاء ، وبين هذا وذلك أختلف الباحثون شرقاً وغرباً حتى أصبح لدينا ما يسمى بصراع الحضارات أو صدامها جرياً وراء ما كتبه صموئيل هنتجنتون أو وقوفاً أمام زلة لسان عنصرية من قبل برلسكونى (رئيس وزراء إيطاليا) عندما أعلن أن الحضارة الغربية تفوق الحضارة الإسلامية وما تبع ذلك من إعتذارات وردود دبلوماسية ، وصولاً إلى إعلان الرئيس الأمريكى الحالى (جورج دبلبو بوش) إن حروب أو حملات التحالف ضد حركة طالبان فى أفغنستان حروب صليبية .. والحرب ضد العراق وإحتلال شعبه حرباً ضد الديكتاتورية وإرساءً للديمقراطية !! كلها مقولات تعبر عما يكنه الغرب ضد الشرق حتى ولو كانت زلة لسان فلسان المرء يفصح عما بداخله .

1- **فى الموضوع :**

يدور موضوع الدراسة حول دور الاستشراق فى تشكيل صورة الإسلام فى الغرب ومن المعلوم أن الأستشراق الحقيقى لم يظهر إلا فى

القرن السادس عشر الميلادى وإن كان قد ارتبط بشكل أو بآخر بالتبشير أو كانت له أسبابه الدينية أو التجارية أو السياسية أو الأستعمارية ، إلا أننا لانستطيع أن نعد مصنفات يوحنا الدمشقى (749/676م) محاولة من محاولات بداية الأستشراق ، فيوحنا الدمشة كان رجلاً شرقياً عاش فى ظل الدولة الأموية وخدم فى القصر الأموى وحاول فهم الإسلام ودراسته لا من أجل اعتناقه ، ولكن من أجل حماية أخوانه النصارى .

رغم صعوبة تحديد تاريخ معين لبداية الإستشراق إلا أن بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب النصارى يؤرخ لبدء وجود الإستشراق الرسمى بصدور قرار (مجمع فيينا) عام 1312م أى بداية القرن الرابع عشر الميلادى بإنشاء عدد من كراسى اللغة العربية فى عدد من الجامعات الاوروبية .. إلخ

وموضوع الدراسة يفرض تساؤلات محورية نذكر منها :

1. ما هو دور الإستشراق والمستشرقين (من كل بلاد العالم الغربى تقريباً) فى تشكيل وتكوين أفكار وآراء الغرب (الأوروبى / الأمريكى) عن الإسلام (السنى / الشيعى) والمسلمين (نخبة / عامة) ؟
2. هل الأستشراق القديم (العصور الوسطى) يختلف من الاستشراق الحديث والمعاصر فى فهم الصورة الحقيقية للإسلام ؟
3. ما هو الدور الإيجابى والدور السلبى لموقف الغرب من العرب من خلال كتابات المستشرقين ؟
4. ما هو دورنا نحن المسلمون (العرب والفرس والترك) وغيرهم أمام الإستشراق الزاحف والهيمنة الإمريكية فى ظل العولمة والقطبية وأمام الواحدية المسيطرة ؟

وإذا كان هناك إختلاف وتباين فى الطرح والرؤى لا نستطيع أن نجزم إن كل المشتغلين بالتراث الإسلامى من المستشرقين أنصفوا الإسلام ولا أن

نجزم أيضاً أنهم كلهم ظلموا الإسلام وتحاملوا على المسلمين ، لأن الحضارات فى الحقيقة لاتتصارع ولكنها تمثل تعايشاً سلمياً وتعاوناً مثمراً من أجل بنى البشر فى المعمورة ، وما من حضارة أو أيدولوجية أو ثقافة نشأت وحدها هكذا وحدها هكذا كالنبت الشيطانى ، فالحضارة جهد إنسانى عام / مشترك والعلوم والتقنية فى حكم المشاع بين الجميع حتى إذا كانت العقائد مختلفة والمذاهب متفرقة بين بنى البشر .

الدراسة أيضاً توضح كيف استفاد الغرب من حضارات الشرق، وكيف استفاد الشرق القديم من حضارات سابقة عليها ، وكيف أفادت حضارات بلاد اليونان (الفلسفة اليونانية) وكيف أفادت الأخيرة العرب والإسلام (الفلسفة الإسلامية) وامتزجت بثقافتها كما امتزجت بثقافات الفرس والروم والهند والصين ، فكان العرب ورثة لحضارات كثيرة تأثروا بها وأضافوا إليها من عقائدهم وأفكارهم (علم أصول الفقه / علم الكلام الإسلامى) بخصوصية مدهشة حتى فى المنطق التجريبى. وكانت حضارتهم أساس للنهضة الأوروبية الغربية فيما بعد . إذن نحن أمام حوار حضارات لا تصادم حضارات من خلال إشكالية العلاقة بين الشرق والغرب . وهنا يأتى دور الإستشراق فى مقابل (الأنا) كما يأتى دور الإستغراب – الأنا فى مقابل (الآخر) فى تشكيل صورة الإسلام فى الغرب مع بيان للأبعاد الغائبة فى كلاً الجانبين.

2- **فى المنهج** :

منهج الدراسة فى بحثنا هذا والذى يدور حول الإستشراق فى فهم وتشكيل صورة الإسلام فى الغرب – بين التهويل والتهوين وبين الأهتمام والتهميش وبين التأثير والتأثر ، سيكون **منهجاً تاريخياً تحليلياً نقدياً** من منطلق أن هناك صراعات قديمة لها أثرها البالغ فى سوء فهم الإسلام يجب

أن تزول ، وهناك تحديدات عصرية يجب أن تواجه ، وهناك تجمعات (لوبى / صهيونى / يهودى) رسمت معالم سوء فهم الصورة يجب أن يصد ويرد ، وهناك أيضاً رغبة ملحة من قبل الغرب فى الهيمنة والسيطرة دون الأعتراف بالآخر أو تهميشة ، فى مقابل تسامح ولقاء يحمل معه قيم إنسانية من قبل الشرق (الأنا) دون الذوبان أو الأضمحلال فى (الآخر). وسنركز على تطور الفكر الفلسفى (نموذجاً) لدور الأستشراق وكتابات المستشرقين فى مجالات الفلسفة بصفة عامة والإسلاميات وعلم الكلام والتصوف بصفة خاصة ، مع التركيز على الإستشراق الفرنسى المعتدل وبعض المستشرقين من أمثال تينمان – فرانسو جيزو – أرنست رينان – مراد هوفمان – رجاء جارودى (أشهر من أسلم فى فرنسا) ؛ اتيين دينيه (سليمان إبراهيم) والأديب العالمى تولستوى وغيرهم طبقـاً لمقتضيات الدراسة والموضوع ، وسنوضح كيف لعب هؤلاء المستشرقون دوراً هاماً فى تشكيل صورة الإسلام فى الغرب الأوروبى (سلباً وإيجاباً) من خلال أهم النقاط الآتية :-

أولاً : **الإستشراق** (**تطوره ومنحناه**) مع دراسة ماهيته ونشأتـه وحركتـه وعلاقتـه بكل من الاستعمار والتبشير والصهيونية ؛ وعنايته بالتراث العربى / الإسلامى بصفة عامة وبالفلسفة الإسلامية وعلم الكلام والتصوف الإسلامى بصفة خاصة .

ثانياً : **جهود المستشرقين فى الميزان** مع توضيح الجهود المتبادلة كمواقف (الأنا / الآخر) أو بين الشرق والغرب ومدى التأثير والتأثر من خلال كتابات العلماء والفلاسفة والصوفية مع بيان التبادل الحضارى / الثقافى من خلال أوائل المستشرقين مع التركيز على الأستشراق الفرنسى المعتدل (كنموذج) ، وهذا لا يمنع من ذكر أى مستشرق له دور فعال فى هذا المجال من اى قطر كان ، المهم أن يكون له

دوراً فى تشكيل فكرة الغرب عموماً عن الإسلام وبصورة منصفة ، ثم نقوم بتوضيح صور الإستشراق فى القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين من خلال جانبيين :-

1. **الجانب الإيجابى (بناء) ← تمثل صورة معتدلة .**
2. **الجانب السلبى (هدم) ← تمثل صورة متطرفة .**

وتناولت بعض الردود والدفوع من قبل مفكرى العرب والإسلام من امثال الشيخ مصطفى عبد الرازق و د.عبد الرحمن بدوى وغيرهما.

ثالثاً : **تصحيح صورة الإسلام ودور الإعلام** (الفضائيات العربية) فى مقابلة الفضائيات العالمية (أوروبا / أمريكا) لتوضيح وتصحيح مفاهيم الخلط بين ما يسمونه أرهاباً والجهاد الإسلامى فى سبيل الله والوطن والأرض والعقيدة برؤى معاصرة لما يحدث فى بلدان إسلامية / عربية / تركية / فارسية حتى يومنا هذا .

رابعاً : **خاتمة الدراسة وأهم النتائج التى توصلت إليها** .

وسنجد فى الدراسة المطول تفضيلات وعناصر وقضايا كثيرة أستحقت أن تدرس وتناقش فى هذا العصر الملئ بالتناقضات والتحديات لإبراز دور الفكر الفلسفى فى إثراء المضامين الروحية لدى الشعوب من أجل تشكيل فكرة معتدلة / منصفة لدى الغرب عن الإسلام والمسلمين .

أولاً

الاستشراق (تطوره ومنحناه) :

تمهيد :

إذا كانت للصهيونية دوراً كبيراً فى " صراع العربى / الغربى ، فإن الإستشراق بدوره كان له – وما زال – نصيبا فى هذا المجال .

.. وإذا كان الفيلسوف الفرنسى فولتير(*) له مقولة ساحرة مفادها " دعنى أختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد أن أدفع حياتى ثمناً لإبداء رأيك " ، فإن ذلك لم يغفر لمسيرة الفيلسوف ومحطات أفكاره التى بدأ فيها متعصباً محتقراً للآخر . لقد وصف معتقد (الآخر) الإسلامى بأفظع الألفاظ ولن يغفر له نقده لنظرية الفيلسوف السياسى مونتسكيو (**) الأستبداد الشرقى تلك الزلة العنصرية ، حتى ولو قيل إن فولتير أضطر إلى نفاق الكرادلة وبابا روما!!

وعندما تحطمت آمال الغرب الخبيثة واحلامه الدنيئة على أسوار مقاومة العرب والمسلمين العنيفة ، أقام بالخيانة والغدر والتآمر الدولى واللوبى الماكر قاعدته المشهورة المتمثلة فى الصهيونية التى تعمل كل ما فى وسعها

(*) فولتير Voltaire (1694 – 1778م) فيلسوف مشهور وأديب بارع وأحد رموز عصر التنوير والمدافع العنيد عن الحرية ورغم ذلك نجده يطعن فى الإسلام ورسوله ويصور النبى (ﷺ) فى صورة المضلل الذى حاول للسيطرة على الناس بالخرافات والأساطير (حاشا الله) ان يكون هذا وصف للرسول (ﷺ) – د. مصطفى محمود – مقدمة كتاب فلسفة الإستشراق للدكتور احمد سمايلوفتس – ص4 ، ومن مؤلفات فولتير : رسائل فلسفية 1734م ومسائل عن الأمة الإنجليزية 1737م فلسفة التاريخ 1765م ومقال فى عادات وروح الأمم 1769 وغيرها .

(**) مونتسيكو Montesquieu (1689/1755م) من زمرة الأدباء للخالدين فى فرنسا ينتمى إلى عائلة مرموقة وله تصور عن الحرية السياسية صاغه من خلال تأثره بالنظام الأمبراطورى الرومانى والنظام السياسى الإنجليزى ، ومن أهم مؤلفاته روح القوانين spirit of the laws نشر عام 1748م أنظر فى ذلك : د. على عبد المعطى محمد – الفكر الفلسفى الغربى – دار المعرفة الجامعية – الطبعة الأولى – اسكندرية 1980م – ص 274 .

لمحاربة كل ما هو عربي أو إسلامى فى أنحاء العالم ، فلم يعد ما بيننا وبين إسرائيل مثلاً صراعاً على حدود وإنما هو صراع على حدود وإنما هو صراع على وجود [1] ، وخلال هذا الصراع المستمر بين العرب والغرب أو بين الشرق والغرب ولدت فى أوروبا فلسفة الأستشراق التى تسعى جاهدة إلى معرفة حضارة الشرق والغلغل فى أفاقه الفكرية بدراسة آدابه وثقافته ، ولهم بلاشك – مناهجهم واهدافهم التى تبدو واضحة من خلال مؤلفاته وترجماتهم وتحقيقاتهم للتراث الإسلامى فأثروا بطريقة أو بأخرى فى النهضة العربية الحديثة عامة والإسلام بخاصة ، وإنطلاقاً من هذا الأساس لابد من دراسة الأستشراق لمعرفة ما يلى :

أولاً : ماهيته

ثانياً : نشأة حركته

ثالثاً : علاقته بكل من الأستعمار والتبشير والصهيونية

رابعاً : عنايته بالتراث العربى الإسلامى بعامة

وبالفلسفة الإسلامية والتصوف وعلم الكلام.

1. **حول مفهوم الاستشراق :**

أصبح الاستشراق اليوم علماً له كيانه ومنهجه ومدارسه وفلسفته ودراساته ومؤلفاته وأغراضه وأتباعه ورجاله فى كل العالم تقريباً ، والدراسة ستركز على الإستشراق الأوروبى (فرنسا نموذجاً) تحديداً خلال القرن العشرين مع إبراز الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية لدور المستشرقين فى تشكيل فكرة الغرب عن الشرق . ولقد أطلق لفظ الإستشراق على تلك المحاولة التى قام بها ويقوم بها بعض مفكرى وفلاسفة الغرب

---

(1) د. محمد حسين هيكل : طريق على خريطة الأزمنة – مقال بجريدة الأهرام القاهرية بتاريخ 1970/3/10م .

للوقوف على معالم الفكر الإسلامى وآدابه وحضاراته وثقافاته [2] وعلومه وتراثه ولغته .. إلخ.

ويقول د. الجليند : "ولست ممن يقولون ان الأستشراق أو المستشرقين يجمعهم حكم واحد وكلهم على ر ً واحد فى موقفهم من الإسلام وقضاياه ، لا .. با أن الأنصاف يقضى علينا ان نقول إن منهم منصفين للإسلام ولقضاياالمسلمين ولقد أفدنا من دراستهم الكثيرة حول قضايا الإسلام، وينبغى أن لا ننكر ذلك ولا نشك فيه ، ولكن مما لاشك فيه إن الإستشراق والتنصير كانا من أخطر الوسائ التى سلكها الأستعمار فى تنفيذ سياسته فى العالم الإسلامى ولا أشك فى انهما وجهان لعملة واحدة"[3] .

مفاهيم الاستشراق

وينقسم مفهوم الأستشراق إلى :-

أ - المفهوم اللغوى للاستشراق :

الواضح من كلمة الاستشراق أنها مشتقة من مادة (شرق) ، يقال اشرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت [4]، والغريب أن الكلمة لم ترد فى المعاجم اللغوية مثل لسان العرب لإبن منظور والقاموس المحيط للرازى وأساس البلاغة للزمخشرى وتاج العروس للزبيدى .. إلخ .

وهذا لا يمنع الباحث من الوصول إلى معناها الحقيقى أستناداً إلى قواعد الصرف وعلم الإشتقاق اللغوى ، حيث تبدو ان معنى (استشرق) أى أدخل نفسه فى أهل الشرق وصار منهم [5]

---

(2) د. محمد السيد الجليند : الأستشراق والتبشير – قراءة تاريخية موجزة – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى 1999م – ص10 .

(3) نفس المرجع : ص7 .

(4) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط – ج1 – طبعة القاهرة 1960م – ص285 .

(5) د. أحمد سمايلوفش : فلسفة الأستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر – دار الفكر العربى – الطبعة الأولى – القاهرة – 1998م – ص21 .حمدأ

ب ـ أما المفهــوم العلمى :

فيجب النظر إلى أحد المعاجم الحديثة ثم إلى رأى علماء الغرب وعلماء العرب ، وقد جاء فى بعض المصادر اللغوية الحديثة : (الأستشراق) : طلب علوم الشرق ولغاتهم والمستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه [6]. أما لدى علماء الغرب فيتساءل آربرى نفسه وهو مستشرق فرنسى .. ما هو الأستشراق ، وما كنهه ؟ ومن المعلوم أن الأستشراق ومثله فى ذلك مثل كثير من فروع العلم والمعرفة الأخرى قد تخطى حدوده إلى ميادين تنتمى فى حقيقتها إلى علوم أخرى مستقلة عنه وإن كانت مجانسة له حتى أن المستشرق يشارك فى عمله عالم الآثار والحفريات والمؤرخ وعالم الصرف والإشتقاق وعالم الأصوات والفيلسوف وعالم اللاهوت والموسيقى والفنان ، وأول استعمال لكلمة مستشرق رأيناه – كما يقرر سمايلوفتش – فى سنة 1630م حيث وجدنا انتونى وود يصف صموئيل كلارك بأنه استشراقى نـــابه يعنى بذلك أنـــه عرف بعض اللغات الشرقية [7] وأغلب المستشرقين تعلموا اللغات الشرقية كمنطلق لابواب أوسع وارحب لدراسة الآخر ، أما قاموس اكسفورد الجديد فيحدد المستشرق Orientalist بأنه من تبحـــر فـــى لغات الشرق وآدابه ، وذلك هو التفسير الذى يعتمد عليه أصحاب الكتابات الأوروبية وعلى حد قول رودنسون فى دراسته لتاريخ الأستشراق ان الاستشراق ولد وظهر فى اللغة الأنجليزية حوالى 1779م وكما دخلت على معجم الأكاديمية الفرنسية 1838م وتجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق وآدابه [8] .

---

(6). Encyclopédie : (Crand la Rausse) : V.11 – Paris P.1003

(7) سمايلوفتش : فلسفة الأستشراق – ص22

(8) براجع فى ذلك : مقال بعنوان – صورة العالم الاسلامى فى أوروبا – مجلة الطليعة – العدد الرابع فبراير 1970م – ص74 ، أنظر أيضاً : د. عاطف العراقى : آراء الإسلاميين اوالمستشرقين حول الفلسفة الإسلامية – مقال بمجلة الفكر الإسلامى – العدد 11 – السنة الثالثة بيروت – 1972م .

- أما مفهوم الاستشراق لدى **علماء العرب** فقد ذهبوا فى فهمهم للأستشراق مذاهب عديدة لابد من الأشارة إلى بعضها بإختصار .

- يقول الزيات : يراد بالإستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه ومعتقداته واساطيره .. إلخ ولكنها فى العصور الوسطى كان يقصد به دراسة العبرية (لغة شرقية) لصلتها بالدين ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم (9) ، وفهم الإسلام والقرآن بعد ذلك حيث أن لغتها هى العربية .

- ويتوسع العنانى فى فهم الإستشراق قائلاً : من صيغة هذه الكلمة نعرف أن المستشرق هو المشتغل بالعقليات الشرقية سواء أكانت سامية أو غير سامية (حامية / آرية) ولكن هذه الكلمة فى اصطلاح العلماء والأدباء تطلق على المشتغل بالعقليات السامية خاصة ويتبع ذلك البحث عنها فى اللغات الحامية (10).

- أما الشرباصى فيقول : المستشرقون قوم من أوروبا نسبوا انفسهم إلى العلم والبحث وشغلوها فى أغلب الأحيان بالبحث فى التاريخ والدين والفلسفة والإجتماع واللغة العربية بجوار اللغة الأصلية ليدرس حضارة الشرق وآدابه (11).

- ويرى مالك بن نبى انه يجب أولاً أن نحدد المصطلح وإننا نعنى بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامى وعن الحضارة الإسلامية وعلينا ان نصنف اسماؤهم فى شبه ما يسمى طبقات المستشرقين على صنفين : -

---

(9) د. أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربى - ص 51 وما بعدها .

(10) د.على العنانى : المستشرقون والأداب العربية - مجلة الهلال - أغسطس 1932م - جزء 1 ص 4

(11) أحمد الشرباصى : التصوف عند المستشرقين - سلسلة الثقافة الإسلامية - مطبعة الانوار - القاهرة - الطبعة الأولى 1969 - ص26 .

أ- **من حيث الزمن :** طبقة القدماء مثل جريردوربيال والقديس توما الأكوينى (ممثل الفلسفة المسيحية فى العصور الوسطى) وطبقة المحدثين مثل كارادفو وجولد تسيهر (اليهودى المتعصب) .

ب- **من حيث الإتجاه العام :** نحو الإسلام والمسلمين فى كتاباتهم ، فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية (جانب إيجابى للاستشراق فى تشكيل فكرة الغرب عن الشرق) وطبقة المنتقدين بشدة لها (جانب سلبى للاستشراق يشوه صورة الشرق فى الغرب) كل همة تشويه الصورة والسمعة وهم مغرضين وعلى هذا الترتيب وتلك المرجعية يجب ان تقوم كل دراسة شاملة لموضوع الإستشراق ودورهم وأهميتهم (12) وما لهم وما عليهم دون ان نغفل ان للإستشراق دوافع نفسية وتاريخية واقتصادية وايدولوجية واقعية واستعمارية وصهيونية وأخيراً علمية (جانب من جوانب آثار الحملة الفرنسية) على الشرق .

2. **الأستشراق بين التبشير والاستعمار :**

اختلفت آراء المؤرخين والباحثين والعلماء حول الأستشراق فمنهم من ربطه بشكل أو بآخر بالتبشير (جانب دينى) ومنهم من ربطه بالاستعمار (جانب سياسى) ولم يظهر الإستشراق الحقيقى إلا فى القرن السادس عشر الميلادى ، وإن كان قد ارتبط بشكل أو بآخر بالتبشير ، وكانت له أسبابه الدينية أو التجارية أو السياسية الاستعمارية ولم يتطور هذا النوع من الإستشراق إلا بتطور أوروبا ثقافيا وحضارياً ومحاولتها للحاق بالعرب والتفوق عليهم وقد أتضح ذلك جلياً وواضحاً فى القرن السابع عشر الميلادى عندما أنشئت منابر اللغة العربية فى فرنسا وإنجلترا والمانيا وهولندا والنمسا

---

(12) مالك بن نبى : انتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث – دار الإرشاد بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1969 – ص5 ، 6 ، أنظر أيضاً : سمايلوفيتش : فلسفة الإستشراق – ص40 ، 53.

وايطاليا التى عرفت كذلك أول مطبعة عربية فى فلورنسا عام 1536م ، ومع انتقال الإستشراق إلى السويد والبرتغال وهولندا والمجر دفعهم ذلك إلى ما لاحظوا من أن الإطلاع على الحضارة الشرقية يؤدى إلى توسيع حقل ذكائهم البشرى ويفتح أمامهم أفاقاً إلى أعماق الشر وان يفهم هذا الشرق الساحر الغامض أو الملئ باللبن والسمن والعسل كما سنرى في بعض ما قيل عن الشرق من أمراء الحروب الصليبية فالنهضة الأوروبية التى قامت فى القرن السادس عشر انعكست على كل ميادين المعرفة ولذا نجد أن لفظة إستشراق قد ظهرت لأول مرة فى اللغة الفرنسية 1838م وتمثل الإستشراق فى التركيز على المعرفة المتعمقة للغات العربية والفارسية والتركية وغيرها من اللغات الشرقية [13]. (لغة – فن – حضارة – فكر .. إلخ) .

وثمة باعثان أساسيان دفعا أوروبا الغربية (دون امريكا التى لم تنل فيها الدراسات الإستشراقية حظاً وافراً إلا فى النصف الثانى من القرن العشرين). إلى تعلم اللغة العربية وفهم الإسلام وهما :-

أ- الرغبة فى الفهم وحب الفضول والتشوق إلى هذه الحضارات المتقدمة إى (حضارة العالم الإسلامى أيام مجدها) .

ب- تنافس الدينين الإسلامى والمسيحى وما كان يشكله الأول من خطورة على الثانى.

ولكن بعد أن تغيرت الأمور وتبدلت الأحوال وتحولت أوروبا ومعها أمريكا إلى قوة عسكرية سياسية كبرى وظهور حركة الإصـــلاح الدينى ؛ وقد حقق القــرن التاســع عشــر الميلادى تقدماً كبيراً فى مجال الدراسات العربية والإسلامية ؛ وظهر فى أوروبا علماء أفذاذ تصدوا لنشر هذه

---

(13) د.عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين – مكتبة مـدبولى – القـاهرة – الطبعـة الأولـى 2000ص4

الدراسات وتحقيق المخطوطات العربية بكميات ضخمة فى كل الفنون والآداب كم سنرى ، فماذا عن الفلسفة الإسلامية والتصوف وعلم الكلام ؟ هذا ما سنراه فى الحديث عن جهود وأدوار المستشرقين من خلال نماذج ممثلة لأشهر المستشرقين .

نعود ونقول إن البعض يرى أن الإستشراق يشكل الجذور الحقيقية التى كانت ولاتزال تقدم المدد للتنصير والإستعمار وتغذى عملية الصراع فى البلاد المستعمرة (14) ، ولقد نجحت العقلية الأوربية بداية فى السيطرة على مصادر التراث العربى الإسلامى ، وعن طريق الإستشراق والمستشرقين بادرت إلى التحقيق والتمحيص والطبع والنشر لمجموعة من أكبر وأهم المصادر التراثية ، ويمثل ذلك مظهراً الإحتواء الثقافى وفرض شكلية معينة من التحقيق والتقويم والنقد (15)، ونرى أن ذلك يمثل جانباً إيجابياً لتشكيل صورة الغرب عن الإسلام وتكوين فكرة صحيحة غير مغلوطة حتى إذا كانت تحتوى الصفوة دون العامة .

ومما لاشك فيه إن الإستشراق له أثر كبير فى العالم الغربى وفى العالم الإسلامى على السواء وأن إختلفت ردود الأفعال على كلاً الجانبين ، ففى العالم الغربى لم يعد فى وسع أحد أن يكتب عن الشرق دون التخلص من القيد التى فرضها الإستشراق على حرية الفكر أو العقل وفى عالمنا العربى المعاصر لايكاد يجد المرء مجلة أو صحيفة أو كتاباً إلا وفيها ذكر أو إشارة إلى شئ عن الإستشراق ، وذلك لأن الإستشراق كان ولا يزال جزءاً لايتجزأ عن قصة الصراع الحضارى ما بين العالم الإسلامى والعالم الغربى ، ولايزال الأوربيون حتى اليوم يستقون معلوماتهم عن الإسلام وفلسفته من

---

(14) د. محمد عبيد حسنه : مقدمة كتاب الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى للدكتور / محمود حمدى زقزوق – الطبعة الأولى – قطر – كتاب الأمة – العدد (5) سنة 1404هـ – ص4 .

(15) د. محمود حمدى زقزوق : الإستشراق والخلفية الفكرية ، مرجع سابق ، ص9 .

كتابات المختصين فى هذا المجـال أو ذاك ، حتى ولو كان صموئيل هنتجتون (*) صاحب نظرية صراع الحضارات المزعومة ، هذا فضلاً عما يكتبه بعض الأدباء والفلاسفة الأوروبين ، وفى النهاية هى كتابات مستشرقين، والإستشراق قضية من القضايا التى تتناقض حولها الآراء فى عالمنا الإسلامى ، فهناك من يؤيده ويتحمس له إلى أقصى حد ؛ وهناك من يرفضه جملة وتفصيلاً ، والواقع أن الإستشراق له تأثيراته القوية فى الفكر الإسلامى الحديث إيجاباً وسلباً ، أردنا أم لم نرد . وهكذا نجد أن موضوع الإستشراق يفرض نفسه علينا بإلحاح شديد ويتطلب منا وقفه جادة لبحثه ودراسته دراسة توضح أبعاده وتأثيراته فى الإسلام على المسلمين ونقف على أغراضهم وأهدافهم .

ومن هنا نجد أن من جعل أغراض المستشرقين فى طلب الرزق ؛ ومن حدوها بالتبشير أو بالإستعمار أو بالتنصير ، ومن قسمها بين الإستعمار والسياسة ، وها هو د. العقيقى يصف من جعل منهم أن هدفهم وغرضهم فى

(*) اشتملت نظرية صراع الحضارات التى طورها صموئيل هنتنجتون على صورة مشوهة وغير حقيقية للإسلام وحضارته وعلاقته بالغرب وبالحضارة الغربية ، وقد علق أحد النقاد المسلمين على النظرية وموقفها من الإسلام بقوله : " لايمكن للمرء أن يفهم صدور مجموعة من الأحكام غير الموضوعية بخصوص الإسلام من قبل مفكر إكاديمى كبير بحجم صموئيل هنتنجتون حيث تعامل مع الإسلام كموضوع للإثارة الإعلامية من خلال التحفيز على التخريف من المسلمين وكراهيتهم عبر تقديم صورة سلبية عن الإسلام بأعتباره ديناً دموياً عنيفاً يشجع على الإرهاب !! وعدم التعايش والإندماج مع الشعوب الأخرى " ؟ وهذه مغالطات تتم عن جهل واضح بالإسلام ومبادئه وهو يساهم بذلك فى موجة الإسلاموفوبيا التى تجتاح العديد من الأوساط الفكرية والسياسية والاستراتيجية فى الغرب ، ولعل من أخطر أبعاد نظرية صراع الحضارات عملية تسييس القيم الحضارية والتلاعب بالبعد الثقافى فى حياة الشعوب . (راجع فى ذلك : الإسلام والغرب وإمكانية الحوار – تحرير وتقديم كاى حافظ بالإلمانية – ترجمة د. صلاح محجوب ادريس مراجعة وتقديم د. محمد خليفة حسن – المجلس الأعلى للثقافة – مصر 2000م – المقدمة ص5 ، 6 ، أنظر أيضاً العرض النقدى لصراع الحضارات د. محمد سعدى – مجلة المستقبل العربى – العدد 244 – المجلد (6) عام 1999م . ص173 .

طلب الرزق قائلاً : " فقد دخلوا ميدان الإستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية أو هربوا عندما قعدت بهم امكاناتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء فى العلوم الأخرى ، أو دخلوا تخلصاً من مسئولياتهم الدينية المباشرة فى مجتمعاتهم المسيحية ، أما المستشرقون اليهود فلإضعاف الإسلام .. إلخ " (16).

ومن المستشرقين من تسلل إلى مجامع اللغة العربية واقسام الفلسفة الإسلامية فى بلاد الشرق ولخدمة المؤسسات الدينية والسياسية والإقتصادية فى الغرب كما فعل ملوكهم وأمرائهم واتجهوا إلى غرس مبادئ التربية الغربية (التغريب) فى نفوس المسلمين حتى يشبوا (مستغربين) فى الوقت الذى يحرفون فيه التاريخ الإسلامى والفكر الدينى ويشوهون مبادئه تلكم هى بعض الجوانب السلبية للإستشراق .

أما عن من حدها بالتبشير فنجد الأستاذ المؤرخ أحمد امين يذكر أنه كان مع الأسف فى طليعة المستشرقين متشوفون مبشرون فأخذوا سيتخدمون الإسلام فى الطعن عليه أداة للتبشير ويختارون الأشياء التى تثير الاوربيون على المسلمين . وجاء من بعدهم من المستشرقين غير المبشرين فسلكوا مسلكهم واحتذوا حذوهم ولم يسلكوا مسلك البحث النزيه المجرد ، بل كانوا يضعون الإتهام أولاً ثم يبحثون عن الأدلة التى تقوى هذا الإتهام ما عدا القليل منهم (17). ومنهم من يحد اغراض الإستشراق بالتبشير والاستعمار ويربط بينهما كما قلت من قبل .

لقد كانت الحروب الصليبية من منابع الإستشراق فأطلعت الغربيون على مواطن فى دينهم – من المقارنة بين الإسلام وبينه – تحتاج إلى مراجعة أو

---

(16) د. نجيب العقيقى : المستشرقون – دار المعرفة بمصر – الطبعة الرابعة . ج2 ص612

(17) أحمد امين : يوم الإسلام – طبعة القاهرة 1958م – ص113 .

تعديل ؛ وهذا ما أسماه بعضهم بحركة الاصلاح الدينى ، فاستدعت المراجعة نوعاً من الدراسات العبرانية ، ثم انتقلوا إلى الدراسات العربية ، ثم كانت هناك الرغبة فى التبشير بالمسيحية فى الشرق ، ومن هنا تلاقت وجهة الاستعمار ووجهة التبشير ووجهة الاستشراق ، ومن ر ءا إلى الحروب الصليبية نفسها من منطلق أن الحروب الصليبية أدت إلى ازدياد روح التعصب الدينى وانعكست هذه الروح على الإستشراق فكان ثمة الحروب الصليبية ، وقد أحسن تنظيمها فكانت أشبه بحركة مقاومة علمية للإسلام (18).

ومن هنا نرى أن قضية الإستشراق تحتاج إلى وقفة نفهمها ونستوعبها وننقحها ونعطى كل ذى حق حقه ، ونكشف النقاب عن هؤلاء الذين دخلوا حركة الإستشـــراق بقصـــد الهـــدم والمسخ والتدنى لتاريخنا العربى الإسلامى ، إلى أن جاء من رد شكوك المستشـــرقيـــن إلى على حد قول د. العقيقى إستناداً على ما ذكره د. خليف من أن هذه الشكوك التى يثيرها المستشرقون اليوم – حول شخصية المشركون من قبل فى وجه الدعوة الإسلامية .. فكلها افتراءات سبقهم إليها المشركون منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ، غير أن المستشرقين يحاولون أن يضفوا على هذه الافتراءات الجاهلية لوناً من العلمية والمنهجية (19). أما الفريق الآخر من المستشرقين فقد خروا جميعاً سجداً أمام هذه المعجزة الإلهية الأزلية (القرآن الكريم) وعرفوا قدر الرسول الكريم محمد ﷺ .. حتى وصفه توماس كارليل بقوله : " إن هذا القرآن صدى لما ينفجر من قلب الكون كله " ..وقال جرونبام إن هذا القرآن ظاهرة لم يسبق لها مثيل ؛ أنه الصورة العربية لكلمة الله نفسه .

ومن هنا نحن لا نستطيع ان نجحد جهود المستشرقين ؛ ولا يمكن أن

---

(18) د. نجيب العقيقى : المستشرقون ، مرجع سابق – ج2 – ص613 .

(19) د. يوسف خليف : مقاله بجريدة الأهرام القاهرية بتاريخ 1979/6/23م وقد كان د. يوســف خليــف وقتها يشغل منصب رئيس قسم اللغة العربية بآداب القاهرة .

ننكر تماماً فضلهم ولا يجوز لنا ان نستغنى على وجه الإطلاق عن دراسات المستشرقين وابحاثهم – كما سنرى بل من واجبنا الإطلاع على وجهات النظر الغربية فى موضوعات تارخنا وفكرنا العربى الإسلامى ، لنرى إلى أى مدى كان دور المستشرقين فى تشكيل فكرة الغرب عن الشرق وتقديم صورة حقيقية ، وان القارئ المثقف والمطلع الفطن والباحث المحايد المتخصص يستطيع أن يقوم أبحاث المستشرقين تقييماً صادقاً يمكنه أن يميز بين الغث والثمين وبين وجوه الإنصاف والإجحاف .

3ـ مراحل الصراع بين الشرق والغرب وأثره على الإستشراق :

.. بعد أن تحدثنا عن علاقة الاستشراق بكل من الإستعمار والتبشير والصهيونية أتضح لنا أن حركة الإستشراق وليدة الصراع الذى نشب بين الشرق والغرب من أجل السيطرة (سيطرة أحدهما على الآخر عسكرياً واقتصادياً وثقافياً وعقائدياً) منذ أقدم العصور إلى العصور الحديثة والمعاصرة. وإذا كان الصراع بين الشرق والغرب فى الأصل ينقسم إلى مرحلتين (مرحلة ما قبل الإسلام ومرحلة ما بعد الإسلام) فإن الصراع المزعوم فى العصر الحالى يمكن أن ينقسم " مرحلة ما بعد الإسلام " نفسه إلى مرحلتين : مرحلة مـــا قبل أحداث الحادى عشر من سبتمبر 2001م ، وما بعدها وما تبعها من تربصات وتشويه للإسلام وحروب ودمار للإسلام والمسلمين من قبل الغرب بقيادة أمريكا التى أصبحت القوة الأوحد فى العالم ، ضف إلى ذلك ما كان من قبل منذ سنوات الحروب الصليبية وما تلاها من استعمار وسيطرة لأغلب البلاد العربية الإسلامية ؛ وما صاحب ذلك من تنصير وتبشير وصهينة ؛ حتى وقتنا الحاضر (ما يجرى فى فلسطين وافغانستان والعراق خير شاهد على ذلك) .

فالعالم العربى دائماً فى حركة الصراع العالمى ضف إلى ذلك ان هناك عالم غير عربى ولكنه يدين بالإسلام يدخل أيضاً تحت دائرة هذا الصراع ؛

ويكفى أن محور الشر الذى اطلقته امريكا على ثلاثة دول منها دولتين إسلاميتين (العراق وإيران) احداهما يمثل الجانب العربى المسلم والآخر يمثل الجانب الفارسى المسلم ، فالصراعات إذ كانت فى ظاهرها عسكرية اقتصادية بأى حجة كانت ألا انها باطنياً صراعاً عقائدياً حيث تأكد للغرب من لقاءاته الأولى مع الإسلام وما بعدها أنهم أمام قوة صلبة قاهرة هوت الامبراطوريات أمام قوة ايدولوجيتها واندفاعها نحو بناء صرح إنسانى خالد، ولكن إذا اتحدوا ورفعوا شعار الجهاد والحق والعدل والتسامح والحرية مع مقومات النهضة العلمية والعملية ، وتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) حيث حررت بمقتضاها منطقة شاسعة من سيطرة اليونان والرومان اللتان كانتا تخضع لايدولوجية مسيحية قروناً طويلة ، ومنذ ذلك الحين أصبح الصراع بين الشرق والغرب قضية عالمية واخذ طابع الإستشراق بتأرجح بين حدود العلم وحدود الدين فأصبح من ينصف الإسلام من الغرب مرتداً عن دينه ويتم محاكمته كما فعلوا مع رجاء جارودى ومراد هوفمان وكما سنرى فى الدراسة ..

أما الصراع فى طوره الثانى فيمكن ان نلخصه فى خمس مراحل أساسية وكما ذهب إلى ذلك سمايلوفتش [20].

الأولى : مرحلة إندفاع نحو الغرب وإحتلال الشرق المسيحى .

الثانية : فتح شمال أفريقيا والسيطرة على الأندلس وحوض البحر الأبيض المتوسط .

الثالثة : محاولة الرد الغربى بالعمليات العسكرية المشهورة بالحروب الصليبية [21] والتى كانت أعظم مأساة نزلت بالصلات بين

(20) د. أحمد سمايلوفيتش : فلسفة الإستشراق – مرجع سابق – ص109 .

(21) بخصوص المزيد من المعلومات عن الحروب الصليبية يراجع :

المسلمين والنصارى ؛ ولقد أراد الصليبيون ان ينتزعوا بيت المقدس من أيدى المسلمين بالسيف وفرية رفع شعار سيدنا المسيح (عليه السلام) فلم يستطيعوا وتركوا وراءهم عداوة وأحقاداً [22] ، وإلى اليوم .

وهى بلا شك من إحراج الفترات فى تاريخ العالم الإسلامى حيث تآمرت قوى الغرب والشرق (غير الإسلامى) معاً للقضاء على الإسلام، وها هم اليهود اليوم بمعاونة بعض بلاد الغرب الأوروبى وأمريكا يقتلون ويسفكون دماء الشعب الفلسطينى ويشردون اصحاب الأرض الاصليين بحجة أن القدس يهودية ، وما زال الصراع الفلسطينى الاسرائيلى على أشده ولعل اليوم الذى يصبح فيه الصراع بين العرب جميعاً واسرائيل ومن يساندوها ستتغير اشكال كثيرة على خريطة العالم.

<u>المرحلة الرابعة</u> :

وهى مرحلة ظهرت فيها قوة الأتراك الضارية التى كانت تهدف إلى التوسع على حساب المسلمين واندفعت نحو القسطنطنية لاحتلالها وإلى بلاد البلقان لاجتياحها وإلى شمال افريقيا لبسط نفوذها وقد دام الصراع بين الترك والأوربين فتـــرة مـــن الزمن حتى ضعفت الامبراطورية العثمانية واستطاع الغرب ان يتسلل من جديد إلـــى البـــلاد العربية وطرد الاتراك من الولايات العديدة وأصبح الغرب هو المستعمر الجديد [23].

<u>المرحلة الخامسة</u> :

من هذا الصراع الدامى بين الشرق والغرب والتى تمتاز بالنضال

---

(22) د. عمر فروخ : التبشير والاستعمار – المكتبة العصرية ببيروت – الطبعة الاولى 1957م – ص115 وما بعدها .

(23) د. أحمد سمايلوفتش : فلسفة الإستشراق – مرجع سابق – ص113 .

والتحرر من سيطرة الاستعمار والقضاء عليه كان بفضل الثوار واصحاب النزعات التحررية والمفكرين المصلحين المخلصين للدين والوطن ، وإذا كان الصراع المرير عبر التاريخ بين الشرق والغرب قد انتهى تقريباً عسكرياً فإنه مازال موجوداً اقتصادياً وثقافياً وهيمنة وعولمة وحداثة ، والنغمة الجديدة للنظام العالمى الجديد ونهاية التاريخ ، وصراع الحضارات وتهمة الإرهاب الإسلامى الذى يتم رصد بلايين الدولارات من أجل القضاء عليه داخل اراضى الأمة الإسلامية إينما وجد وكيفما وجد كالأبن اللقيط فأين الإسلام اليوم [24] ؟ ولماذا لا نوقف هذه الدولة التى تشجع الصهيونية من خلال اللوبى اليهودى حتى داخل بلاده للاستيلاء على الشخصية الإسلامية والكيان الإسلامى بأسره وابادته إينما وجد .. أنها أمانى الجميع تراودهم منذ شرعوا فى محاربة العرب باعتبارهم حاملى القرآن الكريم وحفظته حتى أصبح تمزيق الأمة العربية موضع إتفاق واتحادهم موضع إختلاف .

قد أورد لنا د. أبو ريدة كيف عبر عن أمانى هؤلاء وأمثالهم منذ زمن بعيد نصر بن سيار حاكم خراسان من قبل بنى أميه فى محاولة كشف قناع أعداء العرب وهدفهم كما حذر العرب فى الوقت نفسه من هذا الخطر شعراً قائلاً :

أبلغ ربيعة فى مـــرو وإخـــوانها ... أن يغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب

ما بالكم تلقحون الحـرب بينكـم ... كأن أهـل الحُجا عن فعلكـم غيب

وتتركـون عـدواً قـد أظلكــم ... ممن تأشب لا ديـن ولا حســب

ليسوا إلى عرب منـا فنعرفهــم ... ولا صميم الموالى ان هـم نُسبـوا

---

(24) أبو الأعلى المودودى : الإسلام اليوم – دار القلم للنشر والتوزيع – الكويت – الطبعة السادسة – 1993م ص45 وما بعدها . ويوضح أبو الأعلى أن هذا العنوان الإسلام المعاصر Islam to Day أخذناه بمدلوله الانجليزى أى المفهوم الذى يعبر عنه أهل الغرب لهذا العنوان إذ أن أهل الغرب كثيراً ما يخلطون الإسلام بالمسلم فيستخدمون كلمة الإسلام حيث يستخدم كلمة المسلم ويصفون المسلم بما يوصف به الإسلام . والإسلام حقيقة خالدة وما يتغيرهم المسلمون – راجع ص8 .

قوم يدينون ديناً ما سمعت بـــه ... عن الرسول ولا جاءت به الكتب

فمن يمكن سائلى عن أصل دينهم ... فإن دينـهـم ان تـقـتـل العــرب

وكأن قتل العرب عقيدة ودين لدى كل من الإستعمار والصهيونية واصحاب حركات التبشير عبر التاريخ فى علاقة وثيقة بينه وبين الإستشراق غير المعتدل وقد عقب د. أبو ريدة على هذه الابيات قائلاً :– " إن فكرة هذه الأبيات ستظل أمام عقل العرب وأمام ابصارهم ماداموا يحرصون على تحقيق رسالتهم فى التاريخ وسط الصراع بين الأمم ونظم الحياة والمثل العليا الروحية والإنسانية " (25).

* * *

(25) د. محمد عبد الهادى ابو ريدة : مقدمة ترجمة كتاب الإمبراطورية الإسـلامية للمستـشرق الألمـانى فلهوزن – لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة – الطبعة الاولى 1968م ص16 .

ثانياً
جهود المستشرقين فى الميزان

تمهيد ..

بداية يجب أن نقول إنه قد تكونت فى العصر الوسيط (تاريخياً) حلقة بين تراث اليونانية القديمة وبين اللاتينية الـحـيثة أرست عليه أوروبا نهضتنا وأبدعت منه تراثاً حتى إذا تهيأت لنا استعادته بنينا عليه نهضتنا وحضارتنا التى هى أنفس وأنبل وأخلد ما للامة من تراث يشمل العلوم وتاريخه والفنون والآداب والعلوم الإجتماعية ؛ وكان ظهور المستشرقين الذين تناولوا تراثنا بالكشف والجمع والعون والتقويم والتحقيق والفهرسة والدراسة والترجمة والتصنيف سواء فى منشأه وتأثره وتطوره وأثره وموازنته بغيره مصطنعين لنشره المعاهد والجامعات والمطابع والمجلات العلمية ودوائر المعارف والمؤتمرات ، حتى بلغوا مئات السنين وفى شتى البلدان وبسائر اللغات مبلغاً عظيماً من العمق والشمول والطرافة وأصبح جزءاً لاينفصل عن تراثنا .

1ـ جهود متبادلة بين الشرق والغرب :ـ

ليس من اللائق ولا من الأمانة العلمية أن نحن عرفنا الجهود المبذولة فى مجال الإستشراق وطويناها وتنكرها لها ونحن نبحث عن الحقيقة الموضوعية ، مع أن نشره لايتضمن الموافقة عليه والرضا عنه جميعه ، فهناك سلبيات كما أن هناك إيجابيات فى جهود المستشرقين ، والحضارة الإنسانية لا تقوم لها قائمة إلا على التعاون المثمر فى نشر ذخائر كل أمة فى العلوم والفنون والآداب على تنوعها وأوجه الشبه والإختلاف فيها تعاوناً يقصر المسافات النفسية فى ائتلاف / صادق / شامل / مستمر ، ويذكر د. العقيقى أن تحقيق تراجم المستشرقين ليس بالأمر اليسير الهين إذ شغل المستشرقون بنا عن أنفسهم اكثر مما زعمه ديجا Dugat(*) والقائل إن

(*) مؤلف كتاب تاريخ المستشرقين فى أوربا بالفرنسية (1868 – 1871م) بعنوان :
Dugat : L'histoire des orientalistes

المستشرقين قعدوا عن تصنيف تاريخ الإستشراق لشدة تنافسهم فيما بينهم وترصد بعضهم البعض الآخر وتركوا مصادر الإستشراق موزعة على المجلات والحوليات وفهارس المكتبات والمنوعات [26].

ولقد استوعب الحضارة العربية (لغة وعقيدة) التراث الإنسانى قروناً طويلة وذلك أنه أعقب عصر ترجمة تلك الفنون والآداب والعلوم وتفسيرها والتعليق عليها باقلام علماء الفرق الإسلامية (أشاعرة وشيعة وسنة) والفلاسفة والمتصوفين – عصر إنتاج لإصلاح الأخطاء واستكمال النقص ووضع مذهب الإستقراء والقياس والتمثيل لها ، والابتكار منها فى تصانيف كانت أكبر دعائم النهضة الأوروبية والتى مكنتها – طوال ثلاثة قرون – من الرقى والتطور والتكامل ورجعت إليها جامعاتها فى القرن الثامن عشر الميلادى ومازال مستشرقوها يتناولونها بالتحقيق والترجمة والتأليف ليتشكل العقل الغربى حتى يفهم فكر الإسلام بشكل صحيح . فدخل علماؤها تاريخ الفنون والآداب ولاسيما العلوم الفلسفية (المنطق والتصوف وعلم الكلام وتاريخ العلوم وغيرها) .

ولا غرو **فالكـــنـــدى** (185- 252هـــ / 801 - 865 م) اول فيلســـوف عربى اهتدى إلى الفلسفة اليونانية وحاول التوفيق بينهما وبين الإسلام فى منتصف القرن الثانى الهجرى ، وصنف وشرح كثيراً من الرسائل(*)، وقد جعله المستشرق روجر بيكون فى كتاب "المرئيات" مع ابن

---

(26) د. نجيب العقيقى : المستشرقون – ج1 – ص7 .

(*) ومن رسائله : رسالة الموسيقى (برلين) والادوية المركبة بترجمـــة لاتينيـــة (ميـــونخ) والمـــد والجـــزر (اكسفورد) واختبارات الأيلم (ليدن) وتحويل السنيين (الاسكوريال) وكيمياء المطر (لينيرج) ورســـالة فى دفع الدم (ليبرج) – أنظر فى ذلك : الشيخ مصطفى عبد الرازق – فيلسوف العرب والمعلـــم الثـــانى ، د. أحمد فؤاد الأهوانى : رسائل الكندى الفلسفية فى جزأين ، د. محمود الحفنـــى : رســـائل الكنـــدى فـــى الموسيقى و د. الأهوانى أيضاً كتاب الكندى فى الفلسفة الأولى مطبعة عيسى الحلبى ص78 وما بعدها .

الهيثم فى مستوى بطليموس ورفعه كروانو الايطالى إلى مرتبة الأثنى عشر عبقرياً منذ ابتـداء العالم حتى القرن السادس عشر الميلادى **والفارابى** (259 – 329 هـ / 870م – 950م) صنف نحو أربعين كتاباً أشهرها فصوص الحكم واحصاء العلوم والتعريف ومختصر النواميس وكتاب الموسيقى الذى لعب دوراً كبيراً فى الحضارة الإسلامية وفى الحضارة الأوربية فى العصر الوسيط وترجمة المستشرق دولانجيه إلى اللغة الفرنسية، والمدينة الفاضلة وكان أول كتاب عربى فى الفلسفة السياسية تلاها فى الغرب كتاب الأمير لميكافيللى ، وإحصاء العلوم وتحصيل السعادة .. إلخ .

ومن أمثلة الفلاسفة الذين لعبوا دوراً هاماً فى الجهود المتبادلة لنقـل الحضارات نجد الشـيخ الرئيسى ابى علـى الحـسن **ابـن سـينا** (370 – 428هـ / 980 – 1036م) وبلغت الفلسفة الإسلامية اوجها عنده ؛ وألـف وكتب فى كل الفروع ومما يدل عـلى النزعـة الموسـوعية العامـة للحضارة الإسلامية ، فاذا كان الكندى عربياً والفارابى تركيـاً فـابن سـينا فارسياً فالجامع لهم جميعاً هو العقيدة الإسلامية لا الجنس ولا اللغة !! وابـن سينا من أعظم فلاسفة الإسلام واغزرهم علماً فى كل المجـالات الطـب / الفلسفة / المنطـق / الطبيعيات / الرياضيات /الإلهيات / الفلـك ، ولقـد حـل كتابـه القانون بعد ترجمته إلـى اللاتينية محـل كتـب جـالينوس والرازى وطبع خمسة عشر طبعة ونشر النص العربى فى رومـا (1593م) واستمـر مرجعاً فى مونبليه ولوفان بفرنسا ومازال لأبن سينا صـورة تزين القاعـة الكبرى فى كلية الطب بجامعـة السوربون Sorbonne ببـاريس ، وفلسفته وفكـره أعتمد عليها كثـير مـن المستشرقين من أمثـال تومـا

الأكوينى [27] ألبرت الكبير [28] وروجو بيكون [29] وغيرهم ، هذا بالأضافة إلى معرفة المستشرقين بكل من الرازى وابن الهيثم والخوارزمى وجابر بن حيان الكيميائى العربى الشهير ، وقد أقتبس الغرب وعلماء اوربا فى العصر الوسيط الكيمياء من العرب ورائدهم جابر بن حيان ، اما الفيلسوف الشارح الاول العقلانى ابن رشد الاندلسى فحدث ولا حرج ويكفى ما عرفه الاوربيون عن ابن رشد الشارح الأول لارسطو ففى سنة 1230م تقدم إلى جامعة اكسفورد المستشرق ميخائيل سكوت (1236/1135م) Michael Scot الاسكتلندى بترجمة كتاب السماء والعالم لارسطو بشرح ابن رشد ، وكذا كتاب النفس فذاعت فلسفة ابن رشد العربى الأصل فى أوربيا كلها واصبح لديهم مدرسة تسمى بالمدرسة الرشدية اللاتينية فى العصور الوسطى [30]، كما أخذوا العلوم عن البيرونى (1018م) وهناك المصنفين : الأشياء الباقية (ليبزج 1878م) وتحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرزولة (لندن 1887) - بأنه أعظم عقلية عرفها التاريخ .

---

(27) توما الأكوينى (1225 - 1274م) Thomas d'Aquin من أسرة ألمانية ، التحق بجامعة نابولى وكان طلابها مقبلين على ترجمات ميخائيل سكوت باللاتينية لفلسفة ابن رشد وابن سينا وانخرط فى سلك الرهبان الدومينكان ، درس فى جامعة باريس وكان على خلاف مع الرهبان الفرنسيسكان الذين كانوا يسلكون إلى معرفة الله طريق الصوفية ، وهو تلميذ ألبرت الكبير . (يراجع فى ذلك .. د. العقيقى - ص119) .

(28) ألبرت الكبير (1206 / 1280م) Albert le Grand من أسرة ألمانية تلقى العلم فى جامعات بادوى وديركلونى وستراسبورج وباريس حيث تخرج من جامعاتها ، له صيت زائع فى تدريس الفلسفة واللاهوت اقتبس عن الفارابى وابن رشد وشروحه وابن سينا والغزالى . (يراجع فى ذلك .. د. العقيقى - ص119) .

(29) روجور بيكون (1214 / 1292) Roger Bacon انجليزى تلقى العلم فى اكسفورد وباريس حصل على درجة الدكتوراه فى اللاهوت ودرس الطب واكب على كتب ابن الهيثم والرازى وقد أعتمد على فلسفة ابن سينا الذى وصفه بأنه عميد الفلسفة بعد ارسطو . (يراجع فى ذلك ؛ د. العقيقى - ص121) .

(30) Oliver (L) : An introduction to Medieval philosophy - Cambridge University - press - U.S.A - p.85 - 1995

وأفــرد الدكتور / بدوى فصلاً فى كتابه عن ابحاث المستشرقين فى تاريخ العلوم عند العــرب وأوضـــح أن للمستشرقين فضـــل عظيم – يعرفه لهم كل من لـــه إطـــلاع – ولو قليـــل – فى هذا المجـــال ، فى الكشف عن تاريخ العلـــوم عند العرب (*) ، فلقد تناول المستشرقون ما لدى العرب بالدرس والتحقيق والمقارنة ووضحوا مدى تاثيره فى أوربا العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث سواء كان ذلك فى الكيمياء العلمية كما نعرفها فى العصر الحديث أو الكيمياء غير العلمية (تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن شريفة) أو حتى علم تحضير اكسير الحياة وهو الدواء ، وبقيت كتب ابن سينا فى الفلسفة والطب تدرس فى الجامعات الاوربية إلى القرن السابع عشر الميلادى ، وكما وضعوا جالينوس أمام الرازى فى الطب وضعوا ابن سينا فى مقام ارسطو فى الفلسفة .

ونشأة الكيمياء عند العرب ترتبط بأمير أموى هو خالد بن يزيد ونمت وتطورت على يد العالم جابر بن حيان وقد تناولها بالبحث المستشرق روسكا (31) فى كتاب ظهر فى كراستين بعنوان : (الكيميائيون العرب) ،

(*) وللمؤلف كتاب بعنوان مآثر علماء العرب والمسلمين فى تاريخ العلوم والمناهج بسرد فيه جهود علماء العرب فى تقدم العلوم وتصنيف العلوم وماهيته .. وغير ذلك ، أنظر فى ذلك الفصل الخامس من ص130 وما بعدها – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الطبعة الأولى – اسكندرية – 2007

(31) كما أهتم يوليوس بكيمياء الرازى (محمد بن زكريا (351 / 313هـ) للطبيب المشهور ، فقد تـــرجم كتـــاب سر الأسرار مع مقدمة وشرح ، كما كتب عدة مقالات عن كيمياء الرازى عددها د.بدوى فى ستة هـــى :

1- الرازى رائداً لكيمياء جديدة فى مجلة D.L.Z 1923م

2- حول الوضع الراهن للبحث فى الرازى 1924م .

3- الكيمياء فى العراق وفارس فى القرن العاشر الميلادى 1928م .

4- كيمياء الرازى (فى مجلة الإسلام) 1935م .

5- الكتاب الرئيسى للرازى فى الكيمياء نشر فى عام 1937م .

6- المؤلفات المنحولة المنسوبة إلى الرازى (فى مجلة اوزريس Osiris 1939م) (د. بـــدوى : دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب – المؤسسة العربية للدراســـات والنـــشر – بيروت – لبنان الطبعة الأولى 1981م – ص20) .

وبول كراوس [32] المستشرق الألمانى ، والعناية الكبيرة بجابر بن حيان كمسلم يرجع إلى النصف الأخير من القرن التاسع عشر، فقد أهتم به مارسلان برتيلو (ت 1907م) فى كتاب بعنوان : M.Berthelat : La Chimie au Mayen Age (Paris – 1893) .

ولكن المستشرقين اثبتوا ان جابر بن حيان له علاقة وثيقة بآراء مذهب الاسماعيلية وغلاة الشيعة مما يؤكد نسبة رسائل جابر بن حيان إلى الاوساط الشيعية الاسماعيلية وانها نموذج سابق لرسائل اخوان الصفا وخلان الوفا [33] التى ظهرت فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، ويعتبر الإمام جعفر الصادق أستاذاً ومعلماً للعالم الفيلسوف جابر بن حيان .

أما فى مجال تاريخ الطب عند العرب والمسلمين فالدراسات الاستشراقية لا تدخل تحت حصر فهو ميدان أشمل واقوم واكثر تعمقاً واستقصاءً من الكيمياء ؛ وأقدم مستشرق تناول هذا الموضوع هو فيستنفلد الالمانى بكتاب : تاريخ الأطباء والعلماء العرب (1840م) ويتلوه لوكلير الفرنسى بكتاب : تاريخ الطب العربى والذى ظهر فى باريس عام 1876 بعنوان :

Lacien leclere : Histoire de la medicine arabe

ثم ادوارد براون الانجليزى بكتاب : الطب العربى – كمبردج 1921م :

---

(32) بول كراوس (1904 / 1994م) Kraus, Paul مستشرق ألمانى ولد فى مدينة براغ من أسرة يهودية سافر إلى فلسطين ودخل جامعة برلين وحصل على الدكتوراه 1932م سافر إلى فرنسا حيث عاونه لويس ماسينيون وتعاونا معاً لنشر أخبار الحلاج وسجل كراوس للحصول على الدكتوراه الثانية من السوربون برسالة عن محمد بن زكريا الرازى ولكنه لم يتم مناقشتها وكذا دراسة عن جابر بن حيان – انتحر فى عام 1944م .

(33) د. صابر عبده ابازيد : فكرة الزمان عند اخوان الصفا " دراسة تحليلية مقارنة " . بتقديم أ.د. / عاطف العراقى – مكتبة مدبولى – القاهرة – الطبعة الأولى 1999م . بخصوص نشأة أخوان الصفا ورسائلهم وشخصياتهم . أنظر الفصلين الأول والثانى .

Edward G. Braowne Arabian Medicin

إلى أن جاء جورج سارتون ليقدم المدخل إلى تاريخ العلم فى عــدة أجــزاء وماكس مايرهوت واسهاماته فى مجال الطب وتاريخ الطب العربى وكتاباته عن على بن ابى ابيه الطبرى من خلاله ، فاته فــردوس الحكمــة. هــذا بالأضافة إلى اهتمام المستشرقين برائد الجراحة فى الانــدلس ابــو القاســم الزهراوى وغيرهم كثيرون ، ولا نريد ان نستطرد فى هذه الجزئية ؛ ومــا نود أن نقوله إن الغرب عرف لنا نحن العرب المسلمين اسهاماتنا فى مجالات عديدة غيــر الكيمياء والطــب والبيطــرة والــصيدلــة والعقــاقير وعلــم الحيوان والنبات والرياضيات والفلك والفيزياء والهندسة (34) كما عــــرفوا أفــذاذ العلماء من أمثال الحسن بن الهيثم والبيرونى وابن البيطار واخــوان الصفا وابن رضوان وأحمد بن يوسف وابن رشد وعمر الخيام والبوزجــانى وغيرهم .. مما يمثل جانب من الجوانب المضيئة لتشكيل الصورة للعــرب لدى الغرب فى جهود متبادلة بين الطرفين .

ومن منطلق أن منهجنا من البداية يؤكد على انه ليس كل الاستــشراق شر وليس كل ما يأتى من الغرب كفر ومن عمل الشيطان ، لكن هناك إستشراق منصف ومعتدل ، وسنأخذ مثال على ذلك من المستشرقين الفرنسيين .

---

(34) د. بدوى : دراسات ونصوص – ص26 (والدكتور / عبا الرحمن بدوى دراســات وكتابــات باللغــة الفرنسية يدافع فيها عن الإسلام والقرآن الكريم وسيدنا محمد ضــد منتقــديهم مــن المستــشرقين المغرضين الذين يهاجموا الإسلام دون علم ولإثارة العداء القديم بين الشرق والغرب ، وصــدر لــه كتابين يدافع فى أولهما عن القرآن الكريم ضد منتقديه ويدافع فى الثانى عن تلك الحملة المــسعورة ضد نبى الإسلام محمد (صلى الله عليه وسـلم) وصــدر الكتــاب الأول بعنــوان : **Defense du Coran ses critiques – 1989 – Paris** وصدر الكتاب الثانى تحت عنوان : دفاع عــن حيــاة محمد ضد المنتقدين لقدره باللغة الفرنسية **La Vie du preheat Mohammed Centre ses detractenrs – Paris – 1990** وقد عاش د. بدوى اكثر من 40 عام فى بــاريس وعــاد العــام الماضى مريضاً يعالج بمصر وقد توفى إلى رحمة الله تعالى اثناء إعدادنا لهذا البحث بعد ان ســاهم مساهمة فعالة فى معالجة قضايا الفلسفة فى العالم العربى والأوربى .

2. فرنسا والإستشراق المعتدل :

.. من المعلوم ان فرنسا بالذات طلبت الثقافة العربية فـــى مـــدارس الاندلس وصقلية ثم أنشأت لها منذ القرن الثانى عشر الميلادى مدرسة ريمس Remis بأمر البابا سلفستر الثانى ومدرسة شارتر Chartres ومنهمـــا تـــم إنشاء جامعـــة بـــاريس (1170م) Université de paris واقـــر البابـــا اينوسنت الثالث قوانينها ، واصبحت طوال ثلاثـــة قـــرون كعبـــة الفلاســـفة وزعيمة التفكير العقلانى الحر فى اوربا جمعاء وحتى الآن ، وفى العـــصر الحديث انشئ كرسى للدراسات الإسلامية فى جامعة بارس تتمة للقسم العربى فى السوربون – تاريخ وحضارة العرب والفقه الإسلامى – وألحق بها معهد للدراسات الإسلامية وقد تسمى فيه برونشفيج استاذاً لها (1955م) .

وجامعة تولوز (1217م) انشأها رجال الدن وجامعة بوردر (1441م) وفيها معهد الآداب للغة العربية والتمدن الإسلامى وتم انشاء معهد فرنـــسا – كوليج دى فرانس (1530م) Collége de France تجـــاه الـــسوربون ، وأعد فيه كرسيين للعبرية واليونانية واضاف إليهما الملـــك هنـــرى الثالـــث كرسياً للغة العربية (1587م) والكويج دى فرانس يوجد به الآن سمنارات لفلسفة الاديان والفلسفة العربية ، ثم أنشئت المدرسة الوطنية للغات الـــشرقية الحية فى باريس (1795م) .

Ecole National des Longues Orientales Vivants – Paris.

وهى تؤدى دورها الاستشراقى باعتدال حتى اليـــوم وتابعـــة لجامعـــة السوربون بباريس . وتولى المستشرق دى ساسى De Sacy تدريس اللغـــة العربية والفارسية وتلاميذه اصبحوا الآن من كبار المستشرقين الذين يقومون بتدريس اللغة العربية والفلسفة الإسلامية والتصوف وعلم الكـــلام ومقارنـــة الاديان بأقسام الفلسفة والعلوم الاجتماعية بجامعة باريس.

أما جامعة السوربون (1257م) Sorbonne وهو أسم القس الذى وهب أرضه وماله لأنشاء هذه الجامعة بأسمه فى أرقى أحياء باريس قاطبة (الحى اللاتينى) فهى من أكبر وأشهر جامعات فرنسا والعالم بدأت بهبة الأب روبردى سوربون كاهن القديس لويس ثم جدد الكردينال ريشيلو بناءها (1626م) وضمها نابليون بونابرت إلى جامعة باريس (1808م) وقد أهتم معهد الآداب فيها Institut de litératures بتاريخ الفن االإسلامى المغربى وتاريخ الشعوب الشرقية ودراسات فى اللغة والالسنة والحضارة العربية ثم ألحق بمعهد الآداب معهد الدراسات الإسلامية Institut d'Etudes Islamiques وفيه اللغة والتمدين والتاريخ والدراسات الدينية واللغات والمجتمع الإسلامى، وللسوربون فروع كثيرة تصل إلى ثمانية أو اكثر بخلاف المعاهد الملحقة بها .

وجامعة ليون (1808م) Lyon وتقع فى مدينة Lyon جنوب باريس وبها أكثر من جامعة ، وفيها أقسام اللغة العربية والفلسفة والآثار المصرية والتمدين الإسلامى وغير ذلك .

أما المدرسة العلمية للدراسات العليا فى باريس (1868م) فهى ملحقة بالسوربون وفيها قسم للعلوم الدينية ومقارنة الاديان .

Ecole pratique des Hautes Etudes – Paris – Veme section (Sciences Religieuses)

وسيكون لنا فى البحث وقفات مطولة عن دور المستشرقين الفرنسيين كنموذج للإستشراق الايجابى فى تشكيل فكرة الغرب عن الإسلام او الشرق ولما لهم من اسهامات عديدة فى تطور الفكر الفلسفى الإسلامى وتصحيح بعض المفاهيم ومن أمثلة هؤلاء : هنرى كوربان ولويس ماسينيون وارنست رينان ولويس جوتيه وهنرى لاووست وغيرهم

أما عن مكتبات باريس الكبرى فهى تلعب دوراً هاماً فى حفظ ونشر

وتحقيق التراث الإسلامى وتعد مكتبة باريس الوطنية التى أنــشئت 1654م Bibliothéque Nationale de paris كــأكبر واشــهر مكتبــات العــالم وتحتوى على ستة ملايين من الكتب والمخطوطات منها نحــو ســبعة آلاف مخطوط عربى ؛ ويرجع الفضل إلى اقتنائها وجمعها إلى المستشرقين العلماء والشعراء والمبعوثون وغيرهم ؛ وتجمع قطع من القرآن الكــريم وتــاريخ العرب قبل الإسلام وكتب عن أحكام النجوم لابى معشر البلخى (325هـــ) والتهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة للباقلانى ؛ وكتاب الخراج ، وكتــاب ما للهند من مقولة للبيرونى ومقامات الحريرى .. إلخ [35]. وهناك آلاف من المخطوطات تم تحقيقها على إيدى المستشرقين فى فرنسا كما ســنرى فيمــا بعد، بالإضافة إلى دور المطابع والمجلات الشرقية والــصحافة والــدوريات التى تصدر فى باريس من أمثلة :-

1- Le Journal des savants - Paris

صحيفة العلماء بباريس 1665م

2- Le Journal Asiatique – Paris المجلة الأسبوعية 1822م

ومن يطالع هذه المكتبة سيجد أن المجلدات مــن 38-40 عالجــت الأغراض الآتية : الأعتقادات والديانات والتصوف والفلسفة والدين .

3- Révue l'Histoire des Religions - Paris

وهى حولية عن تاريخ العقائد تصدر فى باريس

ويجب أن لا نغفل دور المستشرقين الذين حضروا إلى مــصرنا الغاليــة وقاموا بالتدريس فى جامعاتها وتتلمذ عليهم عدد غير قليل من المصرين الأفذاذ نذكر منهم : أربرى Arbery ولويس جارديه ولــويس ماســينيون وهنــرى

(35) بخصوص فهارس مكتبة باريس الوطنية (يراجع د. العقيقى ص143) ، وقد قمت بعمل حصر لأهم مكتبات بباريس أثناء وجودى فى صيف عام 2003 .

كوربان وجورج سانتلانا وغيرهم ، وقد أثروا علـــى أفكـــار وآراء رفاعـــة الطهطاوى والأفغانى ومحمد عبده وقاسم أمين ومصطفى عبد الرازق وطـــه حسين ومنصور فهمى وغيرهم من عباقرة الفكر والفلسفة والادب فى مصر .

3ـ **نماذج من الإستشراق الفرنسي :**

لو أردنا استعراض لأهم المستشرقين وطبقاتهم فى فرنسا لنرى إلى أى مدى كان تأثيرهم فى الفكر الغربـــى وتـــصحيح الـــصورة والمفـــاهيم والمضامين الروحية والاخلاقية للإسلام نبدأ بأحد المستشرقين من الرعيـــل الأول وهـــو : دى هربلـــو برتيليمـــى (1625 – 1695) D'Herbelut Borthelemy ، مستشرق فرنسى ولد فى بـــاريس 1625/12/14م تعلـــيم اليونانية واللاتينية والفلسفة عين استاذاً للغةالسريانية فى الكوليج دى فرانس ، من أهم مؤلفاته المكتبة الشرقية وهى موسوعة جامعة لما فى الـــشرق مـــن فلسفة وأدب واجتماع .

جاء بعده أنطون جالان (1646 – 1715م) Gallanl, Antone الذى كان يحضر دروس اللغات الشرقية فى الكوليج دى فرانس وسافر إلـــى استنابول للعمل فى السفارة الفرنسية وفى عام 1709م عـــين اســـتاذاً للغـــة العربية فى الكوليج دى فرانس ، ومن مؤلفاته ترجمة القرآن الكريم [36].

أما جوستاف دوجا ، والذى سبق ان ذكرته ، فقد ولد فـــى أورانـــج Orange ودخل مدرسة اللغات الشرقية فى باريس وســـافر إلـــى الجزائـــر 1845م له مؤلفات عديدة من أهمها وكما ذكرت تارخ المستشرقين فى أوربا من القرن الـــ12 حتى القرن الـــ19 [37] ولـــه أيـــضاً : تـــاريخ الفلاســـفة والمتكلمين المسلمين فى القرن الثالث عشر الميلادى ومناظر مـــن الحيـــاة

---

(36) د. عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين – ص19 ، 22

(37) وقد طبع فى باريس 1858م فى مجلتين من القطع الصغيرة ويشتمل على 16 جزء بعنوان :
Dugut, Gustoue : Histoire de Orientalistes de l'Europe – Paris – 1858.

الدينية فى الشرق – باريس 1878م .

وفى عام 1758م ولد شيخ المستشرقين الفرنسيين دى ساسى De Sacy, Anteine Silvester فى باريس وبدأ دروسه فى المنزل وكان متضلعاً فى الادبين اللاتينى واليونانى واللغتين العبرية والعربية له كتاب فى النحو العربى من مجلدين وله مختارات عربية فى ترجمة فرنسية Grammaire arabe ومقامات الحريرى فى عام 1806م عين أستاذاً فى الكوليج دى فرانس وفى عام 1815م عين مديراً لجامعة باريس وعضواً فى لجنة التعليم العام واقترح تأسيس المجلة الأسيوية فى عام 1822م ، وهى حتىيومنا هذا من أهم المجلات الاستشراقية فى العالم . وصار دى ساسى مديراً لكوليج دى فرانس فى 1823/12/30م مديراً للمدرسة الخاصة باللغات الشرقية 1822م ومن أهم مؤلفاته عرض ديانة الدروز 1838م فى مجلدين وهو عرض شامل لمذهب الدروز من غلاة الشيعة (38) .

ويأتى بعد ذلك مستشرق فرنسى شهير ومفكر معاصر له دراسات عديدة فى الفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية ألاّ وهو الفيلسوف لويس جاردية Louis,Gardet الذى أهتم بالنواحى الإجتماعية والصوفية ودرس الفلسفة المقارنة بالكلية الدولية للفلسفة بمدينة تولوز ومن مؤلفاته :-

- التفكير الدينى عند ابن سينا 1951م .
- التجارب الصوفية فى البلاد غير المسلمة 1954م .
- المدينة الإسلامية والحياة الإجتماعية والسياسية 1954م .
- معرفة الإسلام 1958م .
- المشكلات الكبرى للديانة الإسلامية : الله وقدرة الإنسان 1967م .

---

(38) د. عبد الحميد حمدا : طبقات المستشرقين – مرجع سابق – ص53 ، أنظر أيضاً د. نجيب العقيقى : المستشرقون – ج2 ص559 وقد عده د. العقيقى من الرهبان الدومينيكان . ولمزيد من المعلومات عن حياته ومؤلفاته وتقييم أعماله أنظر ج3 – ص282/280 نفس المرجع .

- رجال الإسلام 1977م .
- واشترك مع د. جورج قنواتى فى تأليف كتاب المدخل إلى الدين الإسلامى 1970م .
- التصوف الإسلامى : المظاهر والاتجاهات والتجارب والأساليب 1962م
- وله بحث هام عن السهروردى شيخ الإشـ ـ فى الثقافة الإسلامية .

Suhrwardi, Shaykh Alishraq ET culture Musulmane

ضمن عدة بحوث ودراسات فلسفية باللغتين العربيـة والفرنـسية (39) وانتهى فيه إلى ان السهروردى يمثل مكانة هامة فى الفكر الفلسفى والثقافـة العربية والايرانية الإسلامية ، وساهم لويس جاردنيه ببحث ضـمن الكتـاب التذكارى لشيخ الاستشراق شهاب الدين السهروردى بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لوفاته (587هـ / 1190م) بعنوان :

Quelques Reflexions sur l'ishraq De Suhrawardi et sa partee Experiencielle

بعض التأملات حول إشراق السهروردى وخبراته ويدور البحـث حول الخطوط العريضة التى تحدد معالم الديناميكية لفكر السهروردى مـع المقارنة – كلما أمكن – بينه وبين الفيلسوف وابن سينا ويرى جارديـه ان فكر الاشراق متنوع وغنى وهو صوفى اكثر منه فلسفى (40) .

وتوفى فى باريس 1986/7/17م بعد أن ترك لنا تراثاً حافلاً مـن الدراسشات الاستشراقية التى جعلت للاستشراق لوناً خاصاً لكل من يقـرأ مؤلفاته المحايدة حتى يستطيع ان يفهم ما للشرق من روعة وحياة روحيـة وتسامح ينبذ الشر والارهاب والتعصب ، ولكن اكثرهم لا يعلمون .

---

(39) يراجع فى ذلك : دراسات فلسفية مهداه إلى د. إبراهيم مدكور بأراف وتـصدير د. عثمـان أمـين – الجزء الفرنسى من ص75-89 – الهيئة العامة لكتاب – المطبعة الأولى 1974م .

(40) أنظر المقالة باللغة الفرنسية – إشراف وتقديم د. إبراهيم مدكور ضمن أعمال الكتاب التذكارى لشيخ الاشراق شهاب الدين السهروردى – الهيئة العامة للكتاب بالقـاهرة – الطبعـة الاولـى 1974م – ص87 وما بعدها .

أما **جوتييه ليون** Gouthier, Léon فهو مستشرق فرنسى أيضاً اسهم فى تاريخ الفلسفة الإسلامية فى بلاد الاندلس ، وقد حصل على درجة الدكتوراة فى كلية الآداب جامعة السوربون بباريس برسالتين :-

الأولى : عن نظرية ابن رشد فى العلاقة بين الدين والفلسفة – باريس 1909م

La théorie d'Ibn Rochd (Averroés) sur les Rapports de la Religion et de la philosophie (Thése pour les Doctorates es letters – de Paris)

والثانية : عن ابن طفيل : حياته ومؤلفاته

Ibn Thofaul sa vie et ses oeuvre (Thése Complémentaire pour le Doctarat es letters de l'universite de Paris)

وكلتا الرسالتين للمستشرق Léon Gauthier بمثابة دراسة مهمة عن فلاسفة المسلمين فى المغرب العربى ، ومن المعالم الرئيسية فى تاريخ الفلسفة الإسلامية فى العصر الحديث ومن إسهاماته أيضاً ترجمة كتاب ابن رشد الشهير " فصل المقال " فى الجزائر 1984م .

أما المستشرق الفرنسى الكبير هنرى كوربان Corbin, henry (1903 / 1978م) فهو من أشهر فلاسفة فرنسا معرفة ودراية ببلاد الإسلام ودراسة الإيرانات وله صداقة وزمالة بكثير من علماء الإسلام فى العصر الحديث من خلال دراساته العديدة عن الفرق الإسلامية وبخاصة الشيعة (الاسماعيلية والإثنى عشرية) فى إيران والعراق وتركيا وولد H.Corbin فى 1903/4/14 من أسرة بروتستينية فى مقاطعة نورماندى (شمال فرنسا) واتقن عدة لغات منها اللاتينية واليونانية والالمانية وألم باللغة الروسية ودرس الفلسفة فى كلية الآداب بالسوربون عمل محافظاً فى المكتبة الوطنية بباريس ، وقد تزوج من استلا ابنة احد كبار الأساتذة فى السوربون وعاونته كثيراً فى أبحاثه حيث كان هنرى كوربان ثقيل السمع ، ولكنه تأثر خصوصاً بمحاضرات إتيين جلسن Etienne, Gilson فى المدرسة العلمية للدراسات

العليا باريس والملحقة بالسوربون ، وقد اهداه لويس ماسينيون نسخة من كتاب "حكمة الإشراق" للسهروردى المقتول بشرح قطب الدين الرازى وصدر الدين الشيرازى وكان ذلك عام 1928م . وداوم على محاضرات جلسون فيما يتعلق بالفيلسوف ابن سينا وآرائه فى الفلسفة الإسلامية ، وهذا هو ما وجهه إلى الاهتمام بالفكر الإسلامى دراسة وتحقيقاً وشرحاً ؛ومنها تعلم اللغة العربية كما داوم على دروس المستشرق الكبير لويس ماسينيون كما سيأتى وعندما أنشأت الحكومة الفرنسية فى عام 1954م معهداً للدراسات الايرانية تولى كوربان الاشراف عليه فارتحل من اسطنبول إلى طهران وبقى مديراً لهذا المعهد حتى عام 1954م . ولما أحيل ماسينيون إلى التقاعد خلفه فى المدرسة العلمية للدراسات العليا الملحقة بالسوربون وجمع كوربان بين المنصبين وظل يسافر إلى طهران ليقضى نفس الفترة (حوالى 3 شهور) وكان يحضر إلى طهران بدعوة من الاكاديمية الفلسفية الايرانية التابعة لمؤسسة آل بهلوى فى الفترة من 1975 – 1977م . ومن أعظم وأهم اعماله واسهاماته نذكر مايلى:–

- كتابه فى الإسلام الايرانى من أربعة أجزاء [41].
- كشف المحجوب لابى يعقوب السجستانى [42].
- جامع الحكمتين لناصر خسرو [43].

---

(41) نشرة جاليمار Gallimard بباريس 1971م .

(42) تحقيق ومقدمة بالفرنسية 1949م – طهران .

(43) تصحيح وتقديم محمد معين 1953م – طهران (وتمت ترجمة هذا الكتاب من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية وقدم له د. محمد دسوقى شتا (رحمة الله) ونشر بدار الثقافة للطباعة والنشر 1974م بالقاهرة وكتاب جامع الحكمتين ألفه بالفارسية الحكيم الفيلسوف الرحالة الشاعر الفارسى الإسماعيلى ناصر خسرو (أبو معين القباديانى المروزى) وقد قام بنشره الأستاذ محمد معين الأستاذ بجامعة طهران والمستشرق الفرنسى هنرى كوربان أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة السوربون عام 1953م .

- تاريخ الفلسفة الإسلامية – منذ الينابيع حتى وفاة ابن رشد 1198م [44].

أما المستشرق الفرنسى **لويس ماسينيون** (1883 / 1962م) Louis Massignon الذى ولد فى إحدى ضواحى باريس وقضى دراسته الثانوية فى ليسية لوجران Louis le Grand المشهورة فى باريس وهناك ألتقى عام 1896م وهو بالصف الثالث بهنرى ماسبيرو الذى اصبح فيما بعد من كبار المتخصصين فى الدراسات الصينية فبدا لدى كليهما ميل مشترك للدراسات الشرقية فالتحقا بالمدرسة الوطنية الشرقية للغات الحية وهى التى تخرج فيها اجيال متلاحقة من المستشرقين الفرنسيين والاجانب من الغرب لدراسة فكر بلاد الشرق(*) وحصل لويس ماسينيون على البكالوريا فى 1900/10/3 م قسم الآداب والفلسفة وعلى البكالوريا قسم الرياضيات فى 1901/10/23 م وتابع دراساته العليا فحصل على ليسانس الآداب مع رسالة عن أونوريه دورفه Honore d'urfe 1902م وكان أستاذه فى الأدب الفرنسى هو فرديناند برونو F. Brunot صاحب تاريخ اللغة الفرنسية الشهير وحصل على دبلوم فى اللغة العربية الفصحى والعامية فى 10 / 2 / 1906 م من المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية ،

---

(44) واصل الكتاب بالفرنسية كما هو معروف Historie de la Philosophie Islamique ألفه كوربان بالتعاون مع حسين نصر وعثمان يحيي وترجمة نصير مروة وحسين قبيسى وراجعه وقدم له الإمام موسى الصدر (شيعة أثنى عشرية) والأمير عارف تامر (شيعى إسماعيلى) – عويدات – بيروت – لبنان – باريس دار Gallimard – الطبعة الثالثة – 1983م .

(*) ولا تزال حتى اليوم فى مكانها وتؤدى دورها لكل زائريها من طلاب وباحثين واصحاب مهمات علمية وبعثات – فى رقم 4 ش ليل بالحى السابع فى باريس . وقد قمت بأعداد كتاباً عن لويس ماسينيون أثناء تواجدى فى باريس أوضحت فيه جهوده فى تطور الفكر الفلسفى الإسلامى مع بيان كتاباته عن المتصوف المعذب ابو منصور الحلاج – طبعة دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر عام 2003م – اسكندرية .

ومن ثم بدا حياته الاستشراقية فأشترك فى المؤتمر الدولى الرابع عشر للمستشرقين الذى انعقد فى ابريل 1905 م بمدينة الجزائر وهناك تعرف على جولدتسيهر(**)وآسين بلاثيوس(***) وكانت أول صلة له بمصر عندما ألتحق ب عهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة فى 1906/10/23م.

وبدأ أبحاثه الأثرية الإسلامية وكان فى الغالب يلبس الملابس الوطنية وفى السنة نفسها ظهر أول بحث مهم له بعنوان : لوحة جغرافية للمغرب فى السنوات الخمس عشرة الاولى من القرن السادس حسب ليون الإفريقى [45] ، وتوالت بعد ذلك ابحاثه فى التاريخ والجغرافيا ولم يهتم بالدراسات الفلسفية إلا فى باريس 1907م عندما قرأ اشعاراً لفريد الدين العطار (الشاعر الفارسى الصوفى العظيم) وكانت تدور حول مصرع الحلاج وفيها تمجيد لشهيد التصوف الكبير فلفت عهدت إليه مهمة القيام بأبحاث له (أى الحلاج) ، ولما

(**) جولدتسيهر ، اجناس (1931/2850) Lgnaz, Galdziher مستشرق مجرى ضليع وغزير الانتاج ومتعصب فى الاصل يهودى اقام ابالقاهرة مدة ثم سافر إلى سوريا وفلسطين عين فى جامعة بودابيف واعتنى بالدراسات العربية والإسلامية الدينية خاصة ومن ابحاثه الخطيرة فى المسائل الإسلامية كتابة عن الظاهرية : مذهبهم وتاريخهم (1884م) وكتابه دراسات اسلامية (ج1 1889، ج2 1890م) ومن أشهر ابحاثه واعظمهم نضوجاً وتأثيراً فى مجال الإستشراق وتشكيل العقل الغربى لفهم الإسلام هما كتابان مشهوران : الاول محاضرات فى الإسلام (1910م) والمعروف باسم العقيدة والشريعة فى الإسلام وترجمة إلى اللغة العربية وعلق عليه د. محمد عبد الهادى أبو ريدة . والثانى : تفسير القرآن الكريم عند المسلمين (ليدن 1920) .

(***) الأب ميجل آسين بلاثيوس (1871 – 1944م) placios Micuel, Asiny مستشرق اسبانى ضليع غزير الانتاج ذو باع طويل فى الإستشراق تخرج مهندساً ثم ألتحق بكلية الآداب جامعة سرقسطية والتحق بجامعة مدريد للحصول على الدكتوراة عام 1896م برسالة عن الامام ابو حامد الغزالى له جهود متواصلة فى محافل الاستشراق والدراسات الإسلامية فى اسبانيا مع العديد من المستشرقين الاسبان ومن اهم كتبه الاخرويات الإسلامية فى الكويديا الالهية . (انظر فى ذلك : د.صالح حمدان – طبقات المستشرقين ج1 – ص116/101/100 .

(45) نشر فى الجزائر فى 305 صفحة و30 خريطة وجدد باسماء القبائل العربية والبربرية والنقود المحلية . أنظر أيضاً : د. العقيقى – مرجع سابق – ج3 .

عاد إلى باريس فى صيف 1907م عهدت إليه مهمة القيام بأبحاث وحفائر فى الآثار فى العراق فقام بهذه المهمة فى شتاء عامى 1908/1907م . وفى ذهنه مهمة القيام بأبحاث تاريخية فلسفية صوفية عن مأساة الحلاج وكربلاء والنجف الاشراف والكوفه وغيرها . كما زار سلمان بك القرية التى تضم قبر الصحابين الجليليين سلمان الفارسى وحذيفة فضلاً عن بقايا إيوان كسرى وفى مشاهدته لقبر سلمان ما دعاه إلى الأهتمام بهذا الصحابى الجليل الذى قال عنه الرسول ﷺ سلمان منا آل البيت ، وأنتهى به حفائره فى الصحراء إلى إعادة اكتشاف قصر الأخيضرفى ربيع 1910م وتمخضت هذه البعثة الأثرية عن كتاب ضخم فى مجلدين بعنوان : بعثة أثرية فى العراق [46] وكان طبيعياً أن تتمخص أيضاً عن دراسات اخرى عن بغداد ولفرق ككل فكتب 1910م عدة مقالات عن ثمار هذه الرحلة فنذكر منها : هجرات الموتى فى بغداد المحمرة ، والمعركة الأخيرة بين الرفاعية والقادرية (وهى عن الطرق الصوفية) والحج الشيعى فى بغداد ، ودراسات عن مخطوطات فى مكتبات بغداد [47].. إلخ

أما عن أبو منصور الحلاج فقد كانت أول دراسة له بحثاً فى الكتاب التذكارى المهداه إلى هرتفج دارنيور 1909م بعنوان : عذاب الحلاج والطريقة الحلاجية [48].

وأول بحث كبير عن الحلاج هو نشر كتاب الطواسين 1913م

---

(46) ظهر اولهما فى القاهرة 1910م ضمن مطبوعات المعهد الفرنسى للآثار الشرقية وظهر الثانى فى 1912م فى نفس المجموعة .

(47) وكلها نشرت فى مجلة العالم الإسلامى R.M.M (مجلدات 726 ، 1988م . فيما عدا الأول .

(48) ولقد اثنى عليه بمقال نشر فى R.M.M – مارس / ابريل 1911م بعنوان : الحلاج ، الشيخ المصلوب والشيطان عند اليزيدية وارتبطت بذلك مدرسة الكتب المقدسة عند اليزيدية . وهم عبده الشيطان فى شمال العراق الذين يدعون الانتساب إلى يريد بن معاوية ويقيمون حتى الآن فى جبل سنجار (ولقد تم أخيراً القبض على عدد منهم فى مصر وتمت محاكمتهم) – للمزيد عن اليزيدية انظر د. عبد المنعم الحفنى – موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية – مكتبة مدبولى – الطبعة الثانية – القاهرة ص689 – وللجاحظ كتاب عن اليزيدية صدر بدار المعارف بمصر .

(النص مع الترجمة الفارسية) تبعاً لمخطوطات استانبول ولندن مع دراسة جيدة قدم بها هذه النشرة ثم نشرة لارسيه (نصوص تتعلق به 1914م) وكتب مادة الحلاج فى دائرة المعارف الإسلامية وكذا مادة الحلول وهى تتصل بالحلاج والتصوف بصفة عامة (49).

وفى تلك الاثناء كان قد أشترك فى مؤتمر المستشرقين الخامس عشر فى كوبنهاجن فالتقى من جديد بجولدتسهير وألقى بحثه وذهب إلى استانبول فى 1919م للاطلاع على مخطوطات خزائنها الغنية ، وعاد إلى القاهرة وحضر دروساً فى الازهر الشريف وكان يلبس الزى الأزهرى كما فعل جولدتسهير من قبل لما كان يدرس فى الأزهر 1874/1873م واستمر يمضى الشتاء فى القاهرة والصيف فى باريس طوال السنوات التالية إلى أن ترك عضوية المعهد الفرنسى فى 1911/10/31م ، ودعى ماسينيون إلى الجامعة المصرية القديمة وألقى محاضرة باللغة العربية على طلاب الجامعة المصرية ، وكان منهم د / طه حسين د / منصور فهمى وعلى العنانى وغيرهم تدور حول تاريخ المذاهب الفلسفية فى الإسلام والاصطلاحات الفلسفية وجعل عنوانها بعد تجميعها فى كتاب فى تاريخ الاصطلاحات الفلسفية (50) وواصل ماسينيون دراساته عن الحلاج كاشفاً لنا الوجه الحقيقى للتصوف الإسلامى قبل الحلاج ويوسع قاعدة البحث حتى تشمل كل الصوفية

---

(49) ومن أهم مؤلفاته باللغة الفرنسية عن التصوف الإسلامى انظر :

Louis Massignon : Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane – paris – 1968. عن المصطلحات الصوفية

(50) ومنها نسختين بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ونسخة أخرى بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة أيضاً وهذا الكتاب تم تحقيقه وكتبت مقدمته وحواشيه د. زينب محمود الخضرى وطرح الكتاب بتصدير عام للأستاذ الدكتور / إبراهيم بيومى مدكور بعنوان جديد / محاضرات فى تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ضمن مطبوعات المعهد العالمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة من 1912/2/25م إلى 1913/24 – الطبعة الأولى بمناسبة مرور مائة عام على مولد المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون 1983م .

السابقين عليه ، وقد قرر ان يجعل الحلاج موضوع رسالة للدكتوراه ونوقشت فى مايو 1922م واستمر نشاطه العلمى بعد ذلك محصوراً فى المقالات والابحاث الصغيرة التى ينشرها فى المجلات العلمية او يلقيها فى المؤتمرات العلمية وبخاصة مؤتمرات المستشرقين. وكان ماسينيون محارباً لايكل مـــن أجل الحضارة الإسلامية كما تشهد مقالاته ورسائله العربية مصر 1984م ؛ تأييداً للاجئين الفلسطينيين ودعماً لحقوق العرب المسلمين والمسيحين فى فلسطين ضد الصهيونية (51) .

وفى عام 1929 اصدر كتاباً يكاد ان يكون ملحقاً لرسالتين هـــامتين لانه يتضمن للنصوص العربية غير المنشورة التى أستعان بها واستند إليهـــا فى رسالتيه (52) وساهم ماسينيون فى الكتابة عن العالم العربى ودور علماء العرب فى تطور العلم الغربى وكان ثمرة ذلك كتابه الهـــام عـــن البيرونـــى والقيمة الدولية للعالم العربى (1951م) وهو هنا لايقل عن المستشرق ماكس مايرهوف (ت 1945م) الذى اشتهر بين المستشرقين بأنه كتب فـــى تـــاريخ الطب والصيدلة عند العرب والمسلمين وهو فى الأصل طبيب عيون انتقـــل للاقامة فى مصر منذ عام 1903م تأكيداً للتداخل الثقافى بين الشرق والغرب وبدءاً من أنتشار الإسلام ونشوء الخلافة العربيـــة ظهـــر التـــضاد الـــدينى الايدولوجى بين الغرب والمشرق الاسلامى العربى ولكن عمليـــة التواصـــل الثقافى بين هذين الاقليمين لم تنقطع كلياً ففى المرحلة الإسلامية الاولى لعب المسيحيون السوريون دوراً متوسطاً بين الطرفين . وفى القرن الثامن للميلاد ألتقى الإسلام فى سوريا مع الفكر المسيحى الـــشرقى كمـــا وصـــفه الآبـــاء الاغريق فى العصر السابق . وهو اللقاء الذى وصـــفه عـــالم الإســـلاميات

---

(51) د. إدوارد سعيد : الاستشراق (المعرفة – السلطة – الإنشاء) – نقله إلى العربية كمال أبو ديـــب – مؤسسة الأبحاث العربية – بيروت – الطبعة الثانية – 1984 ص272 .

(52) وهو كتاب مجموع نصوص غير منشورة تتعلق بتارخ التصوف فى بلاد الإسلام – باريس 1929م .

الفرنسى لويس ماسينيون بـــ (تهجين الدين المنتصر مع الثقافة المغلوبة) أو المزاوجة الثقافية بين الغالب والمغلوب حيث يلاحظ ماسينيون تأثير الفكــر الفلسفى المسيحى فى أطروحات علم الكلام الإسلامى الأول (المبكر) ، وفى اساليبه الاقناعية ويتجلى ذلك التأثير فى المذ' _ات الكلامية / الجلدية التــى سلكها الجهميون والجبريون والقدريون حول إشكالية العلاقــة بــين الخيــر الإلهى (التسيير) وحرية الاختيار الفردى (التخيير) فــى الحركــة الزهديــة الإسلامية (التصوف)[53]، والذى كرس ماسينيون أغلب حياته من أجله .

وقد أفرد د. إدوارد سعيد فى كتابه القيم الاستشراق Orientalism صفحات فريدة عن ماسينيون مقارنته مع ما أنتجه المستشرق الانجليزى H.A.R. Gibb جب الذى ولد فى مصر وكيف انهما تلميذين للحياة الوثنية فى المجتمع وككان كلاهما كذلك دنيوياً بعمق رغم التباين الواضح فى دراستهما وتربيتهما الدينية وكان لمجال بحث ماسينيون ومداه اللامحدود تقريباً فى تكريسه لنفسه طوال حياته لأعمال الحلاج والذى كتبها لماسينيون عام 1962م أن الأخير لم ينقطع أبداً عن تقصى أثار الحلاج فى الأدب الإسلامى والوجد الصوفى الإسلامى ليجد دليلاً على الروح الإنسانية عبر المكان والزمان ولقد كان حضور ماسينيون فى الإستشراق من خلال اعماله الكاملة التى شملت كل جوانب الحياة والفكر الإسلاميين المعاصرين [54] .

---

(53) L. Massignon : Essai sur les origines du Lexique de la Mystique Muslmane. paris 1920 P. 1920 P. 53 et 1968 P. 79 وفيه يتحدث ماسينيون عن التـصوف الإسـلامى وفلسفة الإشراق عن السهروردى شيخ الإشراق وغيره .

(54) د. ادوارد سعيد : الاستشراق – مرجع سابق ، ص267 / 268.

انظر ايضاً :– الاعمال الكاملة لماسينيون

- Louis Massignon: Opera Minora ed. y. Moubarac. Beirut. Dar – El Maaref. 1963. part 3 p. 114

أما فيما يختص بالمستشرق جب H.A.R. Gibb : Whither . Islam?

- In whither Islam? Asurvey of Modern Movements in the Moslem World. Ed. 11.A.R. Gibb – London – Victor Gallancy – 1932 – PP.3 , 8.387

ونواصل الحديث عن المستشرق الفرنسى ماسينيون الذى أصبح أستاذاً فى الكوليج دى فرانس من 1926 – 1954م وعين مديراً للدراسات الشرقية بالمدرسة العلمية للدراسات العليا قسم العلوم الدينية وظل يعمل فيه حتى تقاعد 1954م وتولى تحرير مجلة العالم الإسلامى .R.M.M 1919م واصبح مديراً لها فى 1927م ثم تحولت إلى مجلة الدراسات الإسلامية R.E.E 1928م وكان مديراً لها واستمر يتابع إصدارها كل عام حتى وفاته

وأما عنايته بالحلاج كما قلنا لم تتقطع لحظة واحدة فنشر عام 1931م ديوان الحلاج مع ترجمته بالفرنسية [55] ، واشترك مع بول كراوس فى كتاب أخبار الحلاج عام 1946م وبحثاً عن حياة الحلاج بعد وفاته ودراسة عن اسانيد الحلاج 1946م ودراسة عن المنحى الشخصى لحياة الحلاج [56] وتتبع أسطورة الحلاج فى بلاد الترك وعرض لنا آلامه ووصفه بأنه شهيد التصوف الإسلامى[57]، وكتب عن شخصيات قلقة فى الإسلام [58] والإسلام والحضارة العربية.. إلخ .

.. المهم فى الأمر ان انشغاله بالحلاج لم يصرفه عن الأهتمام بغيره من الصوفية فكتب عن ابن سبعين والنقد النفسانى وعن أبى الحسن الشيشترى وكان شغله الشاغل فى السنوات الأخيرة عن قصة أهل الكهف [59] وألف عنهم بحثاً لارتباطها بالتصوف والرؤية الرمزية وكان ذلك فى مؤتمر المستشرقين العشرين المنعقد فى بروكسل فى سبتمبر 1938م . ومن مؤلفاته

---

(55) ويقع الديوان فى 158 صفحة ولوحتين – انظر المجلة الأسيوية العدد الخامس ينـاير 1931م وقـد أعيد طبعه 1955 مع زيادات منقحة وترجمة فرنسية .

(56) نشر فى مجلة " الرضى " كراسة رقم 4 – ص13 عام 1946م .

(57) L.Mossignon: Le passion d'al – Hallaj, Martyr Mystique de l'Islam Vol: P67

(58) وقد قام د. عبد الرحمن بدوى بترجمة هذا الكتاب .

(59) د. صالح حمدان : طبقات المستشرقين – ص193 ، د. العقيقى : المستشرقون ج2 ص646 .

أيضاً :-

- الإسلام وشهادة المؤمن 1953م .
- تاريخ تأليف رسائل اخوان الصفا 1913م .
- كتاباً الزيدية المقدسان 1911م ، وأ- ـل عقيدة الوهابية وفهرس بمصنفات مؤسسها 1918م .
- الطواسين وقد تم نشره بالقاهرة (عام 1980م) .

وعن الصحابة نجده كتب عن سلمان الفارسي وكتب مواد كثيرة فى دائرة المعارف الإسلامية بخاصة عن القرامطة والنصيرية (من الفرق) والكندى وابن سينا (من فلاسفة الإسلام) وكتب أيضاً فى تاريخ العلم عند العرب فى دائرة المعارف الممتازة (صدر المجلد الأول منها فى باريس 1957م) . وكان لويس ماسينيون من كبار موظفى وزارة المستعمرات الفرنسية فى شبابه ثم أصبح مستشاراً لها بقية حياته . وهذا يؤكد رأى القائلين ان الاستشراق ارتبط بشكل أو بأخر بالاستعمار كما ذكرنا فى صدر البحث ؛ ونرى أن هذا الرأى لا ينسحب على المستشرق الفرنسى المعتدل لويس ماسينيون وغيره من المنصفين ولقد حمدت موافقة فى قضيتى استغلال المغرب والجزائر وموقفه الذى اوضحناه من قبل من القضية الفلسطينية بعد عام 1948م ، ويقرر الزركلى ان لماسينيون دعوات مستمرة لتوحيد الديانات الثلاثة وركز على فكرة ان نداء الإسلام هو استمرار للعقيدة الإبراهيمية (60) ولعله يقصد أن الرب الإبراهيمي هو دين التوحيد واخيراً يشكل هو وفلاديمير Vladimir Solovyoy (1803 / 1900)(*) – الإرهاصات

---

(60) يراجع فى ذلك : خبير الدين الزركلى – الإعلام – دار العلم للملايين – الطبعة الخامسة – بيـروت – مجلد (5) 1980م – ص247/246. أنظر أيضاً : جان موربون – لويس ماسينيون – ترجمـة د. منى النجار – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – 1989م .

(*) هو فيلسوف روسى مثالى / لاهوتى / شاعر / تأثرت افكاره بالكتابات المسيحية والبوذية والافلاطونية المحدثة وهو من اتباع مذهب وحدة الوجود .

الأولية الممهدة فلسفياً ولاهوتياً للحوار الإسلامى المسيحى الذى نوقش رسمياً للمرة الأولى فى المجمع المسكونى الثانى بالفاتيكان [61] عام 1965م ، ولعل الحوار وما يثمر عنه من نتائج تعطى للغرب صورة صحيحة للإسلام وهذا أحد أهداف الدراسة – أو كما يذكر د.ادوارد سعيد فإن الموقف الخلاصى للعناصر المشتركة مع أفضل ما فى الدراسات الإنسانية لهذه الفترة يمكن أن يعتبر المعادل الإستشراقى للمحاولات التى تمت فى الدراسات الإنسانية الغربية المحضة لفهم الثقافة المغايرة [62] .

وتوفى لويس ماسينيون فى 1962/10/31 بعد حياة حافلة مع الإستشراق الإسلامى والحضارى من أجل رفعة الإسلام ومعرفته وفهمه .

أما أخر نموذج للإستشراق الفرنسى المعتدل – الذى نحن بصدده لتوضيح كيف يرانا الغرب وكيف لعب الإستشراق – رغم كل ما قيل ويقال عنه – دوراً هاماً فى تشكيل فكرة الغرب عن الشرق والاسلام – فهو **هنرى لاووست** 1983/1905م Henri Laoust مستشرق فرنسى مشهور معاصر أقام فى شبابه بالمغرب مع عائلته وألتحق بمدرسة المعلمين العليا بباريس وحصل على درجة الليسانس فى الفلسفة وسافر إلى مصر للعمل عضواً فى المعهد الفرنسى للأثار الشرقية بالقاهرة وحصل على الدكتوراه من جامعة السوربون فى عام 1939م برسالة عن ابن تيمية وعمل استاذاً بالكوليج دى

---

(61) جورافكسى (د. إليكس) : الإسلام والمسيحية – ترجمة د. خلف محمد الجراد – تقديم ومراجعة د.محمود حمدى زقزوق – سلسلة عالم المعرفة – العدد 315 – المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب – الكويت – نوفمبر 1996م . أنظر أيضاً : د. صابر ابازيد : الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية – محاولة لفهم الأخر – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الطبعة الأولى – إسكندرية 2000م ، د. سعود المولى : الحوار الإسلامى المسيحى – ضرورة المغامرة – تقديم الشيخ محمد مهدى شمس الدين – دار المنهل – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1996م .

(62) د. إدوارد سعيد – الاستشراق – مرجع سابق ص 262 ولمزيد من المعلومات والآراء والقضايا الفلسفية عند لويس ماسينيون يراجع فى ذلك د. صابر أبازيد .

فرانس 1972/1956م ومن أهم مؤلفاته :-

- رسالة فى المذاهب الاجتماعية والسياسية عن ابن تيمية 1939م
- حياة أبى العلاء المعرى وفلسفته – بيروت 1949م .
- الفرق فى الإسلام – باريس 1965م .
- سياسة الغزالى – باريس 1970م .
- التعددية فى الإسلام – باريس 1983م .

وهذا الكتاب يدل دلالة قاطعة بشهادة أحد مستشرقى الغرب أن الإسلام يقبل التعددية بعكس ما يروج اليوم بعض مؤرخى وكتاب الغرب وأمريكا إن الإسلام لا يقبل التعددية والرأى الآخر..

- الحسبة فى الإسلام لشيخ الإسلام ابن تيمية باللغة العربية مع ترجمة بالفرنسية 1984م [63] (بعد وفاته) .

وسوف نقف قليلاً عند الكتاب الأول الذى تم ترجمته إلى اللغة العربية [64] بعنوان شرائع الإسلام فى منهج ابن تيمية وهو يتكون من ثلاثة اجزاء كل جزء يمثل كتاباً مستقل بعنوان مستقل كما يلى :-

<u>الكتاب الأول</u> : ابن تيمية عصره ونشأته .

<u>الكتاب الثانى</u> : دراسة النظام العقيدى الاجتماعى والسياسى (الله / النبى / السلف / أهل السنة / الجماعة) .

<u>الكتاب الثالث</u> : مراحل انتشار المنهج فى القرن العشرين .

والكتاب الأول عبارة عن ترجمة للجزء الأول من كتاب (بحث فى

---

(63) د. صالح حمدان : طبقات المستشرقين – ص 185 .

(64) قام بالترجمة والإعداد محمد عبد العظيم على – نقد ودراسة وتعليق وردود د. مصطفى محمد حلمى – دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع – الطبعة الثانية – إسكندرية 1997م .

نظريات تقى الدين ابن تيمية فى السياسة والاجتماع ، الذى صدر باللغة الفرنسية عام 1939م بعنوان :

Essai sur les Doctrines sociales et politiques de la Takiddin Ahmed . B. Taimiya

يقول د. مصطفى محمد حلمى فى مقدمة الطبعة الأولى 1976 (65) أن المؤلف أستاذ فى المعهد العالى فى باريس المعروف بالـ (كوليج دى فرانس) وله اهتمام بابن تيمية والمذهب الحنبلى والمدرسة الحنبلية الشامية على وجه خاص ويمتاز هنرى لاووست كمستشرق فرنسى بتصوير الثقافة الإسلامية وتقديرها حق قدرها حيث قام بترجمة كتب ابن تيمية وخاصة السياسة الشرعية ومعراج الوصول إلى اللغة الفرنسية ، ويذكر دز محمد غلاب ان ترجمة لاووست لكتاب " الخلافة " فى رأى رشيد رضا مهمة للغاية ، وكذا كتاب الانشقاقات الفرقية فى الإسلام (66). ويواصل د. حلمى حديثه عن كتاب لاووست قائلاً إنه أضخم الكتب التى ظهرت عن الشيخ ابن تيمية من حيث الحجم ومن حيث سعة البحث ويعد عنواناً لمناهج المستشرقين فى دراسة العلوم الإسلامية طبقاً لاساليب البحث الغربية وربط د. حلمى بين ابن تيمية وآراؤه وغربة الإسلام ، ويرجع حدة أفكار وآراء ابن تيمية إلى ظهوره فى عصر متأخر كانت الانشقاقات قد حدثت وجهلت الغالبية الاتجاه السلفى وبسط تراكمات الفكر الفلسفى والتأويل الكلامى والشطح الصوفى حتى ظن غالبية المسلمين إنها هى الإسلام ، كما إثيرت مشاكل لا يزال العالم الإسلامى يعانى منها حتى اليوم من صراعات بين اصحاب الاتجاهات المختلفة من سلفيين ونصيين وسنيين واصوليين وعلمانيين وأهل سنة وشيعة وغير ذلك ، ونأمل

---

(65) يراجع من ص 7 – 12 .

(66) د. محمد غلاب : دراسات معاصرة عن الإسلام والمسلمين – المجلس الاعلى للشئون الإسلامية – القاهرة للطبعة الأولى 1969 ص 17 .

فى يوم من الأيام أن يكون لدينا إسلام بلا مذاهب كما دعا إلى ذلك د.مصطفى الشكعة [67] وغيره من الغيورين على ملة الإسلام ووحدته ، والذين ينـــادون بالتقريب بين مذاهب [68].

وجهــود الشيخ ابن تيميه كإمام فى عص . ما هو إلا تعبيراً عن منهــج الســلف فقد كــان أميناً فى الدعوة إلى طريقة السلف علمــاً وعمــلاً [69] ، والمعروف أن د. حلمى له اتجاهات سلفية واضحة فى مؤلفاته ودراساته فى هذا المجال[*] ، وقد تلاحظ ان هنرى لاوست لم يقتصر على موضوع تحديد النظريات السياسية والإجتماعية ولكنه خاض فى دروب متعــددة إذ عــالج كثيراً من القضايا كصلة ابن تيمية بالمتكلمين سواء المعتزلــة أو الأشــاعرة ونقده للفلاسفة وموقفه من التصوف وأسباب ظهور الفرق الإســلامية منــذ البداية كالخوارج والشيعة والمرجئة والقدريـــة حتى الوهــابية [70] ومحمــد بن عبد الوهاب ؛ ويوجه د. حلمى النقد إلى هنرى لاوست بأنــه لا يتجاوز ما أتسم به إنتاج غيره من المستشرقين من حيث الإفتقار إلى الفهم الصحيح للمصادر الإسلامية المتقدمة بسبب عدم الإحاطة الكاملة لأسرار اللغة العربية ووقائعها [71].

ويقول فى موضع آخر عن المستشرقين وابحاث الفكر الإســلامى : "

---

(67) د. مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب – الدار المـصرية اللبنانيــة – الطبعــة (13) – القــاهرة – 1997م صفحات متفرقة .

(68) أنظر فى ذلك : كتابنا بعنوان – منهاج أهل السنة فى الرد على الشيعة والقدرية – دار الوفاء لــدنيا الطباعة والنشر – لطبعة الأولى – إسكندرية – 2000 – ص77 ، 88 .

(69) د. مصطفى حلمى : المقدمة – مرجع سابق ص9 .

(*) من مؤلفات الدكتور / مصطفى حلمى عن السلفية يراجع : السلفية بين العقيدة الإســلامية والفلــسفة الغربية – دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع – إسكندرية – الطبعة الأولى 1983م – أيضاً : قواعد المنهج السلفى – طبع دار الانصار – القاهرة – ب . ت .

(70) هنرى لاوست : شرائع الإسلام – مرجع سابق . ج3 ص12 .

(71) د. مصطفى حلمى : تعليق .. ج1 ص15 .

نحن نعلم ان تخصص بعض المستشرقين فى دراسات إسلامية لخدمة أغراض خاصة قد لا تتصل بالبحث العلمى النزيه وان اتخذت منه ثوباً يغطى عباراتها ، بينما غرضها الخفى يتمثل فى إبراز الاتجاهات المنحرفة – مثال ذلك .. تخصص ماسينيون فى دراسة الحلاج وجورج براون فى التصوف الايرانى وارنولد نيكلسون فى محيى الدين بن عربى وكارا دى فوا فى الإمام الغزالى (72).

ولا نرى أى غضاضه فى أن يتخصص اى مستشرق في دراسة أى شخصية إسلامية طالما انه سيتناوله بموضوعية وحياد تام مثلما يتخصص أى مسلم فى دراسة أى شخصية غربية ويقوم بدراستها دراسة مخلصة واعية وافية لمزيد من التواصل والتبادل المعرفي .. ولمعرفة .. كيف يفكر الآخر ؟؟ .

* * *

(72) د. مصطفى حلمى : شرائع الإسلام – المقدمة – ص12 .

ثالثاً

دور الإعلام
فى تصحيح صورة الإسلام لدى الغرب

هناك بلا شك مواقف متبادلة بين الإسلام والغرب (الانا / الأخر) من أجل إمكانية الحوار بينهما ، وإذا كنا أستعرضنا دور الاستشراق وأوائل المستشرقين ورواده والمحدثين منهم فى تشكيل فكرة الغرب عن الإسلام ، فإن عصرنا الحاضر يزخم بالتوجيهات الإعلامية بفضل أنتشار الفضائيات فى العالم أجمع وأصبح العالم كما يقال قرية صغيرة. وكثرت وانتشرت النظريات والأفكار حتى اشتملت نظرية " صدام الحضارات " على سبيل المثال التى طورها ودشنها هنتجتون على صورة مشوهة وغير حقيقية للإسلام وحضارته ، وعلاقته بالغرب وبالحضارة الغربية ، وقد علق الناقد محمد سعدى على النظرية وموقفها من الإسلام قائلاً : " لا يمكن للمرء ان يفهم صدور مجموعة من الأحكام غير الموضوعية بخصوص الإسلام من قبل مفكر أكاديمى كبير بحجم صموئيل هنتجتون ، حيث تعامل مع الإسلام كموضوع للإثارة الإعلامية من خلال التحفيز على التخويف من المسلمين (اسلاموفوبيا) وكراهيتهم عبر تقديم صورة سلبية عن الإسلام باعتباره ديناً دموياً عنيفاً يشجع على الأرهاب وعدم التعايش والإندماج مع الآخر !! وهذه مغالطات تنم عن جهل واضح بالإسلام ومبادئه وحضارته وهو يساهم بذلك فى موجة الإسلاموفوبيا التى تجتاح العديد من الأوساط الفكرية والسياسية والأستراتيجية فى الغرب .. " (73) .

يقرر د. خليفة حسن ان المسألة لا تنم عن جهل الإسلام بقدر ما هى

---

(73) محمد سعدى : عرض نقدى لنظرية صدام الحضارات – مجلة المستقبل العربى – العدد 244 المجلد 6 عام 1999 – ص 173 .

سياسة مقصودة تهدف إلى إشاعة الرعب من الإسلام فى الغرب وتقديمه فى صورة الدين المهدد للمسيحية واليهودية ، وكأنها حضارة تهـــدد الحـــضارة الغربية وهى استمرار لنفس الصورة (السلبية) الاستشراقية القديمـــة التـــى قدمت الإسلام والمسلمين فى صورة همجية بربرية تزرع الخوف والرعـــب والفزع فى نفوس الغرب (74) !! .

1ـ تداعيات 11 سبتمبر 2001م :ـ

مما لاشك فيه ان احداث 11 سبتمبر الرهيبة لم تقتصر على الأنظمة والشعوب العربية الإسلامية وحدها ، بل تعدت الدائرة الواسعة من المحـــيط إلـــى الخليج لتصل إلى كل العرب والعالم فى كل مكان حتى داخل الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها وفى الأقطار الأوروبية لتشمل ابناء الجاليات العربية من خلال سن قوانين جديدة وإجراءات صارمة وقيود مشددة للدخول فى تلك البلاد وفرضت عليهم من خلال المقالات الـــصحفية المـــسمومية وبـــرامج الإعلام المغرضة – قيود غير منطقية لتزيد مشاعر الحقد والعنصرية والكيل بمكيالين بين العرب والأوروبيين .

وتأكيداً لما سبق من جراء الإثارة الإعلامية من خلال التحفيـــز علـــى التخويف من المسلمين (اسلاموفوبيا) نرى ان وكالات الأنباء العالمية فـــى باريس مثلاً تؤكد ان التخوف من المسلمين إزداد كرد فعل تجاه احـــداث 11 سبتمبر 2001 بشكل عام ، فكان ان أتجه العرب والمـــسلمون إلـــى تأكيـــد دورهم فى المجتمع الفرنسى الذى أختاروه وطناً لهم ، والتوجه إلى المواطن الفرنسى المعتدل إلى حد ما ودفعه إلى التحاور معه لتعريفه بماهية وهويـــة الحضارة العربية والإسلامية وجوهر الإسلام لتصحيح مفاهيم خاطئة نشرتها

---

(74) د. محمد خلية حسن : مقدمة كتاب الإسلام والغرب وإمكانية الحوار – تحرير وتقديم كـــاى حـــافظ – ترجمة د. صلاح محجوب أدريس – المشروع القومى للترجمة – القاهرة 2000 – ص5 .

وسائل الإعلام الأمريكى الاسرائيلى غداة 11 سبتمبر ، وها هى ريتا نعوم نيبتو ترشح نفسها فى الانتخابات العامة وتقدم نفسها على أنها أول فتاة عربية فرنسية الجنسية ترشح نفسها للاشتراك فى سياسة البلاد وكانت تدرك تماماً انها أمام تحدى أساسي وتعمل على إقناع الناخب الفرنسى بان المرأة العربية مثقفة ومناضلة ولديها قضية ، وان العرب يمكن ان يصلوا إلى العقل الغربى عبر كل القنوات الديمقراطية ووسائل الحوار الاقناعية . ضف إلى ذلك قيام العديد من العرب المقيمين فى فرنسا بتأييد حزب شيراك (الجمهورى المعتدل) وقت ذلك .

أما من الناحية الإعلامية فقد نشط المواطنون من أصل عربى فى الاشتراك فى الندوات والمؤتمرات وبرامج الاذاعة والتلفاز للتعريف بأنفسهم والدفاع عن قضيتهم ، كما نشطت الجمعيات المختلفة على مواقع الإنترنت أو من خلال عقد منتدى المثقفين العرب فى باريس أو الحوار العربى / الفرنسى عبر اليونسكو ، وفى المقابل يواجهون الحملات الإعلامية الغربية / الصهيونية التى تسعى إلى إضعاف الروح العربية وبث روح الإنشقاق والضعف بين أبناء المهجر ، وفى نفس الوقت نظمت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (إليسكو) بدعم من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومعهد العالم العربى بباريس المؤتمر العربى / الأوروبى للحوار بين الثقافات فى معهد العالم العربى برئاسة د./ناصر الأنصارى (يوليو 2002) . وهناك عدة مستويات للتفاهم والحوار : المستوى الثقافى / المكتبات / التعليم / .. إلخ .

– أما فى لندن فيتضح تأثير الإعلام لتصحيح المفاهيم على أبناء الشعب البريطانى وقد زادت حدة التوتر بعد الأحداث الأخيرة . أما الصحف البريطانية فقد أحيت ذكرى الهجوم بنشر صفحات مطولة حول الحادث الذى

مر عليه عام كامل وصور للقتلى والجنازات وكأنها تقدم مراجعة سريعة وتذكرة بما أرتكب من جريمة فى ذلك اليوم الذى لم يمح من الذاكرة الانسانية ولا من التاريخ الأمريكى والغرب مطلقاً ، وان أبناء الجاليات العربية الإسلامية يصبحون عرضة لاى اضطهاد او عنت غير مبرر وغير مسبوق عند إحياء ذكرى تلك الأحداث او إبرازها لأى سبب كان من قبل وسائل الإعلام (75) .

ومن هنا فالمطلوب من الإعلام العربى والقنوات الفضائية العربية ان تخاطب الجاليات العربية او أبناء الشعوب الذين ينتمون إليهم بالجنس متسلحين بالسلاح الخطير وهو سلاح الإعلام . ولكن نرى أن القصور واضح من هذا الجانب ويحتاج إلى إيدولوجية إعلامية جديدة بلغة الغرب.

محاولات أكاديمية لفهم الإسلام :ـ

هناك محاولات أكاديمية وإعلامية جادة لفهم الإسلام كرد فعل لتداعيات أحداث 11 سبتمبر 2001م وسنأخذ نماذج من هذه المحاولات من خلال تحليل عدة كتب منها ما هو قبل الأحداث ومنها ما هو بعد الأحداث .

ولو تحدثنا عن كتب – the Early – Revelation – Appraaching the Qur'an الأقتراب من القرآن لمؤلفة مايكل سيلس Michall Selles (76) والذى أثار ضجة فى أمريكا عندما طلبت جامعة نورث كارولينا من الدراسين قراءة ومناقشة الكتاب مع الأساتذة عند بدء

---

(75) أنظر تحقيق الأهرام القاهرية بعنوان : العواقب والمواجهة – إشراف مسعود الحناوى – عدد الجمعة 2002/9/13م .

(76) صدر عام 1999م – أنظر عرض وتقديم أ. / رجب عبد العزيز – جريدة الأهرام بتاريخ 2002/9/15م – ص 26 والمؤلف هو أستاذ مقارنه الأديان فى كلية هافر فورد وأستاذ كرس الأديان فى بنسلفانيا وله مؤلفات عديدة عن الأدب العربى والإسلامى وشارك فى موسوعة كمبردج عن تاريخ الأدب العربى والأندلسى .

الدراسة ورفعت منظمة مسيحية محافظة الأمر إلى القضاء بدعوى ان قرار الجامعة يمثل خرقاً للمبدأ الدستورى الخاص بفصل الدين عن الدولة

وصدر الحكم بتأييد دراسة الكتاب لأن دراسة الإسلام وعرض أفكاره من خلال الكتاب الذى يقترب من القرآن لا ى ان الجامعة تروج أو تقر الإسلام ، وقال أحد المعلقين إن دراسة الإسلام تظهر أوجه الشبه بينه وبين المسيحية واليهودية ، واصر المحافظون على انه فى حالة فرض قراءة كتاب على الطلبة عن الإسلام فيجب ان يركز على التعاليم التى يفسرها البعض على أنها تبرز الارهاب !! والغريب ان ينتشر هذا الكتاب اعلامياً – رغم صدوره فى عام 1999م – بعد احداث 11 سبتمبر 2001م .

ويحتوى الكتاب على ترجمات وتفسيرات لخمس وثلاثين سورة من أولى السور التى انزلت على رسول الله ﷺ ، وان كانت تأتى فى ترتيبها فى أواخر المصحف الشريف – (والكتاب يصف الترجمة الدقيقة لقصار السور فى القرآن الكريم) – وككل القرآن الكريم – موجهة إلى كل إنسان بصرف النظر عن خلفيته الدينية أو الثقافية وأجتهد المؤلف فى تقريب هذه السور إلى الفهم الغربى لأنه يعلم ان فهم القرآن الكريم فى غاية الصعوبة للغربيين الذين أعتمدوا على الترجمات التى قدمها المستشرقون والتى يعتبرها المسلمون غير مؤدية للمعنى الحقيقى للقرآن أو الإسلام ، ووضع المؤلف أمام كل سورة مترجمة تعليقاً قصيراً يوضح معني كلماتها وما توحى به في السياق إلى جانب شرح المصطلحات بأصوات مشاهير القراء المسلمين لكى تكتمل تجربة قارئ الكتاب بفهم وسماع سور القرآن الكريم ، لعله يدرك سبب هذا التأثير الكبير للقرآن على جموع المسلمين .

ويوضح البروفيسور سيلس ان المشكلة فى ترجمة القرآن الكريم تنبع من الاختلافات النحوية والصرفية الهائلة بين اللغتين العربية والإنجليزية ،

كما يرى أن القرآن الكريم يتلى بصوت عال مما يجعل القريبين يعتقدون أنه يعبر عن الغضب في حين أنه لدى العرب يعبر عن الشجن والرحمة ، والقرآن الكريم في رأيه يحمل قدراً كبيراً من الجلال والسمو يصعب نقله بأمانة تامة إلى اللغة الانجليزية . ونرى أن العيب في كتابات المستشرقين أنهم يتعاملون مع النص الإلهي المقدس كانه نص شعري أو أدبي أو ديوان شعر وليس ككتاب مقدس منزل من عند الله إلى الإنسانية كلها .

وقد تناول الكتاب – المنتدى الإعلامي العربي بدبي وتناولته وسائل الإعلام الهامة – كحدث هام على مستوى الفكر والحوار بين العرب والغرب وحقق المنتدى نجاحاً وأقبالاً كبيرين (77) . ورغم ذلك تساءلت أمريكا .. من هم العرب ؟؟ .

ولعل الكثير من الأمريكيين عرفوا من هم العرب بعد احداث 11 سبتمبر 2001م بسبب ارتفاع توزيع الكتب العربية الإسلامية لمزيد من المعرفة من قبل الغرب .

ونعود إلى المنتدى الذى عقد في دبي لنجد ان السيد / عمرو موسى ينبه إلى ان الهجمة التي يتعرض لها العرب الآن من الغرب تستهدف تهيئة العالم لنظام اقليمي مختلف تلعب فيه الدول العربية أدواراً ثانوية ، وقد فوجئ العرب رغم معارضتهم لمحاربة ما أسموه الأرهاب بأنهم متهمون بممارسته !! ووصل القول بإن الإسلام والمسلمين سيهزمون كما هزمت الشيوعية ،

---

(77) وكان تحت رعاية الفريق أول محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دبى ووزير الدفاع بدولة الإمارات وشارك فيه السيد عمرو موسى امين عام جامعة الدول العربية والمفكر الإسلامي والإعلامي الكبير فهمي هويدى وجاك شاهين القائد الأمريكي الشهير وهو من أصل لبناني ود. عبد الخالق عبد الله بجامعة الإمارات وكان يحاور اريك رولد الدبلوماسي الفرنسي ومراسل جريدة لوموند الفرنسية في الشرق الأوسط وتوماس فريدمان الكاتب المعروف بصحيفة نيويورك تايمز الأمريكية والمنحاز لاسرائيل وبن بادلى نائب رئيس تحرير الواشطن بوست وجيمس زغبي رئيس المعهد العربي الأمريكي . (أنظر رسالة هبة حسين : جريدة الأخبار بتاريخ 2002/8/15م) .

واكد عمرو موسى أنه أمام التزوير الإعلامى الذى تمارسه اسرائيل مثلاً (كدولة تابعة لأمريكا) يجب أن نصارح أنفسنا كعرب ونعترف بأن الإعلام العربى لم ينجح فى التصدى لهذا الموقف ولابد ان نتوجه للإعلام العالمى بشكل جديد .

- ولقد كان لتوماس فريدمان صاحب الكتابات المعادية للعرب حديث اليوم الأول للمنتدى الإعلامى العربى وعندما وجهت إليه عدة إنتقادات من الحاضرين وهوجم بسبب رأيه فى أن الانتفاضة الفلسطينية لم تقم ضد إسرائيل بل ضد فساد عرفات !! إذ قام بالإنسحاب من الندوة ثائراً .
- وعلى العكس من ذلك فقد نال الدبلوماسى الفرنسى أريك رولو أكبر قدر من التصفيق والإعجاب على كلمته المعتدلة فى المنتدى ، وهذا ما نؤكد عليه من أن الإستشراق إعلامياً يجب أن يدرس من زاويتين زاوية الإستشراق المعتدل والإستشراق المتطرف ويجب أن يوجه الإعلام العربى للاثنين معاً .

<u>الأول</u> : حتى يؤكد على ما يقول <u>الثانى</u> : حتى يعرف ما يقول

وعن الحوار بين الإسلام والغرب قال سفير فرنسا السابق فى تونس وتركيا إنه لا يعرف موقعاً عربياً واحداً على شبكة الإنترنت كأحدث وسيلة من وسائل الإعلام يغطى الشرق الأوسط باللغة الفرنسية والإنجليزية . وهذا يمثل كما قلنا عجزاً إعلامياً عربياً أمام التيار الزاحف من الإعلام الغربى .

ووجه بن برادلى نائب رئيس تحرير الواشنطن بوست الأمريكية رسالة واضحة للعرب قائلاً : لا تحاولوا ان تقنعونا ، فسروا لنا فقط الأمور من وجهة نظركم ، ففى الوقت الذى قدم فيه الاسرائيليون أنفسهم بالشكل الحالى فى أمريكا ، لم يهتم العرب بتوضيح صورتهم أو تصحيحها فى الميديا

الغربية ، وحتى الشعراء والكتاب والمثقفين العرب فى أمريكا والغرب لم يقوموا بدور فعال للتعريف بالثقافة العربية الإسلامية ولم يقدموا خطوطاً واضحة للسياسة العربية ، ونتفق مع هذا الرأى الذى يأتى من الغرب { الآخر } ولكنه موضوعى .. أين نحن ؟؟ وماذا فعلنا أمام الزحف المتمثل فى اللوبى الصهيونى ؟ .

- أما جاك شاهين الناقد الامريكى اللبنانى الأصل فيرى أن القضية لها جانب آخر ، وهو تأثير الإعلام فى مجال آخر وهو مجال السينما من خلال الافلام الامريكية التى تصور العرب كمتخلفين واعداء للحضارة مؤكداً ان القوانين الأكبر فى الولايات المتحدة هما هوليوود وواشنطن وكلاهما يحمل نفس التركيبة الوراثية D.N.A أى أن ما تبثه السينما الأمريكية عن العرب يعكس رؤية واشنطن أيضاً ، وقد صور شاهين فورات الصورة السلبية للعرب فى كتابة الجديد (العربى السيئ) ويطالب شاهين الصحفين العرب بنشر مقالاتهم فى الصحف الامريكية ويعرض السينمائيون العرب افلامهم هناك من أجل تحسين الصورة وتصحيح المفاهيم وتشكيل صورة صحيحة فى الغرب عن الشرق . وهذا هو احد أهداف هذه الدراسة .

2ـ دور الفضائيات العربية فى تصحيح صورة الإسلام والعرب :

الأحداث التى وقعت فى أمريكا يوم 11 سبتمبر 2001م الماضى كان لها تأثيراً كبيراً على العالم كله واصبح ضرورياً ان يقوم الإعلام العربى وفى مقدمتها القنوات الفضائية العربية بصفتها الأسرع والأسهل فى الوصول إلى المشاهدين فى كل أنحاء العالم لتصحيح صورة العرب والإسلام لدى الرأى العام الأمريكى والأوروبى ، كعمل مكمل لدور الإستشراق فى تشكيل صورة العرب عند الغرب ، أو فى تشكيل فكرة الغرب عن الإسلام حيث دأبت وسائل الإعلام الغربية .. وكما ذكرت من قبل - على تشويه صورة العرب والإسلام .

ويجب على القنوات الفضائية العربية ان تتحمل مسئولية توصيل رسالة أو خطاب إسلامى عبر الأقمار الفضائية بلغة يفهمها الغرب .

ويقول د. غازى عوض الله(*) ان الفضائيات العربية تقع عليها مسئولية كبيرة فى المرحلة الراهنة فى ظل المتغيرات العالمية والعولمة والليبرلية الجديدة وحوار الحضارات وصدامها .. إلخ بخطاب عقلانى يؤكد ان المسلمين اصحاب حضارة وقيم وفكر . وأننا نقبل النقد ونتقبل الرأى الآخر ونقبل التعددية (78) وحوار الحضارات ، وان ديننا دين سمح وبذلك تمحو الصورة السلبية المغلوطة والمزيفة التى يروجها بعض المستشرقين والإعلام الغربى حولنا ، ومن المسائل الجوهرية إن تقوم الفضائيات العربية بتوجيه قنوات خاصة بمختلف اللغات الأجنبية للعالم كله بأيدولوجيا دعائية وميديا عربية فى مقابل الأيدولوجيا الدعائية والميديا الغربية دون خوف حضارى وقطيعة معرفية بين الشرق والغرب ودون الجرى وراء التصنيف غير المنطقى من الدول فى محاور للشر ومحاور للخير وجنس آرى وجنس سامي كما ذهب إلى ذلك أرنست رينان وغيره من المستشرقين الغلاة .

لان هذا هو الأسلوب الوحيد الذى يكفل وصول صورتنا إلى كل الأطراف الدولية (أوربا والأمريكتين) ليعرف الجميع كل المعلومات عن ديننا الحنيف دون تعصب وبمنهج علمى موضوعى .

وإذا كان الإعلام المغاير (الغربى) يبالغ فى التشويه والحملات المغرضة لصورة الإسلام فكيف نصحح المفهوم الثقافى للغرب عن الإسلام ؟ وهل هناك علاقة صراعية أم حوارية للحضارات ؟ ان موقف الغرب من

(*) د. غازى زين عوض الله المفكر العربى ورئيس قسم الإعلام بجامعة الملك عبد العزيز بجده بالمملكة العربية السعودية – أنظر جريدة الأهرام بتاريخ 2002/2/2م .

(78) أنظر مقدمة د.عبد الفتاح أحمد فؤاد لكتاب شرح القوشجى على تجريد العقائد للطوسى المؤلف – دار الوفاء لدنيا للطبع والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – 2002 – إسكندرية – ص5 .

الإسلام – كما قلنا – وكما يراها فلاسفة التاريخ – علاقة هجـوم وهجـوم مضاد ، وربما كان من الصعب على الغرب المعاصر أن ينسى يوماً تقـدم الفاتحين المسلمين داخل حدوده ولا يمكن للشرق الإسلامى – فى المقابـل – ان ينسى مآسى الحروب الصليبية على حد قول د. أحمد الطيـب (مفتـى الجمهورية) [79] وإن الصورة السيئة التى يروجها الغرب كانت على وشك الإندثار لولا أنها أطلت برأسها القبيح من جديد بعـد حـادث 11 سـبتمبر 2001م ، وبدأنا نسمع أصواتاً عاليه تتهم المسلمين بالهمجية والبربرية تصف عقيدة الإسلام بالتخلف والرجعية واصبح وصف الأرهـاب فـى الخطـاب الغربى وصمة ثابتة تلحق بالإسلام !! .

3ـ عجز الإعلام العربى .. الأسباب والحلول :

أمام هذا التوجه المغرض من قبل الإعلام الغربى كان لابـد لجامعـة الدول العربية من دور فقعال حتى لايتهم بالعجز ، ومن هنا تم عقد إجتمـاع دورى يحمل رقم (35) بين وزراء الإعلام العرب وناقشوا خطة إعلاميـة شاملة لمواجهة الحملة الظالمة ضد القضية العربية ، ورغـم عـدم سـهولة المهمة والتحديات الهائلة فى ظل واقع أليم نعيشه بعد أحـداث 11 سـبتمبر 2001م وكل تداعياته ، والتى أستغلها الإعلام اليهودى المضاد أسوأ إستغلال ، فهناك هجمات شرسة على العرب والمسلمين وتـشويه الحقـائق وقلـب المفاهيم بحيث أصبحت المقاومة وأصبح الجهاد المقدس – فى نظر الغرب – ارهاباً ، والمساعدات الفلسطينية تمـويلاً لمنظمـات الارهـاب ومـذابح الفلسطينين تطهيراً للنشطاء ... إلخ . ولكن ما هو أسباب قـصور الإعـلام العربى ؟ وما هو الحل ؟.

---

(79) الأهرام . بتاريخ 2002/5/17م – أنظر أيـضاً د. حـسن البـاش : الحـروب الـصليبية ومنـاهج الاستشراق صفحة الإنترنت File : //B : 1 page 1 of 4

كيف يمثل الخطاب العربى اكثر فاعلية فى الخارج لتصحيح الصورة وتحقيق الأهداف المرجوة ؟ وما هى وسائلنا وإمكاناتنا للتصدى للإعلام المعادى؟ وبالأخص اللوبى الصهيونى وكيف توظف مكاتبنا الإعلامية الثقافية والسياسية أيضاً والتى نملكها فى التأثير على ' أى العام[80] العالمى ؟

أسئلة كثيرة تترى أمام الباحث المنصف للوصول إلى إجابة شافية تجعل من الإعلام بديلاً للاستشراق ، فالأولى أكثر إنتشاراً واقوى واسرع وصولاً من كتابات المستشرقين لانها تخص طبقة معينة وشريحة خاصة من المجتمع الدولى يهم النخبة . أما العامة فالإعلام فى متناول أيديهم بفضل إنتشاراً وسائل الإعلام Mass Media (كالصحافة والإذاعة والتليفزيون .. إلخ) والآن ما هو رأى أساتذة الإعلام ؟ .

د. صفوت العالم[*] يطرح البدائل للرد على بعض الاتهامات الإعلامية والسياسية الموجهة للعرب ويوضح أنه عندما نطرح قضية الإستشهاد مثلاً فهى قضية مفهومة لنا من الناحية الدينية بإعتبارها قيمة عليا تحظى بالتقدير .. بينما يفسرها الغرب تفسيراً مادياً كأنها عملية للتخلص من الحياة مع الربط بين العمليات الإستشهادية فى الأراضى المحتلة وبين احداث 11 سبتمبر 2001م ، ونظراً لأن الحملة المضادة للعرب شملت الإسلام والمسلمين ايضاً فإن الدكتور / محمود يوسف[**] يطرح ركائز اساسية للحوار مع الآخر وهى :-

1. الاقتناع بأن الرد ضرورة صائبة تمليها ان تؤدى إلأى انحسار المد الإسلامى

---

(80) أنظر فى ذلك : Dr. Basyauni Ibrahim Hamada : Arab Image in Minds of Western Image. Makers. PP.1 – 10
بحث فى المجلة المصرية لبحوث الرأى العام – كلية الإعلام – جامعة القاهرة – العدد يوليو (سبتمبر 2001م) .

(*) استاذ بكلية الإعلام – جامعة القاهرة .

(**) استاذ بكلية الإعلام – جامعة القاهرة .

فى حين ان الرد يساهم فى الدعوة وصول الرسالة إلى الآخرين الأمر الذى يحتمل معه إقتناعهم جميعاً –أو بعضهم – بالإسلام

2. إن الإعلام العربى او الإسلامى فى حاجة إلى واقع يسانده لأنه يعكس واقعاً سياسياً وإقتصادياً .. إلخ وهو ما يعنى اننا بحاجة إلى تغييرات فى واقعنا الحالى محل الانتقادات .

- أما الدكتور / عدلى رضا(*) فيرى أنه للرد على إتجاه كل من أمريكا وإسرائيل لإنشاء قناة فضائية ناطقة باللغة العربية وموجهة للرأى العام الغربى فإنه يجب إنشاء قنوات ناطقة بلغات المجتمعات الآخرى خصوصاً فى أوروبا وأمريكا وإسرائيل ، ويتطلب إعداد خطة علمية لتحديد احتياجاتنا من هذه القنوات ، وان يكون الخطاب الإعلامى العربى داعم للسياسية الخارجية والحقوق العربية ، ومطابقة للشريعة الإسلامية حتى نفهم بشكل صحيح (81) .

ولكن المطلوب تدبير الأموال اللازمة ورصد مبالغ لهذه الخطة لدرء قضية نقص التمويل وهذا ما يؤكده د. أنور ماجد عشقى(**) مع ضرورة توحيد الجهود العربية فى مجال الإعلام بشكل خاص لمواجهة تحديات عصر العولمة . ويذكر د. أنور أن يكون الخطاب الإعلامى العربى معتمداً على قواعد ثلاثة :-

أ- العقلانية

ب- الحيادية

ت- التوازن

(*) أستاذ بكلية الإعلام – جامعة القاهرة .

(81) تحقيق بجريدة الأهرام بعنوان عن الإعلام العربى ، إشراف أ./ مسعود الحناوى بتاريخ 2002/6/14م . ص 11 .

(**) المفكر السعودى ورئيس مركز الشرق الأوسط للدرسات الاستراتيجية والقانونية .

وعن الميزانيات الإعلامية يـرى الشـيخ خليفة بن عبد الله آل خليفة (*) ان هناك ميزانيات اعلامية عربية تفوق الطموحات ، ولـو احـصينا عـدد الفضائيات ووسائل الإعلام العربية لوجدنا أنها تكفى ولكن المطلوب تنـسيق الجهود ومخاطبة الخارج (الآخر) باللغة التى يفهمها بدلامن التنافس فيمـا بيننا [82] . ونتصالح مع ذواتنا حتى نستطيع ان نواجه الآخر بقلب مفتـوح وعقل متفتح لتصحيح صورة الإسلام لدى الغرب .

تقييم ونقد :

وفيما يتعلق بموقف مفكرى الإسلام من المستشرقين ودراسـة قـضية الردود والدفوع والمواقف المتبادلة ، نجد أنه لم يكن موقفهم من المستشرقين موقفاً واحداً ولا مجمعاً عليه ولا مطرداً فيه ، أى أن الموقف تـأرجح بـين التأييد والرفض ، بل يمكن لنا القـول متفقيـن مـع د. العقيقى أنـه كـان مشتتاً متناقضاً مضطرباً يدحض بعضه البعض الآخر ، وإذا أخذنا أمثلـة أو نماذج فنجد الآتى :

1) **أحمد فارس الشدياق** : جعلهم ضرراً وبلاءً لا نفع منهم ولا دفع ، ومنبع هذا القول يرجع إلى أنهم لم يأخذوا العلم عن شيوخه وإنمـا تطفلوا عليه تطفلاً ثم أدخل رأسه فى أضـغاث احـلام أو أدخـل أضغاث الاحلام فى رأسه وتوهم أنه يعرف شيئاً وهو يجهله ، وكل منهم إذا درس فى إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئاً منها نراه يخبط فيها خبط عشوائى ، فما أشتبه عليه فيها رقعه من عنده بما شـاء ؛ وما كان بين الشبهه واليقين حدس فيه وخمن ، فـرجح المرجـوح

(*) المسئول عن الإعلام الخارجى فى البحرين .

(82) ومن المعلوم ان هناك 140 محطة فضائية عربية كل منها يغنى على ليلاه دون هـدى ، والمطلـوب إيجاد اتحاد عربى مركزى للقنوات الفضائية .

وفضل المفضول ، ولكن والغريب فى الأمر أن الشدياق نفسه علمانى النزعة وأدرك الإستشراق وأشرف بنفسه على منشورات ودراسات فى باريس والجزائر وتونس فما كان يصدر عنه هذا الكلام !! .

2) <u>والأمير شكيب ارسلان</u> : ينطلق من التخصص فى تمييز الشعر المصنوع إلى التعليم والتعميم فى عداوة الغربى للشرقى ، ولا يمكن لأحد أن يقول إن الشرقيين ليسوا أدرى من الغربيين فى آداب الشرقيين ولغاتهم وانه من الحمق أن نظن إن مرجليوث مثلاً بكونه أفرنجيناً مستشرقاً صار يميز الشعر المصنوع على لسان الجاهلية من الشعر الجاهلى فى الأصل ، ويصف المستشرقون بأنهم متنطعين ، وان الغربى لايبرح عدواً للشرقى ورقيباً له ، والنادر لايفيد به . ولماذا لا يفيد بالنادر الذى يمثل الجانب المعتدل للاستشراق ، فنحن فى أحوج الحاجه إليه ليوصل أفكارنا للغرب إن كان مشهوراً ، وليعيد تشكيل الصورة مرة أخرى ، وخاصة ان الأمير أرسلان نفسه أعتد بالنادر وأتخذ كتاب " حاضر العالم الإسلامى " الذى نقله الأستاذ عجاج نويهض عن ستودارد – حقيقة علمية – خالصة لا مثيل لها فى المصنفات العربية ، وعلق عله بما قاله المستشرقون عنه ونقل إلى العربية قصص وتاريخ وفكر مؤرخين من فرنسا وسويسرا وإيطاليا(*) .

وعلى كل حال نحن لا نستطيع إلا أن نسجل ما للمستشرقين من فضل على التراث العربى الإسلامى وصونه من الضياع مهما كان آراء المعارضين للإستشراق ، ومهما كان للإستشراق من أخطاء فهى غير

(*) د. نجيب العقيقى : المستشرقون – ج3 – ص 606 ، 607 .

مقصودة إلا ما ندر ، وهم جملة من المستشرقين الذين أرادوا هدم الإسلام وتهميشه بالتركيز على هفوات صغيرة والدخول فى ثغرات ضيقة ، فهم مهما قيل عنهم بلغوا فى دراساتهم للشرق والعربية والإسلام حداً مذهلاً من التخصص والعمق والتحليل والتحقيق .

وحتى لو قيل إن المستشرقين تعوزهم النزاهة والإخلاص بقدر ما يعوزهم ذوق اللغة العربية وإدراك أسرارها فى التعبير والأداء ، فهذا كله أحسن حالاً من أن تأكل السوس مخطوطاتنا المكدسة فى أرفف وأدراج المكتبات فى البلاد العربية ، وأصبحت المخطوطات تحت رحمة السوس والسرقة والسطو وتعقيدات الروتين من موظفين لا يعرفون قيمة هذه الكنوز المعرفية .

رابعاً
الخاتمة ونتائج الدراسة

بعد أن عرضنا لموضوع دور الإستشراق فى تشكيل صورة الإسلام فى الغرب (الفكر الفلسفى نموذجاً) بكل أبعاده وتوقفنا عند الإستشراق فى تطوره ومنحناه وحددنا المفهوم اللغوى والعلمى للإستشراق ، والعلاقة بين الإستشراق والأستعمار وبينها وبين التبشير ومراحل الصراع بين الشرق والغرب ، وأثر ذلك على الإستشراق وكتابات المستشرقين وجهودهم فى الميزان (بين الاعتدال والتطرف) ، وعرضنا للجهود المتبادلة والردود المتباينة بين الشرق والغرب ، وأخذنا الإستشراق الفرنسى كنموذج للإستشراق المعتدل وأوضحنا دور الأعلام فى تصحيح صورة الإسلام فى الغرب ، وخصوصاً بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 وتداعيات الحدث فى الأوساط العالمية . يمكن لنا أن نورد أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال هذه الدراسة والتى ترصد للوقت الراهن ، ونوجزها فى الآتى :

1. إن ما يحدث الآن بين الشرق والغرب يُعيد تشكيل ساحة فلسفة التاريخ الحضارى وردود الأفعال العنيفة المتباينة فى الغرب تهز الأعماق ، من منطلق مرجعية إن جذور الحضارة الأوروبية هى (مسيحية / يهودية)، وإذا تساءلنا عن أسباب التحول فإن الإجابة تدخلنا فى إشكاليات جديدة / عديدة .
2. يجب أن نفسح المجال لساحة أليفة تجمع بين النور والظلام والصدام والوئام والتواكب والتباين ، لأن أوروبا والغرب واللتان كانتا تبدوان أليفتان أصبحتا الآن للغالبية العظمي من العرب والمسلمين على غير ما كانت عليه ، على الأقل فى ذاكرة التاريخ المعاصر .

3. إذا كان تاريخ الحياة على الأرض هو فى المقام الأول تـاريخ الأفكـار التى عبرت فوقها وليس فقط تاريخ البشر الذين عاشـوا عليهـا ، فـإن أوروبا اليوم تعيش فى عصـر أمريكا القطب الأوحد والممثل (للآخـر) بالنسبة للعرب ، ومن هنا تتزعم أمريكا "حرب ضد المسلمين فى كـل مكان بحجة ما يسميه الأرهاب ومحور الشر أو ما يطلق عليه شـيطنة الإسلام وأسلمة الأرهاب !! .

4. تعددت كتابات المستشرقين فى كل المجـالات – كمـا ذكرنـا – مـن ماكدونالد الأمريكى إلى آدم سميث الأنجليزى ، ومن جيلسون الفرنـسى إلى أرنست بانيرت النمساوى ومن آربرى إلى الأب آسـين بلاثيـوس (كتابات فى التصوف والأخلاق والعقيدة) ومن رهبان يسوعيين إلى آباء كنائس عالمية ، كنماذج فى كل مجالات الفكـر والفلـسفة والحـضارة والتاريخ .. إلخ . ولكن كل هذا لا يعفى الإسلام مـن تهمـة التخلـف والأرهاب .. فهل الغرب محتاج إلى قراءة جديدة للشرق ؟! .

5. لقد تصور الأستاذ العقاد رحمه الله فى منتصف القرن العشرين – قنبلـة الغد – فى حركة إنسانية تتمثل فى قوة عالمية تتغلغل على كـل القـوى منفردة ، فإذا وجدت هذه القوى فى العالم فكل قوة مغلوبة أمامها ، وهذا ما حدث خلال السنوات الماضية وبالذات مع بدايـة الألفيـة الجديـدة ، وأصبحت أمريكا هى القوة الوحيدة وأصبح الشرق والغرب بين العولمة والأمركة ، وكل دولة تحاول الطغيان بأسلحتها أو بأموالها تنعزل وتنهزم (مثال العراق وإيران) فهما يمثلان قوة تراهن بها المادة قوة الروح.

6. وفى أحدث مؤلف قام بتحريره عدد من الخبراء ومفكرى الغرب تحـت إشراف مجلة L'express editions – Paris بعنوان : أولى حـروب القرن الحـادى والعشرين La Premiére guerre du XX I[e] Siécle

يؤكد المؤلفون أن أولى حروب القرن لم تكن حرب عالمية ولكنها حرب معولمة، وعلى كل الجبهات وهى ليست ضد الحضارة الأخرى ولكنها ضد غياب الحضارة . ويؤكد أحد الكتاب أنها حرب غير مسبوقة في التاريخ بين التطرف الإسلامى (كما يسميها) من ناحية والغرب من ناحية آخرى ، وإن الرأسمالية الغربية باتت لاتثير المعارضة العاقلة دائماً وإنما تحرص عل سمعتها ، وما دام ليس بالإمكان دحض نموذجها الأمثل فليس أقل من كراهيته، ومن ثم فإن النتيجة الطبيعية لذلك هى أن أهل الجنوب لم يعد يشغلهم أمر الحوار معها دائماً وإنما تحطيمها !! كما تظل الحرب الحضارية / الدينية بين الإسلام والغرب قائمة فى كل مكان وعلى كل الأحوال لاسيما إذا وضعنا فى الأعتبار التراكم التاريخى بين الطرفين – وهذا ما أثبتناه فى الدراسة – عبر أربعة عشر قرناً من الزمان ، وهو أمر أعمق وأخطر من أن نعتبره جملة اعتراضية مثلما كان قبل قرن مضى كالمواجهة بين الديمقراطية والشيوعية مثلاً .

7. الدراسة تؤكد على مدى تأثر أوروبا الغربية بكتابات فلاسفة الشرق فى كل المجالات وفى كل الرصد الحضارى وفى كل الزخم الفكرى والدفاع المجيد عن الحضارة الإسلامية ، ولقد قيد الله رجالاً قاموا بالرد على افتراءات المستشرقين الذين تجاهلوا فضل هذه الحضارة التى أنارت ظلام أوروبا فى العصور الوسطى ووضعت مبادئ وأسس نهضتها الحديثة ، وهو ما اعترف به المنصفون والمعتدلون من المستشرقين الذين أوردنا نماذج منهم ، كما توصى الدراسة للحوار مع الآخر من منطلق القوة والندية لا من منطلق التبعية وفقد الهوية .

8. من المعلوم أن أهل الغرب كثيراً ما يخلطون بين الإسلام (كدين) والمسلم (كفرد) فيستخدمون كلمة الإسلام حيث تستخدم كلمة مسلم ويصفون

المسلم بما يوصف به الإسلام ، وهذا ما يؤكده أبو الأعلى المودودى في كتابه الإسلام اليوم Islam to day ومن هنا وضع لنا أربعة مراحل أجتازتها الأمة الإسلامية من المثالية إلى الصراع بين الشعوب والحكومات تخللت عصور التأسيس والإنتشار والملكية والإزدهار والاستعباد ثم التحول والحركات التحريريه وعصر الإستقلال .

9. الدراسة تؤكد على أن المستشرقين تناولوا فى أبحاثهم ودراساتهم ومقالاتهم وكتبهم التراث الإنسانى من لغات سامية وآرية ويونانية ولاتينية وفارسية وعربية وبكل لغات العالم فى الأديان والعقائد والمذاهب ، والفنون والعلوم والآداب فحققوا الأصول وتأثروا بها وتفاعلوا معها وطوروها ، وصححوا الأفكار ووضعوا المعاجم وترجموا القرآن الكريم ، وهناك مئات من المستشرقين المعتدلين من هذا النوع ساهموا فى تكوين وتشكيل فكرة الغرب عن الإسلام والشرق كما سنرى الدراسة القادمة عند الحديث عن المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون ، ولكن بعضهم يأخذ على الإسلام بعض الممارسات التى يقوم بها أفراد أو مجموعة ويضفوا الضباب على الإسلام كله ويحكموا على (الإسلام) كدين من خلال ممارسات أفراد (مسلمين) ، وهذا ظلم واضح والإسلام برئ من كل هذا لأنه دين التسامح والرحمة .

***

ثبت بأهم

راجع الدراسة الثانية

1 ـ المراجع العربية والمترجمة

1. **أبازيد** (**د. صابر عبده** ..) :

فكرة الزمان عند إخوان الصفا – دراسة تحليليـــة مقارنـــة تقـــديم أ.د عاطف العراقى – مكتبة مدبولى – القاهرة – الطبعة الأولى 1999م

2. " " " " :

الأمامية الأثنى عشرية – شخصيات وآراء – دار الحضارة للطباعــة والنشر – طنطا – الطبعة الأولى 1999م .

3. " " " " :

منهاج أهل السنة فى الرد على الشيعة والقدرية – " عــرض تحليلـــى نقدى " – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنـــشر – اســـكندرية – الطبعـــة الأولى 2000م .

4. " " " " :-

الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية – محاولة نحو فهـــم الآخـــر – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – اسكندرية – الطبعة الأولى 2000م

5. " " " " :

شرح القوشجى على تجريد العقائد للطوسى – تقديم أ.د عبد الفتـــاح فؤاد – مبحث الإلهيات – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – اسكندرية – الطبعة الأولى 2002م

6. **أحمد أمين** :

يوم الإسلام – القاهرة – الطبعة الأولى 1958م .

7. **أمين** (**د. عثمان**) :

أشراف وتصدير لكتاب دراسات فلسفية مهداه إلى د إبـــراهيم مـــدكور – الجزء الفرنسى – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – الطبعة الأولى1974م

8. **الأهوانى (د. أحمد فؤاد)** :

رسائل الكندى الفلسفية (تحقيق) – جزءان – دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الأولى 1950م / 1953م .

9. **بدوى (د. عبد الرحمن)** :

دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1986م

10. **جان موربون** :

لويس ماسينيون – ترجمة د. منى النجار – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1989م

11. **الجليند (د. محمد السيد)** :

الاستشراق والتبشير – قراءة تاريخية موجزة – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى 1999م .

12. **جورافكسى (د. إليكس ..)** :

الإسلام والمسيحية – ترجمة د. خلف محمد الجراد تقديم ومراجعة د. محمود حمدى زقزوق – سلسة عالم المعرفة – العدد 315 – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب – الكويت – نوفمبر 1996م

13. **حبشى (د. حسن ..)** :

الحروب الصليبية الأولى – مطبعة الإعتماد – القاهرة – الطبعة الأولى 1947م .

14. **حسن (د. محمد خليفة)** :

مقدمة كتاب الإسلام والغرب وإمكانية الحوار لكاى حافظ – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة 2000م.

15. **حمدان (د. عبد الحميد صالح)** :
طبقات المستشرقين – مكتبة مدبولى – القاهرة – الطبعة الأولى 2000م .
16. **حلمى (د. مصطفى محمد)** :
السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية – دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع – إسكندرية – الطبعة الأولى 1983م .
17. ،، ،، ،، ،، :
قواعد المنهج السلفى – طبع دار الأنصار – القاهرة – ب.ت .
18. **رينسمان (د. ستيفن)** :
تاريخ الحروب الصليبية – ترجمة د. السيد الباز العرينى – دار الثقافة – بيروت – ج2 – الطبعة الأولى 1967م .
19. **الزركلى (خير الدين)** :
الأعلام – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الخامسة 1980م
20. **زقزوق (د. محمود حمدى)** :
الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى – تقديم د. محمد عبيد حسنة – كتاب الأمة – قطر – العدد 5 – 1404 هـ .
21. **الزيات (د. أحمد حسن)** :
تاريخ الأدب العربى – طبعة القاهرة – ب.ت .
22. **سعيد (د. أدوارد)** :
الاستشراق (المعرفة – السلطة – الإنشاء) نقله للعربية د. كمال أبو ديب – مؤسسة الأبحاث العربية – بيروت – الطبعة الثانية 1984م .
23. **سمايلوفتش (د. أحمد)** :
فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر – دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الأولى 1968م .

24. **الشرباصى** (**د. أحمد**) :
التصوف عند المستشرقين – سلسلة الثقافة الإسلامية – مطبعة الأنوار – القاهرة – الطبعة الأولى 1969م .
25. **الشكعة** (**د. مصطفى**) :
إسلام بلا مذاهب – الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – الطبعة الأولى 1997م .
26. **شلبى** (**د. أحمد**) :
الحروب الصليبية أحدى حلقات الصراع بين الشرق والغرب – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة – الطبعة الأولى 1966م
27. **عاشور** (**د. سعيد عبد الفتاح**) :
الحروب الصليبية – صفحة مشرفة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى – جزأن – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى 1963م .
28. **عبد الرازق** (**الشيخ مصطفى**) :
تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – الطبعة الأولى القاهرة 1944م .
29. ‹‹ ‹‹ ‹‹ ‹‹ :
فيلسوف العرب والمعلم الثانى – مطبوعات مكتبة الشباب – الطبعة الثانية – القاهرة 1997م .
30. **العقيقى** (**د. نجيب**) :
المستشرقين – دار المعارف بمصر – ثلاثة أجزاء – الطبعة الرابعة – 1982م .

31. **عمران (د. محمد سعيد)** :

تاريخ الحـروب الـصليبية – (1905– 1921م) – دار المعرفـة الجامعية – إسكندرية – 2000م

32. **غلاب (د. محمد)** :

دراسات معاصرة عن الإسلام والمسلمين – المجلس الأعلى للـشئون الإسلامية – القاهرة – الطبعة الأولى 1969م .

33. **فروخ (د. عمر)** :

التبشير والاستعمار – المكتبة العصرية – بيروت – الطبعة الأولى 1957م

34. **فؤاد (د. عبد الفتاح أحمد)** :

مقدمة كتاب شرح القوشجى على تجريد العقائد للطوسـى (مبحـث الإلهيات) – بتحقيق الباحث.

35. **فلهوزن (مستشرق ألمانى)** :

الإمبراطورية الإسلامية – ترجمة وتقديم د. محمد عبد الهادى أبو ريدة – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى 1986م .

36. **كـاى حافـظ** :

الإسلام والغرب وإمكانية الحوار – ترجمة عن الألمانية – د. صلاح محجوب – مراجعة وتقديم د. محمد خليفة حسن – المجلس الأعلـى للثقافة – مصر – الطبعة الأولى 2000م .

37. **ماسينيون (المستشرق الفرنسى لويس)** :

محاضرات فى تاريخ الإصطلاحات الفلسفية العربية – ترجمة وتحقيق وتقديم د. زينب محمود الخـضيرى – مطبوعـات المعهـد العلمـى الفرنسى للآثار الشرقية – القاهرة 1983م .

38. **مالك بن نبى (مفكر جزائرى)** :
إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث – دار الإرشاد – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1969م .
39. **محمد (د. على عبد المعطى)** :
الفكر السياسي الغربى – دار المعرفة الجامعية – إسكندرية – الطبعة الأولى 1980م .
40. **المودودى (الإمام ابو الأعلى)** :
الإسلام اليوم – دار القلم للنشر والتوزيع – الكويت – الطبعة السادسة 1996م .
41. **المولى (د. سعود)** :
الحوار الإسلامى المسيحى – ضرورة المغامرة تقديم الشيخ محمد مهدى شمس الدين – دار المنهل – بيروت – الطبعة الأولى 1996م
42. **ناصر خسرو (أبو معين القبادياني المروزى)** :
جامع الحكمتين – ترجمة د. محمد دسوقى شتا دار الثقافة للنشر – القاهرة – الطبعة الأولى 1974م .
43. **هنرى كوربان (مستشرق فرنسى)** :
تاريخ الفلسفة الإسلامية – ترجمة نصير مروة وحسن قبيس – تقديم الإمام موسى الصدر والأمير عارف تامر – دار عويدات – بيروت – لبنان – الطبة الأولى 1983م .
44. **هنرى لاووست (مستشرق فرنسى)** :
شرائع الإسلام فى منهج أبن تيمية – ترجمة وإعداد محمد عبد العظيم على – نقد ودراسة د. مصطفى محمد حلمى – ثلاثة أجزاء – دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع – إسكندرية – الطبعة الثانية 1997م .

2ـ الموسوعات والمعاجم

45. **الحفنى** (**د. عبد المنعم**) :

موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب – مكتبة مدبولى – القاهرة · الطبعة الثانية 1998م ·

46. **مجمع اللغة العربية:**

المعجم الوسيط – ج1 – طبعة القاهرة 1960م ·

47. ،، ،، ،، :

المعجم الفلسفى بتصدير د. إبراهيم مدكور – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة – الطبعة الأولى 1979م ·

3 ـ المجلات والصحف الدورية

48. **خليف** (**د. يوسف**) :

حول رد شكوك المستشرقين – مقال بجريدة الأهرام – عدد يوليو 1979م ، بالإضافة إلى عدة عروض وتحقيقات وندوات بجريدة الأهرام القاهرية بالتواريخ الآتية :–

أ – 2002/2/2 – ندوة عن الفضائيات العربية .

ب– 2002/5/17 – حوار مع فضيلة المفتى د. أحمد الطيب

جـ 2002/6/14 – تحقيق بعنوان : " عجز الإعلام العربى " – بإشراف أ. مسعود الحناوى .

د – 2002/9/13 – تحقيق بعنوان : " العواقب والمواجهة " – بإشراف أ. مسعود الحناوى .

هـ– 2002/9/15 – عرض وتقديم : كتاب الإقتراب من القرآن – بإشراف أ. رجب عبد العزيز .

49. **جريدة الأخبار القاهرية** :

المنتدى الإعلامى العربى – رسالة دبى – هبة حسين – بتاريخ 2002/8/15م .

50. **رودنسون** (**مستشرق فرنسى**) :

صورة العالم الإسلامى فى أوروبا – مقال بمجلة الطليعة – العدد الرابع – فبراير 1970م .

51. **سعدى** (**د. محمد ..**) :

عرض نقدى لكتاب صراع الحضارات لصموئيل هنتجتون مجلة المستقبل العربى – العدد 244 – المجلد 6 – عام 1999م .

52. **العراقى (د. عاطف ..)** :
آراء الإسلاميين والمستشرقين حول الفلسفة الإسلامية – مقال بمجلة الفكر الإسلامى – بيروت – العدد 11 – 1972م .
53. **العنانى (د. على ..)** :
المستشرقين والآداب العربية – مقال بمجلة الهلال – ج1 – عدد أغسطس – 1932م .
54. **هيكل (د. محمد حسين)** :
طريق على خريطة الأزمنة – مقال بجريدة الأهرام القاهرية – 1970م

* * *

4- شبكة الإنترنت

55. صفحة فى شبكة الإنترنت بعنوان :

الحروب الصليبية ومنهاج الإستشراق – د. حسن الباش .

Fille: //B: 1 page 1 of 4

5- المراجع الأجنبية

56. Badaw (A.R) :

Défense du Corán Contre ses Critiques – Paris .1989.

57. „ „ :

La vie du prophete Muhamméd Contre ses detracteurs – Paris – 1990.

58. Dugat (G ...) :

Histoire des Orientistes de L'Europe – Paris – 1958.

59. Encyclopédique:

Grand la Rousse – V.11 – Paris.

60. Gradet (L ..) :

Suhrawardi Shaykh, Alishray et la culture Musulmane

بحث عن السهروردى شيخ الإشراق فى الثقافة الإسلامية ضمن عدة بحوث ودراسات فلسفية باللغة الفرنسية فى الكتاب التذكارى لشيخ الإشراق بإشراف وتقديم د. إبراهيم مدكور – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – 1974م .

61. „ „ :

Quelques Reflexions sur l'ishreq, de Suhrawardi, et sa parter Experiencielle.

أيضاً بعض التأملات حول اشراق السهروردى وخبراته بنفس المرجع بالفرنسية

62. **Gibb (H. A. R.) :**

In whither Islam? A survey of Modern Movements in the Meslem world. Ed. H.A.R.

Gibb - London. Victor Gallancy 1932.

63. **Hamada (B. I.) :**

Arab Image in Minds of Western Image Makers

بحث فى المجلة المصرية لبحوث الرأى العام (باللغة الإنجليزيــة) – كلية الإعلام – جامعة القاهرة – العدد يوليو / سبتمبر 2000م.

64. **Massignon (L): Essai sur origines du Lexique**
technique de la Mystique Muslmane – Paris – 1968.

65. „ „ :

Opéra Minara ed. Y. Moubarac. Beirut
– Dar – El – Maaraf – 1963.

66. „ „ :

La Passion d'al – Hallag Martyr Mystique de l'Islam – Paris – Vol. 1 (1975) .

67. **Oliver (L ') : An introduction to Medieval**
Philosophy – Cambridge University – Press – M.S.A. 1995.

الدراسة الثالثة

لويس ماسينيون

وجهوده فى الفكر الفلسفى الإسلامى

(مع نصوص مترجمة من الفرنسية)

المقدمة

أ- في الموضوع :

.. غالباً ما نجد الباحث المسلم يحاول أن يثبت بالأدلة والنصوص ان الإسلام ينادى بالعقل والتفكير ويدافع عن حكمة ، وان كل ما يقال عنه مجرد آراء تصدر عن أناس ليس لهم المقدرة لتقييم أنتاج المسلمين عبر العصور ، وغالباً أيضاً كانوا يمرون على سطور كتابات المسلمين مر الكرام دونما فحص ولاتدقيق ذالكم هم المستشرقين الذين عنوا بأحوال الشرق ولغته وفكره وفلسفته ولكن عندما نفحص نحن العرب أو الشرقيين ما أنتجه الغرب عنا نقف وقفة تأمل وفحص لجُل إنتاجهم وخاصة مع من لم يمر على كتابات المسلمين مر الكرام بل وقف وقفة تأمل منصفة بقدر طاقته مع كل أفكار وآراء الإسلام ، ووجهات نظر مؤرخى العرب والفرس والترك . وأحد هؤلاء هو المستشرق الفرنسى الكبير لويس ماسينيون Louis Massignon الذى كان من أكبر المهتمين بالشأن الإسلامى على الرغم من أنه كان من كبار موظفى وزارة المستعمرات الفرنسية فى شبابه ثم أصبح مستشاراً لها بقية حياته ممثلاً للشئون الإسلامية لبلاده ، وممثلاً للاستشراق المعتدل رداً على مايردد البعض إن الإستشراق أرتبط بشكل أو بأخر بالاستعمار أو بالتنصير والتبشير .. وإذا كانت هذه المقولة صحيحة على أغلب المستشرقين فهى بلاشك لاتنطبق على لويس ماسينيون التى حملت أراؤه نبرات التوحيد والتوحد وحمدت مواقفه من قضايا الإستقلال فى بلدان عربية كثيرة واستمرت دعواته ليسمع كل الناس نداء الإسلام كاستقرار للعقيدة الإبراهيمية (دين التوحيد) وشكلت محاوراته أرهاصات أولية ممهدة (فلسفياً / لاهوتياً) للحوار الإسلامى / المسيحى من منطلق ان خلفية التفسير المسيحى الشرقى للعقيدة الإسلامية كانت لها دوراً فى تكوين الكثير من التصورات الأوروبية

عن الإسلام ، والتى تشكلت كما يذكر د. جورافسكى ما بين القرنين الثـانى عشر والرابع عشر الميلاديين وتعد المؤلفات التى وضعها يوحنا الدمشقى (ت 749هـ) من أبكر الدراسات المسيحية الشرقية عن الإسلام وكانت محاوراته ومجادلاته مع الإسلام ذات طابع لاهوتى محض (كما سبق القول فى الدراسة الأولى) وليس طابعاً سياسياً إيديولوجياً كما سنرى عند الحديث عن جـذور الإستشراق الأوروبى ويقرر أن الدمشقى ناقش الإسلام كبدعة مشدداً على أن المسلمين يتفقون مع المسيحيين فى الإيمان بالإله الواحد ، ولكنهم لايعترفون بالعقائد الاساسية للمسيحية وفى مقدمتها الطبيعة الإلهية للمسيح ، ومسألة الصلب ومسألة الأقانيم الثلاثة، الأمر الذى يقلل – فى نظره – من شأن الأطروحات الصحيحة التى تضمنتها تعاليم دينهم(*) .

ومن هذه الآراء وما شابهها بدأ أهتمامنا بكتابات الغرب منذ زمن ، ودراستنا هذه عن دور الإستشراق المعتدل ، ومن هنا يدور الموضوع حول لويس ماسينيون وجهوده فى الفكر الفلسفى الإسلامى، لنقف على أهم ما تمثله جهود الرجل فى مجالات عديدة تمس الفكر الإسلامى بصفة عامة ، وينطلق من مرتكزات إسلامية فى (علم الكلام الإسلامى – التصوف الإسلامى – الفرق الإسلامية – فلاسفة الإسلام مشرق ومغرب) ، وللإجابة على التساؤل المُلح .. ماهو علاقة ماسينيون بتراث الحلاج المقتول ؟ ولماذا هذا الأهتمام والتعاطف غير العادى والمذهل الذى يذكرنا بتعاطف هنرى كوربان مع السهروردى المقتول أيضاً وهنرى لاووست مع ابن تيمية ؟!!

ب- فى المنهج :

وسنتناول فى الدراسة قضـايا مشكلات عديدة تنجلى رويداً رويـداً

(*) جورافسكى (د. أليكسى) : الإسلام والمسيحية – ترجمة د. خلف الجراد – تقديم د. محمود حمـدى زقزوق – سلسلة عالم المعرفة – العدد 215 – الكويت 1996 – ص70/71.

من خلال المصادر الأصلية والنصوص التى لم تنشر من قبل والتـــى قمـــت بترجمتها من النص الأصلى لماسينيون أثناء تواجدى فى باريس (صيف عام 2003) لنرى إلى أى مدى كان أهتمام ماسينيون بالفكر الإسلامى والفلسفة الإسلامية ، ورؤيته للتصوف وموقفه من شد د التصوف (الحلاج) ، وعلم الكلام والفرق الإسلامية وغير ذلك مستخدمين **المنهج التـــاريخى التحليلـــى النقدى** من خلال أستعراضنا لأهم العناصر والنقاط الآتية :-

أولاً : جذور الإستشراق الأوروبى .

ثانياً : لويس ماسينيون (حياته – عصره – مؤلفاته).

1. **حياته (النشأة والتكوين والتسفار) .**
2. **عصره (لقاءاته وصداقاته) .**
3. **مؤلفاته (الأعمال الكبرى – الدروس والمحاضرات – الأبحاث فـى الندوات والمؤتمرات).**

ثالثاً : الجوانب اللاهوتية فى رؤية ماسينيون.

رابعاً : أهم آراء ماسينيون وجهوده فى الفكر الإسلامى :

1. **جهوده فى التصوف الإسلامى وموقفه من الحلاج .**
2. **جهوده فى الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام والفرق الإسلامية .**
3. **ماسينيون والمجتمع الإسلامى ورؤيته لفلسفة التاريخ**

- تقييم ونقـد .
- خاتمة وأهم نتائج الدراسة .
- أهم المصادر والمراجع .

****

أولاً

جذور الإستشراق الأوروبى

تتمثل جهود المستشرقيين بصفة عامة – خلال تاريخهم الطويل – فى أعمال ومؤلفات عديدة ، وإسهامات جادة متنوعة تتفاوت بين الأصالة والمعاصرة ، وبين الأعتدال والغلو ؛ قام البعض منهم بالتدريس فى الجامعات العربية الإسلامية وجمع بعضهم وحقق وفهرس المخطوطات العربية الاسلامية تحقيقاً علمياً متميزاً وترجموا النصوص من العربية إلى مختلف اللغات الاوروبية . وبدأ الإستشراق بدراسة اللغات الشرقية الحية وجمع المعلومات لأغراض متعددة منها بالطبع الهدف العقائدى المحض . ولو رجعنا بالتاريخ إلى الوراء قليلاً فنجد فى أسبانيا مثلاً بدأت الدراسات العربية – فى العصور الوسطى – استجابة لحاجات العمل التبشيرى [1] ، ثم فقدت هذه الدراسات كل جاذبيتها مع سقوط غرناطة عام 1492م. واستمرت هذه الدراسات كجزء من الدراسات السامية بصورة عامة فى روما حيث كانت المشيخة الرومانية مهتمة بتوحيد الكنائس الشرقية ثم جاءت الحركة الإنسانية Humanism فى محاولاتها البحث عن ثقافة عالمية واسعة أسهم فيها المستشرق الفرنسى جوليام ، بوستيل Postel, Guillaume [2]

---

(1) وقد قدم لنا د. الجليند قراءة تاريخية موجزة فى كتابه : الإستشراق والتبشير – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – القاهرة 1999م – ص7–10 ، أكد فيها على أنه ليس ممن يقولون إن الإستشراق والمستشرقين يجمعهم حكم واحد وكلهم على رأى واحد فى موقفهم من الإسلام وقضاياه .

(2) من المستشرقين الأوائل فى فرنسا ، ولد فى ضاحية دولرى شمال شرق فرنسا فى 1510م وتوفى فى باريس 1581م ، تعلم عدة لغات وأرسله فرانسوا الأول إلى الشرق لإقتناء المخطوطات فسافر إلى مصر وتركيا وتعلم العربية والتركية ، عاد إلى باريس 1537م فعينه فرانسو الأول محاضراً وترجماناً ثم أستاذاً فى الكوليج دى فرانس علم 1539م ، والتى كان قد أنشأها فرانسوا الأول منذ وقت قريب (1531م) ، ومن أهم مؤلفاته : النحو العربى وجمهورية الترك .. أنظر فى ذلك مكسيم رودنسون – الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية – تراث الإسلام – ج1 – تصنيف جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث –

- كما أهتم تلميذه جوزيف سكاليجر Scaliger, Joseph [3] بالإستشـــراق وتخلـــى عن حماسه التبشيرى ، ومع بداية عصر الطباعة طبعت الأعمـــال الطبية والفلسفية للفيلسوف المسلم ابن سينا وغيره من فلاسفة الإسلام .

وفى ذلك الوقت كانت هناك اهتمامات وصلات وثيقة بين القوة الثقافيـــة العربية / الإسلامية وبلاد أوروبا وبالذات فرنسا والمانيا وانجلترا وايطاليـــا [4] بالإضافة إلى الإتجاه العام نحو تنظيم البحث العلمى ، وكل هذا يفسر لنا ظهـــور شبكة إستشراقية متلاحمة وهكذا تأسس أول كرسى للعربية عـــام 1539م فـــى الكوليج دى فرانس بباريس Collège de France وكان أول من شـــغل هـــذا الكرسى المستشرق بوستيل العالم المستنير الذى يمثل عنصر النهضة خير تمثيل ثم تلميذه سكاليجر ، وكثرت كراسى الدراسات الشرقية فلم تعد باريس متفـــردة وحدها بذلك حيث ظهر رجال فى هولنـــدا والنمسا وبلجيكا وانجلترا وغيرها[5]، ومـــن الرعيل الأول لمستشرقى فرنسا نجد : دى هربلو برتيليمـــى (1625م / 1695م) D'Herbelat, Barthelemy [6] الذى عين استاذاً للغة السريانية فـــى الكوليج دى فرانس ، وجاء بعده انطون جـــالان (1646/1715م) , Galland

---

ترجمة د. محمد زهير - د. حسين مؤنس - تعليق وتحقيق د. شاكر مصطفى - راجعه د. فـــؤاد زكريـــا - سلسلة عالم المعرفة - الكويت - العدد 233 - مايو 1998م - ص59 ، أيضاً: د. عبـــد الحميـــد حمـــدان - طبقات المستشرقين - مكتبة مدبولى - القاهرة - الطبعة الأولى - 2000م ص8.

(3) هو مستشرق فرنسى فيلولوجى كلاسيكى كبير ولد فى أجان Agen جنوب غربى فرنـــسا فـــى1540/8/4م وتوفى ليون بهولندا فى 1609/1/21م - تعلم فى جامعة بوردو ثم فى جامعة بـــاريس ، تعلـــم عـــدة لغـــات شرقية حية ونشر عدد من الكتب اللاتينية والمعاجم - د. عبد الحميد حمدان - طبقات 00ص9 .

(4) لمزيد من التفاصيل عن أدوار الإستشـــراق طبقـــاً للبـــلاد والأشخاص والإسهامات، راجع فى ذلك: د. نجيب العقيقى - المستشرقون - دار المعارف بمصر - ثلاثة أجزاء - الطبعة الرابعة 1982م . والكتاب فيه جهد واضح عن الإستشراق .

(5) مكسيم رودنسون : عالم المعرفة - مرجع سابق - ص61.

(6) مستشرق فرنسى من الرعيل الأول ولد بباريس فى 1625/12/14م ، تعلـــم اليونانيـــة واللاتينيـــة والفلسفة فى باريس ، ومن أهـــم مؤلفاته المكتبة الشرقية وهى موسوعة جامعة لما فـــى الـــشرق من فلسفة وأدب وإجتماع .. إلخ.

Antoine الذى ارسله الوزير المالى للويس الرابع عشر - كولبير إلـى بـلاد الشرق لشراء مخطوطات وتحف قديمة ، وكان يحضر دروس اللغات الـشرقية فى الكوليج دى فرانس وعين أستاذاً فيها (7) . أما جوستاف دوجـا (8) والـذى ندخل به فى بداية الإستشراق فى القرنين التاسع عشر والعـشرين الميلاديـين واللذين يمثلان على الصعيدين الدينى والايديولوجى ــ عصر الإزدهار الحقيقى للحركة الإستشراقية ففى مارس 1795م قامت حكومة الثورة الفرنسية بباريس بإنشاء مدرسة اللغات الحية وبدأت حركة الإستشراق فى فرنسا تتجه نحو إتخاذ طابـع علمى على شيخ المستشرقين الفرنسيين سلفستر دى ساسـى Desaey, Anteine, Silvester (9) الذى أصبح إماماً للمستشرقين فى عصره وإليه يرجع

---

(7) ومن أهم مؤلفات جالان ترجمته لكتاب ألف ليلة وليلة ترجمة حرة تصرف فيها تصرفاً شديداً لكـن بلغة جميلة وتكييف للنص الأصلى وظهرت هذه الترجمة بعنوان :

Les Milles et une Nuits, Contes arabes traduits en Français – Paris –1704–1717

فى إثنى عشر مجلداً والكتاب موجود فى المكتبة القديمة للكوليج دى فرانس حتى الآن ، كما تـرجم القرآن الكريم وتوجد نسخة منه فى المكتبة الوطنية بباريس - قسم المخطوطات مبنى (B) .

(8) جوستـاف دوجـا Dugat, Gustave مستشرق فرنسى ولد فى مدينة أورانج Orainge فـى 1824م ودخل مدرسة اللغات الشرقية فى باريس ، وسافر إلى الجزائر 1845م فـى بعثـة علميـة وكُلف بتدريس جغرافية الشعوب الإسلامية فى مدرسة اللغات الشرقية وأهـم مؤلفاتـه : تـاريخ الفلاسفة والمتكلمين المسلمين فى القرن الثالث عشر الميلادى ، ومناظر من الحيـاة الدينيـة فـى الشرق - باريس 1876م ؛ وتاريخ المستشرقين فى أوربا من القـرن الثانـى عـشر حـتى القـرن التاسع الميلادية وصدر بباريس فى مجلدين 1868/1870م مـن 16 جـزء بعنـوان :- Histoire de Orientalistes de l'Erope وتوجد نسخة منه فى المكتبة الوطنيـة ببـاريس . (أنظر د. حمدان - طبقات..- مرجع سابق - ص43) .

(9) ولد دى ساسى فى باريس 1758/9/21م وتوفى عام 1838م ، بدأ دروسـه فـى المنـزل ودرس الأدب اللاتينى والأدب اليونـانى وتعرف على يهودى مقيم فى باريس فزاده تـضلعاً فـى اللغتـين العبرية والعربية ، عين عضواً بمجمع العلوم لنشر المخطوطات الشرقية وعـضواً فـى أكاديميـة النقوش والآداب ومن أهم مؤلفاته : مختارات عربية ، مقامات الحريرى - عرض لديانة الدروز - كليلة ودمنة ، ولكن أهم كتبه هو نحو اللغة العربية فـى مجلـدين وعنوانـه : النحـو العربـى ، لإستعمال تلاميذ المدرسة الخاصة باللغات الشرقية.

Grammaire arabe à l'usage des éléves de l'Ecole Spéciale des langues orientales - Paris – 1990

الفضل فى جعل باريس مركزاً للدراسات العربية . وفى عـام 1895 أى بعـد مائة عام من الثورة الفرنسية ظهرت فى باريس مجلة تمنح جُل إهتمامها للعـالم الإسلامى وهى مجلة الإسلام وقد خلفتها فى عام 1906 مجلة العالم الإسلامى ، ثم تحولت إلى مجلة الدراسات الإسلامية (وهذه المجلات سوف يرأس تحريرها فيما بعد لويس ماسينيون) بالإضافة إلى ذلك فقد عقد أول مؤتمر للمستشرقين فى باريس عام 1873م ، وقد كان للمد الإستعمارى فى العالـم الإسـلامى دوراً كبيراً فى تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق ، وخاصة فيما بعد منتصف القـرن التاسع عشر الميلادى وهناك أمثلة عديدة عـن إرتبـاط الإستـشراق بالإستعمار فى البلاد العربية المختلفة .

وكان لفرنسا دوراً بارزاً فـى هذا المجال حيث عمل كثيـر مـن المستـشرقين كمستشارين لوزارة المستعمرات الفرنسية فى شـئون شـمال افريقيا وعلى سبيل المثال لا الحصر كان المستشرق دى ساسـى – الـذى ترجم البيان الموجه للجزائرين يُستشار بإنتظام فى جميع المـسائل المتعلقـة بالشرق من قبل وزارة الخارجية الفرنسية . المهم فى الأمر لقد ظهرت فـى القرن التاسع عشر ثلاثة إتجاهات بخصوص جذور وأصـول الإستـشراق يحددها رودنسون على النحو الآتى :–

1– شعور نقص وإمبريالى بالتفوق الغربى ملـئ بـالإزدراء للحـضارات الأخرى – وهذا ما نجد ما يشابهه اليوم .

وعندما اطلعنا عن أصل هذا الكتاب وجدناه معنون أيضاً بالعربية واسماه دى ساسى : التحفـة الـسنية فى علم العربية ، وهو موجود بخزانة الكتب العربية بمكتبة الكوليج دى فرانس بباريس ومن عنايـة الإستشراق الفرنسى بأصـول الثقافة العربية صدور الترجمة الفرنسية لكتاب قطر الندى وبل الـصدى La pluie de la Rosée لابن هشام الانصـارى عـام 1887م بباريـس بعـد أن قـام جـوجيير A.Goguyar بترجمة النص الأصلى ونشر بتصدير المستشرق الشهير سلفستر دى ساسـى الـذى كان استاذاً فى الكوليج دى فرانس ثم أصبح مديراً لها فى 1823/12/30م.

2- ميل رومانسى إلى كل ما هو غريب يبتهج بالشرقى السحرى الذى كان فقره المتزايد يعطى سحره مذاقاً خاصاً ، أو يسميه بالتعلق بالغرائب Exoticism.

3- تخصص علمى أنصب معظم أهتمامه عـلى العصور الماضية [10] وهذا ما سنجده لدى ماسينيون وكوربان وهنرى لا ست ، وعلى كـل حـال فـإن الدراسات الشرقية التى شاعت مجدداً وبدت بالفعل وكأنها عـصر النهـضة زودت أصحاب الرومانسية بكنوز من المعلومات المفيدة عن الشرق وسحره

ومع ذلك فإن جذور الإستشراق العلمى ترجع إلى اهتمامـات حركـة التنوير وكان كل شخص فى أوروبا يرغب فى التعرف بطريقة وافية علـى لغات الشرق الأدنى والأوسط والشمال الأفريقى وحضاراته – يتوجـه إلـى مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس (*) . ومن المفارقات أن يكون الرائـد الكبير فى هذا المجال هو سلفستر دى ساسى وهو الملكى النزعة ، الجانسينى المذهب Jansenist الوضعى التفكير Positivist ، المتمسك بقيم الماضى، والذى كان يمثل ويتصور علوم اللغات ضمن إطار عالمى مجرد ، وأصـبح دى ساسى أستاذاً لجميع المستشرقين الأوروبين ، وأصبحت باريس المدينـة التى يذهب إليها جميع الذين يرغبون فى التخصص بدراسة الشرق الأدنى .

فقد ظهر الإسلام – لبعض أولئك الذين كانوا ملتزمين بعمـق للإتجـاه الأيديولوجى اليسارى المناهضين للإستعمار – على أنه فى جوهره يمثـل عامل تقدمى ، ولقد ظهر هذا بارزاً بصورة عامـة لـدى جمـاعة مـن الكاثوليك اليسـاريين وعـلى رأسـهم لويـس ماسينيون – موضوع البحث – الذى كـان من كبار العلماء المتخصصين الفرنسيين ، وكـان مـشبعاً بالنظـرة الصوفية لتاريخ الإسلام كما سنرى.

---

(10) م. رودنسون – عالم المعرفة – مرجع سابق – ص71/70.

(*) وهذه المدرسة أسستها حكومة المؤتمر الثورية Convention فى عام 1795م.

ثانياً

لويس ماسينيون

حياته وعصره ومؤلفاته (Louis Massignon)

1ـ حياته (النشأة – التكوين – التسفار)

ولد فى 1883/7/25م فى فرنسا بمنطقة Nogentsur-Marne بباريس وخلال الفترة من 1893م – 1899م تعلم فى الليسية Lycées Montaingne et Louis-le-Grend وفى 1894/4/26م كانت مشاركته الأولى فى الأمور العامة وهو فى هذه السن الصغيرة من خلال مدرسيه ومناقشات زملائه وظهرت عبقريته ، وفى عام 1898م سافر إلى المانيا والنمسا ولندن أقرب البلدان إلى فرنسا جغرافياً وبعد عام سافر إلى إيطاليا مع اقاربه (Bolonge, Venise) وفى نفس العام فاز بالجائزة الأولى فى مسابقة الجغرافيا العامة .

وفى 1901/10/23م حصل على درجة البكالوريا فى الآداب والرياضيات Baccalauréat lettres-Mathématiques وسافر فى نفس العام إلى الجزائر والقنطرة [11] Alger, El-Kantera ، وفى 1902/10/1م حصل ماسينيون على درجة الليسانس فى الآداب من أكاديمية باريس La Sorbonne وقضى فترة الخدمة العسكرية حتى 1903/9م فى مدينة Rouen بفرنسا ، وفى يناير 1904م سافر إلى الجزائر والمغرب وزار طنجة والقصر وفاس ومدينة العرائش Larache ، ومن الغريب انه أخفق عام 1905م فى شهادة التبريز فى التاريخ L'agrégation d' histoire ، ومن 1905–1906 ألتحق بالدراسات العليا بالكوليج دى فرانس

(11) Louis Massignon et l'islam - collection témoignages :Pierre Rocalve No2 - Institut français de Damas – 1993 – P.149. et decuments

قسم اللغات الشرقية بباريس. Collège de France

وفى إبريل 1906م حضر مؤتمر الإستشراق فى الجزائر واتصل فى المغرب بالمستشرق ليون الأفريقى Léon L'afericain (12) واسهم منذ ذاك بمجهود وافر فى عقد مؤتمرات دولية . ستشرقين وتاريخ الأديان وساهم فيها مساهمة فعالة.

وكان ماسينيون وهنرى ماسبيرو قد طرحا الوظيفة جانباً لعدم التقييد بالأعراف المقررة والروتين بطريقة لامتثالية Indépendence d'esprit وأصر على تعلم اللغة العربية والأدب العربى وحصل على دبلوم الأدب العربى واللغات الشرقية (العامية) Vulgairé .

وفى 1906/10/23 أصبح عضواً فى المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، وسافر فى نفس العام إلى البصرة وبغداد والمحمرة .

وفى عام 1907 من (12/19 – 1908/6/4م) سافر إلى العراق فى مهمة علمية للتنقيب عن الآثار القديمة وكانت نتيجة ذلك اكتشافه لقصر الأخيضر(13) وظل فى العراق حتى 6/28 وسافر إلى بيروت ؛ وفى 7/10 عاد إلى باريس وذهب إلى دير ألفونس السابع للزيارة بتاريخ 1907/12/25م .

وفى عام 1908 بتاريخ 8/15 حضر المؤتمر الدولى للإستشراق فى

---

(12) Ibid: P. 150

(13) وقد كتب ماسينيون فى عام 1909 دراسة عن إكتشاف أثر هام فى العراق وهو قصر الأخيضر بنفس العنوان :

L'château d'Al -Okhaider. CF. Louis. M. Opéra Minora – textes recueillis classe et présntés avec une Bibliographie – par .Y. Moubarac – liban – T.N.3- 1956-PP. 28-34.

كوبنهاجن وفى عام 1904 بتاريخ 2/21 زار كنيسة القلب المقدس(*) Sacré-Coeur ، وتعرف على صديقه شارل فوكو Charles de Foucauld وسيكون بينهما مراسلات ولقاءات خلال فترة الأزدهار والترحال ، وبعد ذلك بدأ ماسينيون البحث والدراسة عن الحلاج وشخصيته الصوفية . فى عام 1910م درّس الفلسفة فى الأزهر الشريف بالقاهرة ، وأصبح عضوا فى الـ I.F.A.O ومن الطريف انه تزى بالزى الأزهرى وتعامل مع عامة الناس بالحب والود وأحب الإسلام والمسلمين ونذر حياته لدراسة احوالهم ؛ ومن هنا نال حب وإعجاب كافة المسلمين فى العالم .

- فى عام 1911م قابل فوكو فى باريس وحضرا قداس القديس أوغسطين الثالث والعشرين ، ومنها ذهب إلى أستنبول وعاد إلى باريس مرة أخرى .

- فى عام 1912م حضر مؤتمر الإستشراق فى أثينا باليونان ومنها سافر إلى ميلانو وعرض المذهب الكلفينى Calvinisme ، وهو مذهب كلفان اللاهوتى الفرنسى البروتستانتى ، كما حضر مؤتمر تاريخ الأديان والحوار.

- فى عام 1913م (خلال الفترة من 1912/11/25 – 1913/4/24) ذهب إلى مصر وهى أطول فترة يقضيها فى مكان واحد خارج باريس – وألقى عدة محاضرات فى الفلسفة العربية فى جامعة القاهرة ، وتُعد هذه الدروس من أهم أعمال ماسينيون فى مصر وتشتمل على (40 درس) .

(*) تقع هذه الكنيسة فى حى شمال باريس يسمى Mont martre (دائرة 18) وقد قمت بزيارته نظراً لأهميتها التاريخية والأثرية ولإعتبارها من المزارات السياحية الأكثر جذباً للسياحة فى فرنسا ولأهميتها المعمارية والدينية ، وتقع على ربوة عالية وهى من أقدم كنائس باريس بعد كنيسة سان جورمان التى تقع على نهر السين ، وكذا كنيسة نوتردام – باريس .

وعـــاد إلى باريس لحضور قداس القديس أوغسطين (الرابع والعشرين) مع شارل فوكو Charles de Foucauld .

- وبتاريخ 1913/10/13 طـلب الـزواج مـن Marcelle Dansaert البلجيكية الأصل والجنـسية ، وفـــى 1914/1/2، تـــم الــــزواج بمباركـــة الأب دانيال فـونتين Daniel Fontaine وبعد عام أنجــب أبنه الأول Yves. M ..

- وفى عام 1916 شارك فــى الهجــــوم علــــى منطـــــقة دوبرميـــر Dobromir فـــى الحملة رقــم (56) بقيادة الكولونيل كلوزو ، وتوج بعدها بوسام الحرب (صليب الحرب) فى إطار الحروب العالمية الأولى

- وفى عام 1917م أخبر بموت صديقه فوكو ؛ وسافر إلى روما ومنها إلى باريس فى أجازته السنوية . وفى 3/21 من نفـس العام وصــل إلـــى مدينة بورسعيد بمصر فى مهمة سياسيـــة خاصة بأتفاقية سايكـــس بيكو Accordss, Sykes-Picot ، وقــد كان ماسينيون عضواً فى اللجنـــة الفرنسية لتلــك الأتفاقــية (الفرنسية / الأنجليزيـــة) . وفـــى خـــــلال يــومى 16-5/18 من نفــس العام ألقـــى محاضرات فى الدبلوماســية بنورث بـــروك No'rth Brook ومـــور - روج Mer-Rouge ، مما يدل على مدى أهتمامه بالسياسة بجانب جهود فـــى مجــالات الفلـــسفة الأخرى .

- فى عام 1919 أنجب ابنه الثانى دانيال Daniel. M [14] والـــذى سيولى جُل اهتمامه فيما بعد بأعمال وجهود والده ماسينيون ، بل سيكتب مقدمات

(14) Pierre, R: Louis Massignon et l'Islam.. PP 154 -155

وتمهيدات لمؤلفات والده (*) وبعض الأعمال التـــي ستكتب عنه كما سنرى من خلال المؤتمرات التى عقدت من أجله سواء فى باريس أو خارجها .

- فى عام 1920 سافر فى مهمة علمية لسوريا لدراسة الحضارات العربية فى معاهدها وعقد عدة مؤتمرات فى دمشق والقاهرة على أعتبار أنـــه كان عضواً فى المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة .

- فى عام 1921م أنجـــب ابنـــته الوحيدة Geneviève وعمـــــدها الأب بول كلودل Paul Claudel لتصبح (أبنة المعمودية) Filleule [15] .

- وفى 1922/1/17م أرسل خطاب لآسين بلاســـيوس Asin Plalacios المستشرق الاسبـــانى الشهيـــر عندما علم بنبأ وفاة Luis de Cuadra وبعد يوم واحد مات اخيه Fernand. M. ، وفـــى نفـــس العـــام ألقـــى محاضره فى مدينة لوفيان الفرنسية Lauvain عن الإسلام والمسيحية .

- وفى عام 1923م ألقى محاضرة عن العقائد عند العرب ثم ذهـــب فـــى مهمة إلى المغرب والجزائر وإيران وتونس Tunisie - Carthage

- وفى عام 1924م عمل على تكوين جمعية اصدقاء تشارلز فوكو وفـــاءً منه لأصدقاءه وأختير عضواً فى الجمعيـــة الملكيـــة الآســـيوية بلنـــدن وأكاديمية العلوم فى U.R.S.S وألقى عدة محاضـــرات ودروس عـــن العرب والمسلمين .

(*) وسوف ينسحب هذا الأهتمام إلى زوجته السيده نيكول ماسينيون التى ستقوم بتخليد ذكرى ماسينيون وتهتم بأعماله ومؤلفاته وتنشئ جمعية لأصدقاء وتلاميذ ومحبى لـــويس ماســـينيون بفرنـــسا ولقـــد تشرفت بمقابلة السيده نيكول وأبنتها فى أخر مؤتمر أقيم فى باريس عن لويس ماسينيون وجاك بيرك ومالك بن نبى خلال شهر يوليو 2003م. وقد أمدتنى بمعلومات وصور هامة عن شخصية ماسينيون

(15) Pierre. R: Louis Massignon .. P. 158.

- وفى عام 1925 بدأ فى ألقاء المحاضرات فى الكوليج دى فرانس وكان قد بدأ قبل ذلك بشكل غير منتظم ، وسنقوم بترجمة أهم هذه المحاضرات فى ثنايا البحث .

- فى عام 1926م أسس مجلة الدراسات ! سلامية (R.E.I) واصبح مديراً لها بعد عام 1927م ، وعين استاذاً فى الكوليج دى فرانس ، وأسس عدة جمعيات للصداقة مع الأقطار العربية والإسلامية.

- فى عام 1927م ذهب فى مهمة إلى سوريا (دمشق) Mission a Damas وبعدها سافر إلى لندن لإلقاء محاضرة فى جامعة لندن بعنوان "The Present Condition of the Muhammadan World " :[16] وعاد ماسينيون إلى فرنسا وألقى محاضرة عن الخبرة الصوفية فى مؤتمر لوفيان Louvain ، وزار عدة بلاد فى الشرق الأوسط والشرق الأدنى ، وألتقى مع زعماء العالم ، وأهتم بالقضية الفلسطينية وأحوال المسلمين فى بقاع الأرض وفى سوريا نادى بتقدم الدراسات العليا وتطورها والأهتمام بالكوادر العربية فى بلاد المغرب العربى (تونس والجزائر والمغرب) وبطبيعة الحال كانت لمصر والعراق وإيران اهتمامات خاصة بالنسبة لماسينيون ، وزار تركيا وألقى عدة محاضرات فى بيروت .

- وخلال عامى 1929/1928م زار المانيا وألقى محاضرة فى بكين بالاشتراك مع بيكر Becker عن فلسفة التصوف من خلال الوثائق الإسلامية ومنها ذهب إلى أنقرة وسوريا وألقى محاضرات فى جامعات بيروت والجزائر ولوفيان الفرنسية بالتتابع :

Ibid : PP: 159-160 . (16)

Conférences à l'université de Beyrouth.

,, ,, Alager (5/3/1929).

,, ,, louvain (21/8/1929) [17]

وقام ماسينيون بتأسيس معهد الدراسات الإسلامية بالإشتراك مع كل من:

W. Marçais, et H. Godefroy, et Demombynes

ثم أصبح عضواً مقرراً فى اللجنة الوزارية لإدارة الجزائر.

- فى عام 1930 ألقى عدة محاضرات عن اللغة العربية، وأنشأ مدرسة (مسائية) لتعلم اللغات الافريقية واسماها sociales d'Équipes Nord-Africaines وفى يونيو من نفس العام زار مقبرة الحلاج شهيد التصوف فى بغداد، ثم عرج إلى الفاتيكان وتسلم مقعد بولان Boullan كعضو مكرس (فى النظام البابوى) وذهب إلى فارس Pers فى مدينة البيضاء al-Bayda المدينة التى ولد فيها الحلاج [18] شهيد التصوف الإسلامى.

---

(17) Ibid : PP: 162.

(18) Ibid : P. 163.

تعقيب : والحلاج كما نعلم هو أبو المغيث الحسين بن منصور بن محمد البيضاوى المشهور بالحلاج (244/ 309 هـ - 858 م / 922م) - عالم كلام - صوفى - عالم لغة عربية/ فارسية . حياته وقتله يمثلان فاجعة كبرى فى تاريخ الثقافة الإسلامية والخبرات الداخلية التى كُتبت فى تاريخ النصوص الإسلامية والتصوف الإسلامى ، ولد فى الطور (Tur) بالبيضاء بفارس (إيران) التى كانت مركزاً للعربية رغم فارسيتها (بحسب سيبويه) ، قرأ القرآن الكريم وتعلم فى واسط وأخذ يتعلم اللغة بمفرده حتى بلغ الحادية عشر من عمره وحفظ القرآن الكريم بسرعة فائقة وأختار البصرة ، وقابل بعض الصوفية وسكن معهم وبالذات عمر المكى الذى كان له صلة نسب بالإمام الحسن بن أبا يعقوب الأكتع ودرس الشيعة والسُنة والمعتزلة (كفرق إسلامية) ثم ذهب إلى بغداد ، وقابل معلمه الأول الجُنيد بن محمد (شيخ الطائفة) وتعلم منه ثم حج أكثر من مرة وزار المدينة المنورة ومكة المكرمة ثم زار عدة مدن وقابل أكثر من

- فى عام 1931م حضر جلسة لويد Leyde عن تاريخ العقائد ، وفى نفس العام

شخصية إسلامية صوفية .

أنظر فى ذلك

- **Louis Massignon : la passion d'Al – Hallâj martyr mystique de l'Islam – Paris – 1922**

وقد أعتمدنا فى الترجمة على الطبعة الثانية بعنوان :

- **La passion de Husayn Ibn Mansùr Hallâj, martyr mystique de l'Islam – exécuté à Bagdad le 26 Mars 922 – E'tude D'Histoire Religieuse (Nouvelle E'dition, 4 tomes – E'di. Gallimard – Paris. 7975. to 2. PP. 390 - 410).**
- **Encyclopédie de l'Islam : Nouvelle E'dition Tome No 3.**

أنظر أيضاً :

établie avec le concours des principaux Orientalistes – par un comité de Rédaction composé de : H.A.R. Gibb, J.H. Kramers , E.lévi-provençal, J. Schacht, L. Massignon, L. Gouthier, P. Kraus. Etc.. sous le patrenage. De l'union académique internationale. Ley de. E.J. Brill – Paris 1960. to 3.PP. 102. 106 - Article (Al-Hallâj).

= وأغلب ما كُتب عن الحلاج والتصوف فى الموسوعة الإسلامية بقلم لويس جاردية من مصادر فى الأصل ماسينيونية من منطلق أنه أستاذه المفضل . أنظر أيضاً : بخصوص قصة حسين بن منصور الحلاج ج2 ص253/221 من كتاب L.M.: Opéra Minora, to.2- PP. 221-253. والغريب فى الأمر ان الحلاج يُعد تارة من ضمن كبار المتعبدين الزهاد ، وتارة أخرى فى زمرة الملحدين طبقاً لتوجه المؤرخ والكاتب وفهم النص وحسب الظروف السياسية وآراء الفقهاء فبعد أن أتبع الناس أو بعضهم طريقته فى التوحيد والإيمان (أنظر نصوص الحلاج ص35) رغم أنه كان فى البداية ينتقل فى البلدان وينشر طريقته سراً ثم جهر به بالقول ، وقالوا عنه إنه كان يأكل يسيراً ويصلى كثيراً ويصوم الدهر ، أتهم بالزندقة والقول بالحلول (حلول الإله فيه) ووحدة الوجود وقوله أنا الحق وهو وهو .. إلخ . وكثرت الوشايات به إلى المقتدر الخليفة العباسى فأقر بالقبض عليه فسجن ثمانى سنوات فى بغداد وعذب وضرب وهو صابر لا يتأوه ولايستغيث بل كان يردد : " أقتلونى ياثقافى .. ان فى قتلى حياتى " فيعبر بذلك عن شوقه العارم إلى لقاء الحق (الله) من خلال الموت الذى يحلم بان يجد فيه طريق محبوبه الأعظم (الله عز وجل) ، قطعت اطرافه الأربعة ثم جز رأسه وأحرقت جثته ولما صارت رماداً ألقيت فى نهر دجلة ، ومن مؤلفاته : الطواسين – نشرة ماسينيون ، وهناك دراسة جديدة عن الطواسين ضمن كتاب د. قاسم محمد قاسم : الحلاج والأعمال الكاملة وغيرها من المصادر والمراجع الصوفية وقرآن القرآن والفرقان، وعلم البقاء والفناء ، والقيامة والقيامات وهو هو وكيف كان وكيف يكون ، والديوان .. إلخ – ونلاحظ حتى فى أسماء كتبه نوعاً من الشطح الصوفى وغرابة الكلمات !! وسيكون لنا معه وقفات كثيرة أثناء عرضنا لجهود ماسينيون حيث أنه كرس حياته لدراسة الحلاج .

ألقى محاضرة فى جامعة لندن عن الحركة الحديثة فى الإسلام .

" Modern Mavements in Islam"

- كما أنه بتاريخ 11/9 من نفس العام تسلم ثوب الرهبنة من مؤسسة tiers-ordre الفرنسيسكانى ، وهى تخص العوام التابعون للقانون الرهبانى (عالمِيُّون) وبعد عام واحد أعلن إيمانه بالرهبنة الفرنسيسكانية وجاهر به .

- وفى عام 1933م لقب عضواً فى الأكاديمية العربية للغة (مجمع اللغة العربية) بالقاهرة وكذا هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

- وفى عام 1934 ألقى محاضرة فى متحف Guimet وجمعية الدراسات الإيرانية عن شخصية سلمان بك . وحضر فى نفس العام دورة الإنعقاد الاولى لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وأخذ يداوم على حضور جميع الدورات حتى تاريخ وفاته.

- وبتاريخ 9/2 من نفس العام نذر بتشييد البدلية la Badaliya فى دمياط مع مارى كُحيل Mary Kahil .وتخليداً لذكرى الشهيد الحلاج ذهب إلى بغداد لزيارة مقبرته وزار أيضاً كل من كربلاء (مقبرة الشهداء) والنجف الأشرف (مدينة العلماء) والكوفة وعاد إلى بيروت لإلقاء محاضرة عن اللغة العربية ومنها إلى سوريا حيث أقام فى التكية النصيرية La ttaquié (فرقة إسلامية) وهم فى الغالب من العلويين السوريين الآن . وزار سليمان الأحمد رئيس العقائد النصيرية Shef religieux Nusairis ، وفى عام 2/18 سافر ماسينيون إلى إيطاليا وعقد فى روما مؤتمراً عن القرن الـ19 والإستشراق الدولى .

- فى عام 1935م حضر إلى القاهرة لحضور دورة جديدة لمجمع اللغة العربية ومنها إلى دمياط لتجديد نذر البدلية ، وبتاريخ 10/29 من نفس

العام فوجئ ماسينيون بموت أبنه أيف Yves.

فى عام 1937م عقد مؤتمر عن ابن الفارض (المتصوف المصرى) والششترى بالجمعية الملكية الجغرافية بالقاهرة وحضر إجتماعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة خلال الفترة من (1937/12/16 حتى1938/1/27) وزار دمياط والمنصورة (دار إبن لقمان) ثم حضر أيضاً مؤتمر فى جامعة أكسفورد بانجلترا عن كلمات القدر World Congress of Faith ، ثم زار بيروت وانقرة وروما ثم عاد إلى فرنسا لحضور مؤتمر عن القرآن ، وخلال شهر يوليو ذهب إلى جامعة Cambridge لحضور المؤتمر العالمى للمعتقدات الإيمانية ؛ وفى 9/3 من نفس العام حضر أسبوع المستشرقين الألمان بمدينة بون ، وألقى بحوث عن المتشددين الشيعة فى بغداد فى نهاية القرن الثالث الهجرى (وهو القرن الذى قُتل فيه الحلاج) !!

“ Recherches sur les extrémistes Shi ites à Bagdad à la fin du 3e Siécle de l’hégire ”(19)

ثم سافر إلى بروكسل لحضور الإجتماع العشرين للمستشرقين ، ومنها إلى القاهرة لحضور إجتماعات مجمع اللغة العربية .

- فى عام 1939م ألقى عدة محاضرات فى جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) والفترة من 1/25 – 2/2 حضر مؤتمر فى الجمعية الملكية الجغرافية بالقاهرة عن الإمام أبو حامد الغزالى ؛ وخلال شهر يوليو من نفس العام حضر المجلس العالمى للمؤمنين فى جامعة السوربون Sorbonne بباريس .

---

(19) Pierre. R: Louis Massignon .. P. 168.

- في عام 1940م ، زيارات ماسينيون إلى تركيا وإيران والجزائر .

- في عام 1942 م ألقى دروس عن الحضارة الإسلامية في المدرسة الفرنسية في وراء البحار l'Ecole de la France d'outre-Mer[20]

- الفترة من 1/13 – 1943/3/4 في القاهرة لحضور الدورة السابعة للاكاديمية الملكية للغة العربية وحضور ثلاث مؤتمرات مع بعض الأصدقاء المخلصين من أمثال الأب جورج شحاته قنواتي عن فلسطين وسوريا والسهروردي المقتول . ثم ذهب إلى لبنان ، وفي بيروت عقد مؤتمر في المدرسة العليا للآداب ، وفي المكتبة الوطنية ببيروت ؛ ومنها إلى العراق لزيارة مقبرة الحلاج للمرة الثالثة وكربلاء ، وهناك قام بالبحث عن سبع مخطوطات من أخبار الحلاج والتي كتبها أحمد حامد الصراف ؛ ثم زار إيران (طهران – الأكاديمية الإيرانية – خورمشهد – الأهواز – مشهد ..) ونيسابور وأفغانستان هورات – مقبرة الانصاري {الهروي الانصاري صاحب منازل السائرين } – كاندهار – كابول) وأصبح عضواً في الأكاديمية الأفغانية وزار عدة مدن حول العالم .

- في عام 1946 قضى معظم العام في روما ، وفي 11/19 ألقى محاضرة عن الإستقلال والتحليل اللغوي العربي لكلمة إستقلال[21] "Analyse en arabe du mot Istiqlal" وأصبح ماسينيون عضواً في لجنة إصلاح التعليم الإسلامي ، وظل حتى عام 1955م رئيساً للجنة تحكيم الأستاذية للغة العربية .

- في عام 1947 أُختير عضواً في لجنة الوفاق الفرنسي الإسلامي ، وكان

---

(20) Ibid : PP. 169-170

(21) Ibid : PP. 173-170

قد أسس الجمعية الفرنسية الإسلامية فى نفس العام ، وفى يوليو من نفس العام خرجت بعض المطبوعات المصرية (للأسف) وادعت عليه ظلماً واتهمته بحبه الكاذب للمسلمين! ونشر تصريح شديد اللهجة Protestation معترضاً على ذلك من ؟ ل السفارة الفرنسية دفاعاً عن لويس ماسينيون ، وكتبت الأقلام النزيهة فى مصر تدافع عن الرجل ومواقفه مع الإسلام والمسلمين ، ثم عين رئيساً لمعهد الدراسات الايرانية وعُين عضواً حتى عام 1962م فى لجنة المتاحف القومية.

- وفى عام 1948م حضر إلى القاهــرة لمجمع اللغــة العــربية وألقى محاضرات فى جامعة فــؤاد عن الحلاج ثم ذهب إلى ســوريا ودمشق وألقى محاضرة فى أكاديمية روما بعنوان :- Église ste-Catherine de – sienne [22]

- فى عام 1949م ألقى محاضرة فى روما عن القديس سانت لويس دى فرانس والأراضى المقدسة "terre Sainte" وشارك فى أسبوع عقلنة المذهب الكاثوليكى فى باريس Des Intellectuels Cathaliques à Paris بعنوان عقائد "يسوع المسيح والعالم اليوم" ، وفى 5/19 سافر إلى الجزائر لمناقشة اطروحة الدكتوراة لأحد تلاميذه وهو Marius canard ، وفى 5/20 ألقى محاضرة عن الحلاج والتصوف الإسلامى فى جامعة الجزائر ، ثم ذهب فى مهمة سياسية لفلسطين بتكليف من اللجنة الفرنسية لبحث شئون اللاجئين [23].

- وفى عام 1950 رتب فى القاهرة قداس لسانت مارى Sainte-Marie

---

(22) Ibid : PP: 175-176

(23) Ibid : PP.177-178

من أجل السلام والتعايش ، وزار معسكر اللاجئين الفلسطينيين تضامناً مع القضية الفلسطينية التى كان يدافع عنها ، وسافر إلى إمستردام لحضور إجتماع اللجنة الدولية لتاريخ العقائد ، ومنها إلى باريس حيث اقام فى جامعة السوربون عرض لأهم مختارات William Marçais .

- وفى عام 1951م قدم دراسات يومية فى Sainte-odile عن اللاجئين الأوروبيون ونظام الهجرات الدولية ، وفى استانبول حضر مجلس الإستشراق الدولى الثانى والعشرين ، ومنها إلى بغداد والقاهرة ، وهكذا ظل ماسينيون فى رحلة مكوكية فى بلاد العالم الإسلامى والأوروبى مؤكداً انه يعتبر بحق من رواد الإستشراق والحوار بين الحضارات والثقافات حيث أنه كان يجمع فى عمله وجهوده بين ماهو غربى وماهو شرقى .

- فى عام 1952م أكد ماسينيون على مدى أهتمامه بشخصية الحلاج شهيد التصوف الإسلامى فقام بإلقاء عدة محاضرات عن التصوف الإسلامى والإستشراق Mysticisne Musulman et Orientalisme فى الولايات المتحدة الأمريكية وجامعات واشنطن– نيويورك– شيكاغو– كليفورنيا – كمبردج .. إلخ وكذا (جامعة مونتريال) ولندن (جامعة نوتردام) وغيرها.

- فى عام 1953 زار نيودلهى وعقد سمنار عن الزعيم الهندى غاندى Gandhi ومنها سافر إلى المغرب وعاد إلى المركز الكاثوليكى للعقلنة الفرنسية وأسس الجمعية الفرنسية – المغربية وعقد مؤتمر فى هذه الجمعية، وعقد مؤتمر اللجنة الفرنسية – التركية فى اللوفر Louvre بباريس ، وسافر إلى فلسطين فى مهمة سياسية ومنها إلى القاهرة .

- فى عام 1954 عين رئيساً لجمعية اصدقاء غاندى بالهند وزار طهران

وهمدان وعقد ندوة عن الفيلسوف ابن سينا Avicenne وللتأكيد على مدى أهتمامه بفلاسفة الإسلام خصص يوم 5/14 يوماً لإبن سينا فى جامعة السوربون وعقد ندوة بعنوان / ألفية ابن سينا Millénaire d'Avicenne ، وفى نفس العام ألقى محاضرة فى جامعة تولوز الفرنسية عن الدراسة التاريخية للفلسطينيين ، ولم ينس ان يحتفل فى مؤسسة N.R.E بذكرى وفاة الحلاج فى بغداد ، وفى شهر مايو ألقى محاضرة سياسية للأجانب عن الغرب أمام الشرق فى مواقف ثقافية (24) l'Occident devant l'orient .

- فى عام 1955م حضر الجلسة الثالثة والعشرين للإستشراق فى جامعة كمبردج وعاد فى اكتوبر إلى الكوليج دى فرانس وألقى دروسه عن ابن سينا والتصوف ، وهل كان الفيلسوف ابن سينا متصوفاً Avicenne Philosophe, a-t-il (25) ، وبعد ذلك أحس ماسينيون أنه تغيب لفترة طويلة عن هموم البلدان الأفريقية فزار مدغشقر ونيروبى وغينيا وكمبالا وأوغندا فى جولة واسعة وعاد إلى القاهرة وذهب إلى مدينة الاسكندرية (فى 1955/9/2) لحضور إجتماع اللجنة التنفيذية للتعاون الإسلامى والمسيحى de coopératin Islamo-chrétiene ومنها إلى روما فى زيارة لمدينة ميلانو ومنها إلى باريس (26).

---

(24) Ibid : P.183.

(25) Louis Massignon : O.M. to. 2 - PP. 466 - 469.

وقد كتب ماسينيون هذا الجزء عام 1954 م وتحدث فيه عن أصل كلمة التصوف والرمزية والفردية ودراسة التصوف من وجهة نظر علماء النفس ، وأن ابن سينا كان سابقاً لعصره فى الفكر الإسلامى مثل أرسطو فى الفلسفة اليونانية .. إلخ .

(26) Pierre. (R) : Louis Massignon .. P. 185

- وخلال الفترة من (1956-1963) تركزت حياة وأعمال لويس ماسينيون على زيارات للقاهرة لحضور إجتماعات مجمع اللغة العربية ولقاءات مع بعض أصدقاءه وتلاميذه وعقد عدة مؤتمرات عن الحلاج والتصوف وشارك فى العديد من ندوات الحوار والإستشراق الإسلامى ، وعندما كان يسافر إلى باريس نجده يعقد الندوات عن صديقه Foucauld سواء فى الجامعات الفرنسية أو فى مركــز العقلنة الكاثوليكية ، وكان يشارك زميله J. Berque فى جــلسات اللغة العربية والعــقائد ، ورغــم ذلك نرى أن بيرك لم ينل حظه من الشهرة فى مجال الإستشراق المعتدل على الأقل فى نظر العالم الشرقى الإسلامى بنفس القدر الذى ناله ماسينيون ، وهذا الرأى مرتكز على ما جاء فى إحدى مصادر بيرك حيث يقــول : "إن ابحاثى التى أنصبــت علــى تحليــل المجتمع الإسلامى اتصلت بالحضارة الصناعية ، وما يقلقنى بصفــة خاصة هى ظاهرة التأخر فى التحول مع التغير فى الإعتقاد والرأى والإيمان بقيمة التحول والأحرى بنا ان نبقى على التحفظ الظاهر فى جميع الأعمال [27] التام ويتضح من هذا النص ان تركيز جاك بيرك أنصب على الجوانب المادية بينما كان تركيز ماسينيون فيما يتعلق بالفكر الإسلامى على الجوانب الروحية التى تجد صدى فى قلوب المسلمين. ويذكر بيرك فى موضع آخر علاقته ببعض الشخصيات التى قابلها أثناء تواجده فى دار الإسلام (فى المغرب ومصر) ومنهم الزملاء المسلمين وخاصة الشيخ حميد الله والسيد عبد الجليل وتآلف معهما ، وهذه الألفة فى مواضع أخرى أضرت فكره !! كما يدعى وفى نفس الوقت يؤكد بيرك انه لم يسترح فى البقاء فى هذه البلاد ولم يعتبر نفسه من المستشرقين الذين ظهروا فى القرنين الــ 19 ،

(27) Berque (Jacques) : Normes et Valeurs Dans l'Islam contemporain,Payot, Paris -1966 - PP. 211 - 212

20 والذين اخذوا حظهم ووضعهم اللائق وكانوا سعداء الحظ فى هذه البلاد المجيشة والتى يقول عنها :

" Je suis plus mal placé que ces orientalistes du X1Xe siécle,

que abardaient ces pays armés ..."(28)

أى التى كانت تدار فى مناطقها حروب ، ومن ناحية أخرى يقـول بيرك لعل سبب ذلك راجع إلى ديانتى المسيحية " ، ونرى أن هذا القول من بيزك جانبه الصواب ونتساءل .. ألم يكن ماسينيون مسيحى الديانة ؟! فلماذا لـم يجـد هو وأرنست رينان ما وجده ماسينيون من حب وود وتعاون من قبل مسلمى دار الإسلام ؟ يمكن لنا أن نرجع ذلك إلى التعصب والعنـصرية وإلى تقسيم الإستشراق إلـى ما هو معتدل وما هو متطرف ، ومنهم بالطبع من أنصف الإسلام ومنهم من ظلم الإسلام .

المهم فى الأمر هو كيفيـة طـرح الرؤى وتنـاول قـضايا الإسـلام ومشكلاته مـن خلال رؤية موضوعيـة دون تعصـب ولاعنصرية . ومن هنا كـان كـثير من المستشرقين من أصـحاب الفكـر المعـتدل وأنصفوا الإسلام ولاننكر ان الصورة مازالت باهتة ، وجُـل محاولاتنـا الآن هـو تصحيح الصورة الإسلامية فى الغرب بكل الطرق والوسـائل ولقـد كـان ماسينيون من الذين بذلوا جهوداً كبيرة فى سبيل هذا الطريـق منـذ بدايـة ظهوره إلى ان توفى فى 1962/10/31م . ويتضح ذلك من مؤلفاته وكتاباته ومحاضراته وأبحاثه وندواته ومؤتمراته كما سنرى .

---

(28) ولوحظ أثناء ترجمة النصوص ان جاك بـيرك جعل من ماسينيون دنيوى العقيدة أى عامى ليس اكليريكى أى لاديني . Cf. P. 223 – "théocratic laique"

2: **لويس ماسينيون (مؤلفاته ولقاءاته):-**

أما عن أهم أعمال ماسينيون وانتاجه الفكرى فهى عديدة ومتنوعة ويصعب على الباحث الجاد المنصف ان يحصرها فى بحث ، فهو من المستشرقين أصحاب المواهب المتعددة والأنشطة المتنوعة الجادة ، وغزير الأنتاج كما كان كثير التحرك والتسفار ومتشعب الصداقات كما سنرى. المهم فى الأمر استطعت ان أحصر له حوالى 207 مؤلف تتراوح ما بين المؤلفات الكبرى والابحاث الصغيرة والمحاضرات والدراسات ، وهناك أبحاث خارج نطاق بحثنا من أدب رحلات ودراسات أثرية معمارية وفن وفلكلور صوفى وأخلاق وسياسة، وقد قام يواقيم مبارك Y.Moubarac بكتابة ببليوجرافيا عن لويس ماسينيون فيما يختص بالأعمال والأبحاث والدراسات من (1906 – 1955م) [29]. بالإضافة إلى المواد Articles التى حررها أو

---

(29) Bibliographe, De Louis Massignon, ouvrages et Articles De Revues » L.M.: Mélanges. To. 1-Damas - 1956. PP.4-19.

تعليق :

(وكتاب Mélanges أو متفرقات (مجموع مقالات فى موضوعات مختلفة) لماسينيون نشرت تحت رعاية معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس والمعهد الفرنسى بدمشق 1956م ، من ثلاثة أجزاء ضخمة ، ويقول Henri Massé فيما يسمى قبل المقدمة A. Propos عن لويس ماسينيون إنها صداقة استمرت حوالى 40 سنة وحتى الآن (تاريخ المقدمة) مستمرة بدون أى تغيير وانه لشرف لى أن أكتب المقدمة (نص الإستهلال) للمتفرقات Mélanges المهداة إلى لويس ماسينيون ويؤكد هنرى ماسو بنوع من الوفاء والأمانة العلمية أن المتفرقات هذه أذن هى مبادرة تتعلق بالمستعرب (لاحظ إستخدام لفظة المستعرب بدلاً من المستشرق ، وهناك فرق بين العرب والشرق باجمع) الفقيد المأسوف عليه السيد البروفيسور ليفى بروفينسال E. Levi Provnçal ويواصل هنرى حديثه عن ماسينيون قائلاً : " انه منذ أيام الشباب ألتقى مع ماسينيون وتحدث معه فى موضوعات متعددة وسافر معه إلى قارات (آسيا – افريقيا – أوروبا) وكان يتمنى ان لا يخل بوعده معه فى أى نقطة من النقاط التى تناولها بالدرس أو أى شيئ يعلن عنه ، وسافر معه إلى مدن عريقة وخاصة فى ثلاثة مدن هى : القاهرة واستانبول وهمدان en trois villes وألتقى به فى المرة الأولى فى المعهد الفرنسى بباريس ، ولقد أظهر هنرى أعمال ماسينيون وبحوثه الأولى قبل عام 1914 وأعماله عن الحلاج فى بغداد وكتاباته عن الإخلاص والإسناد وديوان

شارك فى تحريرها فى دوائر المعارف الإسلامية (الجديدة والقديمة) والموسوعات الإسلامية بالإضافة إلى التسجيلات الصوتية التى سمعتها فى باريس من خلال جمعية محبى لويس ماسينيون ؛ وهى نفس الموضوعات التى تمت مناقشتها فى كتابه الأعمال الـ ـلة O.M وسوف أذكر أهم المؤلفات التى أثرت على تطور الفكر الإسلامى وحددت موقف ماسينيون – دون غيره – من الإسلام والفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامى والدراسات العربية بصفة عامة.

ولقد كتب ماسينيون بأكثر من لغة (فرنسية – إنجليزية – عربية – فارسية) وأشترك مع العديد من المستشرقين غرباً وشرقاً فكانت جهوده وفيرة، ورغم ذلك وبالرجوع إلى المصادر الأصلية والنصوص المحفوظة لأصل المحاضرات والندوات والدروس سواء فى الكوليج دى فرانس أو المدرسة العملية العليا للأديان والعلوم الإجتماعية ومكتبة جامعة السوربون (4) ، ومن خلال مقابلاتى مع أفراد أسرته وأصدقاء ابنه دانيال ماسينيون ، يمكن لنا حصر أهم المؤلفات الهامة لماسينيون طبقاً للتقسيم التالى :-

أ ـ المؤلفات الكبرى :ـ G.O

والأعمال الأربعة الكبيرة لماسينيون هى عن الحلاج : الحياة والفكر لشهيد الحقيقة والتصوف فى بغداد والعالم الإسلامى .

La vie la pensée d'un martyr de la vérité et mystique…

الحلاج، وعمله الإستشراقى والأثرى فى القاهرة وبغداد وذكر لنا ثلاثة من أساتذة الإستشراق وهم :

أ – سيلفان ليفى Sylvain Lévi

ب–جولدتسيهـر Gold Ziher

ج–سنوك هيرجرونج Snouck Hurgronje

وكان ماسينيون يعطى لأبحاثه كل الحقيقة والصدق مع كل من استرو وليون الأفريقى L'Astrée à Léon l'Africain Cf. P. XI.

ودراسة وترجمة قصائده ونصوصه الصوفية والبحوث الفلكولورية والعقائد النفسية فكان كتابة الضخم :

1- La passion de Husoyn Ibn. Mansûr Hallâj, martyr mystique de l'Islam, exécuté à Bagdad, le 26 mars, 922, étude d'histoire religieuse, nouvelle édition, Paris, Gallimard, 1975, 4 volumes:-

A : La vie de Hallâj — عن حياة الحلاج

B: La survie de Hallâj — عن آثار الحلاج

C: La Doctrrine de Hallâj — عن مذهب الحلاج

D: Bibliographie, index

بيلوجرافيا واندكس للأجزاء الثلاثة السابقة يظهر فيها المصطلحات والأعلام والفهارس والموضوعات (30) التي تمت مناقشتها.

هذا عن أهم مؤلف للويس ماسينيون. أما عن أول مؤلف أو باكورة أعماله فقد استيقظ الأهتمام المهنى الأكاديمى عنده إزاء الإسلام أثناء رحلته فى المغرب العربى (الجزائر 1904م) وكان أول مؤلف له مكرساً لتاريخ افريقيا الشمالية وأتخذ عنوانا مطولاً بعض الشئ : "لوحة جغرافية للمغرب خلال السنوات الخمس عشرة الأولى من القرن السادس عشر وفق ليون الأفريقى" . نشر فى الجزائر فى 305 صفحة و30 خريطة وسجل بأسماء القبائل العربية والبربرية والنقود المحلية وعُنون بالفرنسية :-

---

(30) وهذا الكتاب الضخم هو فى الأصل رسالة الدكتوراة لماسينيون بجامعة السوربون بباريس 1922م وهناك طبعة ثانية منقحة كما أوضحت فى المتن صدرت عام 1975م ، وهى التى أعتمدت عليها أثناء إعدادى لهذا البحث فى باريس ومصر وهى من أربعة أجزاء صادرة عن أشهر دار نشر فى باريس وهى جاليمار Gullimard.

2-Tableau géographique du Maroc dans les quinze premières années du XVIe Siécle d'aprés Léan l'Africian, Alger, Jourdan 1906. XVI + 305 P. 30 Cartes [31]

وبعد عام واحد من صدور مؤلفه هذا قام ماسينيون بزيارة إلى العراق (1908/1907) كما ذكرنا من قبل – بنـــاءً على نصيحة من الجنرال دوبيلية De Beylie للتنقيب عن الآثار فى أطلال قصر الأخيضر [32] ، وأعد بحثاً مخططاً لهذه المدينة فـــى القـــرون الوسطى (كتصوير إبتكارى) ودوّن نتائج بعثـــته هذه فى مؤلفه الصادر فى 1910م بعنوان : بعثة إلى

---

(31) وهذا الكتاب فى الأصل أطروحة ماسينيون للحصول على دبلوم الدراسات العليا DEO فى التـاريخ والجغرافيا ، وقد ناقش موضوعه فى باريس 1904م ، وتعد هذه الدراسة عملاً رائعاً مازال يـشكل مرجعاً أساسياً حتى اليوم بالنسبة للباحثين . أنظر فى ذلك :-

Daniel Massignon : Presence de Louis Massignon –Hommages et témoignages – textes réunis par. D.M. à l'occusion du Contenaire de L.M. Paris-1987. P. 285.

ويستعرض فى إجماله حياة الحلاج أيضاً ونصوص الديوان الروحى لـــه (الـــنص الفرنـــسى ص7) وشخصية سلمان الفارسى والروحانيات فى الإسلام الايرانى ، ودراسة المجتمع الأيرانى ثم موضوع المباهلة وحديث السيده فاطمة أبنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وزوجة الأمام علىٌ إمام الـــشيعة (من ص131/63) ويطرق الكتاب إلى الحديث عن مصير مارى أنطوانيت ملكة فرنسا (أنظر هامش ص 35) وقضية فلسطين والسلام (ص221) والإسلام وعناية الإيمان (ص232) والـــصلاة مـــن أجل السلام فى المسيحية والإسلام (ص 245) ، وبعد ذلك يعرض لموضوعات سبـــق أن عرضـــها فى كتب أخرى مثل : الصلاة الأبراهيمية والتصوف والعرب والإسلام فى مصر وســوريا، وقـــضايا الفـــن والتصوف (ص349) – يراجع فى ذلك تفصيلاً :

L.M. Parol donnée – Introduction de vincont Monteil – Dossiers des " lettres Nouvelles " Julliard – Paris – 1962 – PP. 389-405.

(32) قصر الأخيضر **Châteaud d'al-okheider** قصر قديم محصن فى محافظـــة كـــربلاء بـــالعراق أختلف الأثريون فى تحديد أصله ويُعتقد أنه لأحد ملوك الحيرة قبل الفتح العربى او أنه لأحد الأمراء العباسيين . أنظر :

L.M.: Château d'al-okheider Relevés archéologiques, le Caire Même 28, Institut Français d'Archéolologie orientale, 1910.

(ومزودة بـــ 63 خريطة) ، أنظر أيضاً: د. جورافســكى (أليكـسى) الإســـلام والمـــسيحية – ترجمة د. خلف جراد – عالم المعرفة – مرجع سابق – ص119 (هامش المترجم).

بلاد الرافدين .

Mission en Mésopotamie (1907-1908)

3- Topographie historique de Bagdad. Epigraphie (Mosquée Mirjân) le Caire Mêm. I.F.A.O. 1912 (ومزودة بـ 28 خريطة)

4- Quatre textes inédits Relatifs à la biographie d'al Hallâj[(33)]

وخلال إقامته بالقاهرة خلال الفترة من (25 نوفمبر 1912 إلى 24 إبريل 1913) ألقى ماسينيون عدة محاضرات – فى الجامعة المصرية القديمة (القاهرة الآن) بعنوان / محاضرات فى تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية . فكان هذا الكتاب :-

5-Cours d'Histoire des termes philosophiques Arabes [(34)]

---

(33) وقد صدر هذا الكتاب فى باريس 1914 ، وانطلق منه لأعداد كتابه الضخم (la passion) الذى تحدثنا عنه من قبل ، لأن ماسينيون مذ وطئت قدماه أرض العراق للمرة الأولى جذب أهتمامه الصوفى الزاهد الحلاج .

(34) وقد قامت الأستاذة الدكتورة / زينب محمود الخضيرى بتحقيق وتقديم هذا الكتاب بمناسبة الذكرى المئوية الأولى لميلاد ماسينيون ، وقام بالتصدير أ.د./ إبراهيم مدكور عن المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية – القاهرة – 1983م. ، ويقول د. مدكور فى تصديره إنها سلسلة محاضرات ألقيت باللغة العربية فى جامعة ناشئة هى الجامعة المصرية القديمة ألقاها ماسينيون فى العام الدراسى1913/1912م وعددها أربعين محاضرة على طلاب من أمثال : منصور فهمى وطه حسين وعلى العنانى وأحمد ضيف وغيرهم ممن أصبحوا فيما بعد فى مقدمة بُناة النهضة الفكرية المصرية المعاصرة ، وتدور المحاضرات حول المنطق العربى والمصطلح العلمى والفلسفى فى الإسلام مع أهتمام ماسينيون بالتصوف . (أنظر: تصدير د. مدكور ص (ل) ومقدمة د. زينب محمود الخضيرى ص (ن) .

أما عن علاقة ماسينيون بغاندى أنظر:

Louis M.: l'hospitalité sacrée textes enedits – presentes par jacques keryell prefeece de Rene Maillaume nouvelle cite – Paris – 1987 – P. 157

- ثم دراسة عن الديانات والمصطلحات الصوفية الإسلامية فكان هذا المؤلف:

6- Essai sur les origines du lexique technique de la Mystique Musulmane (35)

7- Recueil de textes ir lits concernant l'histoire de la Mystique en pays d'Islam(36) .

8- Le Diwân d'al- Hallâj (37) ثم ديوان الحلاج

9-Opera minora, textes recueillis classés et présentés(38)

10- Akhbar Al- Hallâj

ثم أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج وهو من أقدم الأصول الباقية فى سيرة الحُسين بن منصور الحلاج أعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه لويس ماسينيون وبول كراوس 1936 (39).

---

(35) وقد صدر هذا الكتاب فى باريس 1922 ، وهناك طبعة ثانية 1968م.

(36) وهذا الكتاب يدل على أهتمام ماسينيون بتاريخ التصوف فى بلاد الإسلام . وصدر فى باريس 1929م.

(37) وصدر الكتاب ضمن سلسلة المجلة الأسيوية ، وموجود بخزانة الكتب العربية بالكوليج دى فرانس بباريس . Journal Asiatique, Janvier – Mars – Paris - 1931

(38) والكتاب مزود ببيليوجرافيا عن ماسينيون من إعداد يواقيم مبارك وصادر عن مركز دراسات دار السلام واختيارات دار المعارف اللبنانية من ثلاث أجزاء عام 1963م.

(39) والكتاب صادر عن مكتبة لاروز Larose بباريس 1936م ، وأعتمدنا على الطبعة الثانية 1957م . بجزئيه الفرنسى والعربى.

Akhbâr Al-Hallâj – texte ancien relatif à la prédication et au supplice du Mystique musulman Al-Hosayn. Abn-mansour Al Hallâj. Publié annoté et truduit par L.M, P.K

وفى الطبعة الحديثة أشترك آتين جلسون ولويس جاردية فى هذا العمل من الأكاديمية الفرنسية Études musulmanes Directeurs :Etienne Gilson, et Louis Gardet

11-Mélanges l. M.[40]

12-Mystique en dialogue – Question de Albin Michel – Paris.

13-Claudel – Massignon. Les grandes correspendances.

وهو عبارة عن مراسلات كبرى بين ماسينيون وكلودل

14-Parole donnée, précédé d'entretions avec vincert Mansour Monteil[41]

15-La Cité des Morts au Caire Qarâka–Darb – al - Ahmar[42]

ب- المؤلفات الصغرى :P.O

1- بعثة أثرية فى العراق ، وظهر فى مجلدين بالقاهرة سنة 1910، 1912م ضمن مطبوعات المعهد الفرنسى للآثار الشرقية .

2- هجرات الموتى فى بغداد المحمرة .

3- المعركة الأخيرة بين الرفاعية والقادرية (وهو عن الفرق الصوفية)

---

(40) Publiés sous le patronage de l'Institut D'etudes Islamques de l'université de Paris et de L'Institut Français de Damas – 1956
والكتاب من ثلاثة أجزاء أنظر هامش ص19.

(41) وصدر الكتاب فى طبعة الثانية 1983م فى باريس دار نشر du seuil وهو كتاب ذو مقام عال فى التصوف والأخلاق أو مقدمة لحياة الرفعة ، ورغم إن الترجمة الحرفية للكتاب بمعنى " مُعطى الكلام" إلا أنهم فى باريس يطلقون عليه أسم " العهد " ، ويقول صاحب المقدمة إن لويس ماسينيون مات قبل أن يراجع البروفة الأخيرة من هذا الكتاب ، ولقد كان هذا الكتاب تحت الطبع عام 1962 عندما كان اصدقاؤه وأهله يقومون بتجهيزه لمثواه الأخير بكل الحزن العميق .

(42) وهو كتاب أثرى عن القرافة (الجبانة) بالدرب الأحمر بالقاهرة صادر عن المعهد الفرنسى للآثار الشرقية – القاهرة – 1958م .

4- الحج الشيعى فى بغداد .

5- دراسات عن مخطوطات فى مكتبة بغداد والأعمال الأربعة الأخيرة ظهرت فى مجلة العالم الإسلامى R.M.M بباريس فى مجلدات متتابعة .

6- عذاب الحلاج والطريقة الحلاجية ، وتعتبر أول دراسة له ، وهو عبارة عن بحث صغير فى الكتاب التذكارى المُهداه إلى هرتفج دارنيور 1909 ، ولقد أثنى عليه بمقال آخر نشر فى مجلة العالم الإسلامى (مارس/ إبريل 1912) بعنوان : الحلاج ، الشيخ المصلوب والشيطان عند اليزيدية

7- أما أول بحث كبير عن الحلاج هو نشر كتاب الطواسين 1913م (النص مع الترجمة الفارسية) تبعاً لمخطوطات أستامبول ولندن، بالإضافة إلى كتابة مادة الحلاج فى دائرة المعارف الإسلامية ، وكذا مادة الحلول وهى تتصل بالحلاج والتصوف .

8- كتاب مجموع نصوص غير منشورة تتعلق بتاريخ التصوف فى بلاد الإسلام – باريس 1929م .

9- كتابه الهام عن البيرونى والقيمة الدوائية للعالم العربى 1951م .

10- ثلاث دراسات عن سلمان الفارسى ، و المنحنى الشخصى للحلاج وقصة المباهلة قام بترجمتها د. عبد الرحمن بدوى ، وظهر الكتاب بعنوان : شخصيات قلقة فى الإسلام – طبعة وكالة المطبوعات– الكويت

11-الإسلام والحضارة العربية .

12-الإسلام وشهادة المؤمن 1953م .

13-تاريخ تأليف رسائل إخوان الصفا 1913م .

14-كتاب اليزيدية المقدس 1911م .

15-أصول عقيدة الوهــابية، وفهــرس بمصنفات مؤسسها 1918م.(43)

ج ـ المحاضرات والدروس والأبحاث والسمنارات :

خلال سنوات 1955/1919م قدم لويس ماسينيون عدة محاضرات ودروس وأبحاث وسمنارات وما إلى ذلك فى عدة أماكن مختلفة داخل باريس وخارجها وسنذكر أهمها ومن أمثلة ذلــك ما قــدمه فى **الكوليج دى فرانس** والذى أصبح فيما بعد مديراً لها ، وهى كما نعلم من أقــدم الأكاديميات العلمية فى الأبحاث والدراسات العليا ، ولقد أنشأت بباريس عام 1531م ، ولقد قمت بتصوير أهم هذه البحوث بعد الإطلاع عليها فى باريس ، ونذكر منها أهم الموضوعات الآتية :-

أ – تكوين النسق الإسلامى – رجال وأفكار فى صحافة المسلم المعاصر.

- La formation de l'ordre Musulman – Hommes et Ideés dans la presse Musulman contemporaine. (44)

ب – النسق الإجتماعى للمسلمين بعد الحرب ، إندماج البلاد الإسلامية مع الإستعمار البريطانى والإمبرالية !!

- L'ordre social musulman d'après guerre – les pays Musulmans incorporés à l'empire.

L.M.: Mélanges – to. 1 – PP. 27-28. (43)

C.R.Annuaire du Collège de France, 20e anneé- Paris –1919-1920-PP.78-79. (44)

ج- وجه الإسلام الفعلى – مع بيان وضع المجتمع الإسلامى فى محيط فرنسا

- Le front musulman actuel – avec l'état social des pays musulmans.de zone francais(45) .

د – كما قدم ماسينيون بيان إحصائى لبلاد المسلمين أثناء عرضه لمسألة العمالة فى بلاد الإسلام .

- La question ouvrière en pays de l'Islam, Inventaire statistique des pays musulmans.

.. وكذا أثناء عرضه للمؤسسات الإسلامية للعمل والمهن الخاصة فى بلاد المغرب .

- l'organisation Islamique du travail et des métiers, spécialment au Maroc(46) .

هـ- ومن جهود ماسينيون نجد محاضراته عن الإسلام والمسيحية فى إتصالاتهم الثقافية ، مع دراسة عن العلمنة فى الإسلام وقوائمه .

- l'Islam et la chrétienté dans leurs connexions culturelles, la laïcisation de l'Islam et ses facteurs.

ورصده لتاريخ الدفاع الدينى للمسلمين فى الداخل والخارج مع تقديم مصطلحاته النظرية والندوات والمجادلات الدينية ، وبيَّن فى محاضرة أخرى جهود رفقاء العمل فى البلاد الإسلامية .

- L'Histoire de l'apologétique musulmane, en dedans et en dehors, sa terminolgie théorique et les colloques des controversistes ; conpagnonnages douvriers en pays

---

(45) Ann, 21e, anneé P.70, Ann, 22e -P.92

(46) Ann, 23e, anneé P.66, C.F. section 1, 1923 et 24e , annuaire et Enquete.

Islamiques[47]

و- ومن المحاضرات والدروس الهامة لماسينيون نجد ما كتبه عن الوهابية (من خلال الدعوة التى قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية متخذاً الدرعية مركزاً له) وعودة أو إعادة تشكيل الحنبلية فى ذاكرة الإسلام (السلفية) ، أى أن فرقة الحنابلة تشكلت فى ثوب جديد لدى الوهابية وأعادت للذاكرة الإسلامية والعالم الإسلامى فرقة السلفية وخاصة فى السعودية الآن .

- Le wahhabisme et l'essai de réforme hanbalite des momeurs dans l'Islam contemporain (salafiyya).

ثم عرض لنا أهم المميزات النفسية للتصوف الإسلامى ، وذلك بعد ظهور النصوص المخطوطة غير المطبوعة والوثائق الجديدة .

- Les caractéristiques de la psychologie mystique musulmane, d'après des textes inédits et des documents nouveaux.

وبما يمثل الحب فى التصوف الإسلامى مقام عال ، قدم لنا ماسينيون الإتصالات والنزعات الصوفية بواسطة الحب والأنس فى تاريخ الفكر الإسلامى.

- Contacts et conflits de la mystique avec l'amour courtois dans l'histoire de penseé musulmane.[48]

ز- ويعود ماسينيون ويقدم لنا درساً عن الشيعة أثناء عرضه للفرق الإسلامية ، مع تقديم نسق المذهب ومشروعية مجتمع الأقلية ، ويتضح لنا من هذه المحاضرة ان ماسينيون عد الشيعة من الأقلية ، ومن هنا تعاطف معهم

Ann, 28e, anneé P.82 – texte a parautre, et Ann, 28e anneé P.42. (47)

Ann, 30e, anneé PP. 68-69. (48)

مثلما فعل زميله هنرى كوربان فى دراساته الإيرانية مع شيعة إيران .

- Le Shi'isme à travers les siécles : rôle doctrinal et social minarité légitimiste. (49)

د- بحوث ومحاضرات ماسينيون فى المدرسة العملية للدراسات العليا بباريس :-

بعد أن عرضنا لأهم محاضرات ودروس ماسينيون فى الكوليج دى فرانس نعرض لأهم محاضراته فى المدرسة العملية للدراسات العليا التابع لجامعة السوربون بباريس – قسم العلوم الدينية والذى كان رئيساً لها أيضاً.

- E'cole partique les Hautes E'tudes (E.P.H.E) section des sciences religieues.

وذلك خلال الفترة من 1932-1953م طبقاً للتقسيم الآتى :-

✦ خلال الفترة من 1932-1933م نجده ألقى عدة محاضرات عن :-

- دين الإسلام والعقائد العربية .
- نقد مصادر واقعة صفين عند نصر بن مزاحم .
- أوائل المناضلين فى العقائد الإسلامية بعد الدنيورى (ت. 282هـ)
- تفسير القرآن الكريم (سورة يـس – سورة الكهف) .
- التعليق على شرح نهج البلاغة للإمام على بن ابى طالب (50).

وقد تعاطف ماسينيون مع الإمام على وآل البيت وكتب أيضاً عن فاطمة زوجة الإمام على وابنة الرسول الكريم (ﷺ) .

---

(49) Ann, 31e, anneé PP. 90-91

(50) أنظر فى ذلك :
Ann, et Htes, Et, 1933-1936 – PP. 37-39., PP. 51-53 (E-P-H-E) – Paris.

✦ وخلال الفترة من 1937-1939 م كتب ماسينيون عن فرقة الخوارج وأعتبرهم من الفرق القلقة فى الإسلام وأول المعارضين ، مثلما عد الحلاج من الشخصيات القلقة فى الإسلام [51] ، وتابع تفسير سورة مريم فكتب عدة بحوث وألقى محاضرات عن منهج وتفكير ابن تيمية ، وهذا ما نجده أيضاً عند تلميذه هنرى لاووست [52] ، وتابع تفسير سورة يوسف [53] .

✦ وخلاف الأعوام من 1940-1953م قدم ماسينيون عدة بحوث في الفلسفة والمنطق بعنوان موحد :Vocabulaire Philosophique وتناول فيه عدة موضوعات هامة فى الفلسفة الإسلامية والمنطق والأخلاق وتفسير سور من القرآن الكريم طبقاً للترجمة التالية : أصول الكلمات الجوهرية فى مصطلحات الفلسفة الإسلامية ، والنص الفرنسى طبقاً للتالى:-

- Les mots – souches fondamentaux du vocabulaire

---

(51) لويس ماسينيون : سلمان الفارسى والبواكير الروحية للإسلام فى إيران – نشرات جماعة الدراسات الإيرانية ، رقم 7 باريس 1934م.

Louis Massignon, : Salmàn Pàk et les premices spirituelles de l'Islam, Iranien (Publication on de la société des Etudes Iraniennes,) N.7, Paris , 1934.

وأيضاً : دراسة عن المنحنى الشخصى لحياة : حالة الحلاج ، الشهيد الصوفى فى الإسلام ، فى مجلة " الله حَى " عدد رقم 4 ، 1945م.

Louis Massignon : Etude sur une courbe perssonnelle de vie: le cas de Hallâj, martyr mystique de l'Islam, in Dieu vivent, no.4 , 1945.

وأيضاً: المباهلة Le Mubâhala لماسينيون مع بعض الدراسات عن السهروردى المقتول والإشراق وغير ذلك ، جمع بينها وألف وترجم موادها د. عبد الرحمن بدوى فى كتاب شخصيات قلقة فى الإسلام – الطبعة الثالثة مزيدة – وكالة المطبوعات – بالكويت – 1978م.

(52) أنظر فى ذلك على سبيل المثال

Laoust (H): Essai sur les Doctrines et politiques de Takiddin : Ahmed. B. Tamiya. - Paris – 1939

(53) **L.M. Mélanges .. to.1 – P. 36 , Ann, 1959 , PP. 58-60 .**

philosophique Musulman [54].

- كما تحدث ماسينيون عن الإحساسات الأزلية الخمسة (ولعله يقصد المقولات) وترجمة المصطلحات الأرسطية اليونانية فى المنطق وتاريخ كلمة القياس ، ثم واصل دراسة أخلاق المجتمع من خلال سور القرآن الكريم وآياته ، كما قام بدراسة فينولوجية فى دلالة اللغة وتحليل النص .

- Des Phonologistes en linguistique sémitique

وواصل ماسينيون جهوده وتابع بعد ذلك تفسير سور القرآن الكريم (النساء – المائدة – الجمعة .. إلخ) [55] ، هذا بالإضافة إلى دروس وبحوث جامعة القاهرة .

- Cours a l'université du Caire [56] .

هـ أهم المؤتمرات الدولية والعالمية لماسينيون :

ذكرنا ونحن نتحدث عن ببليوجرافيا لويس ماسينيون Bibliographie de Louis Massignon إنه عاش أغلب فترات حياته – إن لم يكن كلها – فى البحث والدرس الفلسفى والإهتمام بالشأن الإسلامى وحضر مؤتمرات دولية وعالمية ومحلية كثيرة وألقى فيها بحوث جادة ليؤكد على إن له دوراً كبيراً فى الفكر الإسلامى نذكر منها :

- المؤتمر العالمى للإستشراق فى الجزائر بتاريخ 1905/4/20م وفيه تعرف على جولدتسيهر (أجناس 1850/1931) وآسين بلاسيوس (الأب ميجل 1871/1944) .

(54) Ann , 1940, 1941 – PP.79 – 80 .

(55) C.F. Mélanges to. 1. P. 53 PP.47- 49 – Ann, 1944, 1950.

(56) أنظر فى ذلك النصوص العربية بـ Mélanges, section. V.

- مؤتمر الإستشراق فى كوبنهاجن بتاريخ 1908/8/31 ، ثم حضر أيضاً المؤتمر الخامس عشر فى نفس البلد بعد ذلك بسنوات 1919م

- مؤتمر عن تاريخ الفن فى 1921/9/27م .

- مؤتمر عن تاريخ المجتمعات والعقائد والمصطلحات الصوفية فى بروكسل فى 1923/4/12م .

- مؤتمر عن الفلسفة العلمية فى باريس 1935/9/15م .

de philosophie scientifique – Paris.

- وكان شغله الشاغل فى السنوات الأخيرة عن قصة أهل الكهف أو ما يطلق عليها (السبع النيام) (57) ، وألقى عنهم بحثاً لإرتباطها بالتصوف والرؤية الرمزية ، وكان ذلك فى مؤتمر المستشرقين العشرين المنعقد فى بروكسل فى سبتمبر 1938م .

- ثم مؤتمر عن الشرق – بروكسل – 1940م .

- مؤتمر عقد فى أكاديمية رويال Ac. Royal بأمستردام فى 1947/11/10م بعنوان : مسألة المنهج الإسلامولوجى Question de méthode en Islamologie وإشترك فى هذا المؤتمر مع ماسينيون كل من:

Degoeje – Snouck – Hurgronje – Wensinck (58)

وهم من مستشرقى العالم الأوروبى الذين لعبوا دوراً هاماً فى تطور الفكر الإسلامى.

---

(57) د. نجيب العقيقى : المستشرقون – ج2 – ص 616 ، أنظر أيضاً : د. صالح حمدان : طبقات المستشرقين – ص 193 .

(58) L.M.: Mélanges to. 1 – PP. 30-31.

.. هذا وقد ساهم ماسينيون بمجهود وافر فى الكتابة الدورية بصحف ومجلات دورية وعالمية من خلال مقالات عديدة نذكر منها :-

- مقال بجريدة اليوم اللبنانية (بيروت) فى 1938/2/9م بعنوان :

  " بطاقة ضد الفاشية " - Fiche antifasciste.

- عدة مقالات بمجلة المصور المصرية خلال أعوام 1953-1954م.

- كتب فى مجلتى الشعلة والبصائر بالجزائر بتاريخ 1950/3/23م و1950/4/10م.

- كتب فى أكثر من مجلة ثقافية بالمغرب والجزائر(59) ، وإصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ودمشق ، ويقابل كل هذه الجهود من قبل ماسينيون ، جهوداً بذلت من أجل ماسينيون ، من خلال أصدقاؤه ورفاقه وتلاميذه ، وكتبوا عنه بحوثاً ومؤلفات ودراسات أكاديمية كما سنرى فى الصفحات القادمة .

و- لقاءاته وأصدقاؤه ومؤلفات عنه :

من منطلق ان لقاءات ومقـابلات ومراسلات لويس ماسينيون أثرت بلا شك فى فكره ؛ وان كل ما كتبه وكُتب عنه إذا ما قُرأ جيداً تُعطى لنا صورة واضحة لجهوده فى مجال الفكر الإسلامى ، ويؤكد لنا مدى أهتمام الباحثين بهذا المستشرق ومن هنا سنبدأ مع ماسينيون خلال الفترة من 1896/1897م عندما ألتقى وتعاون مع جماعة نذكر منهم : جاك لاكور ، جيل كلافر Jacques lacour Jules claverie أبناء عم بيير Pierre والد هنرى وروبرت بيير Henri et Robert Pierre وقاموا بنسخ مخطوط (Manuscrit) فى صحيفة صغيرة تسمى : l'abeille de France ، بالإضافة إلى ولعه بلغة

(59) Ibid : P. 27

الحب عند أونوريــه دورف Honoré d'urfe وتقديم بحــث عنـــه عثام 1902م ، وبحــث عــن ليون الأفريقى سبق ان ذكرته – بالإضافة إلى بحث نشر بجامعة larausse بعنوان / المغرب والفتح العربى عام 1905م Le Maroc, et la conquiete Arabe .

وبخصوص اللقاءات المبكرة أيضاً لماسينيون لقاءاته Rencontres مع اصدقاء والده منذ الطفولة رودين Rodin ، دالو Dalou وهما يعملان بالنحت والفنون التشكيلية وكذا C.M. Dulac الذى كان يعمل رساماً ، وفافــورا واستشرادور اللذان كانا يعملان فى مجال الجغرافيا، ثم د. بوكاى Dr. pecaut الذى كان شخصاً شديد الاخلاص نحو واجبات والد ماسينيون وعضواً فى رابطة حقوق الإنسان بفرنسا ، ثم psichari وهنرى مارسيل والد الفيلسوف الوجودى الكبير جابرييل مارسيل؛والناقد الأدبى روجر ماركس R. Marx(60)

إذن يتضح من هذا العرض ان ماسينيون شب وترعرع منذ صباه على الثقافة والفنون والآداب من خلال لقاءاته ومعرفته باصدقاء والده ، وكل هذا كان له أكبر الأثر فى تكوينه وتشكيله بالشكـل الذى عرضنا به مؤلفاته ، ولايمكننا إغفال بداية مشاركته الأولى فى الحيـــاة الروحية فى عام 1908م بمساعدة الأب بولين l'abbé Poulin وهنرى ماسبيرو رفيقه فى الليسية والذى شاركه فى المكتبة الخاصة بجاستون ماسبيرو Gaston Maspero

---

(60) **Pierre (R) : Louis. M. et l'Islam - PP. 149-150.**

وعن علاقة ماسينيون الحميسمة بغانــدى زعيم الهند الروحى – أنظر ذلك

Louis Massignon : l'hospitalité sacrée – Textes inédits – présentés par jacques. K. nouvelle cité – Paris – 1987 - P. 157.

والكتاب يشرح لنا السنوات الأولى من حياة ماسينيون وذهابه إلى مصر للمـــرة الأولـــى وعلاقتـــه بمارى كُحيل . أنظر ص 11 ، ص 33-35 .

ومن ضمن من ألتقى بهم ماسينيون أيضاً :

- Jean Richard, Roger Martin, Henry de jouvenel, Robert siegfried.

ولقد تأثر ماسينيون كثيراً بـــ Derenbourg فى مدرسة الدراسات العليا وهو الذى اتجه به نحو الشرق الإسلامى ودراساته .

ومن مقابلاته لبعض المستشرقين من أمثال جولدتسيهر وآسين بلاسيوس ومارى لامبروتى وآدموند روتى ورينيه باسيه وولف مارسيه ومابا س وإيفانوف .. إلخ . وذلك أثناء تنقلاته الدائمة ما بين فرنسا والجزائـــر ومصر والمغرب والعراق وإيران وسوريا وتركيا فكان صديقاً لأغلب أساتـــذه الفلسفة والأدب والشعراء والمفكريـــن ، وبالطبع كان وثيق الصلة بجميع أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهـــرة ودمشق، وبعض أئمة المساجد فى الجزائر ومصر ، بالإضافة إلى إتصــالاته ومراسلاته مع شارل فوكو وبال كلودال وسليم البشـــرى وابنه عبد العزيـــز البشرى الأديب الأزهرى الساخر ، والذى كتب عدة مؤلفات أدبية تزدهر بها المكتبات العربية منها " المختار وقطوف " ، كما ألتقى مع د. طه حسين ود. ابراهيم مدكور وكُـــرد على .. إلخ .

بالإضافـــة إلى مقابـــلاته السياسية مع غانـــدى زعـــيم الهند الروحى والأمير فيصل (السعودية) والملك حسين (الأردن) ولورانـــس العرب وحسين فهمى باشا (مصر) والملـــك فيليب (فرنسا) والملك فؤاد (ملك مصر) وحاييـــم وايزمان والأميـــرلاى ياما موتو Haim Weizman [(61)] et Amiral Yamamoto وهنرى كوربان . ومن أهـــم لقاءاته 1928م مع لويس جارديه (من أخلص أصدقاءه) وسير ها ملتون جيب وجاك بيرك

(61) Ibid : pp. 153-157

وبروفسيور نورثروب ومارى أنطوانيت [62] والمفكر العربى د. سيد حسين نصر وغيرهم .

ولقد تعددت صداقات ماسينيون وكثر تلاميذه ومحبيه فى فرنسا والعالم العربى الإسلامى ، لأنه أحب الإسلام وأخلص له وإعطاه كل جهده ووقته وعمره ممثلاً للإستشراق المعتدل المنصف النزيه بعيداً عن التعصب والهوى والعنصرية .

ز- مدى الإهتمام بماسينيون :

بعد أن سردنا بإختصار أهم أصدقاء وزملاء وتلاميذ ومحبى ماسينيون ، يجدر بنا ان نعرض لأهم ما كُتب عنه للدلالة على مدى الإهتمام بهذا المستشرق الفذ الذى قدم أبحاثاً أكثر تميزاً فى مجال الفكر الإسلامى بصفة عامة ، ومجال التصوف الإسلامى بصفة خاصة ودراساته عن الحلاج بوجه أخص حيث الشفقة والرحمة والتعاطف والإنجذاب. La Compassion, la sympathie ، والإستبطان وإعادة التشكيل الإستبطانى وخصوصاً ما يتوافق مع التصوف والتأويل والبحث فى الأصول الإثنية (العرقية) والصوتيات (فى اللغة) أو المنهج الفينومولوجى للعلم الإسلامى

---

(62) مارى أنطوانيت Marie Antoinette زوجة الملك لويس السادس عشر ، أنجبت منه أربع أطفال (بنين وبنات) وكانت سيدة مسرفة ومبذرة فى كل شئ ، وكان لها تأثير على الملك وخاصة فى عام 1789م عام الثورة الفرنسية ، وحكمت عليها المحكمة الثورية فى فرنسا لعدم تحالفها مع الأفكار الثورية (الحرية – المساواة – العدل) وحكمت عليها بالأعدام بعد حبسها فى المعبد بتهمة الخيانة العظمى وتدبير المؤامرات عام 1793م. وتأثر ماسينيون بهذه الحالة الفريدة الغريبة التى لاتنسجم مع الأفكار الثورية فكتب بحثاً فى الآداب الحديثة بعنوان : النذر والمصير أو القرار السياسى ومصير مارى أنطوانيت – ملكة فرنسا .

Le voeu et le destion : “ un voeu et un destion, Marie Antoinette, reine de France ”
Lettres nouvelles - Paris – 1953 – PP. 182-210 .

أنظر أيضاً: (العهد) للويس ماسينيون – ص 143وما بعدها.

Phénoménologique كما سنرى فى تحليل آراؤه .

ومن المعلول أنه أحياناً ينصب الإهتمام بالمفكر والفيلسوف بعد رحيله كنوع من الوفاء والولاء ، والأجدر بالمفكر ان يرى نتيجة جهوده وهو بين ظهرانينا ليقدم الأفضل ولكن تلك سُنة الحياة وتقلبات البشر.

وبعد رحيل ماسينيون فى 1962/10/31م ، وبتاريخ 1963/2/10م تم عقد جلسة خاصة واقيمت حفلة تذكارية إكراماً للويس ماسينيون فى جمعية محبى غاندى برئاسة المفكر[63] Olivier lacombe ، وهناك بلا شك كثير من الكتاب شرحوا منهج ماسينيون من خلال الشهادات والولاءات التى أقيمت لـــه منذ وفاته فى باريس وفىَ القاهرة وفى طهران وفى الذكرى المئوية لوفاته (1983م).

وهناك العديد من الأعمال والأهتمامات التى نالها ماسينيون من اصدقاؤه وتلاميذه ومحبيه من أمثال لويس جارديه وهنرى لاووست وواود بيرج وبيرك وكوريل وآسين بلاسيوس وغيرهم .

وأهم تلك الشهادات الولائية التى كتبت بمناسبة مئوية ماسينيون وجمعت بواسطة ابنه دانيال ماسينيون نجد :-

- Presen ce de Louis Massignon – Hommages et timaignege – textes réunis par Daniel. M. à l'occusion du centenaire de l.M. [64]

(63) Pierre (R) : CF. Ibid P. 193

(64) الكتاب عن حضور وتأثير لويس ماسينيون من خلال شهادات الولاء بمناســبة مئويــة ماســينيون جمعت بواسطة أبنه دانيال ومساهمة من معهد العالم العربى بباريس الذى مازال يقــدم إســهامات وندوات ومؤتمرات عن لويس ماسينيون وغيره من المستشرقين والمهتمين بالإسلام وقد حضرت أكثر من ندوة ومؤتمر أثناء تواجدى فى باريس فى هذا المعهد ، وقد شارك فى هذا الكتــاب نخبــة

ونجد أيضاً كتاب عن لويس ماسينيون والتلميحات المحرضة – وهو عبارة عن عدة أبحاث متنوعـــة ومنها مقال لماسينيون ويحمـــل نفس العنـــوان الأساسى أضيف بعد وفاته .

- Louis M., les allusions instigatrices(65) .

كما قامت منظمة الفرانكفونية بتقديم مجموعة من الأبحاث عن ماسينيون باللغتين الفرنسية والأنجليزية بتقديم د. بطرس بطرس غالى عندما كان أميناً عاماً للمنظمة ومازال وصدر الكتاب بعنوان / لويس ماسينيون فى قلب زماننا

- Louis. M. au cour de notre temps – sous la directions de Jacques Keryell(66) .

من العلماء والفلاسفة والنقاد تقديراً لجهود ماسينيون .

Ouvrage publié avec le concours de l'Institut de monde Arabe.
Editions maisonneuve et larose – Paris – 1987

ونذكر منه فرانسوا دولا بيه وأندريه مايكل وآيف بورت ود. إبراهيم مدكور ود، سيد حسين نــصر ومختار امبو مـــن اليونيسكو ود، محيى الدين صابر من الايسيسكو وهى منظمات دولية ، وغيـــرهم من أساتذة جامعة الســـوربون والكولـــيج دى فرانـــس والمدرسة العملـــية للدراسات العليا من أمثال

Roger Arnaldez – Herbert Mason.Francais de laboulaye , Andre – Miquel Yves la porte, Ibrahim Madkour – Seyyed Hessen Nasr – Jacques Berque – Louis Gardet–Ahmadou Mohtar M'Bon (l'unesco) – Mohiddine Saber El'Alecso) الايسيكو Roger Arnaldez . Herbert mason

(65) **Louis Massignon: Les allusions instigatrices Fata-Morgana –Paris-2000**

وهى طبعة جديدة من أحدث الكتب عن ماسينيون وفيه مقالات عديدة منها : ماسينيون وخـــداعات لاتزول لصلاح ستيته ، ويمكن ترجمتها بالمكايد : **Massignon et les pièges de l'ineffable**

ويذكر المؤلف إن لويس ماسينيون لم يكن يحب دون شك – علم الجمال !! وهى بأى حـــال مـــن الأحوال غير أساسية له فى نهاية الأمر لذاتها ، ولكن إستخدمها أثناء نقده وتبكيته لقصائد الشاعر الصوفى المصرى إبن الفارض وتحدث عن ابن عربى وعفيف التلمسانى .. – راجع ص 9 ، 10 ، 11 ، ومن العجب ان نجد مقالاً بنفس عنوان الكتاب لماسينيون يؤكد فيه إنه يحب الجمـــال وعلـــم الجمال ، وإنه لايوجد أى قومية ولا أى بلد أكثر من بلاد الإسلام يحتاجون إلى الجمـــال ويقدرونـــه مستنداً إلى الحديث الشريف : " الله جميل يحب الجمال ".

“Dieu est beau et il aime la beaute”. أنظر ص 24

(66) والكتاب صدر فى باريس عام 1999 – **e'di: Karthala - Paris 1999**

وقدم دانيال ماسينيون ايضاً سرداً لحياة والده فى الكتاب الضخم الذى يحمل عنوان : L'Herne Massignon [(67)] ، والطريف ان لويس ماسينيون يظهر على غلاف الكتاب وهو يتـــزى بالـــزى الأزهرى مما يدل على انه كان محباً للإسلام وللأزهر الشريف ، ومن المؤلفات التى كُتبت من أجل ماسينيون كتاب بعنوان / لويس ماسينيون وحوار الثقافات – نصوص علق عليها ابنه دانيال ماسينيون

- Louis Massignon et le Dialogue des cultures – textes réunis par Daniel M.

وقدم لها أيضاً د. بطرس بطرس غالى بالأشتراك مع منظمة اليونسكو بفرنسا وجمعية محبى لويس ماسينيون بباريس والمعهد الدولى للنصوص بباريس والكتاب عبارة عن مجموعة من الأبحاث الهامة توضح لنا آراء لويس ماسينيون حول الإسلام بصفة عامة واللغة العربية والقرآن الكريم فى فكر ماسينيون وماسينيون والحوار الإسلامى /المسيحى وغيـــر ذلك من الموضوعات التى تدخل فى محيط أهتمامه .

- وفى عام 1987م كتب جاك كوريل Jacques Keryell كتاب أغلب مواده عن مصر وزيارة ماسينيون لها وما لاقـــاه من ضيافة ومراسلاته مع مارى كحيل وإنشاء البدلية فى مدينة دمياط ، وأجل ما فى الغلاف صورة نهر النيل الخالد وعنوانه : l'hospitalité sacreé [(68)] ، وأصـــدر لوكـــور

---

(67) Ce Cahier a été dirigé par jean Français six - Paris-1962
والكتاب حجمه ضخم تجاوزت صفحاته خمسمائة صفحة ، وساهم فى التحرير أكثر من 60 باحـــث من جميع الدول الأوروبية والجامعات المختلفة اشهرهم جابرييل بوتير وهنـــرى كوربان وإبراهيم مدكور ومحمد عزيز الحبانى وبيير روتت وجاك بيتى .. إلـــخ إنظر ص 11/10.

(68) Préface de René voillaume, textes inédits présentés par Jaques Keryell cité- Paris- 1987 nouvelle

Lécoeur دراســـة عـــن التعمق فى الروحانيات عند شارل فوكو وماسينيون بعنوان : إحتفال الآلة (69) أو الشعائر الصوفية التى تقام بإستعمال الآلات الموسيقية أو ما يطلق عليه فى التصوف الإسلامى (السماع الصوفى) وقدم مركز الدراسات والبحوث الإجتماعية بباريس .C.Société.AS بحثاً عن التصوف الإسلامى بعنوان: عصف الريح فى الإسلام (70) Le souffle dans l'Islam وفيه ذكر عن ماسينيون وعلاقته بالحلاج والتصوف ، كما كتب عنه M.Barrès تحقيق عن بلاد الشرق (71) ، وفى عام 1928م صدرت دراسة فى بيروت باللغة الفرنسية عن التعليم والإرشاد فيه ذكر عن ماسينيون أعدها .G.Bounoure (72) .

- ونجد أيضاً Jean Mencelen الــذى يذكر فى كتابه عن لويس ماسينيون انه رجل ذو مقام عال لـــه تلاميذ متميزين فى مجال الفكر الفلسفى والصوفى الإسلامى والإستشراق والحوار ، وعدَّد لقاءاته مع كل من ليون الأفريقى وبيير روش وهاى سمانى وغاندى ومارى كُحيل ، ورصد زياراته لمصر والعراق ودمشق ودفاعه عن الإسلام والتصوف وتفسيره لأهل الكهف (السبع نيام) وأصحاب المباهلة وفرقة الشيعة ، كما تحدث المؤلف عن سنوات الحرب فى الخليج Les anneés de guerre والشرق الجديد (73) .

---

(69) Lécoeur (Ch) : Le rite et L'outil – Paris - Alcan – 1939 – PP.334 –335.

(70) وقد صدرت الدراسة الأولى فيه عام 1944 بباريس.

(71) Barrès (M): Enquête au pays du levant – Paris – 1923 .

وصدر الكتاب من جزأين – راجع جزء 1 – ص 123 ، جزء 2 – ص 15

(72) Bounoure (G): Bull, Enseignement – Beyrouth. V1-4-1928 .

(73) Mon celon (Jeàn) : Louis Massignon Christion Destremau a de Sayyed Bahaudine Majrouh, librairie polon– Paris- 1994 la mémoire

- وأخيراً نعرض لأحدث المؤلفات التى تناولت ماسينيون بالحديث وخصته بصفحات كثيرة وهو كتاب (L'islam) الإسلام – لأنا مارى دولكامبر Anne-Marie Delcambre وقد قدمت دراسة جديدة عن الإسلام والدين والعقيدة وتناولت سيرة الرسول الكريم ﷺ وعلاقته بالقريشيين وأصول الإسلام والقرآن الكريم والتوحيد ، وذكرت فيما ذكرت أسماء مستشرقين على إختلاف التوجهات والميول من أمثال Roger Arnaldez , Louis Guredet ، وغيرهما كثير ، وبالطبع توقفت عند ماسينيون فى معرض حديثها عن الإسلام والتصوف والشخصية الصوفية الأكثر جدلاً " الحلاج " وتصف ماسينيون بانه مستشرق كبير لعب دوراً هاماً فى الإفصاح عن سر الحلاج le grand orientaliste ، والنظر إلى التصوف الإسلامى نظرة جديدة (74) من خلال رؤية ماسينيون للحلاج شهيد التصوف والتى شكلت تأثيراً مباشراً فى كل كتاباته.

ح- تأثيرات مباشرة فى رؤى ماسينيون الفكرية :-

كل فيلسوف تتشكل رؤيته بتأثير من العصر الذى عاش فيه والظروف التى نشأ فيها ومن خلال قراءاته المتعددة إلى أن يقع بصره على شخصية معينة وواقعة محددة تغير رؤيته تماماً. ومن خلال سردنا لحياة ماسينيون ومؤلفاته ولقاءاته وصداقاته أتضح أنه تأثر بكل أصدقاء والده ، وكان شغفه الأول دراسة الجغرافيا فى شبابه .. فكيف حدث التحول الفكرى فى شخصية ماسينيون ؟

في مرحلة الشباب تشكلت رؤية ماسينيون تحت تأثير روايات الكاتب

(74) Delcambre (Anne -Marie): L'Islam " il faut recommander cette excellente initiation" - Nouv. Études –R.E.P. E'Res la Decouverte – Paris – 2001- pp.6-25

الكاثوليكى ليون بلوا وصداقته مع رومانسى السيف والإنجيل ى.. بيشارى ، وبعد فترة قصيرة ربطته صداقة عميقة مع قسيس كاثوليكى وعالم مستشرق هو شارل دى فوكو (1916/1858م) Ch. De faucauld [75] ، ومع الفيلسوف التومائى الجديد جاك ماريتان J.Maritain ومع الشاعــر بــول كلوديــل Paul, Claudel (1955/1868) [76] ، كل هؤلاء الأشخاص الذين أرتبط بهم ماسينيون – مع ما سبق ذكره – ألتقى بهم وصادقهم وراسلهم ، وربما عمل مع بعضهم وسافر معهم كما أوضحت – رغم أنهم مختلفى السمات والآراء والأفكار والمشارب والأتجاهات – فإنهم كانوا يلتقون من خلال سمة عامة تشكل العامل المشترك بينهم وتتجلى في أن كل واحد منهم تعرض فى حياته لأقصى أشكــال التوتر والإضطراب والتأثير المباشر وعانى شدة نفسية كبيرة فى تحولــه إلــى المذهب الكاثوليكــى فتركــت هذه المعانــاة النفسيــة / الذهنيــة بصماتهــا الواضحــة العميقة علــى إبداعــاتهم ورؤاهــم الفكريــة .

أما تأثير هؤلاء الأشخاص فى الشاب ماسينيون فقد كان عظيماً [77] ويــرى الدارســون ان مؤلفــات ماسينيون وإسهــاماته العلمية وجهوده الفكرية (درساً وتحقيقاً وتأليفاً) ومنطلقاته الروحية ونشاطاته السياسية ،

---

(75) هو ضابط فرنسي زار بعض مناطق المغرب العربى فى رحلة استكــشافية أعتــزل العــالم وعــاش متنسكاً فى صحراء الجزائر (الطوارق) وفيها قتل . (أنظر فى ذلك : د. جورافــسكى : الإســلام والمسيحية – مرجع سابق – ص118 – هامش المترجم) .

(76) هو شاعر وكاتب وأديب ودبلوماسى لــه قصائد صوفية ومــسرحيات غنيــة بعمــق موضــوعاتها وتحليلها النفسى ، وبما يتجلى فيها من روح الإيمان نذكر منها : الحــذاء الحريــرى ، والرهينــة وبشارة مريــم وله علاقات ومراسلات مدونة مع ماسينيون – أنظر فى ذلك :-

- **Claudel – Massignon – Les grandes correspendance – Paris.**

والكتاب عبارة عن مراسلات كبرى بينهم – أنظر مقدمة الكتاب : ص5–7.

(77) د. جورافسكى : الإسلام والمسيحية – مرجع سابق – ص 118.

مهدت الطريق للتحول الكاثوليكى الجذرى بشأن الموقف من الإسلام . ورؤية الإسلام عند ماسينيون كانت فى الجزء الأكبر منه تحديداً للمنهج الذى أعتمده للدراسة وتصوره للإسلامولوجى l'Islamologie وأحدث ثورة شبهها Pierre.R بالثورة الكوبرنيكية La Révalution Copernicienne فاتخــذها عــنواناً جانبيــاً فى كتابة ليقدم رؤية فى عمله عن التصوف الذى أرتأه ماسينيون فى مؤلفه الضخم عن الحلاج والتصوف الإسلامى ، وقد تعامل معه بنوع خاص حسب عبارة التصوف وماسينيون بصفة خاصة فى جميع أعماله عن الإسلام كان كالقاضى العادل فى البحوث التاريخية والمشكلات الإجتماعية وتحليله للتقارير السياسية فى الشرق والغرب (78) . وبصورة عامة يمكن القول إن الجهد العلمى الضخم للويس ماسينيون (مؤلفات – محاضرات– دروس – ندوات – لقاءات) فى ميدان الدراسات الإسلامية يمكن تقديره بصورة مناسبة وصحيحة فقط فى سياق رؤيته الدينية – فالتحول الجذرى للكاثوليكية صاحب معه تحول جذرى لدراسة روحانية الإسلام من خلال صدمته الأولى فى بغداد أثناء تنقيبه على الآثار – بقصة الحلاج – فتعاطف معها ولم يتركها حتى وفاته !!

ففى هذا المجهود العلمى الكبير تتجلى بشكل عجيب سمات العالم واسع الإطلاع والتبحر والعمق وبأكثر من لغة ، ولقد أختزن فى عقله المنظم ومنهجه الممنطق معارف عميقة يضاف إليها تنوع واسع فى ميادين الإستشراق والحوار وهى التى تمتزج أو تتوحد بتوازن عظيم مع مشاعر نسكية / رومانسية / دينية تتغلل فى ثنايا مؤلفاته كلها كما رأينا – وفى تحليل بعضها من خلال نقد النص الداخلى كما سنرى فى الجوانب اللاهوتية .

Pierre Rocalve: Louis Massignon et l'Islam - pp. 99-100 (78)

ثالثاً
الجوانب اللاهوتية فى رؤية ماسينيون

يمكن لنا أن نفهم الجوانب اللاهوتية فى رؤيـــة ماسينيون للإسلام من مقولة الإيمان أو نفيه ، ويمكن – على حد قول د.جورافسكى – الإتفاق مع تلك العناصـــر والتفســيرات اللاهــوتيـــة أو عدم الإتفاق ، ومع ذلك فإنه لابـــد من جـــلائها وتوضيحها لأنه دون هذا الأسلوب لايمكن فهم توجيهات الفكر الكاثوليكى المعاصر – الذى يحمله ماسينيون ، ومواقفه حيـــال الإســـلام وخـــلافاً للنهج العدائى المسبق من طرف أغلبية علماء الإسلاميات الغربيين ، فإن ماسينيون بنى موقفه تجاه الإسلام والفكـــر الإسلامـــى إنطـــلاقاً من فكرة الإتصال أو الإرتباط الدينى بين المسيحيين والمسلمين ، فـــى العيش المشترك (79) ، ومن هنا فماسينيون كان ذا فضل ريادى فى البحث عن التقريب بين مصالح الأوروبيين والمسلمين فى مجال الإتصال واللقاء والحوار الدينى وتأسيس الجمعيات الفرنسية / العربية للتبادل الثقافى كما ذكرت سالفاً. بالإضافة إلى أنه كان حليفاً للمناضلين من أجل إستقلال شعوب الشرق الأدنى وفيتنام وتعرض للسجن أكثر من مرة بسبب إحتجاجه ضد الحرب الفرنسية الجزائرية ، وقام بنشاط تنويرى ضخم تمثلت فى كل ما ذكرناه من مؤلفات ومحاضرات ومؤتمرات ولقاءات .

ولقد كان ماسينيون حريصاً على وحدة الشخصية الإسلامية ، وقد أثارت مخاوفه مظاهر التصادم بين الحضارة الغربية المعاصرة والمجتمع الإسلامى التقليدى التى كان من نتائجها أن المجتمع الإسلامى أصبح أمام خطر حقيقى يتجلى فى فقدان شخصيته المستقلة وذاته ويذوب فى العالم (وهى التى نسميها اليـــوم بالعولمة والهيمنة والسيطرة والأمركة .. إلخ).

---

(79) د. جورافسكى : الإسلام والمسيحية – مرجع سابق – ص 121.

ويمكن لنا القــول إن ماسينيون يختلف عــن زملاؤه ومعاصريه بل أحياناً عن تلاميذه من المستشرقين وعلماء الإسلاميات من أمثال كارل هينرش بيكر (1876 م / 1933م) Beeker الذى يعتقد بإمكان تكيف العالم الإسلامى مع الحداثة والعولمة والمعاصرة من خلال تحديث الإسلام ذاته عن طريق تخليه عن أطروحات القرون الوسطى حول العالم وأستبدالها بمقولات أحدث وأكثر عصرية !! ، أو سنوك هيورجرونج الذى يــرى أن الطــريق الوحــيد المتاح للعرب نحو المعاصرة يتمثل فى التعليم الغربى الذى من شأنه أن يحرر تفكيرهم ويقودهم تدريجياً إلى الأوربة [80] !! أو جاك بيرك J.Berque الذى يؤكــد فى مرحلة لاحقــة أن البلدان العــربية يمكــن ان تنقذ قيمّها الروحية إذا لحقت بالشعوب الأخرى فى ميدان التقدم التقنى وتحليل المجتمع الإسلامى المتصل بالحضارة الصناعية [81] .. إلخ وبذلك ترد على التحديات المستقبلية الكبرى .. نقول .. خلافاً لكل هؤلاء كــان لويس ماسينيون مقتنعاً بعمــق الرؤية اللاهوتية وان مستقبل المسلمين يتعلق بمدى وفائهم للتقليد الإبراهيمى (نسبة إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام – أبو الأنبياء) وبمدى قدرتهم على إعادة بناء عالمهم الروحى الأصيل وتحديد ثقافتهم الحقيقية فالأوربيون الذين يتحملون مسئولية تحطيم العالم الإسلامى وثقافته الأصلية المتميزة يجب أن يتواصلوا مع الإسلام ويسهموا فى إنبعاثه بالمشاركة والتعاطف العملى والقدرة العقلية ؛ والعمل على إعادة بعث تلك القيم الروحية الموجودة فى الذات الإسلامية [82] .

(80) نفس المرجع السابق – ص 123.

(81) Jacques Berque : Normes et valeurs dans l'Islam – contemporain – Paris – 1966- P.212

(82) L.Massignon: Parale donneé, précédé d'entretiens avec vincent Mansour Monteil, Paris – E'd. du seuil, - 1985, - P.181.

وإذا كان الإسلام بالنسبة لعالم الإسلاميات البروتستانتى دنكن بلاك ماكدونالد D.B.Macdonald عبارة عن بدعة (هرطقة) مسيحية !! وآراء سيدنا محمد ﷺ لصيقة بتعاليم آريوس !! فإنه تأسيساً على ذلك طــرح أمــام المبشري ــ المسيحيين مهمة إكمال عقيدة نبى المسلمين (الناقصة !!) علــى حد تعبيــره وتطهيرها من الأفكــار الهرطقية التجديفيــة تجــــاه شــخص المسيح (83) ، فإن الإسلام بالنسبة لماسينيون - الكاثوليكى - أكبر مــن أى بدعة مسيحية ، فهو (أى الإسلام) يشكل وحدة عقائدية مستقلة متكاملة تتمتع بمباركة الرب لأنها ترجع من حيث منابعها إلى "الصلاة الإبراهيمية الثانيــة" فى بئر سبع عند ولده البكر إسماعيل وشعبه - العرب (84).

---

(83) د. جورافسكى : الإسلام والمسيحية - ص 124 ، وقد أستند فى عرضه لهذه الآراء المغلوطة إلــى مرجع واردنبرج الصادر فى باريس بعنوان الإسلام فى ذاكرة الغرب .

- J. waardanburg: l'Islam dans le mimoire de l'occident, Mouton. La Haye – Paris – 1962

(84) أنظر فى ذلك :

سفر التكوين : الإصحاح 17-17 : 18، الإصحاح 21-21-9:21 (التوارة - الرؤى اليهودية - رؤيا القديس يوحنا فى المسيحية - سفــر الرؤيــات - نهاية العالم

étude paralléle des apocalypses avec

وللمزيد من التفاصيل أنظر أيضاً : -

- Pierre Rocelve : Louis Massignon et l'Islam – P.84.

ويؤكد المؤلف إن الخبرة الروحية للنبى (صلى الله عليه وسلم) تتمثل فى حادثة الإسراء والمعراج كخبرة صوفية خارقة وإن ماسينيــون إعترض بكل أعماله اللاهوتية أغلب المستــشرقين وقــــدم أكثر الحجج للغربيين المسيحيين لرؤيتــه للإســلام وعقائــده ولغته وأدبـــه وميتافيزيقــاه بــين الشريعة والطريقة وتوحيد حقيقة الروح.. (CF.P.80) .

<u>تعقيب :</u> ولو تدبرنا القرآن الكريم نجد إن الله سبحانه وتعالى أرسل لنا سيدنا نوح وســيدنا إبــراهيم عليهمــا السلام ، وجعل فى ذريتهما النبوة والكتاب ، ومن بعدهما أرسل سيدنا عيسى عليه السلام بالإنجيــل ، ولكــن القرآن الكريم آخــر الكتب ، وسيدنا محمد ﷺ أخر الأنبياء، والدين الإسلامى هو ديــن الله الكامــل التــام ، وإن الدين عند الله الإسلام فلنقرأ معاً سورة الحديد :" ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهمــا النبــوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيــل وجعلنا فى قلوب الذين أتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية أبتدعوها .. " آيتين 26 ، 27.

وطبقاً لقصص التوارة والقرآن فإن العرب انحدروا من نسل إسماعيل بن إبراهيم وهاجر جارية سارة ، وبهذا الصدد كتب ماسينيون قائلاً : " إن تاريخ الجنس العربى يبدأ من دموع هاجر – الدموع الأولى فى الكتاب المقدس [85] وبصفة جوهرية فإن أطروحات ماسينيون تكمن فيها أساس التصور الإسلامى للديانات الثلاثة (اليهودية – المسيحية – الإسلام) مع تركيز ماسينيون على أن رسالة الإسلام الأخيرة إيجابية نظراً لكون المسلمين يتبعون ملة إبراهيم وولده إسماعيل المبارك ، أما ديانتهم التى ظهرت بعد سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا عيسى عليه السلام عبر سيدنا محمد (ﷺ) فهى إنذار إلهى بالحساب العسير الذى سيشمل الخلق كله ، وهى أيضاً الإستجـابة الإلهية السرية لدعاء إبراهيم ورغبته حول إسماعيل وأمة العرب إذا اجابه الرب قائلاً : "**وإما إسماعيل فقد سمعت لك فيه**" [86] وبحسب رأى ماسينيون فإن الإسلام جاء بمنزلة ضمير لليهودية والمسيحية [87] ، وإنطلاقاً من تلك المرتكزات الفكرية الأولية رأى ماسينيون انه بإمكان المسيحيون – بل من واجبهم – الإعتراف بـ (المصداقية النسبية) للقرآن والإعتراف الجزئى المشروط بنبوة محمد (ﷺ) وذلك رغم ان سيدنا محمد (ﷺ) أقصى بدعوته الجوهر الإلهى بحيث لايبلغه الإنسان مطلقاً ورفض من حيث النتيجة – الفكرة الصوفية حول إتحاد الإنسان بالإله وهى الفكرة التى ظهرت فى إطار الإسلام نفسه على قول ماسينيون – بعد مضى ثلاثمائة سنة من الهجرة النبوية على يد الحلاج وبعض الزهاد من متصوفة الإسلام من أمثال الحلاج وابن عربى والسهروردى والبسطامى .. إلخ .

---

(85) Louis Massignon : parole donne..P. 280.

(86) Ibid : P. 288

(87) د. جورافسكى : الإسلام والمسيحية – مرجع سابق – ص 125.

وفكرة الإتحاد ووحدة الوجود التى يتبناهما ماسينيون جرياً وراء الحلاج تعتبر فى نظر أغلب أهل السُنة ومسلمى العالم المعتدلين شطحات لاتقبل. ولكن مسألة تطبيق التعاليم المحمدية حسب النهج الحلاجى (الاتحادى) تشكل إحدى الركائز الأساسية لنظرية ماسينيون ورؤيته اللاهوتية من خلال دراسته المتعمقة للتصوف الإسلامى ووصل إلى الإقتناع بان الإسلام مفتوح لفعل الخير ويحمل فى جوهره إمكان التحول من الداخل أو التجديد والبعث الذاتيين ، وهذا المفهوم يضعه ماسينيون معارضاً لمفهوم التحول إلى دين آخر!! وذلك عبر الأولياء المسلمين الذين يأتى الحلاج على رأسهم ويشغل مكان الصدارة بينهم على الأقل فى نظر ماسينيون المغرم به والمتعاطف معه، والذى أعاد بدقة إستثنائية دراسته الصوفية وتعمق فى مذهبه ودافع عن وجهة نظره، وطبقاً لأطروحته فإن الحلاج لم يكن زنديقاً مرتداً أو حلوليا وإتحادياً كما اتهمه أعداؤه ومنتقدوه من الفقهاء المسلمين ، وكذلك لم يكن مسيحياً مستتراً كما حاول ان يبرهن بعض الباحثين الأوروبيين للفكر الإسلامى، ويؤكد ماسينيون ان مذهب هذا الصوفى لايتعارض أو يتناقض فى أفكاره وتوجهاته العامة والأساسية مع الإسلام السُنى ، وماسينيون يقدم الحلاج بوصفه أحد الدعاة المعبرين بدقة عن العقيدة التوحيدية [88].

والحلاج أيضاً كصوفى سُنى – وهو عند الأغلبية صوفى فلسفى – لم يسلك طريق البعض فى توجيه تهمة التكفير للنزعات والمذاهب العقائدية الأخرى فى الإسلام ، وذلك كمحاولة مُخلصة من جانبه للتقريب بين تلك المذاهب والفرق رغماً عن أنه من أكثر الصوفية إتهاماً بالكفر والإلحاد من

---

(88) من خلال قراءة أعمال الحلاج قراءة متعمقة ، هناك بالفعل نصوص واضحة جلية على لسان الحلاج تدل على أنه نادى بالتوحيد والتنزيه المطلق وكأنه أحد علماء الكلام من المعتزلة .. راجع فى ذلك : ماسينيون : أخبار الحلاج – صفحات 28 ، 35 ، 75.

قبل الكثيرين !!

وبرأى ماسينيون فإن الحلاج الملتزم بالعقيدة الصحيحة للإسلام كان أقرب شخص مسلم إلى فكرة المسيحية حول وحدة اللاهوت والناسوت ، وهى ذات الفكرة التى عبر عنها الحـــلاج فى قولته الشهيرة "أنا الحق" Je suis la vérité وهى نفس العبارة التى كانت سبباً فى قتله [89].

وفى الإصطلاح الصوفى (الحق) اسم من أسماء الله تعالى بينما (الحقيقة) هى التوحيد ، ورغم نقصان هذا التعريف فإن كلمة الحق تتضمن لدى الصوفية تفسيرات ومعانى عديدة نذكر منها قول ابن عربى (وهو أيضاً من الصوفية الذين عانوا الكثير) ان الحق كل ما فرض على العبد من جانب الله وكل ما أوجبه الله على نفسه ، وهناك حق اليقين عبارة عن فناء العبد فى الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً . أما الحقيقة فهى إقامة العبد فى محل الوصال إلى الله تعالى ووقوف سره على محل التنزيه ، وقيل إن الفرق بين الحق والحقيقية أن الحق هو الذات والحقيقة هى الصفات ، والحق اسم الذات والحقيقة اسم الصفات [90] .

---

(89) L. Massignon : Opéra Minora, textes recueillis classés et présentes avec une bibliographie par . Y. Moubarac. Beyrouth. –3 volumes 1963 – Vol 1. P. 220, Vol. 2 P. 104.

(90) يراجع فى ذلك :

د. عبد المنعم الحفنى – معجم المصطلحات الصوفية – طبعة بيروت – الطبعة الثانيـــة – 1995 ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة – ج2 – نشرة مكتبة مدبولى بالقاهرة – طبعة ثانية – 1992

<u>أنظر أيضاً:</u> دراسة جوزيف مارسيل :

Joseph Maréchal: le problème de la grâce mystique Islam. (Rech. Sc. Rel. 1923 - PP.244-292)
Réédité dans Etudes sur la psychologie des Mystiqu. T.11, louvain – Paris 1937 - PP.487-531

وهو من الخبراء الأول المعترف بهم على الإطلاق فى إعطاء الوضع النهـــائى فـــى المـــصطلحات الصوفية الحلاجية..

أنظر فى ذلك: L.M.: O.M. Vol. 2 - P.226.

ومما تقدم يتضح لنا أن الجوانب اللاهوتية لرؤية ماسينيون وتصوره للدين الإسلامى وجهوده فى هذا المجال يستند بالدرجة الأولى إلى النقطتين التاليتين :-

1- إنتماء الإسلام للملة الإبراهيمية أو الشجرة الإبراهيمية المباركة .

2- النهج الذى سلكه الحلاج (صوفياً) فى تفسيره وممارسته للإشكالية اللاهوتية للإسلام .

ومن المسائل التى أولى ماسينيون أهمية كبرى لدراستها وبذل فيها جهداً كبيراً المسائل اللاهوتية العامة ، والتى تتسم بأهمية رمزية وتشكل محطات ومرتكزات أساسية فى تاريخ العلاقات التفاعلية المتبادلة بين الإسلام والمسيحية نجد :-

أ – تبجيل مريم العذراء فى الإسلام والمسيحية .

ب- تأثـــير (الرهبنة) المسيحية فى إجـــلال فاطمة الزهراء ابنة الرسول (ﷺ) وتقديسها عند المسلمين.

ج- التقديس المشترك (الإسلامى / المسيحى) (أهل الكهف السبعة الذين قاموا فى كهفهم الواقع فى أفسس Ephsèse ثلاثمائة وتسع سنين .

د- معاهدة نجران بين النبى (ﷺ) والنصارى أيام البعثة النبوية .

هـــ- البعـــثة السلمية لفرنسيس الاسبزى إلى الشرق الأدنى وخطبته العقائدية فى قصر السلطان المصرى (الملك العادل) والملامح المشتركة بين الزهد المسيحى والإسلامى.

ويعتقد لويس ماسينيون ان متابعة بحث تلك المحطات المشتركة بين الديانتين من شأنها تهيئة الأرضية الطيبة لحوار لاهوتى مثمر بين المسيحية والإسلام [91] .

ولعل الحوار وما يثمر عنه من نتائج تعطى للغرب (اليوم) صورة صحيحة للإسلام ، وهذا هو دور المستشرق المعتدل أو كما يذكر د. أدوارد سعيد فإن الموقف الخلاصى للعناصر المشتركة مع أفضل ما فى الدراسات الإنسانية لهذه الفترة يمكن أن يعتبر المعادل الإستشراقى للمحاولات التى تمت فى الدراسات الغربية المحضة لفهم الثقافة المغايرة [92] ومنها بالطبع دراسات لويس ماسينيون وآراؤه فى مجال الفكر الفلسفى الإسلامى على ما سنرى .

* * *

(91) أنظر فى ذلك :

L.M.:O.M. le christ dans les Evangiles selon al-Ghazali-Vol.2.PP.520:525
L.M.:O.M. les « sept Dormants » apocalypose d'Islam. Vol. 3 PP.104-118.
L.M.:O.M. Mystique Musulmane et Mystique chrétienne au Meyen Age. Vol.2. PP.470-481.

تعقيب: وبخصوص قصة أهل الكهف كما جاءت فى سورة الكهف فى قوله تعالى : " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً ولاتستفتى فيهم أحداً " { آية : 22 }. ويرى ماسينيون وبصورة رمزية عددية إن توجه الكهف يثبت صحة النص القرآنى ، ويجدر بالذكر إنه زار منطقة أفسس 1951 فتحقق من ذلك الكهف الذى آوى إليه الفتية شمالاً وجنوباً ، ويقول الله تعالى : " وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منهم .. " سورة الكهف – { آية : 17 } ، ويراجع أيضاً فى ذلك : هامش كتاب د. جورافسكى : الإسلام والمسيحية (المترجم – ص 127) .

(92) د. إدوارد سعيد : الإستشراق ... مرجع سابق – ص 262.

رابعاً

أهم آراء ماسينيون وجهوده فى الفكر الإسلامى

.. بعد أن عرضنا فى النقاط الثلاثة السابقة لحياة وعصر ومؤلفات لويس ماسينيون ورؤيته اللاهوتية وجهوده فى الدرس الفلسفى من خلال العديد من المحاضرات والندوات والأبحاث ، إتضح لنا إن ملامح الجهد المبذول ينصب على النقاط الآتية :-

1- في التصوف [illegible] والطرق الصوفية (الحلاج نموذجاً)

من المعلوم إن جُل الأعمال [illegible] لماسينيون تتمثل فى دراسته الموسوعية عن الحلاج شهيد التصوف ، أو على حد قوله شهيد [illegible] بغداد حياته – فكره وآثاره – قصائده ونصوصه الصوفية – بحوثه الفلكلورية – عذاباته النفسية .. وبموت الحلاج أو بمعنى أدق قتله – مات التصوف فى الإسلام ومن هنا إرتكزت بحوث ماسينيون فى مشروع قراءة الحلاج ومراجعة بعض محاولات ترجمة نصوصه ، وإشكالية تلك المراجعة تندرج فى تلمس نظرة جديدة إلى الفكر الصوفى تأخذ بعين الإعتبار محور (تصوف الحلاج/ الإستشراق) بسبب العلائق العضوية التى تربط هذا المحور بنتائج مهمة تشمل العقائدى/ المعرفى / الوجودى ، ومن هنا فالمنطلق الأساسى إذن مرتبط بنقد جهود الإستشراق الذى توجه مباشرة إلى النص الصوفى ، وتحديداً جهود ماسينيون حيث أثرت إلى حد بعيد فى تفاصيل تلقى الإسلام وروحانيته فى الفكر الغربى ، وهناك شروط ومحددات للتعامل مع الحقيقة الصوفية من خلال كشف العلاقة بين محورين متداخلين :-

أ- إصرار الأطروحة الإستشراقية على الأصل الدخيل لتصوف الحلاج

ب- جعل الأصل الإسلامى نسبى النزعة بإعتباره الموقف الرسمى .

فكلاً المحورين ينتهيان إلى إشكالية تعرقل تحديد دور التصوف الإسلامى ذاته [93] ولكن غرضنا من البحث هو تلمس رؤية الآخر للتصوف الإسلامى .ومن هـــنا كانت محاولات ماسينيون مهيمنة على مجمل الدراسات اللاحقة التى تعرضت لتصوف الد ج ويقرر أرنولد نيكلسون A. Nicholson ، إن الإهتمام بفكر الحلاج يرجع إلى بداية الدرس الإستشراقى فى أوروبا من قِبل (ثولوك) [94] الذى عَــدل عن آراؤه ومواقفه فيما بعد .

ولقد تعرض نيكلسون لقول الحلاج " انا الحق " كما تعرض لها ماسينيون وحاول تفسيرهـــا بما يتفق مع آراؤه وآراء المستشرقين الآخريــن وأصحاب الأغــراض الأخرى ولكن ماسينيون كان يؤولها ويصف الحلاج بالرجل المتأله والحلاج كما يقرر ماسينيون يصف الألوهية بالتجريد والتنزيه ومن هنا جعله البعض من صوفية أهل السُنة (فى التوحيد) وخصوصاً أنه لم يستخدم مبدأ التقية الشيعيـــة ، وأبـــاح بالسر فقتل على عكس ما ذهب إليه أستاذه الجنيد بـــن محمـــد الذى كتم السر فـــستر ، ومقولـــة " أنا الحق " Je suis la vérité أخذت أكثر من حجمها الحقيقى (بسوء فهم) حيث يستخدمها الصوفية عادة للدلالة علـــى الخالـــق وليس المخلوق ، فالخالق هو الله والمخلوقات هى العالم أجمع ، ولم يخطر بذهن الحلاج مطلقاً إن معرفة الله المنزة شيئ فى غير مقدور

---

(93) د. قاسم محمد عباس : الحلاج – الأعمال الكاملة (التفسير – الطواسـين – بـستان المعرفـة – نصوص الولاية – المرويات – الديوان) – دار رياض الريس للكتب والنشر – بيروت – لبنـان – الطبعة الأولى 2002 – ص 14-15.

(94) ارنولد نيكلسون : فى التصـوف الإسـلامى وتاريخـه – بتحقـيق أبو العـلا عفيفـى – الطبعـة الأولى – القاهرة – 1956 – ص 132 ، والأهتمام بـفكر الحلاج يرجـع إلـى كـتاب ثولـوك الإيطالى (Pantheistica fsufismse sivetheologia persica) الذى يعد أول كتاب صـدر فى أوروبا قاطبة وتناول فيه إشكالية الأصل المجوسى للتصوف الإسلامى عامةً بما فيـه تـصوف الحلاج – راجع مقدمة أبو العلا عفيفى – ص3-5 .

الإنسان ، وهنا نجد نيكلسون الذى يذهب فى الرأى مع تأويل ماسينيون بهذه المقولة – يرى أن الرجل المتأله يجد فى نفسه بعض تصفيتها – بأنواع الرياضة والمجاهدة والزهد الصوفى– حقيقة الصورة الإلهية التى طبعها الله فيه ، لأن الله خلق الإنسان على صورته ويذكر نيلكسون إن الحلاج يتخذ من العبارة القديمة المأثورة عن اليهودية والمسيحية وهى قولهم إن الله خلق آدم على صورته – أساساً لنظريته فى خلق العالم (95) وهذا يتضح بجلاء فى قول الحلاج فى الطواسين: " تجلى الحق لنفسه فى الأزل قبل ان يخلق الخلق ، فنظر فى الأزل وأخرج من العدم صورة آدم " (96) ، بالإضافة إلى إن للحلاج أقوالاً مأثورة وعبارات وحكم مشهورة هى أقرب إلى التوحيد منها إلى مذهب الإتحاد ووحدة الوجود والحلول الذى إتهم به زوراً وبهتاناً ، بل هى إبطال للإتحاد والحلول وإبطال لما أُتهم به ووصم بالكفر والزندقة من أجلها ، وإن تهمة القول بالإتحاد أكثر شناعةً وألصق بالكفر والزندقة من شبهة الحلول التى ألصقها بعض الفقهاء القدامى والمؤرخين المحدثين بالحلاج (97) ، وماسينيون يدافع عن الحلاج والصوفية ويؤكد على أنهم لايرون شيئاً حتى يرون الله معه ، وإن الصوفى لايرى شيئاً حتى يرى الله قبله ، والحلاج صاحب نظر وإستدلال وصاحب مشاهدة وإشتغال ، قد أعلن الحلاج المعذب شهادة التوحيد الشرعى الإسلامية فقال : "حسب الواحد

---

(95) المرجع السابق : ص 133.

(96) L.M.: La passion .. la doctrine de Hallâj – traduction des tawâsîn a chapitre premier. To. 3-P.300

أنظر أيضاً : د. قاسم محمد عباس – الحلاج – الأعمال الكاملة – الطواسين – ص 161.

(97) د. محمد جلال شرف : دراسات فى التصوف الإسلامى – شخصيات ومذاهب – دار الفكر العربى بالقاهرة – الطبعة الأولى – 1983 – ص 358 وما بعدها ، ص 375. وأستاذنا د. شرف رحمه الله يؤكد على إن الحلاج سُنى موحد بالله وهو أقرب إلى أهل السُنة منه إلى الشيعه ، كما يورد لنا دفاع الغزالى عن الحلاج – يراجع فى ذلك ص 357 – 380.

إفراد الواحد له" (98)

وقـد أفـاض ماسينيون فى مذهب الحلاج La doctrine de Hallâj فى التصوف عـارضاً لنا تفسيـر روزبهان البقـلى للشطحيات فى جزء من أهم أجزاء كتابه الموسوعى{ la ͺassion } عن شخصية الحلاج ، وكيف أنـه يمثـل لـدى الغربيين قيمة عالية خالدة ، وكيف أنه كان ضحية التبشير والإعلان عـن نظريته الصوفية وأفكـاره الفذة وإنـه غـواص فى المطلق l'absolu وحكيم فارس le sage du Fârs ، ولقد أورد ماسينيون مقولة الشيخ فريد الدين العطار الصوفى عن الحلاج فى إنه كان محارباً ومناضلاً ومكافحاً وأُعدم بمعرفـة الله فى حرب القديسيين (الأولياء) وكان شجاعاً كالأسد فى شريعة الغاب المكشوفة ولكن هذا المحارب الجرئ سعدته تكشيرة القرد وبلغ الطعم فى المحيط الصاخب وقُتل وصلب بوشاية من الفقهاء والساسة فى عصره ، وقام ماسينيون بتحليل كلمة " تصوف " قائلاً :-

Le mot "Mystique" a été généralisé dans des acceptions si diverses surtout de notre temps …"(99)

---

(98) ماسينيون : أخبار الحلاج – ص 49 ،

<u>أنظر أيضاً</u> :

د. عبد الرحمن بدوى : شخصيات قلقة فى الإسلام – وكالة المطبوعات – الكويت – الطبعة الثالثة سنة 1978م ،

دراسة مترجمة عن المنحنى الشخصى للحلاج الشهيد الصوفى فى الإسلام – نشر فـى مجلـة (الله حى) عدد 4 – 1945م – ص 78 وما بعدها.

Louis Massignon : Etude sur une courbe personnelle de vie : le cas de Hallâj martyr mystique de l'Islam, in Dieu vivnt. N.4. 1945.

(99) **L.M.: La passion .. – to 2 - PP. 410- 417.**

L.M.: Opéra Monora, textes recueillis classés et présentés To.2 - P.466.

بأنها كانت بصفة عامة – وخصوصاً فى عصرنا – الخبرة الرمزية والفردية فى دراسة علم النفس والعمل الفردى الذاتى فى الديوان (ديوان الحلاج) .

ويعرج بنا ماسينيون إلى دراسة الفيلسوف ابن سينا ويتساءل هل كان هو أيضاً صوفياً ؟ ويقرر ان ابن سينا كان قبل كل فيلسوف فى عصره فيلسوفاً وصوفياً مثل ما كان أرسطو فى اليونان وهو من الفلاسفة الموسوعيين ، ومن أكبر شراح أرسطو الذين يمكن لنا وضعهم خارج التقسيم والتصنيف فى كل العلوم والأبحاث فى معرفتنا أجمع ، ويشرح لنا الأفكار العامة لابن سينا وكيف أنه ولد مسلماً وكانت عائلته من الشيعة الإسماعيلية (100).

وإذا كان الإسلام ودراسة الفكر الإسلامى عموماً هو محور إثبات الشخصية الذى يدور حوله مصير حياة لويس ماسينيون ومجمل مؤلفاته، فإن

---

(100) وقد بدأ ماسينيون بتعريف كلمة تصوف فى دراسة له بعنوان Avicenne (en arabe Ibn Sinâ); Philosophe, A.T. Il été aussi un mystique ? - O.M.: .1954 - P.466

وبخصوص التصوف الإسلامى وموقف ابن سينا ، وكيف ان نقد إتجاهاته يعد تعبيراً عن ثورة العقل ، وان التصوف طريقاً وجدانياً لاعقلياً برهانياً .. يراجع د. عاطف العراقى : ثورة العقل فى الفلسفة العربية – دار المعارف بمصر – الطبعة الخامسة – 1984م – ص 120 ، 123 161 .

وفى الوقت الذى يقرر فيه ماسينيون ان ابن سينا كفيلسوف يعد خصماً وعدواً للأشاعرة فهو هنا يمايز فيلسوف بفرقة كلامية . نجد أستاذنا د. عاطف العراقى يقول : ان ابن سينا فى التصوف يتجه إتجاهاً جبرياً يتلاقى وإتجاه المتكلمين من الأشاعرة ، وميله إلى نفى العلاقة الضرورية بين الأسباب والمسببات فى أخر النمط العاشر من (الأشارات والتنبيهات) – يتلاقى أيضاً من بعض الوجوه مع رأى الأشاعرة ، ويعتبرف أخيراً ان بعض ما كتبه ابن سينا فى مجال التصوف يملأ القلب سكينة والنفس طمأنينة ولكن ليس معنى هذا ان ابن سينا يعد متصوفاً فى قرارة نفسه ، إذ ليس كل من كتب عن التصوف يعد متصوفاً .. أنظر فى ذلك : المرجع السابق ص254/253 ، وفى أحدث طبعة لأحد كتب المستشرق الفرنسى Louis Gardet يفرد جزء هام لدراسة ابن سينا والتاريخ والحضارة ، وابن سينا الإنسان ، والسنوات الأولى من حياته وروحانية العائلة .. إلخ . يراجع فى ذلك :-

Louis Gardet: L'Islam Religion et communauté - présentation de Malek Chebel – D.Brouwer - Paris – 2002. PP. 243-251.

رؤيته للإسلام التى بدأت بأعماله عن الحلاج – كما قلت – والتصوف بصفة عامة إرتكزت على مصادر التوراة حول الإسلام ، وإبراهيم ﷺ وهو أبو كل المنبوذين عن طريق إسماعيل ﷺ من خلال مفهوم الضيافة المقدسة la nation d'hospitalité sacrée . وأسقط "كثير من الأفكار الراسخة فى أذهاننا (الغرب) على حد تعبير بيير روكالف ، والمتعلقة بالإسلام (السُنى– التصوف– التشيع) [(101)] وفى موضع أخر يقرر ماسينيون أنه بفضل التصوف كان الإسلام ديناً دولياً وعاماً. إنه دولي بفضل الأعمال النقية التى قام بها الصوفية فى زياراتهم لبلاد غير المؤمنين (الغرب) أى بفضل المثل الرائع الذى قدمه نُساك وزهاد المسلمين من شيوخ الطرق الصوفية من أمثلة : الكبروية والشطرية والنقشبندية والقادرية .. إلخ والذين كانوا يتعلمون لغات الهنود وسكان جزائر الهند الشرقية ويندمجون فى حياتهم ، هذا المثل هو الذى هدى أولئك القوم إلى الإسلام أكثر مما فعل الغُزاة وإنه عام لأن الصوفية هم أول من فهموا الأثر الخالد الفعال للدين الحنيف وهو وجود توحيد عقلى طبيعى لجميع بنى الإنسان [(102)].

أ – منهج ماسينيون فى دراسة الحلاج :

لقد اتبع ماسينيون منهجاً جديداً غيّر الدراسات الإسلامية والفلسفية تغييراً كاملاً فأعطاها بعداً لاهوتياً لم تكن تتمتع به من قبل ، فإذا كان المنهج الإستنباطى والشمولى La méthode intérioriste et globalisante يعتمد على فلسفة الأخرويات ، فقد أتبع ماسينيون منهجاً مخالفاً وتبناه وهو منهج الإستبطان الشخصى وبسبب ذلك فإن محاولاته قد هيمنت على مجمل

---

(101) Pierre. R. : L.M. et l'Islam. P. 203 .

(102) L.M. : Essai sur les origines du lexique technique de la Mystique Musulmane , Paris – 1954- P. 80 .

الدراسات اللاحقة والتي أستطاعت أن تحدد قائمة بمصادر الحلاج وعلى سبيل المثال الأصل المجوسي والذي لم يكن لـــه أي فاعلية في عمل العقيدة الحلاجية وأتفق كل من ثولوك وألفرد فون كريمر على عد الحلاج من ممثلي وحدة الوجود ، والمواقف هذه عبارة عن خلط بين نظرية فلسفية مثل وحدة الوجود وبين تصور فلسفي مثل وحدة الشهود . بمعنى أن الذي يذهب إلى التنزيه المطلق لايمكن أن يعد من أصحاب وحدة الوجود ، ومن يقرأ أخبار الحلاج يجد نصوص عديدة تؤكد أنه من أصحاب التوحيد الذين يقولون بالتنزيه والعدل وغير ذلك من الآراء الكلامية كما سنرى .

أما رؤية ماسينيون فهي مرتبطة إلى حد ما بموقف ماكس هارتون الذي قدم إعتراضات منطقية على محاولة ماسينيون ، وقد كتب هارتون مقالتين مهمتين في عامي 1928/1927 وإندفع في إحداهما إلى إثبات الأصل الهندي لتصوف الحلاج وحاول في المقـــالة الثانية أن يؤكد أطروحة الأولى عـــبر بحـــث المصطلحات الصوفية الفارسية بحثاً فيلولوجياً لينتهي إلى ان التصوف الإسلامي هو ذاته مذهب الفيدانتا[103] .

ومما سبق نلحظ إن الدراسات المتعددة في إحالة تصوف الحلاج إلى عدة مصادر تناولها جميعاً لويس ماسينيون فيما بعد ، ومن هنا تعد دراساته عن الحلاج دقيقة متكاملة في تبني المنهج الأستبطاني الشخصي، ويذكر د. قاسم إن ماكس هارتون قام بمراجعة مهمة لترجمة ماسينيون لنصوص الحلاج أفادت الدراسين كثيراً في تعقب جهود ماسينيون منهجياً وتعطي لنا

(103) نسبة إلى الفيدا كتاب الهندوس المقدس ، وهي كلمة سنسكريتية معناها العلم أو المعرفة ، وهـــي تضم أربعة أسفار (يراجع – جون كولر – الفكر الشرقي القديم – سلسلة عالم المعرفة – العـــدد 199 – ترجمة د. كامل يوسف حسين – مراجعة د. إمام عبد الفتـــاح إمـــام– الكويـــت– يوليـــو 1995م– ص 35) .

رؤية دقيقة لمجمل التلقى الغربى لتصوف الحلاج ، فتجربة الحلاج هى تجربة ممثلة لتجربة كل الآسيويين على المستوى الروحانى ، فالشخصية الإنسانية ذاتها يراد بها الطبقة الطبيعية والطبقة الميتافيزيقية حيث ينبغى أن تكون الطبقة الثانية فى حال تطابق مع الذات الأصلية ثم يتم تلخيص المحور الثانى بمفهوم التجربة الصوفية فى سياقها الميتافيزيقى المؤدى إلى توحيد الثنائية الأولى (الذات والموضوع) وثنائية (الله – الإنسان) وعند حجب المستوى الظاهر نصل إلى المنهج الذوقى ، ومنها إلى الإتحاد الجوهرى الذى كان ولايزال موجوداً وجوداً ذاتياً وضرورياً (104) .

وسجل هارتون مراجعته بملاحظتين أنتقد بهما دراسة ماسينيون على ملاحظتين

<u>الأولى :</u> على مستوى المضمون ،

<u>الثانية :</u> على مستوى المنهج

<u>الملاحظة الأولى</u> :

فتقوم على التأويل المسيحى الذى يرفض التأويل الإسلامى السُنى إنطلاقاً من فهم إنه لايمكن الكلام عن الإتحاد ميتافيزيقياً ، وهى ذات الفكرة التى تناولها التصوف الإسلامى فيما بعد من قبل أصحاب وحدة الوجود . وقد تناول متصوفة القرن الثالث هــذه الإشكالية وإنتهوا إلى هذه النتيجة فحددوا مفهوم التوحيد ، وتعــد هذه الخلاصة إفــراد القــدم عن الحدث كفصل بين ذاتين ، أو لايمكن الإيمان بوجود جوهــر حقيقى بمعية الجــوهر الأصلى ، والإيمان بثنائية حقيقية أعترض عليها ابن عربى فيما بعد فى رسائله ، أما

---

(104) د. قاسم محمد عباس : الحلاج – الأعمال الكاملة .. ص 20 ، أنظر أيــضاً : الطواســين (الأزل – بستان المعرفة) – ص 175 ، 189 – نفس المرجع .

الطرف الأخر للمستوى المضمونى فهو التأويـل السُنى الإسـلامى ، ففـى طائفة أقوال الحلاج وقراءة ماسينيون تركز موقفه من التوحيد وعلاقته بالوحدة الإلهية ، وهى قراءة جديدة وموجهة ، والذهاب إلى الإعتقاد إن فهمه للتوحيد يتطابق مع توحيد الإسلام المبكر الذى كان لابد من الوقوف عند هذه الملاحظة حول التوحيد عند الحلاج ، الأمر الذى ربطه ماسينيون بموقف الإسلام المُبكر ، ونتفق تماماً مع ماسينيون فى توحيد الحلاج ، ويؤكد هذا جميع ما ورد من نصوص فى الديوان وفى أخبار الحلاج وكلها تثبت ان توحيد الحلاج توحيداً خالصاً غرضه التنزيه المطلق [105] . فخلال الفترة التى عاشها الحلاج كانت عقيدة التوحيد تعاش من قِبل الجماعات الدينية جميعها لاسيما المعتزلة كفرقة كلامية كانت لها أطروحاتها وتوجهاتها حول التوحيد تهيمن على كل المدارس ، ومن هنا سموا بأهل التوحيد وأحياناً بأهل العدل والتوحيد ، ولانرى أى فرق يذكر بين الحلاج فى نصوصه التوحيدية وبين آراء المعتزلة .

<u>الملاحظة الثانية : على مستوى المنهج</u>

يورد هارتون إعتراضه على منهج ماسينيون فى إشكاليتين :-

<u>الإشكالية الأولى ..</u>

عرضه فكر الحلاج وفق منهج الفلاسفة والمتكلمين حيث الإنطلاق من الفرضيات بشكل مختلف ، فالفلاسفة من أمثال ابن سينا والفارابى مثلاً ينطلقون من فرضيات أساسية ذات نزعة ربوبية ، بينما العلاقة بين الله

---

(105) ماسينيون : أخبار الحلاج أو مناجاة الحلاج – وهو من أقدم الأصول الباقية فـى سـيرة الحـلاج أعتنى بنشره وتصحيحه وعلق عليه ل . ماسينيون وب . كراوس – النص مع الترجمة الفرنسية عام 1936م – مكتبة لاروز – باريس ، أنظر بخصوص التوحيد – النصوص الفرنسية – أرقـام 25–29 – صفحات 47–49 ، أيضاً أرقام : 31–37 – صفحات من 56 وما بعدها .

والعالم عند الحلاج تختلف كصوفى .

الإشكالية الثانية ..

محاولة ماسينيونتأسيس قراءة تعتمد على منهج الإستبطان والتعاطف، الأمر الذى يبرر لنا ذلك السحر الذى تتحلى به مؤلفات ماسينيون لأنها نبعت من عمق التجربة الشخصية (106).

ب- عن السيكولوجية الحلاجية :

مما لاشك فيه إن الشخصية الحلاجية من الشخصيات الحادة التى طرحت ذاتها بذاتها ، ولم تترك لنفسها تتشكل على وفق مجرى الوقائع ذاتها التى أدت فى النتيجة النهائية إلى قتل النموذج الإلهى فى الإنسان طبقاً لتصور ماسينيون ، ومن ثم تدمير الخطاب الدينى فى عناصره الجوهرية لإنشاء سلطة قمعية تستغل الشعور الدينى بأسم الله مرة وبأسم الشريعة مراراً (107) ، ولايستطيع المرء أن يلغى دور الإلهيات والغنوصيات القديمة فى تشكيل جانب مهم من الشخصية الإسلامية ، ولنا أن نتفحص المفاهيم الأولى عند الزهاد الأوائل أمثال : الحسن البصرى {ت 110هـ} وتأثير الثقافة الهللينية على البسطامى {ت261هـ} وذى النون المصرى {ت 248هـ} ، وإن لم تطمح مثل هذه الشخصيات إلى ان تطرح ذاتها كبديل لما هو سائد حينذاك خلافاً للحلاج الذى جاء بعدهم مدفوعاً برغبة ملحة بإعادة صياغة محددات الشخصية الإلهية بنموذجها المحمدى بعيداً عن إفرازات الإسلام السياسى الزمنى (يراجع نبرات الصدق الممزقة التى

(106) د. قاسم محمد عباس : الحلاج - الأعمال الكاملة .. ص 23.

(107) المرجع السابق .. ص 39.

خلفتها كلمات الحلاج الأخيرة عشية إعدامه) [108] ، بكل ما فيها من تجاوزات وشطحات أمام الإنسان العادى ، ولكنه أراد ان يؤكد دور الشريعة الحقيقى بفهم الوصول إلى حقيقة الشريعة وليس تحطيمها ، ومن يراجع أبيات شعره يرى إنه وصل إلى ذروة إنشداده للرحمة عندما أستخلص شخصيته من الإتحاد مع المحبوب فى صلاته عشية الإعدام عندما أخذ يردد بعـد الصلاة .."مكر ، مكر " وهى صفة إلهية أكدها القرآن الكريم فى خطاب إلهى ضمن مجموعة من الآيات القرآنية حيث قال تعالى : ﴿ الله خير الماكرين ﴾ ، وعندما فكر بموقف الفقهاء الذين عدهم كمساعدين له وهو ينذر جسده ليستدل الجمهور على صدق ما ذهب إليه – فكر الحلاج تلك الليلة بموته الكبير ووجد نفسه فى مواجهة موقف حقيقى يشهد بـه أمام الأمة على ولايته ، محرراً نفسه ليصرخ فى النصف الثانى من الليل " حـق ، حـق " لتكون المعادلة الصوفية النفسية " مكر ، حق ، مكر ، حق " بمعنى إن الذى يتوجه إلى موته بهذه الطريقة لايقدم صورة لجسد شخصية معذبة ، وإنما يقدم صورة واضحة للذى يموت من أجله (وهو الله) فالفرح من الله إلا أن العذاب هنا صورة الله أيضاً ومن هنا نجده يقول فى الديوان : وكل مآربى قـد نُلت منها .. سوى ملذوذ وجدى بالعذاب [109] . ويذكر د.قاسم

(108) ماسينيون : أخبار الحلاج – نصوص أرقام : 1 ، 2 ، 16 ، 70 ، 71 ، مـن ص 7–13، مـن ص34–37 ، النص الفرنسى + الترجمة العربية . وبخصوص صلب وقتل الحلاج وأخر ما قالـه قبل القتل وإستعماله لألفاظ اللاهوت والناسوت ، وقوله مناجياً ربه حالة القتل والـصلب: اللهـم أنك أنت المتجلى ولك الحمد دائماً ، ثم أنشد قائلاً :

أقـتلونى يا ثقـاتى .. إن فـى قتلى حـياتى
وحياتى فى ممـاتى .. ومماتى فـى حـياتى

راجع فى ذلك : L.M.: la passion. To 4. PP. 307-309

أيضاً : أخبار الحلاج – ص 7.

(109) أنظر الديوان .. ص 109.

ان الرغبة الحقيقية هى الوصول إلى المشنقة ، وهنا ينفسح المجال الدلالى لـ (مكر ، حق) [110].

ومن هنا نجد ديوان الأدعية والمناجاة لشهيد التصوف الإسلامى يحتوى على أربعة أجزاء فى مجلد واحد بعد قدمة منها بالطبع :-

- نقد النصوص Critique textuelles
- تحليل دلالة النص Analyse sémantique

وقد قام ماسينيون بترجمة فرنسية للوثائق والنصوص مع تقديم فهارس وقوائم تحقيقية وملاحظات حول النص العربى [111] Texte Arabe et Notes .

ومن ناحية أخرى إن عقيدة بعث الجسد عند الحلاج تأخذ معناها فى هذا العالم ، ولأن الحق خالق كل شيئ ، فللجسد قيمته المؤكدة ، ولذا فإن الحلاج كان فرحاً وهو يتقدم نحو موته فى مغامرة لها دلالاتها ، فهى صورة تتماهى مع صور الشهداء الأوائل للإسلام المبكر وكأنه فى معركة مقدسة فى سبيل الله ويشبه ذلك طبقاً لرؤية ماسينيون وجوه ضحايا فاجعة كربلاء (61هـ) وهم يقدمون أجسادهم للسيوف شهداء . ولقد ردد الحلاج وهو يتقدم نحو موته مقطوعة شعرية من أربع أبيات تكشف لنا عن السيكولوحية الحلاجية ، وتؤكد لنا التصور الحلاجى عن التضحية (التى يشبهها ماسينيون بصلب المسيح) وتحطيم المعبد الإبراهيمى فى جسده

---

(110) د. قاسم محمد عباس : الحلاج – الأعمال الكاملة – ص 51.

(111) أنظر فى ذلك : مقدمة كتاب أخبار الحلاج – ديوان الأدعية والمناجات (فرنسى/ عربى) والمقارقات ما بين طبعة 1936م – ماسينيون وكراوس ، ونسخة 1956م – ماسينيون وجيلسون وجاردية ، حيث الأهتمام بدراسة نقد النصوص الداخلية وتحليل الدلالة للنص الصوفى

(إسماعيل فداء لإبراهيم) ، وعن أبى الحسن الحلوانى قال: حضرت الحلاج يوم وقعته (يوم صلبه) فأتى به مسلسلاً مقيداً وهو يتبختر فى قيده وهو يضحك ويقول :-

نديمى غير منسوبٍ إلى شيئ من الحيفِ
دعانى ثم حيانى كفعل الضيف بالضيفِ
فلما دارت الكأسُ دعا بالنطع والسيفِ
كذا من يشربُ الراحَ مع التنين فى الصيفِ (112)

ولقد أشار ماسينيون إلى الدلالة الشديدة التركيز لهذه الرباعية التى تمثلها الحلاج ويرى إن الحلاج هنا يحدد سابقة عظيمة وهو يخاطر بنفسه ليعلن أمام الله حبه الرجولى وهو الحب ذاته الذى تفشى عند الصوفية اللاحقين كمقام من أهم المقامات ، وأعتبر رائداً بمجموعة من الأفكار الأفلاطونية لمفهوم تماثله مع العرض السرى الرجولى لآدم قبل خلق حواء ، ذلك الحب المطلق لغير النوع الإنسانى ، إلاَّ أن تضحية الحلاج تضحية بالجمال النموذجى للرجل فى هذه الصورة الإلهية ، ولقد صلى الحلاج ركعتين قبل الحكم عليه وفى ركعتيه أمام الموت قرأ الفاتحة وبعدها آية من سورة الشورى فى قوله تعالى عن الساعة : ﴿ يستعجل بها الذين لايؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق إلا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد " (113) ، وهذا

---

(112) أنظر فى ذلك : النص الفرنسى ص 117 ، والنص العربى ص 35 من أخبار الحلاج لماسينيون ، ووردت هذه الأبيات المشهورة فى أصول كثيرة منها : تاريخ الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى، والأصول الأربعة – ص 34 ، وتذكرة الأولياء لفريد الدين العطار – ج2 – ص 142 ، وغيرها كثير من أوائل الصوفية فى الإسلام ، والغريب فى الأمر إن د. قاسم أورد الشطر الأول من البيت الثانى بصيغة مختلفة : سقانى مثل ما يشرب .. يراجع ص 5الأعمال الكاملة .

(113) سورة الشورى : آية : 18.

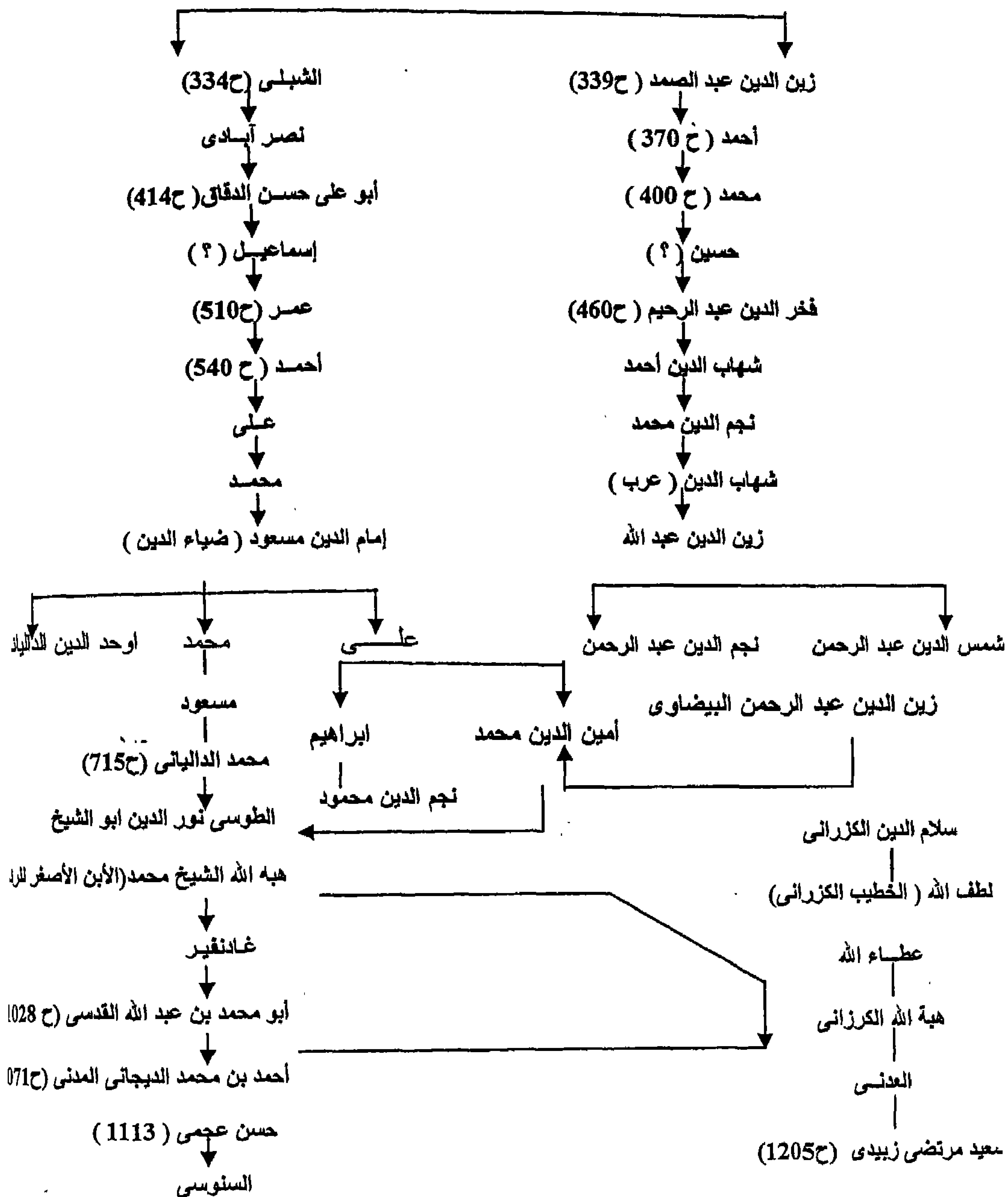
مايؤكد لنا ان الحلاج قتل ظلماً ومن هنـــا عده ماسينيون شهيداً للتصـوف ، ومن هنا أيضاً تعددت قراءاته وأختلف الناس فيه مشارب وأهواء وفرق .

ج- القائمة الحلاجية بحسب ماسينيون :

ومن إهتمام ماسينيون بالحلاج والطريقة الصوفية الحلاجية ، والذى يطلق عليه البعض الحلولية وضع ماسينيون قائمة الطريقة الحلاجية الحديثة من خلال سلسلة من البنوة الطبيعية Filiation naturelle والبنوة التصوفية Filiation Mystique ، وسوف نستخدم إختصارات abréviations لهما أثنـــاء العـــرض فالخط (ــ) رأساً يـــدل على البنوة الطبيعية ، والســـهم (-->) رأساً يدل على البنوة فى التصوف(تلاميذ ومريدين) ، أما (vers) فنرمز لها بحوالى (ح) كتاريخ وفـــاة - وقد قمت بترجمة القائمة من الفرنسية طبقاً للقائمة التالية :

Tableau 1V[e] – Gènéalogie de la traiqa Hallâjiya moderne

قائمة الطريقة الحلاجية الحديثة



د- رؤية ماسينيون لمعجزة الإسراء والمعراج بحسب الحلاج :

من المعلوم إن ماسينيون كان على دراية واسعة لنصوص القرآن الكريم وقلنا من قبل إن له تفسير لبعض آياته ، ولكن وهو بصدد معجزة الإسراء والمعراج إستخدم مصطلح "قاب قوسين" من " خطاب القرآنى ، وأوضح لنا مراحل البحث عن الحقيقة من خلال الطواسين ، ومدى مرحلة رشق القوس بحسب الحلاج ونظرية الأوضاع ، وإستخدم مصطلحات علم الحقيقة والأحادية والشهود والجبروت والأزل والملائكة والوجد .. إلخ . ويجدر بنا قبل أن نعرض للشكل التوضيحى لقاب قوسين الذى يشرح لنا ذلك أن نذكر قول الله تعالى فى القرآن الكريم والذى ورد فيه ذكر " قاب قوسين " ، يقول الله تعالى: ﴿ والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ، ذو مرة فأستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ [114] . وسنوضح فى الشكل التالى المراحل التى إستخدمها لويس ماسينيون وهو بصدد شرحه وتوضيحه لمصطلح "قاب قوسين" ، وهى على ثلاثة مراحل تتضمن نظرية طبقاً للآتى :

1- مراحل البحث عن الحقيقة لدى الحلاج ولقد أستعان ماسينيون بالطواسين وهو بصدد توضيح علم الحقيقة ، وحقيقة الحقيقة ، حق الحقيقة ، ولقد أستخدم ماسينيون الأنساق المنطقية ليعبر عن ذلك .

2- مدى مرحلة رشق القوس بحسب الحلاج وإستخدام " قاب قوسين " للدلالة على الغايات ، والتجلى الإلهى .

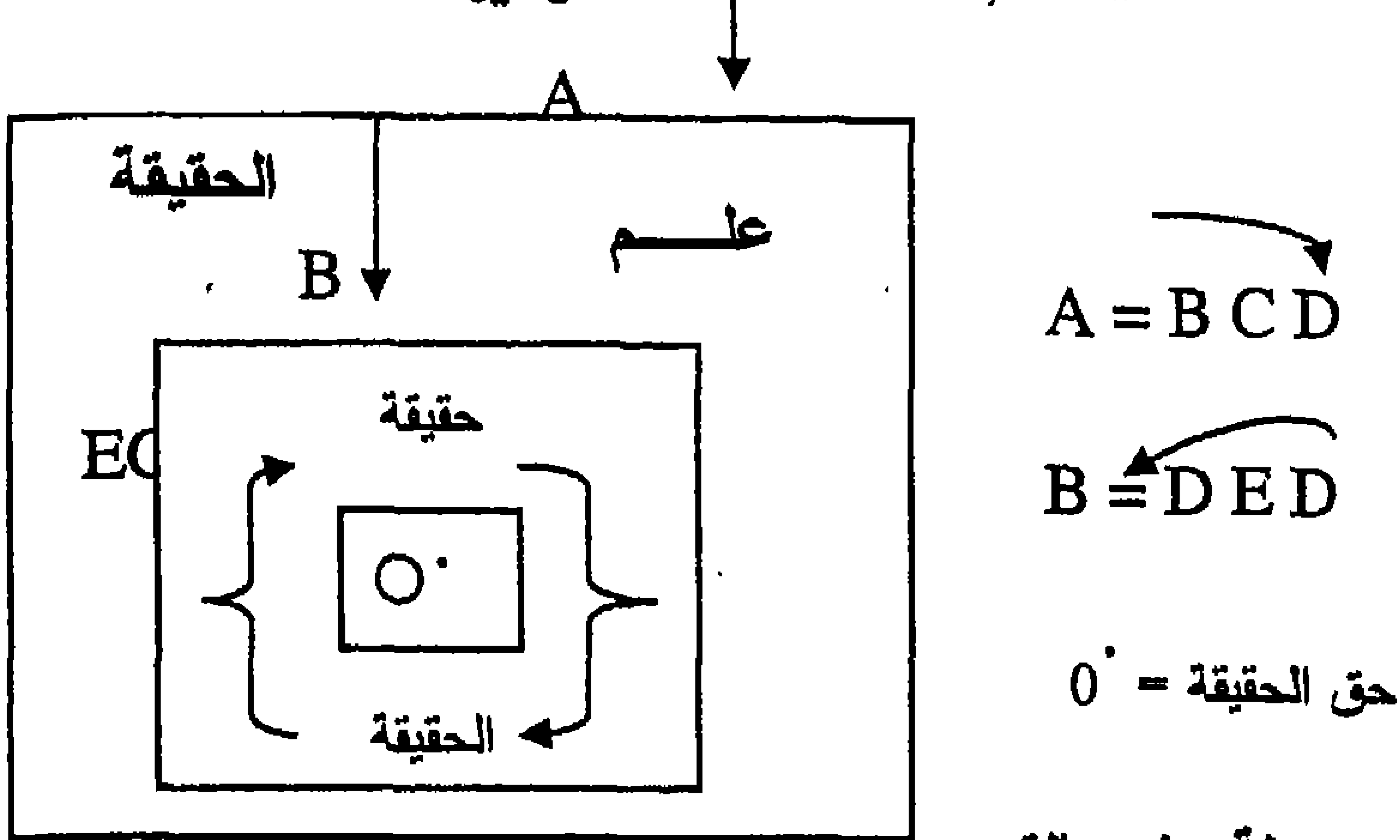
3- ثم تأتى نظرية الأوضاع فى التجلى الخاص من خلال مصطلحات الجبروت - أزل - لوح - ملائكة العباد - دنيوى ، والأحدية ، وما تفرع عنها من شهود ووجد ونور وغلم طبقاً للوحة الآتية :

(114) سورة النجم : آيات من 1-9 .

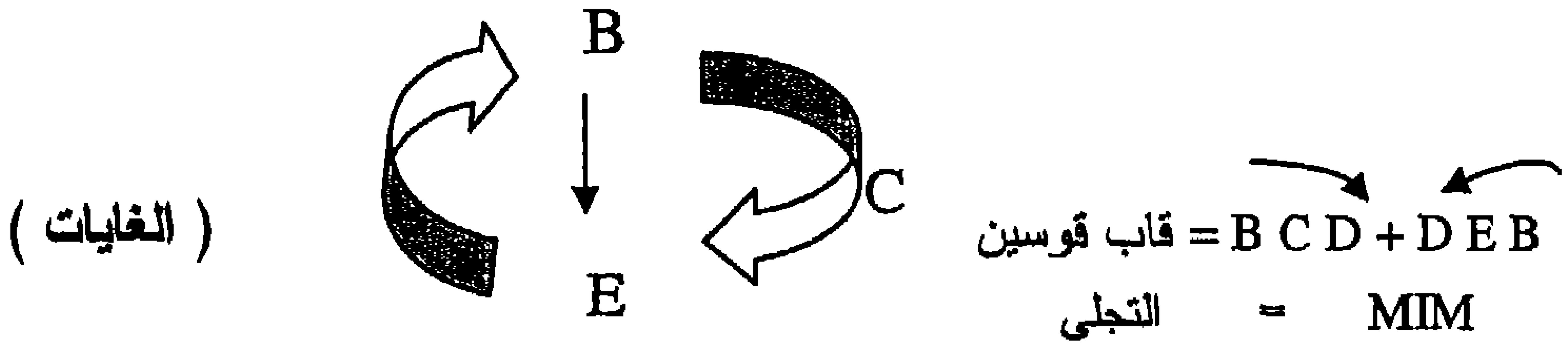
قاب قوسين

1ـ مراحل البحث عن الحقيقة لدى الحلاج

الطواسين TAWASIM, IV-I (115)

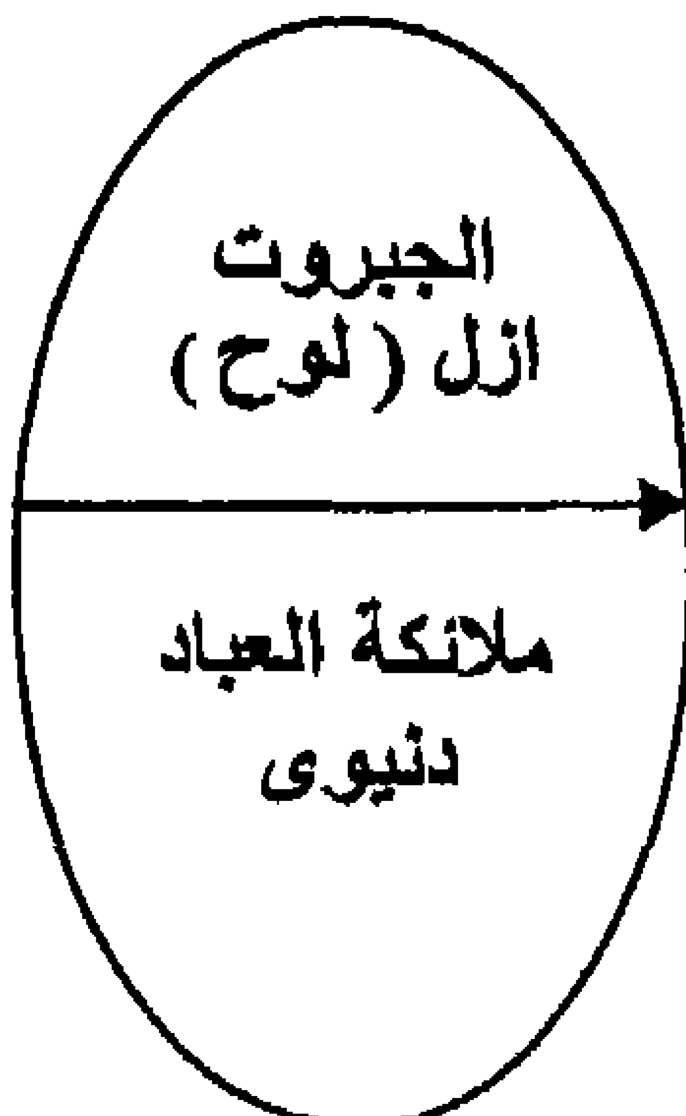


2- مدى مرحلة رشق القوس بحسب الحلاج

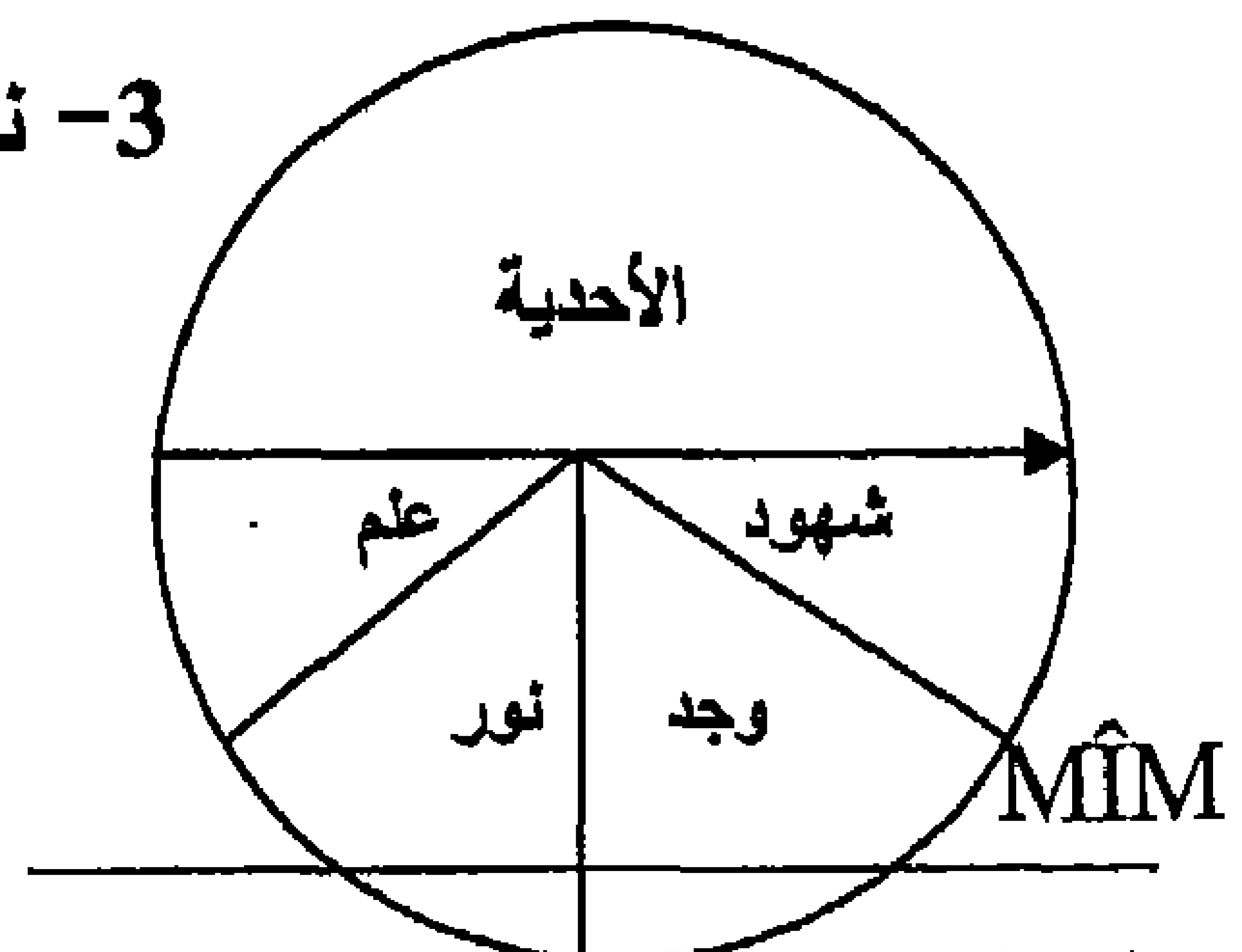


(عــــاد)

3- نظرية الأوضاع



تجلى Tajallî
خاص Khâss



(115) الحلاج : الطواسين – ص 23 – 29 ، ص 84-86.

. Planche XL – Qâb – Qawsayn – transcrit par l'auteur in P. 1re – Éd. »

2- في الفلسفة وعلم الكلام :

لقد تنوعت جهود ماسينيون ما بين التصوف - كما رأينا - والفلسفة الإسلامية ودراسة فلاسفة الإسلام الأكثر جدلاً ، وعلم الكلام والفرق الإسلامية الأكثر زخماً فى الفكر الإسلامى من سنة وشيعة وأشاعرة ومعتزلة وإسماعيلية وغُلاة وقرامطة ونصيرية وغير ذلك ، وأهتم ماسينيون بداية بالقـرآن الكريم Le Coran والأخـلاق والـروح كما أهـتم بمصادر التوارة والكتب السماوية ، وإعتمد عليها فـى إرتكازه حول دراسة الإسلام، وسيدنا إبراهيم (عليه السلام) وهو فى نظره أبو كل المنبوذين عـن طريـق سيـدنا إسماعيل (عليه السلام) من خلال مفهوم الضيافة المقدس (116) . L'Hospitalité Sacrée ، كما أهـتم ماسينيون بحياة سيدنا محمد ﷺ ومهمة النبوة المقدسة والوحى ، ولقد أقر بوحى الله المنزل على سيدنا محمد ﷺ بالقرآن الكريم ، وكان يرى ان الإسلام دين حقيقى وله دور مهم فى تاريخ الوحى ، وليس بأوليائه فحسب (117). ويقرر ماسينيون فى البداية الطريق الذى أختاره لبدء دراسة تاريخ الفلسفة العربية والذى يتمثل فى ذكر المقولات العقلية والأسماء الكلية والمعانى العامة والأحكام وتحديد معانيها على مر الدهور (118).. إلخ . وتحدث عن الروح والعقل والعلة والمادة ونظرية النشوء والإرتقاء ، وقد قسم محاضراته إلى رباعيات (أى ان كل أربعة محاضرات تتناول إصطلاحات مختلفة مع ذكر أهم مصادر موضوعات المحاضرات فى الشرق والغرب (119).

---

(116) L. Massignon : L'Hospitalité Sacrée .. P.13.

(117) Pierre (R.): L.M. et l'Islam ..P.49.

(118) لويس ماسينيون : محاضرات فى تاريخ الأصطلاحات الفلسفية العربية .. ص 3.

(119) المصدر السابق : ص 7 ، 8 (ومن المصادر الهامة التى أعتمد عليها ماسينيون نجد رسائل إخـوان الصفا وخلان الوفا ، ومفاتيح الغيب للخوارزمى ، وما بعد الطبيعة لابن رشد وغير ذلك من مؤلفـات

واتجه بنا ماسينيون إلى الحديث عن معنى الجوهر Substance وهو المقولة الأولى من مقولات ارسطو ، وبه تقوم الأعراض والكيفيات ويقابل العرض والقضايا المنطقية وتحليل كتاب العبارة لارسطو ، وفى إصطلاحات المنطق وتاريخ المقولات العشرة والمقولات الخمسة ، وامتدت دراسته لمصطلحات المنطق الرياضى ومعنى العدد والفضاء والدهر والمكان والزمان، وحلل الفضاء الأقليدى (إقليدس) وإنتصار لوباتشفسكى (1856/1793م) Lopotchewsky العالم الرياضى الروسى ورائد الهندسة اللاقليدية ، ومسألة إنقباض الدهر فى ميخلسون (ألبرت إبراهام) عالم طبيعى أمريكى لــه تجارب على قياس سرعة الضوء (ت 1931م) (120). وقد رجع ماسينيون ايضاً – وهو بصدد الحديث عن الفلسفة العامة إلى الإصطلاحات الفلسفية والموسيقية – لرسائل إخوان الصفا ، وأثناء تناوله قضايا فلسفية مثل الطبيعة والوجود عاد للفلسفة اليونانية ومنابعها الأولى عند طاليس أول فلاسفة اليونان ، إلى أن وصل إلى أرسطو المعلم الأول والعلل الأربعة عنده، ثم عن ابن رشد أشهر فلاسفة الإسلام عقلنة وتنوير، وعرض لمعانى الطبيعة عنده وعند الغربيين من أمثال أسبينيوزا وقوانين الطبيعة والوجود عنده (121) وأفاض ماسينيون فى دراسة شخصية سليمان الفارسى عارضاً لنا البواكير الروحية الأولى فى الإسلام وخاصة فى إيران ، كما كتب دراسة عن المباهلة بيــن النبــى ﷺ ونصارى نجران كأول محاولة للحوار بين الإسلام والمسيحية ، ويقرر

الفلاسفة وعلماء الكلام ، بالإضافة إلى كتب الصوفية الذين أسسوا تقريباً – علم الإصطلاحات مثــل كتاب التعرف على مذهب أهل التصوف للكلاباذى ، وكشف المحجوب للهجورى، وكتاب الـشطحيات لروزبهان البقلى ، والكشاف للتهانوى ، والنجاة لأبن سينا ..إلخ. – راجع : ص 12 ، 13) .

(120) المصدر السابق : هامش ص 41.

(121) لويس ماسينيون : محاضرات فى تاريخ الإصــطلاحات .. ص 52 ، 53 ، وبخــصوص الوجــود ووحدة الوجود – راجع ص 145 – 150 ، وعن معانى الهيولى والـصورة – راجــع ص 52 ، والحياة والنفس والأحوال وقوى الحياة – راجع ص 69–73 .

ماسينيون أنه فى البحث عن العدالة بين الناس يتم توكيد الحقيقة بأساليب ثلاثة : إما بالقسم أو المباهلة أو بالإستدلال اليقينى أو بالإلتجاء التحكمى إلى العمل. وقد كان قديماً ما يسمى بالقسم التطهرى . وفى الجماعة الإسلامية شعيرة خاصة بالملاعنة الشرطية المتبادلة تسمى " باهلة " ولقد بحث ماسينيون عنها وعن كيفية ادائها واصلها القرآنى والظروف والنتائج التاريخية التى حدثت فيها وعنها وعن الرمز الذى تعنيه من الناحية الدينية (122) ، ولقد ذهبت الفرق الكلامية مذاهب عدة بخصوص الإلتجاء إلى المباهلة .

أ – **المباهلة فى القرآن والإسناد والفرق :**

يذهب ماسينيون إلى ان المباهلة شعيرة وتسمى باسمين مختلفين مأخوذين من الجذر " بهل " وفى العبرية بمعنى أرهب وفى السريانية بمعنى هدأ ، وفى العربية بمعنى لعن ووفقاً لكونها دعاء لفرد واحد فتسمى إبتهالاً (الصيغة الثانية للجذر) أو ملاعنة متبادلة فتسمى مباهلة (الصيغة الثالثة) والإبتهال عبارة عن رفع اليدين ممدودتين فوق الرأس أو الخلف والراحتان موجهتان إلى الوجه (123) ، وعن كيفية الأداء يذكر ماسينيون ان المباهلة كانت فى الأصل تتكون من ثلاث عمليات : إستهلال وهو (الجثـوّ) وذلك ان يجلس المرء على ركبتيه ويضم يديه متهيئاً للنهوض من أجل معارضة الخصم ، ثم

---

(122) د. عبد الرحمن بدوى : شخصيات قلقة فى الإسلام ، دراسات ألف بينها وترجمها عن الفرنسية د. بدوى – ص 157 – 167 ، أنظر ملحق : المباهلة بين النبى (صلى الله عليه وسلم) ونصارى نجران سنة 10هجرية من تأليف ماسينيون – طُبع فى ميلان Melun – 1944م ، وقد أطلق د. النشار على المباهلة صرخة الوحى الرهيبة والصلاة الإبتهالية كما أطلق عليها (قصة المباهلة) ، وقد أفتتن المسلمون بها وراحوا يصورونها شيعة وسُنة فى صور متعددة – يراجع فى ذلـك : نشأة الفكر .. ج2 – ص 91.

(123) لويس ماسينيون : المباهلة .. ترجمة د. بدوى – ضمن كتاب شخصيات قلقة – ص 160، ونلحظ إعتماد ماسينيون على مصادر عديدة من أمثلة : عيون الأخبار لإبـن قتيبـه – ج2 – ص 283، وبحار الأنوار للمجلسى – ج3 – ص 107 .

(تشبيك) وفيه يشبك الطرفان يديهما اليمنيين ، ثم العملية الثالثة (رفع) اليدين إلى السماء مع تنحية الأصابع والنطق بالصيغة وهى صيغة المباهلة – كما وردت فى القرآن الكريم وهى التى نطق بها النبى ﷺ فجعل علياً والحسن والحسين وفاطمة بمثابة بدلاء عنه ، يقول الله تعالى: ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين ﴾ [124]. والمؤرخون والمفسرون بين شيعة وسُنيين قد أجمعوا على ان هذه الأية تتعلق بالمناقشة التى دارت بين محمد ﷺ وبين نصارى نجران سنة 10هـ /631م . وان الخمس رهائن التى أعلنها بقولة من بين اهله كما يقول ماسينيون كانوا : الحسن والحسين (= أبناءنا) وفاطمة (= نساءنا) وعلى ومحمد نفسه (= أنفسنا) [125]، ولقد صاحبت دعوة المباهلة ارهاصات لأمور سياسية وعقائدية كثيرة وجدل واسع دار بين الفرق حول مشروعيته ، والإلتجاء إلى المباهلة مشروع عند أهل السُنة وإستند ماسينيون على حديث ابن عباس الذى ورد فى تفسير الألوسى . ولكنه لم ينظم وتعرض لها الحنابلة فى مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ولجأ إليها الفقيه ابن تيمية بدمشق ضد الرفاعية فى مجموع الرسائل والمسائل، وعند الشيعة نجد كتب الفقه تعالجها فى باب خاص وتحدد مراسمها عند الكلينى فى {الكافى} والقاضى النعمان فى {الدعائم} ، ويرجع ماسينيون السبب الرئيسى فى تشريع المباهلة عند الشيعة لأنهم يجدون فيها – وهم الفرقة التى يسود فيها نظام الأمراء –

---

(124) سورة آل عمران : آية 61 ، ولقد أخطأ ماسينيون ومترجمه د. بدوى فى رقم الآية ، وذكرا إنها الآية 54 والصحيح الآية 61 ، كما أثبتنا من خلال النص القرآنى ، وذكرا أنها تتلوا مباشرة الآية التى تؤكد إن عيسى عليه السلام خلقه الله من تراب مثل آدم ، والصحيح إنها الآية التى تسبق آية 61 حيث يقول الله تعالى : " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كُن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من الممترين " – سورة آل عمران – آيتان 59 ، 60 . (يراجع ما قمنا بتصحيحه فى شخصيات قلقة فى الإسلام – ص 161).

(125) لويس ماسينيون : المباهلة .. ترجمة د. بدوى – ص 162.

الوسيلة الوحيدة لإرغام اخوانهم فى الدين من الفرق الأخرى على الأعتراف بهم وصحة ما يذهبون إليه .

أما الدروز والنصيرية فهما ينسبون المباهلة إلى سلمان الفارسى من خلال الدور القضائى المنسوب إليه كمنفذ لـ ـيات الله ، وإنه يجب على المتلاعنين ان يمسكا السلسلة ذات السبعين حلقة فى قبة السلسلة (الصخرة) بالحرم الشريف فى القدس ، لأن هذه السلسلة ترمز إلى سلسلة (الأسم الغنوصى لسلمان) الذى يعد فى نظرهم حكماً أعلى على محمد ﷺ فى مباهلة المدينة عندما دعا محمد ﷺ عند مقبرة البقيع بالمدينة وفد نجران من النصارى إلى المباهلة فى المكان المعروف باسم الكثيف الأحمر ، وأشتهر فيه 359هـ باسم جبل المباهلة ، ويذكر ماسينيون ان فيه تمت حينئذ الخطبة (فى الحج) للمطيع ضد الخطبة الفاطمية فى المسجد الحرام ، وقدم لنا إسناد الرواية لتصل إلى ثلاثة روايات موجزها ان رؤساء المسيحيون فى الميعاد المحدد للمباهلة جاءوا ليعلنوا تخليهم عنها ، وقبلوا شروط الجزية وان يكونوا جوار الله وذمة الرسول ﷺ ، وعلى كل حال فقد تركت المباهلة وزخمها التاريخى والعقدى ما يسمى بالرمزية الدينية ، وجعلت الشيعة منها عيداً للتبنى الروحى للموالى (126) ، وهم غير العرب الذين اعتنقوا الإسلام ، وأصبح لمقولة الرسول ﷺ لسلمان : " أنت منا آل البيت " معنى رمزياً ذات أبعاد روحية عميقة ، وتقوم فكرة وثاقة صلة سلمان بالنبى ﷺ وأهل بيته إبان حياة سلمان على هذا الحديث " سلمان منا أهـل البيت " إلى جانب بعض حكايات ليست بذات أهمية كما يذكر ماسينيون (127)، وهـذا الحديث يرويه المحدثون من أهل السُنة على أن الرسول ﷺ نطق به سنة (5هـ) أثناء غزوة الخندق ، وذلك ان الرسول قد أنهى المناقشة بين المهاجرين والانصار وقد تنازعوا سلمان وألحقه

---

(126) المصدر السابق : ص 174 ، 175.

(127) لويس ماسينيون : سلمان الفارسى والبواكير الروحية للإسلام ، ترجمة د. بدوى ضمن شخصيات قلقة فى الإسلام – ص 16 .

الرسول ﷺ بمواليه الشخصيين ، والحديث يقوم على رواية واحدة لراو من المدينة هو كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف البشكرى (ت89هـ) [128].

وأفرد ماسينيون لرمزية الطقوس الشيعية سواء الشيعة السبأية منهم كالخطابية والدروز الذين اطلقوا على سلمان اللقب الغنوصى: سلسل فى صفحات عديدة فى بحثه عن سلمان الفارسى . أما الشيعة المخمسة ، فالميمية منهم يرون ان سلمان هو مجرد رسول !! وان المُأله منهم هو محمد وحده !! أما الأربعة الباقون فليسوا إلا مجرد صور لـه تمثل مراحل ظهوره الدورية ، ففاطمة هو الهيولى النوارنية التى منها ولد ، وعلى هو أوج إنتصاره وصيفه ، والحسن هو أضمحلاله وخريفه ، واعتمد ماسينيون فى ذلك على رسائل إخوان الصفا [129] ، اما العينية فيرون ان سلمان طوعاً او كرهاً قد أخطأ حين أعلن سيادة محمد بدلاً من سيادة على [130] .. إلخ من الغنوصيات والهرطقات والمُغالاه التى تعف اللسان عن ذكرها والعقل عن ان يستوعبها.

ب- وضع الحلاج أمام فلاسفة الإسلام بحسب ماسينيون :

وضع ماسينيون كل من السجستانى والتوحيدى ضمن سير القديسين وهو يتحدث عن الحلاج فى بدايات الفلسفة العربية والإسلامية، وتحدث عن القاضى بن سيار والقُضاة والنحويين والمعتزلة والقاضى ابن داود ، وذلك فى جزء من أهم أجزاء كتابة عذاب الحلاج تحت عنوان :

---

(128) المصدر السابق : ص 24 ، 25

(129) يراجع فى ذلك : رسائل إخوان الصفا - ج4 - ص 378.

(130) وعن تحليل النصيرية وطقوسهم - راجع : ماسينيون - سلمان الفارسى .. ص 176 ، 177 وعن سلمان الفارسى الباحث عن الحقيقة والصورة المعتدلة له طبقاً لأهل السُنة والجماعة أنظر فى ذلك : خالد محمد خالد - رجال حول الرسول - دار ثابت للنشر - القاهرة - طبعة أولى - 1984 - ص 20-64. وأنظر أيضاً.. د. على سامى النشار - نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام - ج2 - الطبعة الثالثة - دار المعارف بمصر - 1965 - ص 257 وما بعدها .

La prise en considération de Hallâj et de ses sentences par philosophes musulmans.

وتحدث من مكانة الإنسان وكيفية إتحاده بالله ، والأزلية الأرسطية ونصوص الفلسفة اليونانية التى تأثر بها التو ـدى (*) ، وقام بتحليل كتاب الصداقة والصديق وبحث مشكلة اخوان الصفا (**) والبيرونى وتلاميذ الشبلى ، ومنهم الحلاج الذى كان صديقه أيضاً . وأورد أيضاً العلاقة بين الصوفى سعيد بن ابى الخير والفيلسوف الكبير ابن سينا والإسنادات الفلسفية للحلاج وماسينيون وضع الحلاج أمام الفلسفة الإسلامية بشكلها الهللينى وتحديداً ابن رشد وابن سينا كأشهر فلاسفة الإسلام .

Hallâj deveant l'hellénisme philosophique musulman: Avicenne et Averroés.

الأول يمثل الفلسفة العقلية والثانى يمثل الفلسفة الطبيعية ، وكيف ان الثانى قام بتعريف الفلاسفة ونقد النص الداخلى للنصوص الحلاجية ، وان القول بالوحدة كفر صريح ، وسرد لنا المقولات العشرة والعلل الأربعة ومنطق (الهو هو) فى مقابل منطق الأغريق (131) . وتحدث ماسينيون فى هذا الجزء عما أسماه بآثار الحلاج la survie de Halliâj (أى ان الحلاج باق فى نظر ماسينيون بأعماله وتلاميذه ومدرسته الصوفية ومريديه ، وسنجده فيما بعد يُعد جدولاً للحلاجية) ، وذكـــر بعض الفلاسفة الصوفية الذين تأثروا بطريق مباشر أو غير مباشر ، ثم عـــرض فى جـــزء آخر من الكتاب سيرة القديسين الحلاجية

(*) صدر للمؤلف كتاباً من أبو حيان التوحيدى عام 1995 ـ بعنوان أبو حيان التوحيدى حياته وفكره وأدبه ـ دار الأندلسية بالإسكندرية .

(**) أيضاً أنظر فكر الزمان عند إخوان الصفا ـ مكتبة مدبولى ـ القاهرة 1998م.

(131) L.M. : la passion – To.2. P. 429.

وفى ذكر السهروردى المقتول ، أنظـر ص 435/434 ، وعـن ابـن سـبعين الـصوفى أنظـر ص437/436 بنفس المصدر .

وعقائدهم والأزدهار الأدبى لديهم من منطلق ان هناك من أقام للحلاج وزناً ودرس نصوصه وشرحها وأغلبهم من فلاسفة الإسلام من أمثال : السجستانى والتوحيدى وابن رشد وابن سينا وابن سبعين والسهروردى المقـتول ، ويذكر ماسينيون ان أول فلاسفة الإسلام من الذين قاموا بشرح وتوضيح النصوص الحلاجية هو ابو سليمان السجستانى (ولد فى 307هـ ومات حوالى 380هـ) وفى نفس الوقت والعصر كان القاضى بن سيار (350هـ) .

وجدير بالملاحظة – كما أشرت من قبل – هو فى الأساس منهجه فى المصدر الإلهى وقيمة الوحدة والإجتماع فى الصداقة بين المحبين. de l'amitié entre deux âimes

ولقد ظهر للسجستانى رؤية واضحة جلية فى الوسط الإسلام ومسيحى Islamo - Chrétien من خلال النساخ والكتاب حيث القُضاة والنحـويين المعتزلة الذين أجازوا المناقشة وتفسير النص (مثل القاضى ابن ابى داوود) ومن السالمية الصوفية أيضاً والمعتمدة على فلسفة الحب الإلهى والروحى وفى مقاله (فى الكمال الخاص للإنسان) السجستانى قال بجرأة إن القداسـة جـديـرة بمكان الإنسان وهو متحد بالله (فكرة الأتحاد) ، وقد لاحـظ إن فرقة الصوفية أجازوا الإتحـاد والحلـول وخاصـة السـالمية المحفوفـة بالمخاطر Salimiya comme périlleuse [132] ، أما عـن التوحيـدى فيذكر ماسينيون المحاورات المنسوبة إليـه فـى كتيبـه عـن الـصداقة (l'Amitié) كما أوضح لنا كيف شرح السجستانى النص الأزلى لأرسطو على التوحيد الذى تحقق بالإتحاد وقوة الإرادة والمـشيئـة بـين الأرواح المتصادقـة بواسطة نصـوص ابن عطاء الله السكندرى ، والواحـد الحق

(132) Ibid : (la prise en considération de Hallâj et de ses sentences par les Philosophes Musulmans. PP. 429-430).

عند الحلاج وكتابات ابن عطاء – فى وجهة نظر ماسينيون – تفضى إلـى التوحد فى الله أو الحب فـى الله Amitié en Dieu ونعـود إلـى التوحيـدى ونرى ان ماسينيون وهو بصدد الأشارة إلى كتـاب الـصديق والصداقة (أو رسالة الصداقة) يوضح ان ىحيدى إستشهد ببيتين مـن أشعار الحلاج ، وكذا تأثر بعض المعتزلة بالحلاج ، وقدم ماسينيون أسماء بعض شخصيات إخوان الصفا مثل زيد بن رفاعة الهاشمى (ت 372هـ) والبيرونى تلميذ الشبلى وصديق الحلاج كتأكيد على بقاء الحلاج بآثـاره . ويذكر ان البويهيين أشاروا بدقة مقدمة الحلاج بالاسم Nominativement وليس بالنقـد الداخـلى فقـط – بصرف النظر عن مقالات التوحيدى فى العقائد والفلسفة والتصوف ، كما ان للتوحيدى رسالة تسمى " الحج العقلى إذا ضاق بك الحج الشرعى " يشبهها ماسينيون بـبعض كتابـات الحـلاج الصوفية وتلاميذ التوحيدى من أمثال ابو شـجاع (509هـ) وتحـدث ماسينيون عـن العـلاقة بين الصوفى سعيد ابن ابى الخير والفيلـسوف الكبير أبن سينا كما ذكرنا من قبل ، وان هذه الاتصالات كانـت تحـت رعاية القاضى عبد الجبار الهمدانى المعتزلى ، صاحب المُغنى . وأشار ماسينيون إلى التناغم والإنسجام بين قطبيين من أقطاب الـصوفية (إبـن سـبعين والشتـشترى) وربـط ذلـك فلـسفياً بـالحلاج (133) . à Hallâj Philosophiquement تأكيداً على بقاء الحلاج فـى كتابـات الفلاسفة والصوفية، وقد قدم لنا ماسينيون قائمة للـتلازم بـين العناصـر الكلامية والعروض الفلسفية مركزاً على الإمامية قبل القرن الرابع الهجرى ووضع العناصر أمام علم الكلام من ناحية والفلسفة مـن ناحيـة أخـرى كدراسة مقارنة.

(133) Ibid : PP. 430-432.

قائمة التلازم بين العناصر الكلامية والعروض الفلسفية

أعمال الإمامية والهللينسنية قبل القرن الرابع الهجرى [134]

م	العناصر	علم الكلام	الفلسفة	ملاحظات
1	الفعل	قديم – حديث	واجب – ممكن	تأثير ارسطى
2	الأجساد	جوهر فرد	التعيّن – (المادة + الصورة)	الجزء الذى لايتجزأ
3	الجواهر	ما ليس فى محل (مكان)	ما ليس فى مدة (زمان)	خلال المجردات
4	الاحساسات	الذاتية / الفردية	مزاج الأجسام[2]	من الحركات
5	الافكار	الذات المباشرة	توليد ، حاصل الصورة	مثل التل والأرض
6	الايدى – اللانهائى	المنفصل – بلا عرض – عرض	تناسخ – تسلسل[3] – اشراق – استمرار[4]	ابو هشام – النظام – معتزلة
7	الكليات	نفى المقادير ادوار واكوار – افلاك طبائع – مقالات – اشخاص	إثبات المقادير	ارسطو – اخوان الصفا فيما بعد
8	الشخص الانسانى	هياكل مفتعلة – نفى الحياة[5]	روح – الأرواح المادية	تصوف السهروردى
9	الحس الداخلى	عقل=60 حاسة فقط	عقل ، 5 حواس داخلية[6]	الحس المشترك
10	نشأة الكون	تجويز – محبة	عدل – عناية آلهية / ازلية	تأثير يونانى
11	التزام شرعى/ قانونى	فرض – حرام	واجب – معزور (للعقل)	فلسفة القيم
12	النبوة	تأديب ، تأنيب الأنبياء	تصفية (القلوب) – استعداد (نفسى)	(للمعجزة)
13	الإمامة (الإمام)	مؤمن سليم وصحيح	الأفضل – المعصوم (العصمة)	من أخطر قضايا الشيعة)
14	البعث	حشر جسمانى	معاد روحانى	المعاد لدى المتكلمين فى الاسلام

(134)

تحليل القائمة :

(ملاحظات القائمة السابقة من عندنا)

1- يذكر ماسينيون ان العناصر التى اعتمد ا وتبناها الحلاج كانت فى العصر الإيطالى (هامش ص 80 - la doctrine de Hallâj) - ولعل المقصود أنها كانت ضمن اطروحات فلاسفة اليونان فى العصر الهللينستى واستمرت مع فلاسفة ومتكلمى الإسلام المتأثرين باليونان .

2- تبناها الجهم (بن صفوان) والعبيدية وهشام والنظام (من المعتزلة) وابن كيسان (الكيسانية) والظاهرية ! ورغم رجوع ماسينيون إلى كتاب الفرق بين الفرق إلا أن هناك بعض الخلط بين الفرق الإسلامية عنده .

3- ابن سينا أجاز اللانهائى بالقوة (فى مقابل الفعل) بشكل مضمر ويحيلنا ماسينيون إلى التعريفات للجرجانى بخصوص البراهين والحجج ضد الذرية (مذهب الجوهر الفرد - مذهب الذرة القائل بان المادة مؤلفة من جواهر فردة وأن الأجسام تتكون وتفسد بإجتماع هذه الجواهر وأفتراقها)

4- اجازه كل من النُظام وهشام (من المعتزلة) .

5- إثبات الحياة بحسب العبيدية (من المعتزلة) .

6- هذه الحواس الخمسة الداخلية تكون: "Réunit toutes les impressions"

أ - الحس المشترك (تآلف جميع الإنطباعات)

ب - الخيال (العمل بالإحساسات : معرفة أماكن الاحساس).

ج – الوهم (إدراك حسى للمعانى الخاصة) للعقل المقوم والمقدر للأشياء

د – الحافظة (ذكرة الحس الوضعى).

هـ المتخيلة (العقل المنفعل) = المنصرفة (مؤلف×مفصل – مركب×مفكك)

فى التومائية (نظرية توما الأكوينى اللاهـوتية والفلسفية) ، ويذكر لويس ماسينيون ان هذه النظرية لاتوجد في الحواس الأزلية السابقة[135].

بعد أن قدمنا تحليلاً لقائمة التلازم بين عناصر الكلام والفلسفة ، وأثبتنا تأكيد ماسينيون للجانب الإحساسى / الروحى فيما يختص بفلاسفة الإسلام أمام الحلاج ، يجدر بنا ان نقدم ترجمة لما جاء فى كتاب Pierre عن إن ماسينيون يؤكد على إن سيدنا إبراهيم تلقى من ربه علامة البشارة أمام حشد من قوميات متعددة من منطلق إهتمامه بالديانة الإبراهيمية كدين للتوحيد المبكر [136] نقدم هذا الشكل كمقارنة بين الإسلام والمسيحية .

---

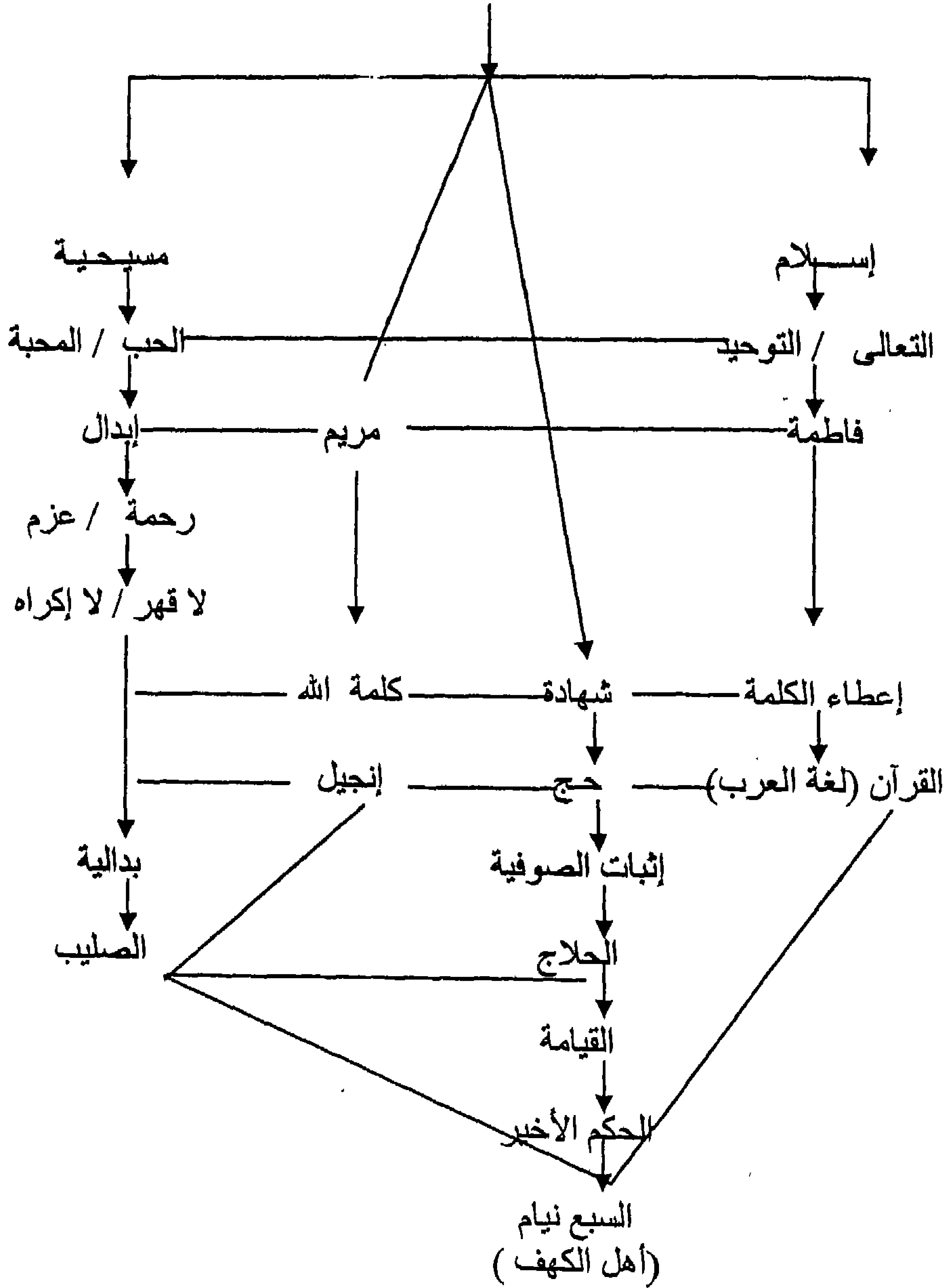
(135) Ibid : P.80 (CF. la doctrine de Hallâj).
وقد قمنا بترجمة قائمة التلازم وحللنا الهوامش والإيحالات .

(136) Pierre (R.) :L. Massignon et l'Islam ..P. 109.

Hospitalité Abrahmique

الضيافة الإبراهيمية

إدعاء الإبراهيمية فى العقيدة



ج- الإلهيات عند ماسينيون :

قلنا من قبل إن دراسات ماسينيون تنوعت - بخلاف الحلاج - وأمتدت من أبن عربى ومؤلفاته الكبيرة مثل الفتوحات المكية والتجليات الإلهية وغيرهما ، وعز الدين المقدسى (ت 660هـ) الذى ذكر إن آراء الحـلاج كانت فى الحب الإلهى l'amour divin إلى محمد إقبال (ت 1938م) الفيلسوف الشاعر وكيف انه لعب دوراً هاماً فى تطور الفكر الإسلامى فى الهند وباكستان ، وكتابه جاويد نامة وعلاقـته بكتابات نيتشه فى الغرب الألمانى ، وإن اشعار إقبال فيها الكثير من التـنوير والإنارة ويربطها ماسينيون بطواسين الحلاج ! [137].

وقبل أن نعرض لآراء ماسينيون فى الإلهيات نعرض لأهتمام ماسينيون بالحوار والإتصال بين الشرق والغرب ونجده يقول : " فى القرن الثامن الميلادى إلتقى الإسلام - فى سوريا - مع الفكر المسيحى الشرقى من خلال عملية التواصل الثقافى بين الشرق والغرب فى المراحل الأولى للأنتشار الإسلامى فى الشام ، وهذا الإتصال وصفه عالم الإسلاميات الفرنسى ماسينيون بما يسمى " تهجين الدين المنتصر مع الثقافة المغلوبة " أو المزاوجة الثقافية بين الغالب والمغلوب ، حيث يلاحظ ماسينيون تأثير الفكر المسيحى الفلسفى فى أطروحات علم الكلام الإسلامى الأول (المبكر) وفى أساليبه الإقناعية ويتجلى ذلك التأثير فى المناظرات الكلامية / الجدلية التى سلكها الجهميون والجبريون والقدريون حول إشكاليات كثيرة تمس الإلهيات من قريب أو بعيد مثل إشكالية العلاقة بين الخير الإلهى (التسيير) وحرية الإختيار الفردى (التخيير) فى الحركة الزهدية الإسلامية [138] (التصوف) والذى كرس

---

(137) L.M.: La passion, CF. PP. 420-425.

(138) L.M. : Essai sur les origines du lexique technique de la mystique Musulmane- Paris – 1920 – P. 53.

ماسينيون أغلب حيـاته لدراسته متمثلاً فـى الحلاج وكل من ظهر فى عصره.

قام ماسينيون بداية بشرح معانى الإلـه (لفظاً وإصطلاحاً) وبكل اللغات وعـند النحويين من العرب ومذاهبهم كبيرة فى إشتقاق اسم الإله ، وكيف ان هذا الأصطلاح "إله" أصل عـلم الإلهـيات ، أى عـلم ما بعد الطبيعة la métaphysique وبـيَّن إعـتراضات الرياضيين على إستقلال علم الطبيعيات وإعتراضات الطبيعيين على إستقلال علم الحياة وإعتراضات الأطباء على إستقلال علم الأخلاق الإجتماعية ، ويقول : " لذلك يلزم الآن أن نفهم إعتراضات العلماء على إستقلال علم الإلهيات ولو إن ذلك مقبول عند أكثر المتكلمين من النصرانية والإسلام مثله مثل مقدمة ومدخل للوحى والإلهام" (139).

ويذهب ماسينيون إن أركان علم الكلام مؤسسة منذ زمن أفلاطون وأرسطو وعندهما هى علـم الصفة الإلهـية ومعناها صفة مبـدأ أول متعال على المادة Premier principe Transcendantal، وعن الأكوان ، وهذا قـريب من معنى الخالـق فى الأديـان ، وعاد بنا ماسينيون إلى زينون الإيلى (صاحب مذهب الوحدة المطلقة فى الوجود) وقدم لنا إعتراضات زينون وكانط Kant ، وبراهيـن زينون الأربع المشهورة ، وكذلك زعم كانط إن وجود علم لما بعد الطبيعة محال وإن العالم إما قديم أو حادث (فى الزمان) ، وإما محدود وإما غير متناهى (فى المكان) ، وأجزاء العالم إما قابلة للتجزئة إلى مالا نهاية وإما ذرات لاتتجزأ وتسلسل العلل إما متوالى وإما منقطع (مسألة حقيقة حرية إرادة الخالق والمخلوق)

---

(139) ماسينيون : محاضرات فى تاريخ الإصطلاحات الفلسفية العربية .. ص 138 ، أنظر أيضاً: تعليـق د. زينب محمود الخضيرى – ص 138 (هامش) .

وزاد عليها فى مسألة مناقضة العقل العملى ، وأوضح ان هذه المشكلة من أهم المشكلات الفلسفية ، وقد زعم بعض الفلاسفة إن فيها تحقيق تنازع خفى فى تشغيل آلة الفكر نفسه من الضروريات المحفوظة فى العقل الفعال والممكنات المدركة بالعقل المنفعل أى بين العقل والفهم Raison - entendement ، ونرى ان كانط هنا متأثر بالفيلسوف أرسطو .

وتطرق ماسينيون إلى نظرية الجزء الذى لايتجزأ ، وأكد ان العقل له أن يفترض التناهى ، والفهم يوحى بإمكان إستمرار التجزئ ، وتحدث عن تجديد الأشاعرة لمذهب ديمقُرطيس فى الجزء الذى لايتجزأ، وفى الآن الذى لاينقسم وبين لنا كيف إن ابن سينا الفيلسوف الإسلامي الذى عده ماسينيون خصماً للأشاعرة – رجع إلى براهين هندسية تخالف ذلك المذهب ، وهى مشهورة فى المصطلح الفلسفى ببرهان الموازاة والمفروض فيه اللانهائية فى الزمان [140] (أى الزمان الممتد) ومن منطلق إن أهم مباحث الإلهيات فى الفلسفة الإسلامية والعربية هو البرهنة على وجود الله .. فماذا كان موقف ماسينيون من هذه المشكلة ؟

د- البراهين على الوجود الإلهى :

يؤكد ماسينيون على إن البراهين على الوجود الإلهى تأتى من العقل فقط وفى نظر الفلاسفة إن علم الوجود الإلهى من الضروريات . ويحيلنا إلى كتاب دلالة الحائرين لإبن ميمون (الفيلسوف اليهودى) لتدقيق طرق البراهين ، وكنا ننتظر من ماسينيون ان يرجع إلى كتاب من كتب فلاسفة الإسلام وليكن ابن سينا أو ابن رشد ، وقدم لنا ماسينيون أربعة براهين على الوجود الإلهى نعرضها بشيئ من التحليل:

---

(140) المصدر السابق : ص 141 .

البرهان الأول :

برهان حدوث العالم (من القياس) ويقول أرسطو مخترع هذا البرهان إن كل تغيير له علة وسلسلة علل الحوادث ظاهرة لكل سلسلة من الترتيب إلى أن نصل إلى الله وهو العلة الفـــة الأولى ، وقد إنتقد ذلك – كانط فى الفلسفة الحديثة ، وكان الإمام الغزالى فى الفكر الإسلامى فى كتابه المشكاة يقول إن الله منزه عن ان يكون العلة الفاعلة الأولى بل هو منزه عن كل تكليف . ولعله يقصد ان الله تعالى خالق أول .

البرهان الثانى :

برهان الكمال (من الإستقراء) وهو مبنى على حد واجب الوجود ، ولم يذكر ماسينيون أى فيلسوف إسلامى عند تحليله، ولكنا نرى ان هذا البرهان قريب من برهان ابن سينا الذى تأثر بأرسطو .

البرهان الثالث :

برهان العلة الغائية ، أو برهان تآلف الكون وهو مأخوذ من الرواقيين، ولعله يقصد به حسب إعتقادى جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا أيضاً.

البرهان الرابع :

برهان الأدب أو الأخلاق Morale وهو برهان غير مقبول عند الحكماء لأنه فى الوجدان الشخصى بدون قياس ولا إستقراء . ولكنه مقبول عند كانط ومذهب أهل الكمون وعند الصوفية وأصحاب الإلهام والذوق ، وهذا البرهان ناقص وقد قيل إن مستعمليه من المتكلمين مثل الغزالى ليسوا بعلماء فى علم الإلهيات بل هم روافض أهل الإرتياب !! وإستند ماسينيون إلى ابن طفيل فى مقدمته لقصة حى بن يقظان وكذا ابن رشد فى الكشف عن مناهج

الأدلة فى عقائد الملة ، أما العمليون النفعيون pragmatistes فلا حاجة عندهم إلى برهـــان عقلى والبرهان الكافى لديهم هـــو الإستعمال كما قال Jamas Henry Laiba (ت1946م) :.. ولو إن الله غير معروف فهو مستعمل..[141]

ويواصل ماسينيون الكلام عن الإلهيات فى موضع آخر من كتابه ، ويذكر ان المذاهب الثلاثة فى معنى الوجود حسب الحكماء فى إن للموجودات حقائق متكثرة بأنفسها فهناك مفهومات ثلاثة :-

أ - مفهوم الوجود العام (ماهيات + موجودات) .

ب-مفهوم الوجود الذاتى وهو خارج عن الموجودات الخاصة .

ج- مفهوم الوجود الخاص ، عين الذات فى الواجب تعالى وذاته خارج فيما سواه .

أما مذهب الأشاعرة :

إن للوجود مفهوماً واحداً مشتركاً بين الموجودات ، وهو يتكثر ويصير حصة حصة بإضافته إلى الأشياء.

مذهب الصوفية : (الوجودية)

إن مفهوم الوجود العام زائد علي حقيقة واحدة مطلقة موجودة ، هى حقيقة الوجود الواجب تعالى ، وهو أمر إعتيادى غير موجود إلا فى العقل ومعروضه موجود حقيقى خارجى هو حقيقة الوجود .

وذكـــر ماسينيون مذهبان فى مسألـــة براهين وجود الواجب تعالى

---

(141) المصدر السابق : ص 143.

وجاءت الترجمة فى الهامش بالإنجليزية على النحو التالى: **not known , he is used God is**

وإثبات الصانع لله تعالى :-

أ – طريق الأشاعرة وعدد خمسة عشر طريقة من أمثلة : طريق التجويز وطريق التخصيص ، وطريق التمانع الذى تمسك به الباقلانى وبحقيقتها وما يسمى دليل التمانع فى المدرسة الرشدية يضاً.

ب – طريق الحكماء (142) ، وهذا ما قدمناه من قبل .

أما عن نظرية وحدة الأديان : والمنسوبة إلى الحلاج (لكل عهد وثيقة) وإلى عبد القادر الكيلانى (ما فى المناهل منهل مستعـذب ، الأولى فيه الألذ الأطيب) وإلى ابن عربى (عقد الخلائق فى الإله عقائداً وأنا إعتقدت جميع ما أعتقدوه) ولكن الإمام الغزالى وابن تيميه رد عليهما فى مؤلفاتهما المعروفة منتصران للمذهب السلفى ضد أى تيار مغالى ، ومن المعلوم ان ماسينيون ينادى بنظرية وحدة الأديان فى أغلب مؤلفاته .

هـ- فلسفة التاريخ فى الإسلام بحسب ماسينيون:

وفى المحاضرة السادسة والعشرين (من محاضرات ماسينيون فى تاريخ الإصطلاحات الفلسفية العربية) أوضح لنا ماسينيون بشكل مختصر منهج التاريخ Méthode historique ، وتطرق لمعانى التاريخ ومذهب القدماء وكيف إنه كان فرعاً من الآداب ثم أخذ وجهاً جديداً وصار علماً خاصاً وله علم يسمى بفلسفة التاريخ ، وشرح لنا إصطلاحاً معنى كلمة تاريخ الغربية بكل اللغات عارضاً لتحليـل أرسطو ، فرنسيس بيكون، كورنو الذى نظر فى مسألة ترتيب العلوم فقال إنها تنقسم إلى ثلاثة : علوم نظرية ، علوم عملية / إجتماعية، علوم كوسمولوجية /كونية ، وأوضح الفرق بين العلوم التاريخية وبقية العلوم وإن علم التاريخ لايمكن ان نرجع به إلى ما قبل الحوادث بخلاف بقية العلوم .

---

(142) المصدر السابق : ص 185.

ولقد وجد عند اليونان أنواع من التاريخ مثل مجموعة أسانيد عن الحوادث التاريخية وهذا غير مهم ، أما ما يأتى فهو المعتبر عندهم:

أ – تاريخ عبارة عن قسم من أدب اللغة وإظهار البلاغة ، ولقد ذكر ماسينيون على سبيل المثال هيرودت .

ب– تاريخ عَملى مثل تاريخ Polybe وهو يقول فى مقدمته إن غرضه من وضع كتابه أن يكون مقدمة فى علم السياسة العملية .

ج– التاريخ الأخلاقى ، وهى تشمل كل الكتابات التى تحتوى على مباحث أخلاقية تقويمية .

د– التاريخ الفلسفى والبحث فى فلسفة الأديان التاريخية .

وعن فلسفة التاريخ فى الإسلام يحيلنا ماسينيون إلى كتاب الفهرس لإبن نديم فيما يختص بعلم الأنساب وعلم الطبقات ، وذكر بعض الفوائد من التواريخ الإسلامية بادئاً بالهند والصين ، وإنتقل إلى كتاب المنقذ من الضلال للإمام الغزالى وذلك لأنه تاريخ أحوال النفس كسيرة ذاتية نفسية لصاحبها ، وكيفية إنتقاله من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام ، ثم تطرق بنا إلى الأتراك وسلاطين المغول وذكر أكثر من مصدر من مصادر التراجم حتى لدى الفرس على سبيل المثال كتاب {سياسة نامة} لنظام الملك ، وتاريخ الإسلام للذهبى وطبقات الشافعية ومقدمة ابن خلدون رائد فلسفة التاريخ وعلم الإجتماع ، أما فى النوع الفلسفى فوجد ماسينيون – البيرونى الذى كتب على الأسلوب الحديث كرائد من رواد تاريخ العلم وأورد له كتابين : الآثار الباقية وتاريخ الهند (تحقيق ما للهند من مقولة ..).

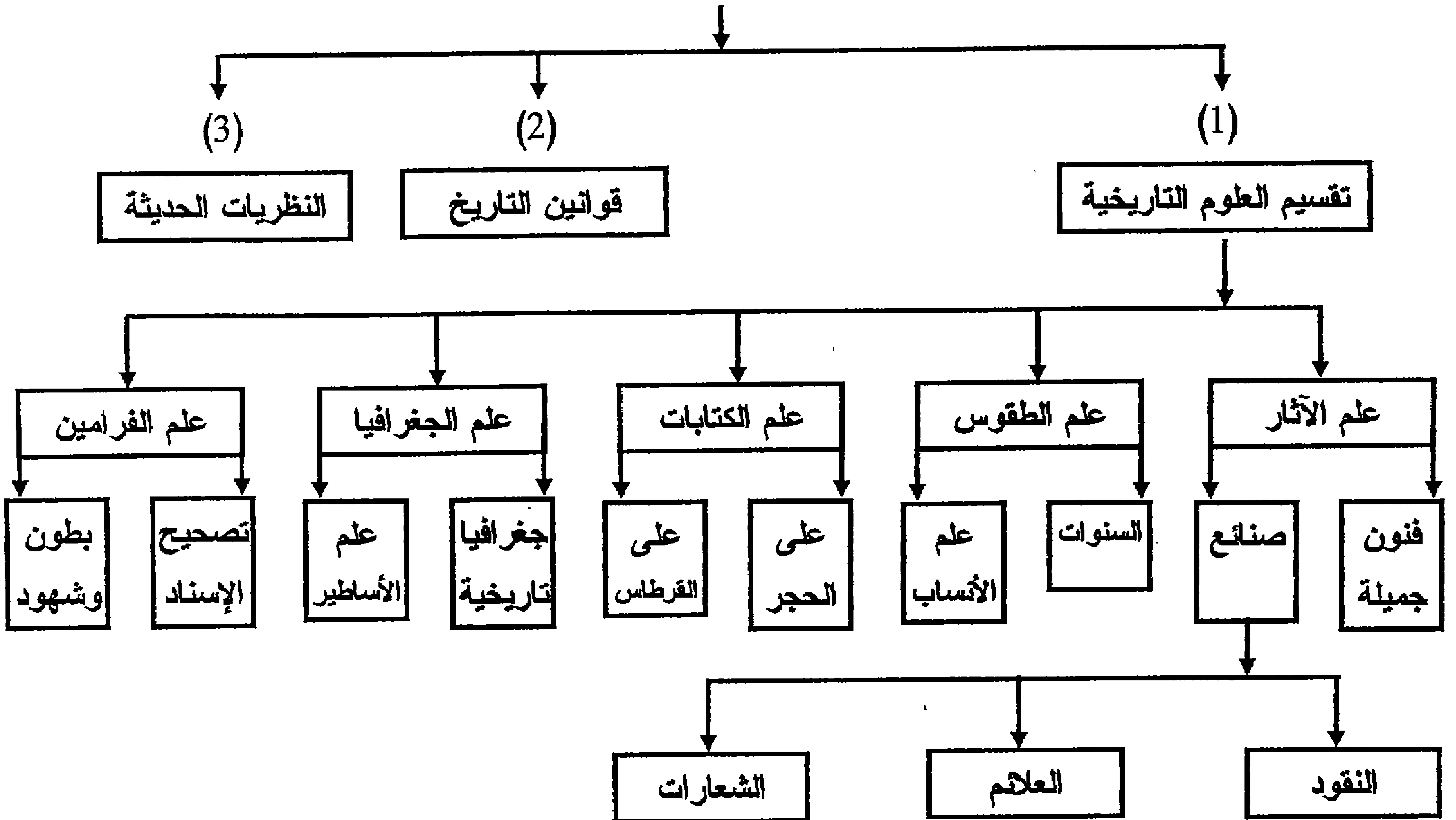
وعن المذاهـب الحديثة فـى فلسفة التاريخ بحسـب ماسينيون الذى يقسمها إلى ثلاثة أقسام :-

أ – تقسيم العلوم التاريخية .

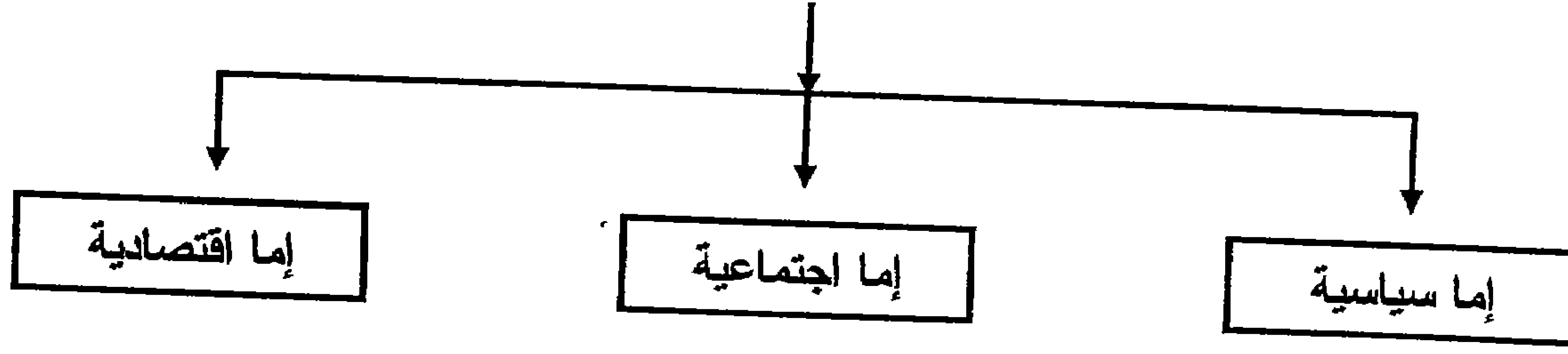
ب- قوانين التاريخ .

ج- النظريات الحديثة

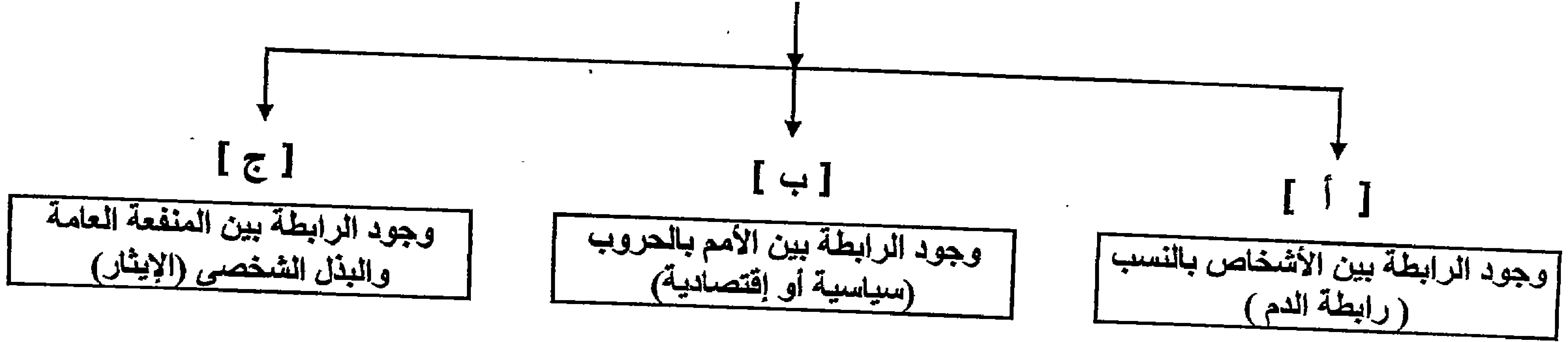
كما إن ماسينيون قام بتقسيم الحوادث التاريخية وعرض لنا أشهر المذاهب عن اللاإنسانية الحديثة ، ولقد آثارنا أن نقسم المذاهب الحديثة لفلسفة التاريخ طبقاً للشكل التوضيحى التالى :-


المذاهب الحديثة فى فلسفة التاريخ
(1)
تقسيم العلوم التاريخية
(2)
قوانين التاريخ
(3)
النظريات الحديثة
علم الآثار
علم الطقوس
علم الكتابات
علم الجغرافيا
علم الفرامين
فنون جميلة
صنائع
السنوات
علم الأنساب
على الحجر
على القرطاس
جغرافيا تاريخية
علم الأساطير
تصحيح الإسناد
بطون وشهود
النقود
العلائم
الشعارات

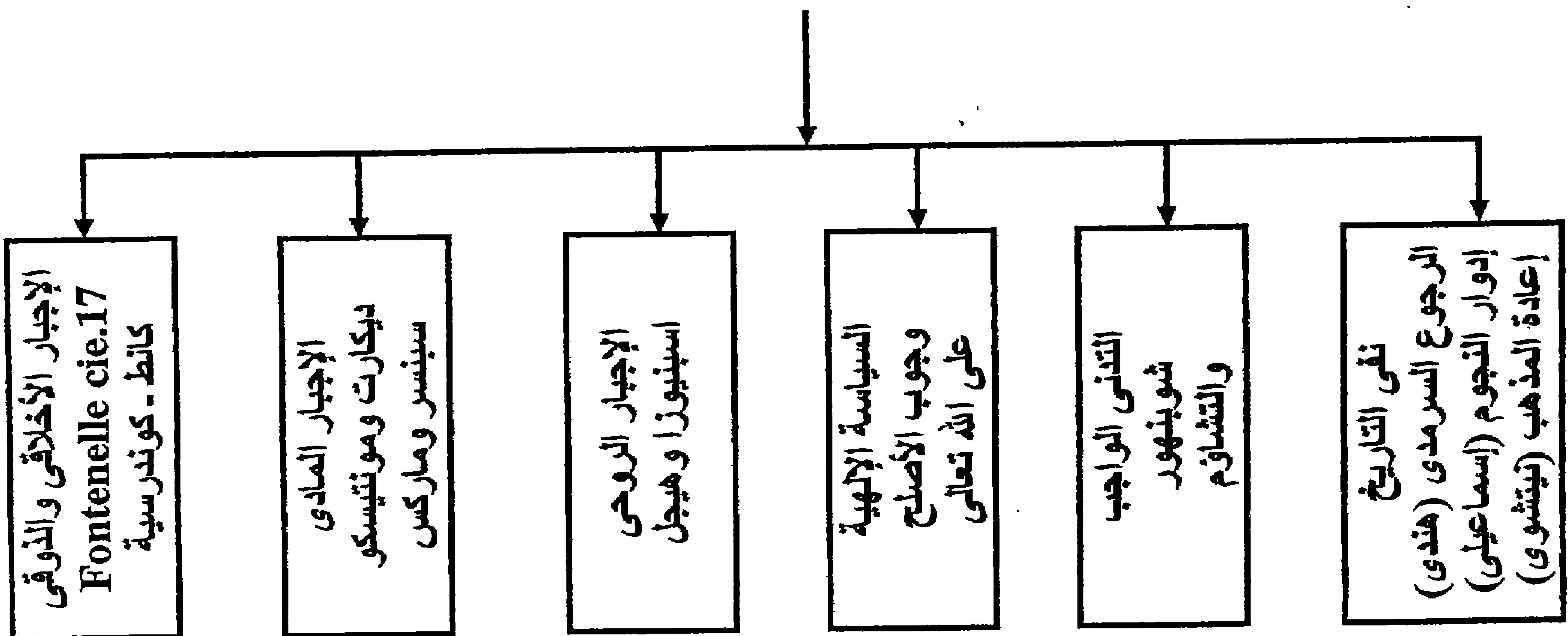
(1) أما تقسيم الحوادث التاريخية فهى



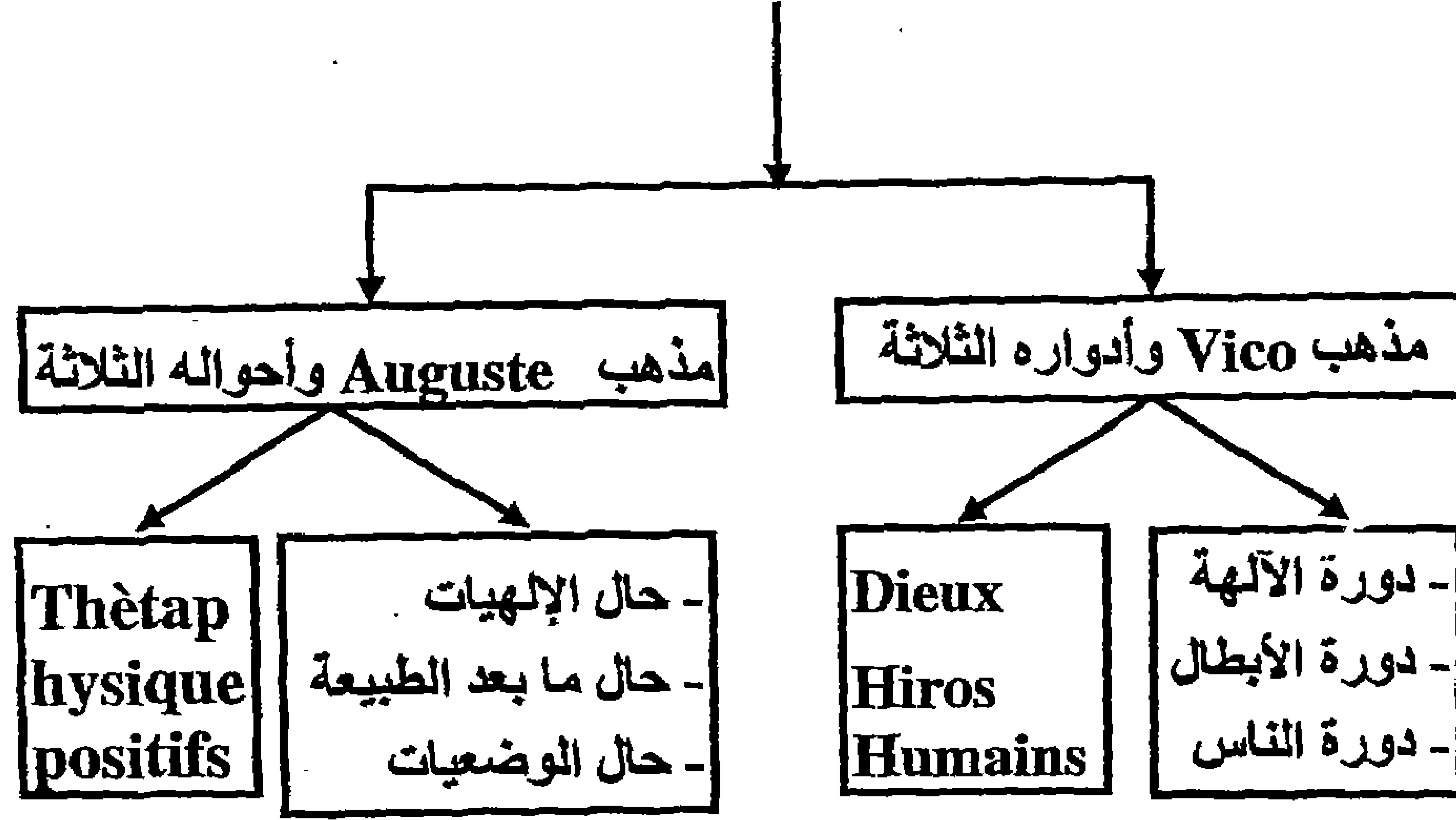
(2) أما تقسيم قوانين التاريخ وضروريته :-



(3) أما النظريات الحديثة فيقسمها ماسينيون إلى ست مذاهب طبقاً للآتى :



ويذكر ماسينيون إن أشهر هذه المذاهب
مذهبان عن اللإنسانية :-



ويقرر ماسينيون إن هذا التقسيم هو بعينه تقسيم أهل البراهين فى نظرية الفيلسوف المسلم العربى ابن رشد الذى يقسمها إلى :- العوام - المتكلمين - الخواص [143].

و - الكلمات - الإشارات - الأهداف :

وفى دراسة ماسينيون لمذهب الحلاج la doctrine de Hallâj فى بداية صفحات كتابه الضخم (la passion) وفى جزئه الثالث يقرر أنه سيعطى لنفسه الوقت الكافى لشرح المصادر والأنظمة الأخرى لعلم الكلام والفلسفة من خلال نسق المتكلمين والفلاسفة وأيضاً ليتحدث عن الحلاج ودوره فى تطور تفكير المسلمين فى محاله ، وهو بالطبع مجال التصوف وتحديداً التصوف الفلسفى ، وهذا ما تحدثنا عنه ، ولإمانة وصدق الفكر الأكثر دقة فى هذه الدراسة يقول ماسينيون : " إنه تخلى عن ما كان للرجل (الحلاج) من تجربة ووصف وشرح كل ماهو متصور ولم يقم - ولم يستطع - القيام بتتبع إنتاجه فى نفس الوقت ونقله إلى اللغة الفرنسية أو الثقافة الفرنسية وإثباتاً للحقيقة يقدم لنا ماسينيون بعض الملاحظات الهامة نذكر منها :-

أ - ان هناك شئ ما مشترك بين الكلمات التى قام بتلخيصها 00

Il y a quelque chose de commun entre les mots…

والأعمال التى جهزها وأعدها للبحث والدراسة وجد فيها صدق الموضوع المراد بحثه من قبل الحلاج ومطابقة معظم الخبرات

---

(143) المصدر السابق : ص132-135 . تعليق : علم الفرامين diplomatique ، هذا المصطلح يعنى بالفرنسية دبلوماسى أو ماهر أو كيس فطن بالنسبة للأشخاص ، ويعنى أيضاً: علم المستندات القديمة ، أما جمع فرمان ، والصحيح فرامانات ، والمقصود نصاً ودلالةً شهادة ومستند ومتن وتصحيح إسناد Critique des sources أى نقد المصدر ، وهذا ما يتوافر فى مؤلفات ماسينيون الأخرى بالفرنسية .

الصوفية لأغلب الأحاسيس الرفيعة des sensation التى تحددها الكلمات كقاعدة أساسية ، والتى قدمها لنا الحلاج فى كل وثائقه ومخطوطاته (144).

ب - ان هناك شئ ما مشترك بين طرق الأسرات والرموز التى تتيح لنا il y a quelque chose de commun entre les procédés de signalisation الأفكار بين الأشخاص كمقارنة ومماثلة العمليات المنطقية الفردية والتاريخ والجغرافيا فى العقل وإمكانية تصنيف الكلام ، كما أثبتنا ذلك أثناء عرضنا لآرائه وفلسفة التاريخ والنظريات الحديثة .

ج - ان هناك شيئ ما مشترك بين الأهداف (الغايات) المسيطرة التى تدفع الارادات البشرية إلى التوحد (الأتحاد) أو التضاد il y a quelque chose de commun entre les intentions مثل قدرة الإرادة المستمرة المعتمدة على الإختيار ، وحرية الإرادة فيما يخص الدوافع التى تكشفها الذاكرة والتى يقارن بينهما العقل كواقع تاريخى لكل شخصية {Comp. Le monisme dit socilogique }.

ونلاحظ ربط ماسينيون بين كل ماهو مشترك فى ثلاثة أشياء : الكلمات - الإشارات - الأهداف . وإستخدامه الوقائع التاريخية لكل شخصية ، وهذا ما نراه واضحاً فى دراسته للمنحنى الشخصى لدراسة حياة الحلاج .

- وفى النهاية يضيف ماسينيون تصوره فى إن العنصر الاجتماعى الصرف (البحث) الذى يجب ان يخلصه "علم الاديان المقارن " science comparative des religion من كل حالة تم دراستها حى تتيح

L.M.: La passion .. To.3 – PP. 8-9. (144)

المقارنة ، إنه العنصر وليس هو المصطلح (القاموس الديكورى) للأحداث ؛ أو الموضوعات الفلكلورية أو مغامرات يتم فرضها على كل إنسان تماماً مثل : الميلاد ، الألم ، والموت.

La naissance – la douteur – la mort, (cela, c'est l'affeire des philologues sens stricto).

- وانه ليس بتصنيف بيانى نظرى للمشكلات أو المشاركات العامة الفلسفية التى تُستخلص منها بالضرورة كالإبداع أو الخلق أو المغفرة أو الرحمة والعدل (المحاكمة طبقاً للنص الفرنسى) .

Comme la création, l'expiation, le jugement

[cela, c'est l'affaire des logiciens et esthéticins]

ولكن النظام الذى تم فيه طرح هذه التساؤلات وتم حلها بهذه الطريقة أيضاً يتم معرفة أو (تذوق) الغاية المسيطرة لمذهب ما من خلال الاحتمالات ، مذهب ما ، غرض ما ، هدف ما ، وعلى هذا فهو فقط كل ما يهمنا وبطريقة جازمة قاطعة هو كـــل ما نحن ذاهبين إليه فى الحقيقة (145) . وهذا المنهج الفلسفى هو ما طبقه أثناء دراسته الصوفية الفلسفية لشخصية الحلاج والتى من خلالها استطعنا ان نتعرف على جهوده فى الفكر الفلسفى الإسلامى .

---

(145) Ibid : P. 10.

وتلاحظ لنا أثناء قراءة كتاب ماسينيون الهام عن الحلاج وجود صفحة مصورة من مخطوطـة : منطق الأسرار لروزبهان البقلى شارح الطواسين للحلاج ، وكذا صفحة مـن نهايـة الطواسـين للحلاج ، فى جواب أهل العـشق الإلهـى حـسب الحـلاج (لوحـة 35 – planche xxxv – مسطرتها 31×11 سم. نسخ فى سنة 660هـ /1261م) ، ويقرر فيها الحلاج إن التوحيد مـن صدق لسانه بالمعرفة ..إلخ . وقد ضمن الكتاب أيضاً بعض الصور النادرة فى طبعتها الحديثـة – لماسينيون على مراحل سنوات عمره ، وصور للحلاج وهو مصلوب أثناء محاكمته وغير ذلك .

3. **ماسينيون والمجتمع الإسلامي** :

لقد عاش ماسينيون المجتمع الإسلامى بكل زخمه وتوجهاته ، ويرى البعض أن الفترة التى قضاها ماسينيون فى محيط المجتمعات الإسلامية (سُنية وشيعية) تعادل – أن لم تتجاوز – الـ ة التى قضاها فى باريس مسقط رأسه ومن هنا كانت رؤية ماسينيون وجهوده فى تحليل ونقد المجتمع الإسلامى – رؤية ذات دلالة عميقة من مستشرق أنصف الإسلام والمسلمين فأحبه كل المسلمين .

وذكرنا من قبل أنه كان يلقى دروس ومحاضرات فى الكوليج دى فرانس بباريس يومى الأثنين والاربعاء ، وأحياناً كان يطلق عليها دروس السبت حسب ظروف سفره وتواجده من وإلى باريس ، وكان يلقى هذه المحاضرات لطلاب الدراسات العليا ، وسنعرض لأهم نماذج لبعض الموضوعات التى تمس الفكر الإسلامى مترجمة إلى اللغة العربية :-

1- فى عام 1920 ألقى ماسينيون دروس عن علم الإجتماع الإسلامى وتحدث فيها عن تشكيل النسق الإسلامى عارضاً للنسق بشكل مفصل خطوة خطوة [pas à pas] ولمقاييس القيم الخاصة بالمجتمع الإسلامى والتى شيدت بالتدريج بواسطة نخبة ممتازة من المسلمين ، بعد ان صادفوا بعض العقبات فى طريقهم وبعض خصوصياتهـم ومنها اللغة العربية ذات القوالب الكلاسيكية القديمة والنصوص القرآنية la langue arabe comme Instrument de classement, le texte caranique التى تعتبر مصدر الإستدلال والبرهنة ولقد مثل سيدنا محمد ﷺ القاعدة الأساسية لحركة المجتمع الإسلامى كما يذكر ماسينيون ، وخاصة فى ترسيخ الأفكار لأنه يعتبر من أحسن الشخصيات الإسلامية فى تحليل وتكوين البناء التاريخى والسياسى للأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامى .

2- وألقى ماسينيون محاضرته الثانية عن : رجـــال وأفكـــار فى كتابات المسلم المعاصر وخاصة فى البلاد العربية أثناء الحرب La guerre .

3- ثم واصل ماسينيون الكتـــابة عن الإســـلام وبرهـــن ورصـــد النسق الإجتماعى للمسلمين وجغرافية العالم الإســـلامى بعد الحـــرب (146).

4- وفى عام 1922م وفى معرض الحديث عن صورة المجتمع الإسلامى ألقى ماسينيون محاضرة بعنـــوان : وجـــه الإسلام العقلى [le front musulman actuel] وكان قد بحث الموضوع بمساعدة سلسلة من الخرائط التشخيصية لخط سير الإسلام وإلى اين ذاهب؟ وذلك داخل شبكة العلاقات والاتصالات مع أوساط من العقائد والوجوه الأخرى مثل:

أ – الوجه الأفريقى وصورة المجتمعات الإنمائية Animistes

ب – الوجه الهندى وصورة الديانة الهندوسية L'hindouisme

ج – الوجه الأوروبى الأناضولى وصورة الديانة المسيحية Chrétiens د – الوجه الذى يمثل الشرق الأدنى وصورة الديانة البوذية Bouddlisme

وهذه الدراسة الخرائطية Cartographique أجيزت بعد ذلك وأعيد النظر فيها مقارنة بالمظاهر المحلية لتوافق الإسلام وتتكيف مع الاختلافات العرقية والأقلية المقهورة ولإنجاز الملاحظات السيكولوجية للجماعة وتجنب تسرب الأفكار الأجنبية فى العالم الإسلامى ، ويقرر ماسينيون ان هناك حالات فردية أهتدت إلى الإسلام .

– ولقد أكمل ماسينيون فى اليوم التالى من خلال دروس السبت Les

---

(146) L.M.: Annuaire du collége de France vingtième Année – E'ditons Ernest Lroux Paris – 1920 – 1921 – PP. 70-78.

محاضرته leçons du samedi ضارباً نموذجاً خاصاً لما قاله بالأمس بفرنسا ، عارضاً لوضع مجتمع بلاد المسلمين فى المحيط الفرنسى (147) De Zone Françaiseونراه اليوم محقاً فى ذلك لأن المحيط الفرنسى بقوانينه وعدالته وسماحته وحريتــه ومه 'راته يقبل التعددية وكل الوجوه على أرضه ولقــد لمسنــا ذلك بالفعل .

5- وفى عام 1928م ألقى ماسينيون محاضرة بعنوان : تاريخ إثبات العقائد الدينية فى المجتمع الإسلامى (فى الداخل وفى الخارج) - عارضاً لمصطلحات النظرية والندوات والمحاولات والحوارات الدينية مــع رفقاء العمــل فــى البلاد الإسلامية .

« l'histoire de l'appologétique musulmane au dedans et au dehors, sa terminologie théorique et les coloques des ses controversistes ». (148)

وقد طرح ماسينيون رؤيته لقوائم الموضوعات المترجمة من هذه العقائد والبيانات وبحث منهجهم فى المقدمة التى كان ينحو نحوها كثير من المسلمين أنفسهم من السُنة والشيعة الإمامية والمهدوية وعلماء الكلام والفلاسفة والصوفية وقد وجد هذه الرؤية لدى كثير من المسيحيين والإسرائيليين (هكذا فى النص الفرنسى Israélités) والهندوكية والمزدكية والإحيائية Animistes (وهو مذهب حيوية المادة والإعتقاد بأن النفس هى مبدأ الفكر والحياة العضوية فى وقت واحد) . وجدير بالذكر أن ماسينيون أشار فى إحدى محاضراته السابقة لتلك - إلى وضعية النخبة فى الدفاع الدينى عن الإسلام خلال دراسته لتاريخ الأفكار لمجتمع الإسلام . l'histoire des ideés ، ولقد كان ماسينيون

Ibid : vingt – Deuxième Année. PP. 91-92 . (147)

Ibid : 28 Année P. 42 . (148)

يلقى دروسه ومحاضراته يومى الأربعاء والسبت من كل أسبوع أو كل أسبوعين حسب ظروفه ، ونظراً لكثرة أسفاره إلى البلاد الإسلامية ، وكان يلتقى مع رفقاء العمل وزملاء المهنة فى البلاد الإسلامية فى ندوات ومحاورات دينية ويتعرف على النخبة فى أغلب بلاد الإسلام .

6- فى عام 1931م وفى دروس الأربعاء كرس ماسينيون محاضرته عن الإتصالات والنزاعات فى التصوف المقترن بالحب والأنس فى تاريخ الفكر الإسلامى ، وهنا نجده يقول : " إنه يعد إختبار المحاولات الأولى لصياغة الإستبطان الصوفى (149) والعلامات المانوية – الخير والشر والنور والظلمة – والآثار الأولى ، وإستذكار الأحداث الرومانسية الماضية المتقدة ذات الشأن عند الشعراء العرب المتحضرين (ساكنى المدينة) – أجاز جملة من الدروس وسمح لنفسه تحليل نص غير منشور عن كثب من كتاب الزهراء (لأبن داود ت 909م) وهى نصوص لطيفة t.exquis عبارة عن نوع من أنواع كتب الصلوات فى الحب والأنس الصوفى فى المجتمع الإسلامى ، والتى كنا قد أشرنا اليها وإلى أهميتها منذ عام 1914م كما يذكر ماسينيون والشذرات التى قد نشرنا بعضها منذ ان شرعنا فى مشروع الترجمة الإنجليزية لزميلنا Nykl من شيكاغو Chicago كشكل من السمو المرجو فـيه من وجهة نظر متقاربة بالنسبة لروائى العصور الوسطى الرومانسية (150) ، ونلحظ ان دروس ماسينيون كانت تقوم على الأصول والجذور الأولى ، إزدهار وإضمحلال الرمز العشقى للحب فى الشعر الإسلامى الصوفى "الرمز

(149) الإستبطان l'introspection عملية تشاهد بها الذات ما يجرى فى الذهن من شعور لوصـفها لا لتأويلها والمعلوم أن الصوفية لديهم تأويل رمزى وإشارى وباطن وظاهر .

(150) L.M.: Annuaire du collége de France –31 Annee. PP. 90-91.

Symbolisme الذى أوضح من أجله وجهة النظر الإسلامية المعاصرة شكلاً متعالياً ونفوراً متزايداً "[151] .

وفى النهاية يقدم لنا ماسينيون دليلاً للوحدة الحقيقية للمجتمع الإسلامى ، وهى القبول بكتاب واحد تحت نص واحد .رواية واحدة هو القرآن الكريم ، وان الإسلام هو فى المقام الأول القبول بالقرآن الكريم قبل أن يكون تقليداً للرسول محمد ﷺ ، وهو يختلف فى ذلك عن المسيحية التى هى تقليد للمسيح قبل ان تكون قبولاً بالإنجيل [152] ، ولقد حقق ماسينيون أعمالاً عديدة للقرآن تحليلاً وتفسيراً كما سبق القول ، سواء من خلال التفسير الدقيق لبعض الآيات القرآنية ، ومن خلال نظرته النقدية التحليلية ، وهذه توجد بـــدأ من جهوده فى مؤلفه : فحص حاضر الإنسان المتأدب (1917) وخاصة وبشكل أساسى فـــى جهوده وعمله عن هجـــرة إسماعـــيل (1935م) ، وكذلك فـــى حـــواره فى راديـــو باريـــس تحت عـــنوان : " موقف الإسلام " (1939م) ، هـــذا بالإضافة إلى مؤلفه الضخم الموسوعى عن آلام الحلاج la passin والذى أكد فيه على أهمية التأويل القرآنى فى فكر الحلاج ككل مسلم بدأ يجمع مجموعة من التعريفات الموجبة التى منها : المعجم الدينى وهو القاموس الوحيد الذى يتناول المؤمن فى أرض الإسلام ومجتمعه ، ونص الكتاب (القرآن) والذى يعتبر أساس فى كل علوم الإسلام مع تنظيم الخبرة ، والشرح والتفسير وتقدر أى حدث وفعل فى الأحاديث النبوية الشريفة التى تعتبر مظهراً للإرادة ومجموعة من معايير الحياة العملية [153] فى المجتمع الإسلامى .

---

(151) Ibid : P. 91-92.

(152) Pierre (R): L.M. et l'Islam.. P. 34

(153) Ibid : P. 38..

تقييم ونقد :

أتضح لنا أن ماسينيون عاش فى بلاد كثيرة تدين بالإسلام ؛ عاش العالمين العربى والفارسى ، عاش العالم العربى (العراق / مصر / بلاد المغرب) عاش العالم الفارسى (إيران) ما عاش العالم التركى أيضاً ، ومن هنا نجده وقد أكد على عالمية الإسلام Supranationalite l'Islam ، وتحدث بكل حب عن الإمام الحسين ﷺ شهيد كربلاء ورفاقه ، وسلمان بك (الفارسى) وفاطمة الزهراء ، وركز على الشيعة فى مؤلفاته ومحاضراته ، وكذا بقية الفرق الإسلامية وتحدث عن التصوف والصوفية والحياة الروحية فى بلاد الإسلام ، فكان من أكبر المبشرين والمستشرقين ، ولقد لعب دوراً هاماً فى حركة السياسة والمجتمع ، كما تحدث ماسينيون عن فلاسفة الإسلام الكبار من أمثال : الفارابى وابن سينا فى المشرق العربى ، وابن رشد فى المغرب العربى .ومن هنا نجده وقد أشار فى مقدمة كتاب د. إبراهيم مدكور La place d'al-Farabi dans l'Ecole philosophique Musulman – إلى أن الفارابى – المعلم الثانى – فيلسوف يعتبر أول مفكر مسلم بكل ما فى الكلمة من معنى [154]. وكان د. مدكور قد أوضح فى دراسته منزلة الفارابى فى المدرسة الإسلامية والفلسفية .

ومن ناحية أخرى يُنهى هنرى ماسو كلمته عن ماسينيون فى الـ Mélanges قائلاً : " .. إذن فماسينيون بحث وأختار العقل والحقيقة والتفكير الخالص ولم يخش الخوض فى موضوعات ودراسات تكاد تكون خطيرة فى الحقل الإسلامى وعمل دراسات فى العقائد والتكوين والتشكيل والبناء والتأليف للعالم الإسلامى القديم (الإسلام المبكر) وبذل جهوداً فى تطور

---

(154) Madkour (A-B): La place d'al – Farabi dans l'Ecole philosophique Musulmane – Paris – 1934.

الإسلام ومطالبه اليوم" (155) .

أما بيير Pierre.R فيذكر فى خلاصة كتابه عن ماسينيون والإسلام ان الخصوصية الواضحة لماسينيون هو أنه ربما كاد أن يحدث ثورة الإسلامولوجىde révolutionner l'Islamologie ، وهو ما شهدت به الكنيسة آنذاك ، والـــذى يجعـــله دون أدنــــى شك المستشرق الأكثر أحتراماً لدى العالم الإسلامى .

L'orientaliste le plus respecté par le monde Musulman.

حينئذ يتضح لنا النقاط الأساسية التى يمكن أن تكون نقطة الإرتكاز فى أعماله .

– يستثنى منها الجانب الإبراهيمى – نجد أنها تتعلق فى الشخصية تماماً ومكوناتها كشخصية وأسطورة (الحلاج) وشخصية واسطورة (فاطمة) وسلمان بك فى الدراسات الإيرانية أو السبع نيام – أهل الكهف des sept dormants ، ومع تحفظنا على جعل شخصية فاطمة رضى الله عنها أسطورة !! فإن كل من هذه الجهود كانت تربة خصبة للدراسات التى كانت مجهولة تماماً من ذى قبل – ونرى إنها لم تكن مجهولة ، بل كان هناك نوعاً من الحرج من تناول بعض الموضوعات ذات الحساسية ، وهو ما كان يخالف الرأى العام السائد والأكاديمى أيضاً ، ومع ذلك وإنطلاقاً من الأحداث السائدة فى مصادر الكتاب المقدس للإسلام (القرآن) والأورثوذكس السنى l'orthododoxie sunnite والصوفية ، ولقد جدد ماسينيون بشكل كبير المقاربة العلمية ، ولربما قام بإعادة تقييم موضوع أبحاثه ، ولكن هذا الجانب

---

(155) أنظر فى ذلك : مقدمة هنرى ماسو H.M) .) فى :

Mélanges- PP. X11 - X111 :.L.M –

الذى أستوحى منه يتعدى ذلك بكثير . ولربما أيضاً أراد ان يفرض على الإسلام صورة مثالية une image idéalisée حيث يفتقد للبعد الأكثر معاصرة ولكنه يستحق أن يكون قد أحتفظ لنفسه فى بناء التشكيل التاريخى بالجانب الروحى.

- ولربما كذلك كـــان تأثيره الحقيقى يقـــوم على الأكثر فى مكتسباته العلمية des acquis scientifiques ، وتلك التى تُعد من جانبه أحاسيس أو قراءات حديثة ولقد أنطلق ماسينيون قبل كل شئ من معاول البحث وحوافزه [156] ، فكان بحق باحثاً للتراث الإسلامى لايشـــق لـــه غبار . إذن يمكن لنا القول بإن كل الصور التى قدمها ماسينيون بداية من سيدنا إبراهيم وإنتهاءً بسيد محمد ﷺ والعرب والمسلمين – كانت صلوات فى محراب الله ورفع قيمة الروح .

وانه على الرغم من الغموض الذى أُحيط بماسينيون فنستطيع الذهاب إلى أنه كان الرائد الذى ساعد وأخـــذ يعمل لحساب الغرب فى الشرق والإسلام ؛ وله إسهامات وجهود لايعرفها الكثيرون ، أو يعرفوها ولكن غير مقدرين لـــه ذلك – إلى ذلك الحين – كما يذهب بيير Pierre – وهذا رأى مؤلف فرنسى يعيش فى باريس وعاش أيضاً فى بلاد عربية إسلامية – ورغم كل ما ذكرناه عن جهود ماسينيون – مازال التقدير والتقييم المناسبين له لم يصله بعد – ولكن يمكن القول بإنه :-

1- الشخصية الرسمية للإسلام والتصوف الإسلامى فـــى الغرب ، وأعماله تعتبر المحاولة الأولى فى الغرب فى إعادة الروحانيات فى التصـــوف غير المسيحى d'un mystique non chrétien

---

(156) Pierre (R) : L.M. et l'Islam – PP. 144-145

2- ساهم ماسينيون فـــى تكـــوين الذهنية الإســـلامية فى عالميته dans sa globalité وأحساسه بتكوين عقيدة المسلمين من خلال دروسهم الدينية .

3- عمل على التقارب فى العبادة والنسك ، والتلازم الروحى بين عقائد المسيحية والإسلام الشرقى ، ووفق بينهما وأصلح ذات البيِّن بشكل نهائى Réconciliation final [157].

ونرى ان الطريق مازال طويلاً فى هذا الصدد ، وقد كتب Guy فى ذلك عن الإسلام والمسيحية بحسب رؤية ماسينيون [158]، وكان لنا أيضاً محاولة فى ذلك من خلال الحوار بين الإسلام والمسيحية – محاولة نحو فهم الآخر ووضعنا للحوار شروطاً وضوابط يجب ان يلتقى عندها الطرفان [159].

4- نـــادى ماسينيون بضرورة الأخـــذ فـــى الحســـبان المذاهـــب الأبتـــداعية doctrines hétérodoxes أو الباطنية ésotériques ومعاملتهما حينئذ بلين الجانب .. وهكذا أيضاً فى العقائد الفولكلورية والأساطير الشعبية Folklores وهى تلك التى تمارس لدى الطرق الصوفية فى بلاد الإسلام .

5- فى عرضه للفرق الإسلامية رسم ماسينيون لوحـــة لكافة فرق الشيعة ، مع توضيح قائمة المذهب ومجتمع الأقلية ومشروعيتها عائداً من مهمة فى فارس والعراق وسوريا (بلاد يوجد بها شيعة) وكان من الممكن

---

(157) Ibid : P. 147

(158) أنظر فى ذلك تفصيلاً :

Guy (H): Islam et christianisme selon Louis Massignon, préface de Y.Moubarac, louvain, éd. de louvain, la neuve. Paris – 1981 – PP. 80-83.

(159) د. صابر أبا زيد : الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية – محاولة نحو فهم الآخر – دار الوفـــاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – الطبعة الأولى – 2000م..

وضع نقط لتوضيح وشرح ملخص فعلى للوصف الجغرافى والتوثيق البيليوجرافى للفرق الإسلامية ، وخاصة الشيعة وعقيدتهم – وسيكولوجيتهم تجاه شهداء كربلاء وتحدث بعد ذلك عن الزيدية كفرقة شيعية فى اليمن والهند ودورهم فى " ور العقائد الشيعية حتى عضر النهضة والوقت الحاضر. هذا بالإضافة إلى الإسماعيلية المعتدلة والغُلاة ودورهم فى الغُنوص Gnose [160]، وهذا أيضاً ما نجده عند المستشرق الفرنسى هنرى كوربان .

6- وإذا كانت رؤية الأغلب الأعم من المؤرخين العرب والمسلمين ، بل وبعض علماء الكلام والفقهاء وفلاسفة الإسلام والتصوف الإسلامى – فيما عدا الغزالى – لتصوف الحلاج بأنها تدخل ضمن إطار التحريم والكفر ، وأن ما قالوا به وفعلوه هو الصواب وإن الخطأ من الحلاج بما قاله ونطق به وباح بسره من خلال آراؤه وشطحاته المتجاوزة لكل حدود المنطق والعقل بل الدين والعقيدة أحياناً ، فإن القراءة الأولية للتصوف الحلاجى بحسب ماسينيون نجده يدافع عن الحلاج ضد هذا التوجه التحكمى بما يسمى باللاهوت العقدى théologie dogmatique [161].

7- حاول أن يثبت الموازاة بين سلمان الفارسى وبين أبى الخطاب الأسدى ، ويرى أن الأمامية وهم بصدد تأمل رسالة سلمان افترضوا صحة القول بإن روح التأويل التى تفتح لنا معانى الكتاب تمتاز سمواً وعلواً من الروح – جبريل !! – التى نزلت علـى سيدنا محمد ﷺ ، وذلك لأنهـا – من وجهة نظره – روح الأمر المذكورة فى القرآن كتاب الله وهى نوع من الفيض الإلهى يحقق تدريجاً مقاصد الله

L.M.: Annuaire du Collège de France – 31 Année. P. 91. (160)

L.M. : la passon .. To.2. – P. 81 (161)

الخفية ، وغُلاة الإسماعيلية يقولون إن سلمان من أهل البيت وكان أبو الخطاب مولى بنى هاشم وسلمان ممثلاً لدور السين وكذلك اعتبروا أبو الخطاب ممثلاً لها !! وماسينيون كما نرى - أزكى روح الغُلاة برؤيته لشخصية سلمان التاريخية التى أُدمجت فى النموذج الإلهى الأعلى الذى تجسدته زمناً ، والذى سيسمى من بعد باسم " سلسل " كما قلنا من قبل - أو بأول حرف منه وهو السين ، ومن خلال نظرية خماس المباهلة - والتى ذكرناها - يحاول ماسينيون ان يجعل من أبى الخطاب الأسدى فى عقيدة الشيعة - صورة أخرى من سلمان الفارسى ذى الصورة الشيعية أيضاً . وأنه أدرك قبل الأسماعيلية والدروز فكرة العين والميم والسين . وهى فكرة غُنوصية مفرطة فى الغلو.

أ- العين ⟵ النموذج الأول للإمام ومثاله آدم فى مسألة السجود والإمام على فى غدير خُم

↓

صامته ⟵ يتربع فى الوسط ، ساكناً صامتاً مستوراً عتيداً مثل أمر الله

ب-السين ⟵ عند غُلاة الشيعة هو المعنى الذى يضعه الله فى مركز الجماعة .

↓

سلمان ⟵ النموذج الأول للأسباب ، وهى الروابط الخارقة التى تربط بين السماء والأرض.

ج- الميم ⟵ هو النموذج الأول للنبى محمد (ﷺ) فاطمة ينشرون دعوته والأوامر الالهية .

8- جمع فى كتاباته وأبحاثه بهذا الخصوص أقوال الإسماعيلية المتأخرين وأقوال الدورز والخوارج والعليائية وكذا النصيرية ، ونرى أن الصورة التى رسمها ماسينيون لشخصية سلمان ثم أبى الخطاب فيما بعد بهما أصباغ وألوان غالية بعيدة عن الصـورة الحقيقية لهذا المهاجر فى الصحراء من فارس وراء الحقيقة ولقد تناسى صورة أخرى لسلمان هى صورته السُنية وأظهر فقط صورته الشيعية وتجاهل كثيراً من الحقائق التاريخية عن هذا الصحابى الجليل – كما تصيد ماسينيون فكرة عبادة الميم والعين والسين أى فكرة عبادة محمد وعلى وسلمان ووضعها فى قالب مسيحى وحـــاول ان يفرضها على آراء الشيعة الغُلاة – وهو فى هذا – وفى دراسته للحلاج أيضاً والسهروردى وغيرهم كان متأثراً بعقيدته الكاثوليكية التى سيطرت على أبحاثه ، وهذا لايقلل من جهد الرجل ولقد تصدى بقلمه للفرق الغالية والشخصيات الأكثر جدلاً ، درساً وشرحاً وتحليلاً ونقداً سواء فى محيط الفكر الفلسفى أو الصوفى أو الكلامى ، كما وجه أنظارنا إلى نظريات الفرق الكلامية الغالية مثل نظرية التبنى الروحى ونظرية الإمامة المستقرة والإمامة المستودعة ، رغم خلط ماسينيون وبعض من أخذ بفكرته بين نظرية التبنى الروحى ونظرية الشيخ والمريد ، وفى النهاية هى نظرية خاطـــئة لايـــرضى بها أهـــل السُنة والجماعة .

* * *

خاتمة وأهم النتائج :

وختاماً لهذا البحث أعترف بداية أن كل ما كتبته عن المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون لايعادل جهده الـ ـبر وكتاباته المتنوعة فى شتى المجالات وان كان الإسلام ودراسة الفكر الإسلامى هو الذى يمثل محور إثبات الشخصية الذى يدور حوله مصير حياة ماسينيون نفسه . وعلى كل الأحوال فإننى بعد عرض التعقيب والتقييم والنقد أود أن أعدد بعض أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال دراستى :-

1- ان لويس ماسينيون يختلف بلا أدنى شك عن بقية مستشرقى أوروبا والعالم أجمع ، وإن خسارة الدراسات الإسلامية والفلسفة الإسلامية تحديداً بوفاة ماسينيون خسارة لاتعادلها خسارة ، فهومن المستشرقين فى مكانة لايقارعه فيها إلا نولدكة ونللينو وجولدتسيهر ويمكن ان نضع بجواره مونتجمرى وات الأنجليزى ، ولقد أمتاز ماسينيون عنهم كما يذهب د. بدوى - بنفوذ النظرة وعمق الإستبطان ، والقدرة على إستنباط التيارات المستورة وراء المذاهب الظاهرة والأفكار السطحية .

أضف إلى ذلك إن مزاجه الشخصى عامر بأعمق معانى الروحية الإسلامية وأهتم بكل المشاكل العصرية فى البلاد الإسلامية وبتاريخ النظم الإجتماعية والسياسية فى الإسلام بالإضافة إلى جهوده فى الحوار الثقافى بين الإسلام والمسيحية .

2- إن رؤيته للإسلام بدأت تتضح باعماله عن الحـلاج والتصوف والشخصيات القلقة ، وإذا كانت هناك خطوطاً حمراء لايجرأ أحد ان يتجاوزها ، فإن ماسينيون أقتحم هذه الخطوط بكل شجاعة.

3- أرتكزت دراسته على مصادر التوراة حول الإسلام وسيدنا إبراهيم عن

طريق سيدنا إسماعيل من خلال مفهوم الضيافة المقدسة .

4- أسقط ماسينيون الكثير من الأفكار الراسخة فى أذهان الغرب – بشهادتهم – والمتعلقة بالإسلام (السُنى والشيعى والصوفى) .

5- أقر ماسينيون بالوحى المُنزل (من الله تعالى) على سيدنا محمد ﷺ بالقرآن الكريم كتاب المسلمين المقدس . وكان يرى فى الإسلام ديناً صحيحاً وحقيقياً لــــه دوراً مهماً فى تاريخ الوحى بصرف النظر عن تجليات الأولياء الالهية .

6- منهج ماسينيون كان مخالفاً لمعظم مناهِج المستشرقين الذين ذكرناهم فى البحث فكان يعتمد على المنهج الاستبطانى الذاتى ويعتمد على فلسفة الأخرويات التى لاتأخذ بعين الاعتبار إلاَّ علاقات الانسانية بالسمو الإلهى ، ومن هنا كان له مكونات وشروط لدراسة شخصية ما ، مثلما فعل مع الحلاج وغيرهم من المعذبين .

7- ان تأثير ماسينيون كفيلسوف وعالم فى ميدان الدراسات الاسلامية لايقيم وكان قلب النظريات المتعلقة بالإسلام كنظرية التبنى الروحى لدى الإسماعيلية والدروز والشيعة الغُلاة مما يتمشى مع موقفه ، وقد أثر ذلك فى المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى كما فتح الحوار الإسلامى/ المسيحى بشكل متعقل متفتح .

8- وأخيراً يعترف له المسلمون بالجميل والإمتنان والحب والود كمستشرق معتدل / مثقف / ملتزم ، ولإلتزامه الذى كان يشبه إلتزام غاندى الزعيم الروحى للهند ولاسيما فى السنوات الأخيرة من حياته إذا كان يدافع عن قضاياهم فى فلسطين – والمغرب والجزائر .. إلخ .

ومن هنا – وكما رأينا تقام له المؤتمرات حتى اليوم فى ربوع العالم وخاصة فى فرنسا.

هوامش وتعليقات وتحليل مصادر :

(123) أخوان الصفا وخلان الوفا : الرسائل – عُنى بتصحيحه خير الدين الزركلى – أربعة أجزاء فى مجلدين – دار صادر – بيروت – لبنان – 1949م – ج1 – ص84 (ولقد كتبت بإفاضة عن إخوان الصفا وخلان الوفا ومصطلحاتهم ، وعن الحدود والرسوم الفلسفية لديهم– أنظر فى ذلك : د. صابر أبا زيد : فكرة الزمان عند إخوان الصفا – دراسة تحليلية نقدية – تقديم د. عاطف العراقى – مكتبة مدبولى – الطبعة الأولى – 1999م – ص 111 وما بعدها).

* * *

المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر

(من مؤلفات لويس ماسينيون)

Louis Massignon :

1- Château d'al – Okhaider, Relevés archéologiques le Caire, Même 28, institut Français d'Archéolgie orientale – 1910.

2- Le voeu et le destion : " un voeu et un destion, Marie Antoinette, reine de France », lettres Nouvelles, Paris – 1953.

3- Mélanges, publiés sous le partonage de l'Institut d'E'tudes Islamiques de l'université de Paris et de l'Institut Français de Damas – To. 1,2,3, - Damas – 1956.

4- Le Château d'Al – Okhaider, Opéra Minora, textes recueillis classés et présntés avec une Bibliographie-par Y. Moubarac, liban, To. 3-1956.

5- La passion de Husayn Ibn-Mansûr Al-Hallâj mortyr mystique de l'Islam, exécuté a Bagdad le 26 Mars 922 – E'tude d'Histoire Religieuse, Nouvelle E'dition, 4 tomes – E'di : Gallimard – Paris – 1975.

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب الهام 1922م

6- Essai sur les origines du lexiqne technique de la Mystique Musulmane – Paris – 1954.

7- Parol donnée–introduction de vincent Monteil, Dossiers des « lettres Nouvelles» julliard – Paris 1962

وهناك طبعة أخرى حديثة نشرة le seuil بباريس أيضاً 1983م.

8- Opéra minora, textes recueillis classés et présntés avec une bibliographie. Par. Y. mouburac Beyrouth – 3 volumes – 1963.

9- Akhbàr Al-Hallâj, recuil d'oraisons et d'exhortations du martyr mystique de l'Islam, 4e, ed . vrin – Paris – 1975

وتوجد طبعة أولى بالإشتراك مع بول كراوس1936م

10- L'hospitalité sacrée-textes inédits, présentés par jacque.k. nouvelle cité – Paris – 1987.

11- محاضرات فى تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية بتصدير د. إبراهيم مدكور – تحقيق ومقدمة وحواشى د. زينب محمود الخضيرى – المعهد العالى الفرنسى للآثار الشرقية – القاهرة – 1983 (وهى محاضرات ألقاها ماسينيون باللغة العربية فى الجامعة المصرية القديمة).

12- محاضرات لويس ماسينيون فى الكوليج دى فرانس بباريس خلال الفترة من 1919 إلى 1953م.

- Annuaire du Collège de France, Année de 1919-1953.Libarir vuibert. Paris.

13- محاضرات ماسينيون بالمدرسة العملية للدراسات العليا التابع لجامعة السوربون -4 قسم العلوم الدينية عن الفترة من 1932 - 1953م.

- École partique des Hautes E'tudes (E.P.H.E) – section des sciences religieues.

14-Claudel – Massignon – Les grands Correspendance – Paris – 1978.

ثانياً

المراجع العربية والمترجمة إليها

1 ـ **أبا زيد** (**د. صابر عبده**):

فكرة الزمان عند إخوان الصفا – در ـة تحليلية نقدية – تقديم أ.د./ عاطف العراقى – مكتبة مدبولى بالقاهرة – الطبعة الأولى – 1999م.

2 ـ ـــــــــ:

الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية – محاولة نحو فهم الآخر – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – إسكندرية – الطبعة الأولى – 2000م.

3 ـ **اخوان الصفا وخلان الوفا** :

رسائل إخوان الصفا – عُنى بتصحيحة خير الدين الزركلى – أربعة أجزاء فى مجلدين – طبعة دار صادر – بيروت – لبنان – 1949م.

4 ـ **بدوى** (**د.عبد الرحمن**..) :

شخصيات قلقة فى الإسلام – مجموعة دراسات عن ماسينيون والسهروردى جمعها وألف بينها وترجمها عن الفرنسية د. بدوى – وكالة المطبوعات – الكويت – الطبعة الثالثة – 1978م.

5 ـ **جـــان موريـــون**:

لويس ماسينيون – ترجمة د. منى النجار – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1989م.

6 ـ **الجليند** (**د.محمد السيد**):

الإستشراق والتبشير – قراءة تاريخية موجزة – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى – 1999م.

7ـ جورافسكي (د.إليكسي) :

الإسلام والمسيحية – ترجمة د. خلف محمد الجراد – تقديم وترجمة د. محمود حمدى زقزوق – عالم المعرفة – العدد 215 – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب – الكويت – 1996م.

8ـ جـــون كـولر :

الفكر الشرقى القديم – سلسلة عالم المعرفة – العدد 199 – ترجمة د. كامل يوسف حسين – مراجعة د. إمام عبد الفتاح إمام – الكويت – يوليو 1995م.

9ـ حمدان (د.عبد الحميد صالح):

طبقات المستشرقون – مكتبة مدبولى – القاهرة – الطبعة الأولى – 2000م.

10ـخالد (أ. خالد محمد):

رجال حول الرسول – دار ثابت للنشر – القاهرة – الطبعة الأولى – 1984م.

11ـرودنسون (د.مسكيم) :

الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية – ضمن تراث الإسلام – ج1 – تصنيف ج. شاخت ، ك . بوزورث – ترجمة د. محمد زهير ، د. حسين مؤنس – تعليق وتحقيق د. شاكر مصطفى وراجعه د. فؤاد زكريا – عالم المعرفة – الكويت – العدد 233 – مايو 1998م.

12ـسعيد (د. أدوارد) :

الإستشراق (المعرفة – السلطة – الإنشاء) نقله إلى العربية د. كمال أبو ديب – مؤسسة الأبحاث العربية – بيروت – طبعة ثانية – 1984م.

13ـ**شرف** (**د. محمد جلال**):

دراسات فى التصوف الإسلامى – شخصيات ومذاهب – دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الأولى – 1983م.

14ـ**عباس** (**د. قاسم محمد**) :

الحلاج – الاعمال الكاملة (التفسير – الطواسين – بستان المعرفة – نصوص الولاية – المرويات – الديوان) – دار رياض الريس للكتب والنشر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 2002م.

15ـ**العراقى** (**د. عاطف**) :

ثورة العقل فى الفلسفة العربية – دار المعارف بمصر – الطبعة الخامسة – 1984م.

16ـ **العقيقى** (**د. نجيب**) :

المستشرقون – دار المعارف بمصر – القاهرة – ثلاثة أجزاء – الطبعة الرابعة – 1982م.

17ـ **النشار** (**د. على سامى**):

نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – دار المعارف بمصر – الجزء الثانى – الطبعة الثالثة – 1965م.

18ـ **نيكلسون** (**د. أرنولد** ..):

فى التصوف الإسلامى وتاريخه – بتحقيق د. أبو العلا عفيفى – القاهرة – الطبعة الأولى –1956م.

* * *

ثالثاً

الموسوعات والقواميس والمعاجم العربية:

19ـ **الحفنى (د. عبد المنعم)** :

معجم المصطلحات الصوفية – الطبعة الثانية – بيروت – 1995م

20ـــــــــــ :

موسوعة الفلسفة والفلاسفة – ج2 – نشر مكتبة مدبولى – القاهرة – الطبعة الثانية – 1995م.

21ـ **مجمع اللغة العربية** :

المعجم الفلسفى – بتصدير د. إبراهيم بيومى مدكور – الهيئة المصرية للمطابع الأميرية – القاهرة – الطبعة الأولى – 1978م.

* * *

رابعاً

المراجع الأوروبية :

1 - Barrés (M):

Enquête au pays du l‹ ant, Paris – 1923.

2 -Berque(J) :

Normes et valeurs dans l'Islam, contemporain, payat, Paris – 1966.

3 - Bounoure(G):

Bull, enseignement – Beyrouth, 1928.

4 -Daniel (M):

Presen ce de Louis Massignon – Hommages et témoignage – textes réunis par D.M a l'occasion du centenaire de L. M. ouvrage publié avec le concours de l'Institut du monde Arabe – Editions Maisonneuve et larose – Paris – 1987.

وقد شارك فى هذا الكتاب مجموعة منتقاة من زملاء ومريدى وتلاميذ ماسينيون.

5 - --------------- :

Louis Massignon, et le dialogue des cultures – textes réunis par. D.M.- Paris – 1987.

6 - De Sacy (A.S.) :

Grammaire arabe à l'usage des éléve de l'ecole spéciale des langues orientalles – Paris – 1810.

7 - Delcambre (A.M) :

L'Islam « il faut recommander cette excellente initiation » Nouv. E'tudes, R.E.D.E. Paris – 2001.

8 - Dugat (G) :

Histoire de orientalistes de l'Erope –Paris –1870(16 Vol).

9 - Français (J) :

L'Herne Massignon, ce cahies à été dirigé – par, J.F.six – Paris – 1962.

10-Galland (A) :

Les milles et une Nuits, contes arabes traduits en français – Paris – 1717 (12 Vol.).

11-Gardet (l) :

l'Islam, Religion et communauté – présentation de Malek chebel – desclée de Brouwer – Paris – 2002.

12-Guy (H) :

Islam et christianisme selon Louis Massignon, préface de Y. Moubarac, louvain, éd, de louvain, la neuve, Paris-1981.

13-Keryell (J) :

Louis M. au cour de notre temps, sous la direction de J.K. édi : karthala – Paris – 1999.

14-Laoust (H) :

Essai sur les Doctrines et politiques de takiddin Ahmed.B.Taimiya, Paris – 1939.

15-Lécoeur (Ch):

le rite et l'outil – Paris – Alcan – 1939.

16-Madkour (A.B) :

la place d'al – Farabi dans l'Ecole philosophique Musulmane – Paris – 1934.

17-Maréchal (J.) :

le problème de la grâce mystique Islam – Rel – Paris – 1923.

18---------------- :

Reédite dans etudes sur la psychologie mystique – louvain – Paris – 1934.

19-Moncelon (J) :

Louis Massignon, christien destremau – a la mémoire de sayyed Bohaudine, librairie palon – Paris – 1994.

20-Nasr (S.H):

Islam – perspectives et realites – tradiut de l'anglais par H.Crès – E'ditions Buchet-chostel – Paris - 1991

21-Rocalve (P.) :

Louis Massignon et l'Islam, collection, témoignages et documents. No.2 – Institut Français de Damas, 1993.

22-Waardenburg (J) :

l'Islam dans le mimoire de l'occident, Mouton, la Haye – Paris – 1962.

* * *

خامساً

الموسوعات والدوريات الفرنسية

1. Encyclopédie de l'Islam. Nouvelle E'dition to. No 1,2,3,4, ley, de E.J.Brill – Paris – 1960 – to.3 Article (Al-Hallâj), to.2.Article (Zindik) Hulūl - Nusayris - Qarmmatas – sin – tarika – tasowuf … ect. Avec Louis Gardet .

وقد أشترك فى الموسوعة نخبة كبيرة من العلماء

2. Journal Asiatique, Janvier – Mars – Paris – 1931..

3. Philosophie – revue trimestrielle, no.77 philosophie arabe – publié avec le concours du centre national du livre, les Èditions de Minuit – 1er mars 2003 – Paris .

مجلة فصلية تحتوى على أبحاث عن فلاسفة الإسلام من أمثال ابن رشد والفارابى وابن سينا والغزالى وابن عربى من الصوفية .

4. Rendus (C) : Extrait du journal Asiatique (Année 1978) – Pairs

الدراسة الرابعة

الشيخ مصطفى عبد الرازق

وجهوده فى تطور الفكر الفلسفى الإسلامى المعاصر

.. **وتتضمن هذه الدراسة أهم العناصر الآتية** :-

مقدمة عامة (فى المنهج .. فى الموضوع)

أولاً : حياته وشخصيته ومؤلفاته .

ثانياً : فكر الشيخ الفيلسوف من خلال مؤلفاته .

ثالثاً : قواعد وأصول فكر الشيخ الفيلسوف .

رابعاً : جهود الشيخ الفيلسوف فى القضايا الفلسفية والكلامية والصوفية .

خامساً: فى العلاقة بين العلم والدين .

سادساً : جهود الشيخ مصطفى عبد الرازق ضد آراء المستشرقين .

مقدمة عامة

1ـ في الموضـــوع :

الحديث عن الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الـــرازق كأحـــد ممثلـــى الإتجاهات الفلسفية المعاصرة فى مجال الفلسـ‍ الإسلامية بكـل فروعهـا – يعود بنا الى رفاعة رافع الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى والـشيخ الإمـام محمد عبده باعتبارهم حلقة وصل هامة فى تطور المنحنى الفكرى الفلـسفى التنويرى فى تاريخ الفلسفة العربية المعاصرة بصفة عـامة وفـى تطـور الفلسفة الإسلامية وعلم الكـلام بصفة خاصة ، وباعتبارهم أيـضاً أسـاتذة للشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق الذى يمثل نقطة تحول هامـة ، فلقـد جمع بيـن النظـر والعمل ، وبين الفكـر والسلـوك ، وبين الإصـلاح والتجديـد من ناحية ، والإصلاح الإجتماعى والدينى والتنويرى من ناحيـة أخرى ، وكان عرضه لآراء المستشرقين وتفنيدها والرد عليها مـن ناحيـة ثالثة تثبيت للدرس الفلسفى فى مصرنا المعاصرة .

ومما لاشك فيه إن جميع أساتذة الفلسفة فى عالمنا العربى المعاصـر من مشرقه إلى مغربه يعترفون بالأثر البالغ الذى تركه لنـا هـذا المفكـر العملاق ، ويعترفون أيضاً ببصماته البارزة والواضحة وأياديه البيضاء على الساحة الفكرية والدراسات الفلسفية حتى يومَنا هذا ، ولاغرابة فى هذا فهـو يمثل واحداً من إشعاعات مدرسة الأستاذ الشيخ الإمام محمد عبده .

ولقد آمن الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق إن إصلاح المجتمعات ونهضتها لايكون إلا بالفكر الفلسفى وآمنا نحن أتباعه وتلاميذه بذلك وبقـى أن يؤمن الأخرون بأن الفلسفة هى الحل ، ومن هنا جـاء إختيـارى لموضـوع الدراسة وهو عن جهوده فى تطور الفكر الفلسفى الإسلامى المعاصر.

2ـ في المنهـج :

وسوف أتناول فى البحث متبعاً **منهجاً تحليلياً نقدياً** .. حياته ومؤلفاته

وأساتذته من خلال تقسيم مؤلفاته إلى حقبتين تمثلان فكره ومن خلال عدة محاور وأهمها قيامه بمحاولة تأسيس منهج جديد لإعادة التأريخ لما نطلق عليه اليوم الفلسفة الإسلامية إصطلاحاً وتوسيع مجال الدراسة فيه وتحديده لبعض المفاهيم الدينيه والعقائدية تحديداً فلسفياً ، ودراسته لبعض المشكلات الفلسفية وعلى رأسها علاقة الدين بالفلسفة من جهة وعلاقته بالعلم من جهة أخرى.

ثم نتحدث عن أهم قواعد وأصول فكر الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق مع التركيز على أربعة قضايا مهمة تمثل جهوده فى تطور الفكر الفلسفى الإسلامى العربى ألاّ وهى :-

1- مشكلة الحرية الإنسانية من حيث تعريفه للحرية ومظاهرها المتنوعة سواء كانت المدنية أو السياسية أو النفسية أو الدينية أو الأخلاقية وسنلاحظ ان الشيخ الفيلسوف أثبت لنا صعوبة مشكلة الحرية أو مشكلة حرية الإختيار الإنسانى من **الوجهتين** : الفلسفية والدينية فى كل زمان ومكان ، وسنرى كيف إنتهى إلى تأييد الحرية الإنسانية .

2- مشكلة الاخلاق وقد ربطها الشيخ الفيلسوف بمشكلة الحرية واعتبرها فناً للحياة وهنا نجد أن فيلسوفنا كان متأثراً بآراء الفلسفة الرواقية .

3- **مشكلة التصوف كفرع أصيل من فروع الفلسفة الإسلامية وهى من القضايا الهامة التى احتدم حولها الجدل والنقاش طويلاً (قديماً وحديثاً)** وحتى وقتنا الحاضر .

4- مشكلة الصلة بين الدين والفلسفة وعرض لأهم الآراء فى هذا المجال وموقفه منها ، ثم نعرج للحديث عن الموقف النقدى للشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق من المستشرقين وآراؤهم فى الفكر الفلسفى الإسلامى وذلك من خلال أهم المصادر والمؤلفات .

* * *

أولاً

حياته وشخصيته ومؤلفاته

ولد الشيخ مصطفى عبد الرازق عام 1885م فـــى أســـرة مـــصرية صميمة وعريقة بقرية تسمى " أبو جرج " بعة لمحافظة المنيـــا بـــصعيد مصر وتزود الشيخ مصطفى بالثقافة الأكاديمية فى أكثر مـــن مجـــال مـــن مجالات الفكر والأدب والفلسفة وقد ظهر أثر هذه الثقافة فى الكتب والمقالات والدراسات التى تركها لنا والتى أثرت بدورها فى فكرنا العربى المعاصـــر تأثيـــراً كبيـــراً (فكراً وسلوكاً).

درس الشيخ على يد الإمام محمد عبده الذى كان يلقى دروســـه فـــى الجامع الأزهر الشريف ويذكر أستاذنا د. عاطف العراقى بأن الشيخ مصطفى عبد الرازق قد أستفاد من دروس الإمام محمد عبده فهما يمثلان إنفتاحاً على الفكر العربى المعاصر وتراثه وإنفتاحاً على الفكر الغربى الأوروبى أيـــضاً وسافرا إلى باريس . وكلاهما يهتم بالفلسفة الإسلامية سواء كانت متمثلة فى علم الكلام أو التصوف أو أصول الفقه أو عند فلاسفة الإسلام من أمثال ابو يعقوب الكندى وابو نصر الفارابى والحسين بن سينا وجماعة أخوان الـــصفا وخلان الوفا وابن رشد والغزالى وغيرهم.

وكلاهما أستطاع المزج بين الفكر العربى الإسلامى وحضارة الغـــرب المسيحى [1] دون ضياع للهوية الإسلامية وتهميش للقومية العربية.

وإذا كان الشيخ مصطفى عبد الرازق قد حاول جهده الجمـــع بـــين القديم والجديد متأثراً فى ذلك بالشيخ الإمام محمد عبده فإنه مما لاشـــك فيـــه

---

(1) د. عاطف العراقى : بحث بعنوان " التـــنـــويـــر عند مـــصطفى عبـــد الـــرازق برؤيـــة نقديـــة "ضمـــــن أعمال الشيـــــخ مصطفى عبد الرازق بالمجلس الأعلى للثقافــــــة لجنـــة الفلـــسفة (الفترة من 22-23 فبراير 1997) – الكتاب التذكارى – الطبعة الثانية – القاهرة ص 18.

كان مستفيداً أيضاً من دراسته بفرنسا بجامعة السربون عندما سافر إليها عام 1909م ، وقــد توخى على الإستفادة من المحاضرات التــى كــان يلقيهــا العلامة الفيلسوف أميل دوركايم (عالم الإجتماع المشهور فيما بعد).

ولم يكــن شيخنا مصطفى عبد الرازق طالباً بفرنسا يتلقى الــدروس عن مشاهير العلماء فحسب بل أنه قام بالتدريس أيضاً ولقــد حاضــر فــى موضوع الشريعة الإسلامية وذلك بكلية الحقوق بجامعة لبـــون الفرنـسية وحاضر فى الأدب العربى واللغة العربية فى نفس الجامعة .

وبعد حوالى ست سنوات من طلب العلم فى فرنسا والقيام بالتدريس حضر إلى مصر عام 1925م ، وبعد عودته إلى مصر شــغل العديــد مــن المناصب العلمية والإجتماعية من بينها أنه كان - بالإضافة إلــى أســتاذيته بالجامعة المصرية - سكرتيراً عاماً للأزهــر الــشريف ومفتــشاً للمحــاكم الشرعية فى مصر وشيخاً للأزهر بعد الشيخ المراغى وتم بعد ذلك أختيــاره وزيراً للأوقاف وظل يقوم بهذا العمل ومهام الوزارة لمدة ست سنوات متتالية على وجه التقريب منذ عام 1938 إلى عام 1944م.

ولقد جمع الشيخ الفيلسوف بين مجال الفكر الفلسفى والفكر الدينى والفكر الأدبى ويعد رائداً فى مجال الفلسفة الإسلامية المعاصرة 0 ومن يقرأ كتبه يتذكر الفيلسوف الأديب أبو حيان التوحيــدى(*) الــذى جمــع فاوعى قديماً والفيلسوف الكبير د. زكــى نجيــب محمــود حــديثاً ، ويطلــق على كليهما " أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء " .

وعن شخصيته :

والتكوين النفسى لشخصية الشيخ الفيلسوف ظل يُشكل عالمه الداخلى

(*) لمزيد من التفاصيل يراجع فى ذلك د.صابر أبا زيد : أبو حيان التوحيدى " دراســة حياتــه وأدبــه وفكره " - مركز الدلتا للطباعة - دار الأندلسية - الإسكندرية - الطبعة الأولى - 1998.

طوال عمره ، وإليه يفسر مواقفه ومنهجه فى الحياه والفكر على السواء ، وقد كتب هو نفسه يوماً عن هذا التكوين معبراً عن رؤيته للأشياء الخاصة والعامة معاً ، فبالنسبة إلى الأولى نجده يقول : أنا بالرغم عن كونى عصبياً سريع التأثر فإننى قادر على كتمان إحساسى بذلك يغر الناس منى ثغر هادئ وفم غير ضنين بالإبتسام ، وحلم قلما يستفزه غضب ولو كشف للناس باطن أمرى لرأوا فؤاداً وإحساساً يضطرب بعنف لكل ما يهز إحساس الناس هزاً ليناً .. أنا حيِيٍ مفرط فى الحياء ، وخجول مفرط فى الخجل ولهذين الخلتين دخل كبير فى إظهار مزاجى الحاد فى مظهر ساكن .

أما عن تكوينى الداخلى إزاء الأشياء العامةِ أو الصالح العام فهو يتمزق فى سبيله ويجاهد المثبطات التى تحاصر آماله فى اليقظة التى يسعى أن يكون من حملة مشاعلها متأثراً فى ذلك بما كان يطالعه من كتابات الغرب وبالذات الجرائد والصحف الفرنسية ، وإحساسه بأن أمته متأخرة والآخر (الغرب) متقدم وتمنى أن تنال أمته نعمة من بركة المدنية والرُّقى .

وما نود أن نقوله إن أنسب مايلائم الشيخ الفيلسوف –الرقيق المرهف الحس المتأمل – نزعة الرومانسية قبل أن يكون واقعياً [(2)] ، لقد كان الشيخ فناناً أديباً مفكراً متزيناً فى تركيبه ربما بنسب متساوية ، وكان يكره التعصب الأعمى آفة العصر الحالى .

وعن مؤلفاته :

لقد كتب الشيخ الفيلسوف مؤلفات عديدة اشتملت على موضوعات متنوعة ما بين قضايا وشخصيات وآراء وترجمات ومقدمات ، وهو دائماً كان يعتمد على دراسة النصوص التراثية بعقلية مستنيرة ، كما فعل مع

---

(2) مصطفى عبد الرازق : جريدة السفور – العدد (7) يوليو 1917م. مقال عن الخرن – أنظر أيضاً جريدة السياسة العدد (18) ديسمبر 1925 ، ومقال للأستاذ / علاء الدين وحيد بعنوان: الشيخ مصطفى عبد الرازق وملامح شخصيته – جريدة صوت الأزهر العدد العاشر ديسمبر 1999م.

الفارابى والكندى والليث بن سعد والبهاء زهير شاعر الصعيد والفخر الرازى المتكلم الأشعرى وغيرهم . ومن منطلق الإيمان بأن المعيار الحقيقى لجهود الباحث أياً كان موقعه فى أى مجال من المجالات لاتقاس بعدد مؤلفاته ، ومع التأكد على مرجعية الكيف وليس الكم إذ لربما كتاب واحد لشخصية فذة قد تؤثر بالسلب أو الإيجاب على جيل بأكمله أو لربما أيضاً كم هائل من الكتب والمؤلفات لشخص أخر تذهب أدراج الرياح تذرها كيفما تشاء .

وعلى الرغم من ذلك فإن نظريتى هذه قد لاتنطبق على أستاذنا الكبير الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق إذ له من المؤلفات عدد محدود نعم ولكن تأثيرها واسع المدى لأنه كان يكتب علي إستحياء وبحذر وورع شديدين فالرجل يدفعه هذا كله إلى الأحتراز والإحتراس وهو يؤلف إلى ميدان من أهم الميادين وهو من هو وبتواضعه الجم كان يقول : " .. إننى لست مؤلفاً ولكننى قارئ جيد ليس إلا " .

والآن سنتجول سريعاً إلى أهم مؤلفاته لنرى إلى أى مدى أثرت على المجتمع وإنطوت على تطور منحنى الفكر الإسلامى المعاصر فلسفياً وكلامياً وفقهياً وصوفيا:-

1- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (3)

.. وقد وضع فيه نماذج المنهج الجديد فى الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام وسرد لنا فيه مقالات الغربيين والإسلاميين فى الفلسفة الإسلامية وناقش تنمان **Tennemann** وأميل بيرهيه **Emile Brehier** وفند آراء أرنست رينان **E. Renan** بخصوص نظرية الجنس أو العرق الآرى والسامى كما سنرى فى البحث وغيرهم كثيرون.

---

(3) وطبع الكتاب بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر واعتمدنا على الطبعة الأولى – القاهرة 1353هـ/1944م. وسنشير إليه بالتمهيد ....

2- الدين والوحي الإسلام [4]

.. ولقد عالج فيه شيخنا ثلاثة موضوعات يُكمل بعضها بعضاً ويـرتبط بعضها ببعض أوثق الإرتباط وهى الدين والوحي والإسلام

فأولها : بحث فى حقيقته الدين على العه

وثانيها : تفسير لظاهرة هامة صاحبت معظم الأديان وتوقـفت عليهـا نشأتها وهى ظاهر الوحى

وثالثها : توضيح للدين القائم على الوحى بمثال عال من بين أمثلتـه وهـى الإسلام . وبهذا الكتاب أضاف الشيخ الفيلسوف إلى جهوده جهوداً مضاعفة وبالذات عند عرضه لموضوع العلاقة بين العلم والـدين والفرق بين الدين الفلسفة كما سنرى.

3- فيلسوف العرب والمعلم الثاني [5]

..ويقصد بهما الكندى (أول فلاسفة العرب) وأبو نصر الفارابى (المعلم الثانى) وأضاف فى هذا الكتاب شخصيات أخرى مثل الليث ابن سـعد والبهاء الزهير شاعر الصعيد، مما يدل على أنه كان محباً للأدب بقـدر حبه للفلسفة .

---

(4) وسوف نعتمد على الطبعة الثانية 1417هـ/1997م - الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ولقد طبع هذا الكتاب لأول مرة بالقاهرة 1945م.

(5) وطبع الكتاب لأول مرة بالقاهرة 1945م والطبعة الثانية 1997م ضمن مطبوعات مكتبـة الـشباب بالقاهرة ، وسوف نعتمد على طبعة الثقافة الجديدة العدد (45) ؛ وفى تصديـر كتـاب " فيلـسوف العرب والمعلم الثانى للشيخ مصطفى عبد الرازق يقول د. على عبد الواحد وافى رئـيس الجمعيـة الفلسفية المصرية آنذاك وكذا د. عثمان أمين السكرتير العام عـن الكتـاب : " وتغتـبط الجمعيـة الفلسفية ان تفتتح سلسلة بحوثها الفلسفية بهذا المؤلف القيّم الذى دبرته براعة الوزير الفيلـسوف معالى الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا الرئيس الفخرى للجمعية فكشف فيـه بتحقيقـه الألمعـى وبيانه الرائع عن خمسة أعلام من قادة الفكر الإسلامى : الكندى فيلسوف العرب والفارابى المعلـم الثانى وابى الطيب المتنبى الشاعر الحكيم وابن الهيثم بطليموس العرب - وابن تيميـة المجـدد وشيخ المجددين فى الإسلام " - التصدير ص 7 وما بعدها.

4- **الإمام الشافعى** [6]

.. وفيه يؤكد تأصيل الشافعى كإمام من أئمة الفقه الستة -للفلسفة الإسلامية من خلال علم أصول الفقه.

5- **محمد عبده** [7]

.. وهو كتاب يتحدث فيه التلميذ عن أستاذه بكل الوفاء والإخلاص والمصداقية سارداً لنا حياته وتنقلاته ونشأته ودراسته ومصاحبته للسيد جمال الدين الأفغانى ونضوجه العلمى ودعوته إلى الإصلاح ومبادئه الوطنية ومنهجه فى الإصلاح الدينى والإجتماعى.

6- **ترجمته لرسالته التوحيد** .. للإمام محمد عبده ..

7- بالإضافة إلى مقدمته لترجمة **كتاب الإسلام والتجديد فى مصر** .. الدكتور تشارلز آدمس [8] والدراسة تتضمن عرضاً مستفيضاً عن صلة الجيل اللاحق من المفكرين المصريين بفكر الشيخ الإمام محمد عبده ، وبالطبع هو واحد منهم ، وغيرها من المؤلفات والمحاضرات والدوريات الهامة فى مجال الفلسفة والفكر المعاصر بعامة والفلسفة الإسلامية بصفة خاصة ، ومجموعة المقالات فى الجرائد والصحف من أمثلة السياسة والسفور وغيرها.

وتوفى الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق فى 5 فبراير 1947م بعد حياة حافلة بالكفاح العقلى والفكرى والتنويرى .

---

(6) وقد صدر الكتاب فى سلسلة إعلام الإسلام 1945 بالقاهرة .

(7) ولقد صدرت الطبعة الأولى منه 1945م بمقدمه وافية د. محمد عثمان نجاتى (تلميذ الشيخ مصطفى عبد الرازق) – الطبعة الثانية بالقاهرة 1997م. ضمن مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة – مطبعة دار الكتب المصرية

(8) والكتاب مترجم عن اللغة الانجليزية وترجمة الأستاذ .عباس محمود وطبع بمطبعة دار الاعتماد بالقاهرة 1935م.

ثانياً

فكر الشيخ الفيلسوف من خلال مؤلفاته

للوقوف على حقيقة فكر الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق لابد من ترتيب كتاباته كرونولوجيا على حد تعبير الدكتورة زينب الخضيرى فهذا الترتيب يكشف لنا عن تطور زمنى لهذا الفكر الذى يمكن أن ينقسم إلى حقبتين الأولى تُمهد للثانية .

الحقبة الأولى :

فتتمثل فى الكتابات الصحفية التنويرية والتى كتب فيها فى كل من السفور والجريدة والسياسة بدءاً من مايو 1914م وكان مايزال فى فرنسا وإنتهاءاً بيوليو 1946م وهو فى القاهرة .

وتتميز هذه الكتابات فى هذه المرحلة بالنقد الجرئ لكل مظاهر الحياة الإجتماعية وخاصة الدينية منها (من أمثلة الإحتفال بالموالد والأعياد وزيارة المقابر).

وكان الشيخ مصطفى قد درس الفلسفة والإجتاع والمناهج اللغوية والفلسفية الحديثة على يد دوركايم كما ذكرنا وكذلك على يد دالمبير فى فرنسا مما جعلت منه شخصية رافضة لكل مظاهر الإجتماع البدائى للمجتمع المصرى.

ويرى الشيخ الفيلسوف أن مواجهة الشعب ضرورية بالتنوير وبما أكتسبه من علم ومعرفة ومنهجية ولقد سيطرت عليه فى هذه المرحلة فكرة سنجدها فى المرحلة الثانية ألا وهى ضرورة الفصل بين الدين من جهة وكل من العلم والفلسفة من جهة أخرى.

الحقبة الثانية :

وهى حقبة الأستاذية للفلسفة فى آداب القاهرة (جامعة فؤاد الأول) والتى بدأت فى يناير 1928وتولية وزارة الأوقاف ست مرات أولها فى أبريل 1938 وآخرها فى اكتوبر 1944م وتولـــية مـــشيخة الأزهـــر الشريف فى 27 ديسمبر 1945م إلى وفاته فى 15 فبرايــر 1947م 00 وفى رؤية تنويرية تقول الدكتورة زينب الخضيرى [9] ، أنه فـــى هـــذه المرحلة تجاوز الشيخ مصطفى مرحلة الـــشباب إلـــى مرحلـــة النـــضج الأكاديمى الفلسفى وأنصب جهوده فيها على ثلاثة محاور مرتبطة بعضها ببعض أشد الأرتباط :-

المحور الأول :

فيتمثل فى قيامه بمحاولة تأسيس منهج جديد لإعادة التأريخ لما نطلق عليه اليوم إصطلاحاً الفلسفة الإسلامية وتوسيع مجال هذه الفلـــسفة لجعلهـــا تشتمل على أربعة علوم إسلامية هى : علم الكلام والفقة وأصوله والتصوف، مبرزاً النظر العقلى الفلسفى الإسلامى الأصيل فى هذه العلوم ولعلـــه قـــدم الرؤية والمنهج فى كتابه الشهير " تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية " الـــذى سبق وأشرنا إليه .

ثم قدم لنا تطبيقاً لهما فى كل من " فيلسوف العرب والمعلم الثانى " و " الإمام الشافعى " والأثنان صدرا عام 1945م.

ولقد حاول الشيخ الفيلسوف أن يثبت أن الفكر الفلسفى يمكن أن يكون قومياً كما يمكنه أن يكون دينياً . وأجتهد فـــى إبـــراز خـــصائص "الثقافـــة المصرية والهوية القومية ".

---

(9) د. زينب خضيرى : بحث عن الشيخ مصطفى عبد الرازق ضمن أعمال مؤتمر الـــشيخ الفيلـــسوف بالمجلس الأعلى للثقافة (الفترة من 23/22 فبراير 1997م).

المحور الثانى :

فهو عن تحديد المفاهيم الدينية تحديداً فلسفياً وقد قدمه لنا خاصة فى كتابه " الدين والوحى والإسلام " 1945م حيث أهتم بتحديد هذه المفاهيم الثلاثة مع مافى ذلك من خطورة وجدة فى الرأى.

المحور الثالث :

فهو دراسة بعض المشكلات الفلسفية الدينية وعلى رأسها علاقة الدين بالفلسفة من جهة وعلاقته بالعلم من جهة أخرى .

وفى هذا يمكن لنا أن نعتبره وقد سار سير الفيلسوف الكبير ابن رشد ومتأثراً بأستاذه الإمام محمد عبده وكتابات الشيخ الفيلسوف بصفة عامة تكشف لنا عن آرائه ومعتقداته وسياسته وإتجاهاته وميوله وكيفية معالجته لقضايا الفكر الإسلامى دون ترديد ولاتهميش، ولكن بمحاولة جادة أصيلة عميقة المدى من التحليل النقدى الذى أتسم بكل الموضوعية والغزارة والثقة العلمية سواء فى ردوده على المستشرقين أو تناوله لأصول الفقه أو علم الكلام أو آراء فلاسفة الإسلام .

وهو بهذا يؤسس لمدرسة معاصرة من الباحثين فى الفلسفة الإسلامية لازال وجودها يتدفق آخذاً بمنهجه وأسلوبه وطريقة طرحه للقضايا المثارة من خلال قواعد واصول هى بمثابة جهود فى تطور الفكر الفلسفى الإسلامى المعاصر.

* * *

ثالثاً

قواعد وأصول فكر الشيخ الفيلسوف :

من المعلوم أن الشيخ مصطفى عبد الرازق هو أول أستاذ للفلسفة الإسلامية بالجامعات المصرية ، وأن الفلسفة الإسلامية كانت تدرس باللغة الإنجليزية على يد مستشرقين من أمثال : لويس ماسينيون وسانتلانا وغيرهما.

فشيخنا الجليل من الرواد الذين أصلوا البحث لدراسة الفلسفة بل هو الرائد الأول ، ووضع القواعد والأسس التى يشاد عليها كيان الفكر الفلسفى الإسلامى ، ويمكن لأى باحث فى الفلسفة أن يقف على هذه الأصول والقواعد من خلال قراءة مؤلفاته وكتاباته المختلفة ، فما يكتبه المؤلف هو إنعكاس صادق لآراؤه وفكره . فيمكن لنا أن نلتمس الآتى:-

أهتم الشيخ الفيلسوف بالثقافة الإسلامية إهتماماً بالغاً مع شرح النصوص وتعقيبها وتحقيقها مع التعدد والتحليل والنقد والتمحيص.

1- وقف وقفة جادة منصفة مع ثقافة الغرب ونقى التراث الفلسفى الإسلامى من كتب المتعصبين من أمثال جولدتسهير وأرنست رينان وفون هيمر وتنمان .. كما سنرى.

2- جمع بين الحديث والقديم فى بناء الثقافة وهى نظرة مستنيرة تجمع بين الأصالة والمعاصرة وهذا ما ندعو إليه اليوم .

3- الإهتمام بالمخطوطات وتحقيقها ونشر ما لم ينشر وحرصه على توجيه طلابه بالإهتمام بها لإحياء تراث الأجداد وبناء التراث الثقافى العربى الإسلامى ليعيد لأمتنا العربية مجدها الضائع.

4- دعوته إلى دراسة المشكلة الفلسفية دراسة مقارنة والمعروف أن المقارنة بين الأفكار والآراء توضح الفكرة وتدعم الرأى ، وكان الشيخ يطبق هذا عملياً ، وكان يقارن الأفكار بعضها ببعض فمثلاً عند دراسته لمشكلة الجزء الذى لايتجزأ - . يتتبع هذه المشكلة عند اليونانيين ويرى كيف نمت وتطورت عند المعتزلة ثم كيف أنتهت عند الأشاعرة بل وصلته بالفيلسوف الغربى ليبنتر وكيف أنها أصبحت نظرية ذرية روحية لديه !!

5- الطريقة التى كانت يسلكها شيخنا طريقة علمية سديدة تأخذ الكثير من الوقت والعناية وهو يدرس سيرة عظماء قبله اثروا فى ميدان الإصلاح الدينى والإجتماعى . وهذا واضح فى درسه لسيرة الشيخ محمد عبده مثلاً ففى الوقت الذى كان اساتذته - فيما عدا الإمام محمد عبده - لايفتأون يذمون فى الشيخ الإمام ويمثلونه خطراً على الدين داهماً ، فإذا به يذهب إلى الرواق العباسى ويسمعه يفر كتاب الله وقال منذ ذلك الوقت اللهم إن كان هذا إلحاداً فأنا أول الملحدين ، ويمثل قول الشاعر الذى دافع عن الشيعة عندما أطلق عليهم لقب الروافض حباً فى آل محمد (ﷺ)

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أنى رافضُ

وقد أخذ فيما بعد يلازم الإمام محمد عبده ويحضر دروسه [10] وأصبح - كما هو معروف - من أخلص تلاميذه .

6- ويضع لنا الشيخ الفيلسوف منهاجاً محكماً فى قوله : إنه لابد للباحث فى

---

(10) مصطفى عبد الرازق : محمد عبده -مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة 1997م مقدمه الدكتور محمد عثمان نجاتى ، ص9 أنظر أيضاً : د. عثمان أمين : كتاب محمد عبده - طبعة مصر 1944م ، ص 124.

الفلسفة الإسلامية وتاريخها من الإلمام بمقالات من سبقوه فى هذا الشأن ليكون على بصيرة فيما يتخيره من وجهة النظر ، وفيما يتحرى إجتنابه من أسباب الزلل ، والخطأ والسابقون إلى النظر فى الفلسفة الإسلامية فريقان :-

أ – فريق الغربيين من مستشرقين ومشتغلين بتاريخ الفلسفة .

ب– فريق المؤلفين الإسلاميين [11]

وقد تناول الشيخ مصطفى عبد الرازق دراسة مقالاتهم على هذا الترتيب وتتبع جملة نظر الغربيين إلى الفلسفة الإسلامية وحكمهم عليها منذ استقرت معالم النهضة الحديثة لتاريخ الفلسفة إلى أيامنا هذه (أى منذ نصف قرن) أى منذ صدر القرن التاسع عشر ، كما يؤيد ذلك قول الأستاذ إميل برهيه Emile Brehier : " ولئن كان مفكروا القرن الثامن عشر قد حاولوا ان يدخلوا فى تاريخ الفلسفة وحدة وأطراداً فإن كل الشطر الأول من القرن التاسع عشر ، قد شهد مجهوداً فى تشييد هذا الذى لم يكن إلا تخطيطاً [12].. "

فإذا كان مفكرو القرن الثامن عشر وضعوا التخطيط لتأريخ الفلسفة الإسلامية فإن القرنين التاسع عشر والعشرين بمثابة التنفيذ لهذا التخطيط وكان فيلسوفنا من أوائل من ساهموا بمجهوداته فى هذا التنفيذ.

* * *

---

(11) الشيخ مصطفى عبد الرازق – تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى 1363هـ/1944م. ص 3

(12) Brehier. E ; Histoire de la Philosophie. Tome 7. P. 20

رابعاً

جهود الشيخ الفيلسوف

فى بعض القضايا الفلسفية والكلامية

1ـ مشكلة الحرية الانسانية عند الشيخ الفيلسوف :

من أهم القضايا التى تناولها الشيخ مصطفى عبد الرازق قضية الحرية الانسانية وبحث فى مفهومها . وما من فيلسوف إسلامى أو متكلم ، ومن قبل مامن فيلسوف اغريقى او غربى او حتى من أصحاب الفكر الشرقى القديم إلاّ وتناول تلك المشكلة / القضية التى تعتبر من أصعب المشاكل الفلسفية وأعقدها ، ولو اردنا ان نوجز أهم آراء الشيخ الفيلسوف فى مشكلة الحرية فإننا نعدد النقاط الآتية:-

أ- قام بتعريف الحرية من حيث مظاهرها المتنوعة المدنية والسياسية والنفسية والدينية والاخلاقية . ويقف وراء هذه المظاهر جميعاً مفهوم واحد أساسى هو حرية الإرادة الإنسانية وهو تصرف الإرادة تصرفاً غير مغلوب . وهو هنا يسير مع ركب المعتزلة أصحاب حرية الإرادة .

ب- لاحظ الشيخ الفيلسوف صعوبة مشكلة الحرية ومشكلة الإختيار الإنسانى من الوجهة الفلسفية والدينية على السواء وعبر كل الأزمان وأن هناك أيضاً للجبر أنصار كما للإختيار أنصار ، وناقش أدلة كل من الفريق الأول والثانى وعقب على تلك الأدلة ناقداً ومؤيداً أحياناً ومعارضاً أحياناً أخرى. وأنتهى إلى تأييد الحرية الإنسانية .

ج- أدرك الشيخ أن الحرية الإنسانية ملازماً للحقيقة الإنسانية وتضعه أمام مسئوليته فى العمل والتكليف ثم الحساب والجزاء والعقاب وعمل الخير والشر والجنة والنار.

د- موقف الشيخ الدينى من الحرية الإنسانية ينطلق من النقطة السابقة وأن على الإنسان أن يثق بالله تعالى يؤمن بحـــريته ، وان الفهم الـــصحيح للدين لايعارض الحرية . ويتخذ من موقف الدين مـــن حريـــة الفكـــر ودعوته إلى العقل والإجتهاد دليلاً واضحاً على تأييده للحرية .

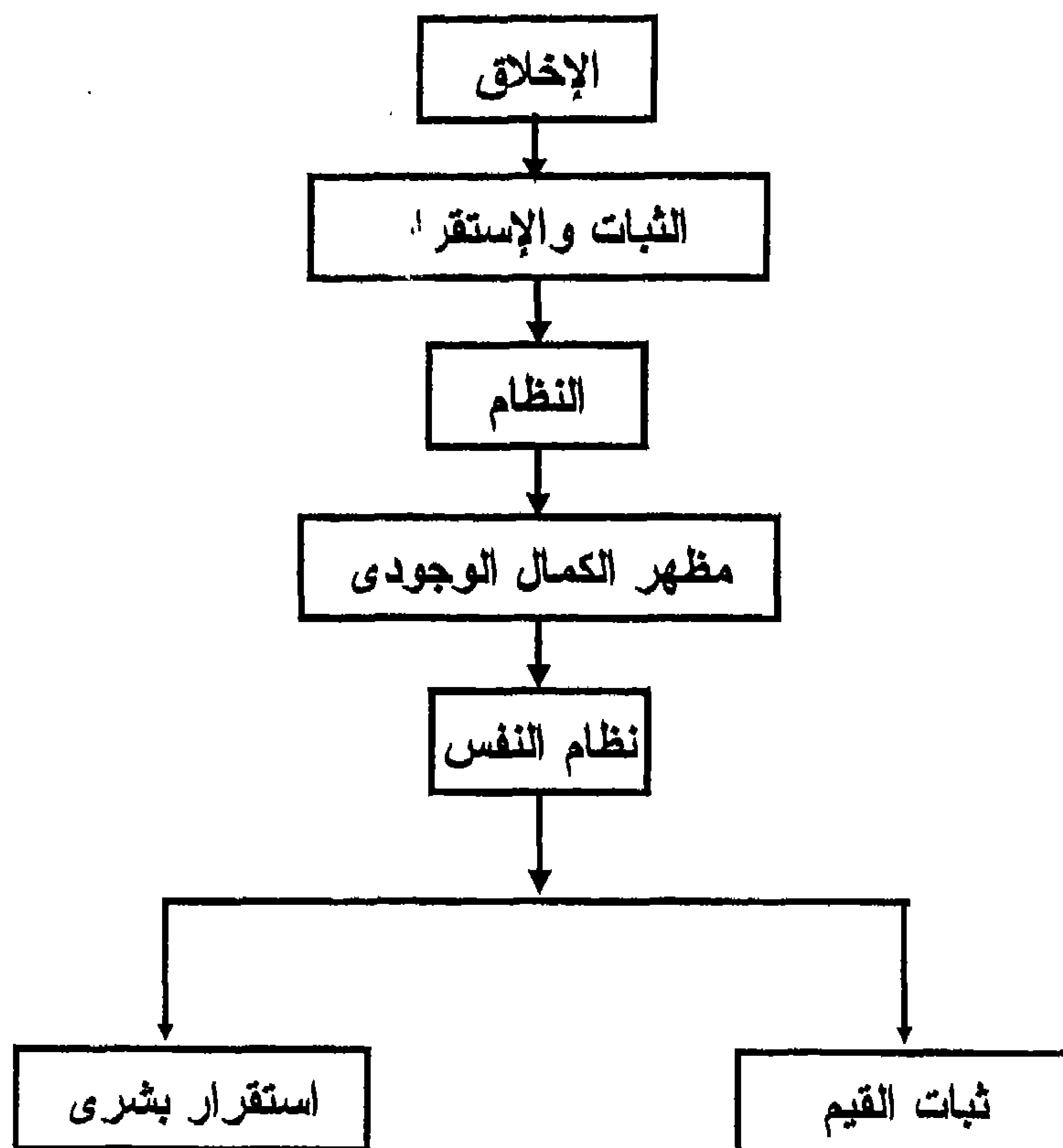
ه- الحرية ليست مشكلة ميتافيزيقيـــة فحـــسب بـــل ان الحريـــة مظـــاهر وضرورات طبيعية وجسمية ونفسية على الإنسان ان يواجهها ويعمـــل على الحد منها. وهى بلاشك تؤثر فى سلوكه وافعاله . فهـــى مـــشكلة لاتثار على مستوى مطلق عال على الزمان بل هى متوغلة متغلغة فـــى صميم حياتنا اليومية .. ولقد آثر الشيخ شعار دراسة الحرية تحت مظلة الأخلاق وربط بينهما أوثق الإرتباط.

و- ان حريـــة الفرد لاتمارس إلاّ من خلال حريـــة الآخـــرين ووســـط المجتمع الذى يعيش فيـــه فحـــريته تنتهى عندما تصطدم مـــع حـــرية الآخـــر ، أى لاتضر الآخر ، فأنت حر ما لم تـــضر . وهـــذا الـــرأى يعارض ما يذهب إليه أصحاب الحرية الوجودية الغربيـــة واصـــحاب فلسفة القلق والعدم الذين يقولون : أنا والآخرين فى الجحيم .

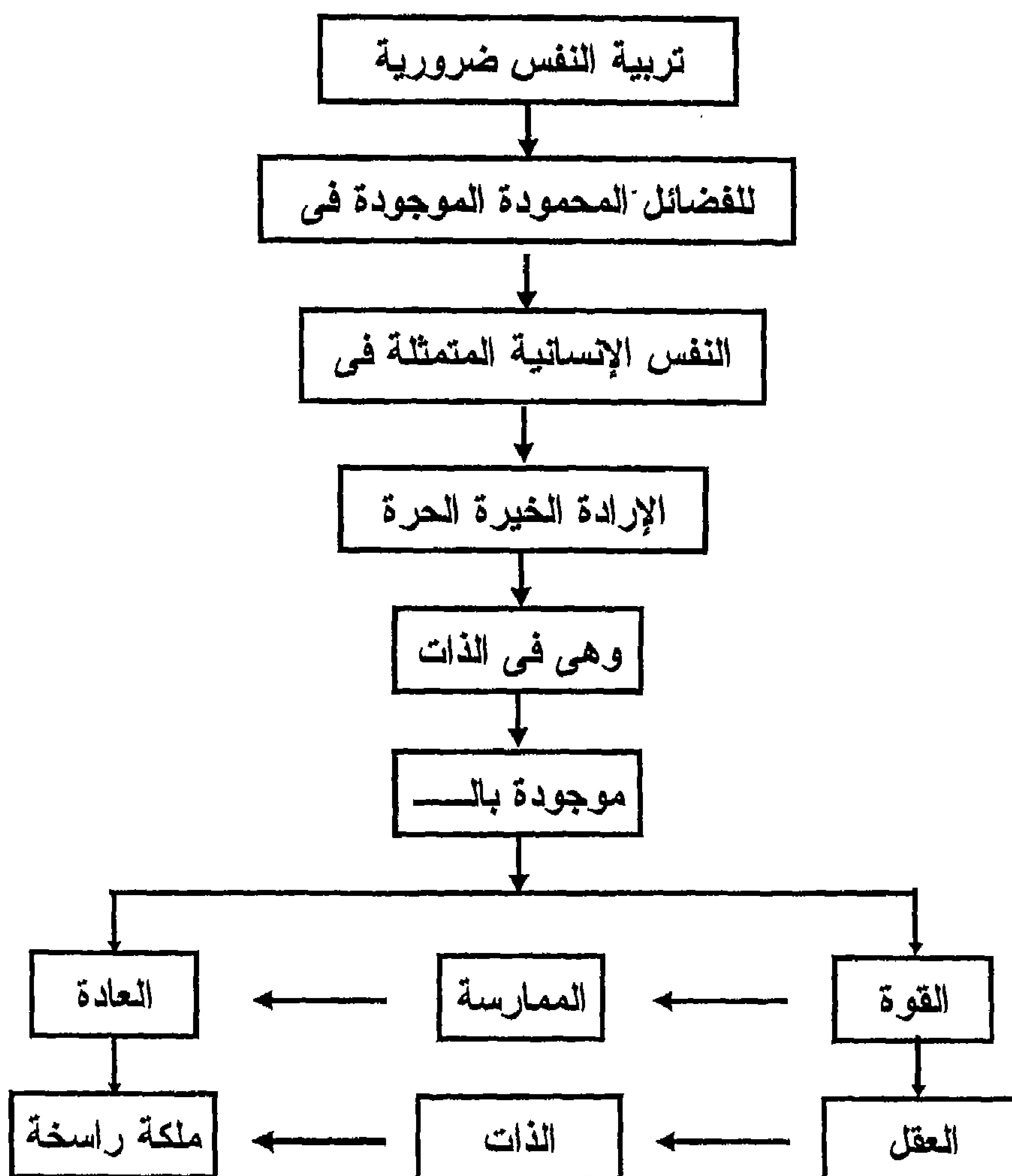
2ـ الأخلاق عند الشيخ مصطفي عبد الرازق :

قُـــلنا أن الحرية لدى الشيخ الفيلسوف مرتبطة بـــالاخلاق والعمـــل والسلوك ، وتعتبر الاخلاق مدار فكر الشيخ ومحوره الرئيسى والاخلاق عنده هو فن الحياة كما اعتبرها من قبل جماعة الرواقية فناً للحياة . وهى عنـــده قاعدة ثابتة للسلوك الإنسانى يلتزم بها الفرد تجاه نفسه وتجاه الله وتجاه الناس والمجتمع بعيداً عن الأهواء والإنفعالات ، وإذا بلغ الانسان هذه المرتبة كان من مرتبة الحكماء . وعماد الاخلاق عنده هو الثبات والاستقرار الذى يؤدى إلى النظام الذى هو مظهر الكمال الوجودى والاخلاق هو النظام النفسى كما

يوضح لنا الشكل الآتى :-



وإذا كانت الاخلاق عند الشيخ تتميز بالاستقرار والثبات فإن تربية النفس تكون ضرورية ، ذلك لان الفضائل المحمودة مركوزة فى النفس الإنسانية متمثلة فى الإرادة والخبرة الحرة وهى فى الذات موجودة بالقوة وبالممارسة والعادة وتصير من القوة إلى الفعل فتصبح لدى الذات ملكة راسخة يساندها فهم الإرادة لهذه الفضائل ، فالفضيلة علم قابل للتعلم كما يوضح لنا الشكل الآتى :-



وبهذا يرى الشيخ الفيلسوف ان الاخلاق ليست فطرية ولاهى مكتسبة أيضاً لأنها لو كانت فطرية فقط لكانت عامة لدى كافة البشر ولما احتاجت إلى التعليم والممارسة والتدريب ولو كانت مكتسبة فقط لكان التعليم والتدريب شيئاً ضرورياً فى تحصيلها وإنما يرى أنها فطرية . نسبة معاً وهو فى هذا مقابل لكثير من الفلاسفة الاخلاقيين الكبار سواء اليونانيين منهم كأرسطو وأفلاطون أو الإسلاميين كالفارابى وابن مسكويه

3ـ **التصوف لدى الشيخ الفيلسوف** :

التصوف الإسلامى أو قضية التصوف واحدة من القضايا الهامة التى احتدم الجدل والنقاش حولها طويلاً قديماً بل وأستمر هذا الجدال والنقاش حتى وقتنا الحاضر. والتصوف فى نظر الشيخ مصطفى عبد الرازق يمثل قسماً من أقسام الفلسفة الإسلامية شأنه شأن علمىَ الكلام وأصولَ الفقه من ناحية ثم الفلسفة الخالصة من ناحية أخرى.

فهو أذن عند الشيخ علم أصيل النشأة فى الإسلام ذلك لأن احكام الشريعة فى بدايتها كانت تلقى فى صدور رجال لا فرق بين عباداتها ومعاملاتها وعقائدها ثم حدث ما حدث وكما درسنا فى التصوف الإسلامى توجهت الهمم وانصرفت الأفكار إلى علم الشريعة بمعنى الأحكام العملية وهنالك تطور معنى التصوف إلى ما يناسب الكمال فى الدين الذى وضع له اللفظ ثم المعنى ثم التفسير الفقهى . ثم ان التصوف فى تطوره اختلط بالفلسفة فتوثقت الصلة بينه وبين الفلسفة كما توثقت من قبل بينه وبين الفقه والكلام وعلى نحو ما وجد عند المتأخرين كالسهروردى المقتول وابن عربى وابن سبعين وغيرهم .

وعلى الرغم من أن التصوف فى تطوره فى القرنين السادس والسابع الهجريين أرتبط بالفلسفة فكانت مرحلة خفية بفضل هذا الإرتباط إلا أن

مسيرتـــه بعد ذلك كشفت عن تـــدهوره وتأخـــره بفعل الممارسات الخاطئة والإعتقادات الباطلة لكثير من اتباعه واصبح التصوف سلوكاً عليه مآخذ بقدر ما له من مآثر ، وهى الفترة التى لايزال يحاكم التصوف بأسمها حتى الآن من شطحـــات ودروشه وتواكـــل وهى التى استرعت أنتباه الشيخ مصطفى عبد الرازق فألح إليها كما شدد عليها من قبل أستاذه الإمام محمد عبده .

والحقيقة أن أركان التصوف الصحيح عند الـــشيخ مـــصطفى عبـــد الرازق قـــوامـــه الآتـــى :-

أ - الإيمان

ب - الصدق

جـــ - الاخلاص

د - التجرد من كل صور الرياء

هـــ - والسخاء والكرم

وهو عنده (التصوف) يمثل العلم الـــذى يصـــور المثـــل الخلقـــى الإسلامى الاعلى ، وربط شيخنا التصوف بالنفس الإنسانية والملائكة والوحى والإلهام ويقول إنه لافـــرق بين الوحى والإلهام فـــى شيئ إلا فى مـــشاهدة الملك المقيد للعلم ، فإن العلم إنما يحصل فى قلوبنا بواسطة الملائكـــة ، وإن ميل أهل التصوف متجه إلى هذه العلوم الإلهامية دون التعليمية ، وقد قـــالوا إن الطريق إلى ذلك تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائـــق كلها والإقبال على الله بهمة خالصة ، وبذلك يصير العبد متعرضاً لنفحـــات رحمة الله فلا يبقى إلا الإنتظار لما يفتح الله من الرحمة كمـــا فتحهـــا علـــى الأنبياء والأولياء بهذه الطريقة وهى طريقة التصوف.

ويستشهد شيخنا بما قاله الإمام أبو حامد الغزالى فى " الإحيـاء " إن حقائق الأشياء مسطورة فى اللوح المحفوظ بل فى قلوب الملائكة المقـربين ويضرب لنا مثلاً للمهندس الذى يصور أبنية الدار فـى بيـاض "ورق" ثـم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة الورقية فى العيـان، فكـذلك الله فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من ‹وله إلى أخـره فـى اللـوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة [13].

وبعد أن عرضنا لنا أقسام الملائكة وأقسام النفـوس قـرر الـشيخ الفيلسوف أن هناك تشابه غير خفى بين الوحى عند الصوفية والوحى عنـد الفلاسفة ، فالوحى عند هؤلاء وأولئك إشراف من النفس الإنسانية على حقائق الكون المثبته فى عالم فوق عالمنا يسميها (العـالم العـالى) ولكـن بـين المذهبين مع هذا التشابه فروقاً ، فالعالم العالى عند الفلاسفة عقول مجـردة ونفوس هـى عقول الأفلاك ونفوسها وصور الأشياء منقوشة فيها بحكم أنها صادرة لها وأسبـاب لوجودها ، وبحكم أنها مجردة بطبعها داركة ، وإتصال النفوس البشرية بهذه النفوس الملكية هو إتصال روحى.

أما العالـم العالى عند الصوفية الـذى يفيض مـنه الوحى والإلهام فهو أمران:-

لوح محفوظ كتب الله فيه على الوجه الذى أراده ما كان وما يكون ، وملائكة هم أجسام من نور ذو نفوس كريمة لها على باقى اللوح إطـلاع ، ونرى تأثر الشيخ مصطفى عبد الرازق هـنا بما كـتبه المتصوف العربـى فـى كتابـه " الكبريت الأحمر " ، ويقرر أن الصوفية يعتـدون أولاً علـى النصوص الدينية ويحاولون مبلغ جهدهم أن يشرحوا مُبهمها ويوفقـوا بـين

(13) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام – الهيئة العامة لقصور الثقافة – مكتبة الـشباب – القاهرة – العدد (50) – الطبعة الثانية 1997م ، ص 74

ظواهر التضارب بينها مضطرين إلى الركون إلى منازع الفلسفة وإلى مايسمونه ذوقاً " الذوق الصوفى " ويذكر أنهم أقل إمعاناً فى التأويل ، ونرى إن للصوفية تأويلاً ولكنه تأويلاً رمزياً.

ويقرر الشيخ ان الصوفية فى الإسلام هم بناة المثل الاعلى للاخلاق الإسلامية بل ان للمرأة أيضاً كما يقول الشيخ حظاً غير منقوص فى تشييد هذا الهيكل الصوفى الاخلاقى لأننا نجد فى كتب التصوف والاخلاق ذكرا لمتصوفات سيرتهن شاهد ومثل يحتذى به ، من أمثال ليلى الناطعية ورابعة العدوية وغيرهن .

ولقد نقد شيخنا الجانب الخاص بما رسم للتصوف فى عصوره المتأخره وللآن كما نرى للأسف والتى خلقت أوضاعاً صوفية لا يراها الشيخ من الإسلام الصحيح وبالتالى من التصوف الحق الذى لايلائم مشرب الإسلام على نحو ما هو حاصل فى الموالد والاحتفالات وزيارة القبور والاضرحة والتبرك بها وطلبه الحوائج من الأموات والله حى لايموت . فهم يسمون أنفسهم بالاولياء الصالحين والله أعلم من هو الصالح والطالح !! وهى كلها ممارسات تباعد بين الانسان وبين عقيدة الإسلام وشريعته وباطنه وظاهره .

4ـ **<u>مشكلة الصلة بين الدين والفلسفة</u>** :

من المعلوم ان مشكلة الصلة بين الدين والفلسفة من القضايا الهامة التى مرت بعدة مراحل فى الفكر الإسلامى بصفة عامة والفكر الفلسفى بصفة خاصة ويمكن لنا أن نوجزها فى خمس مراحل :-

<u>الأولى</u> : وهى التى اعقبت حركة الترجمة للتراث اليونانى إلى اللغة العربية متمثلة فى الدفاع عن الفلسفة ، وانها لاتتعارض مع الدين وان

الوصول إلى الحقيقة عن طريق العقل تتساوى مع عملية التفلسف ويمثل هذا الإتجاه أو هذه المرحلة أول فلاسفة العرب (الكندى) متأثراً بأرسطو وفلاسفة اليونان ، ولقد أفرد شيخنا كتاباً عن الكندى (فيلسوف العرب) ، كما خص جزء منه للفارابى المعلم الثانى كما سلف القول.

الثانية : وهى مرحلة خوض الفلسفة فى الإلهيات على نحو لايتسق تماماً مع ما جاء به الدين فجاءت نظرية الفيض مثلاً متعارضه مع عقيدة الخلق ولم يقصد بذلك إستدلال الفلسفة بالدين ، وإنما إقامة التفرقة بين فكر للخاصة (تتمثل فى الفلسفة) ،.وعقيدة للعامة تتمثل فى (الدين) ويمثل الفارابى وابن سينا واخوان الصفا المرحلة أدق تمثيل

الثالثة : وتمثل رد فعل المتكلمين بوصفهم مدافعين عن الدين بادلة العقل تجاه تجرؤ الفلاسفة على إعلان آراء للمتكلمين متعارضة صراحة مع الدين ونصوصه (قدم العالم / علم الله بالكليات دون الجزئيات / حشرة الأرواح دون الأجساد .. إلخ). وهى مرحلة الإمام الغزالى وابو الفتح الشهرستانى وغيرهم .

الرابعة : مرحلة دفاع عن الفلسفة ومحاولة بيان دعوى زيف المتكلمين بإنهم حراس العقيدة والدين ويمثل ذلك الفيلسوف العقلانى التنويرى ابن رشد ونرى ان الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق إمتداد لهذه المدرسة (من رفاعة إلى الأفغانى إلى محمد عبده) .

الخامسة : مرحلة فض الاشتباك بين الدين والفلسفة ومحاولة إرساء صلح دائم بينهما ، وذلك يتمثل فى تخلى الفلسفة عن المجاهرة بنظريات تتعارض صراحة مع موقف الدين ، وهنا قام التصوف

ورجاله بدورهم الوسط بين الطرفين فيما عـرف باسـم الحكمـة المشرقية وممثلى فلاسفة الإشراق (14).

ما نـود أن نقوله ان دراسة الفلسفة (كفكر) مـع الـدين (كعقيـدة) لاتمثل مشكلة ، والصلة بينهما أمر طبيعى فالفلسفة بنت الـدين الرضـيعة يحسه المفكر أو الفيلسوف بهدف تحقيق الإنسجام التام بين المعتقـد الـدينى والنظر العقلى .

ومن هنا نجد شيخنا يعقد فصلاً باكمله عن الصلة بين الدين والفلـسفة عند الإسلاميين فى أشهر مؤلفاته (15) (التمهيد) يورد فيه رأى الفلاسفة ويعلق عليها ويفرق لنا (اصطلاحاً) ما بين الملة والدين من فروق وكيـف ان الملـة محاكية للفلسفة وكيف ان الفلسفة إصلاح للنفس البشرية ؛ واستند إلـى قـول المؤرخ الفيلسوف ابن حزم (ت 456هـ/1063م) فى ان الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها والغرض منها ونحو تعلمها ليس هو شئ غيـر اصـلاح النفس بأن تستعمل فى دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها فـى المعاد (16) ، ويعلق لنا الشيخ الفيلسوف على كلام ابن حزم ويقـول : " فـان معنى كلام ابن حزم هو ان غرض الفلسفة والشريعة (17) غرض عملى "وليس ذلك بمذهب الفلاسفة ولاهو بمذهب الدينيين " ثم يعرض لآراء كل من الفارابى (فى تحصيل السعادة) وابن رشد (فى فصل المقال) (18).

---

(14) د. أحمد محمود صبحى : اللقاء بين العلم والدين فى الشرق والغرب – مقال بمجلة القاهرة – العدد السادس مارس 1985م – ص 22 وما بعدها (بتصرف).

(15) مصطفى عبد الرازق : تمهيد .. مرجع سابق ص 77 وما بعدها .

(16) ابن حزم الأندلسى : الفصل فى الملـل والأهواء والنحل – ج1 – ص 95/94 – طبعة القاهرة 1317هـ

(17) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية – مرجع سابق – ص77.

(18) أنظر فى ذلك : الفارابى : تحصيل السعادة – طبع دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الـدكن – الهند 1345هـ ص 41/40.

ابن رشد : فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال كتاب هام يوضح لنا موقـف ابـن

يعود شيخنا ويقرر ان الملة محاكية للفلسفة عندهم (أى الفلاسفة) وهما تشتملان على موضوعات بأعيانهـا وكلاهمـا تعطـى المبـادئ القـصوى للموجودات ، فإنهما يعطيان علم المبـدأ الأول والـسبب الأول للموجـودات وتعطيانه الغاية القصوى التى لأجلها كون الإنس ، وهى الـسعادة القـصوى والغاية القصوى فى كل واحد من الموجودات الاخر .. وكل ما تعطى الفلسفة فيه البراهين اليقينية فإن الملة (أى الدين) تعطـى فيـه الاقناعـات (القناعـة الإيمانية) ، والفلسفة تتقدم بالزمان على الملة أى أهل الملـة (Eglises) [19] وهنا نجد قول الشريف السيد الجرجانى : " والدين والملة " يتحـدان بالـذات ويختلفان بالإعتبار ، فان الشريعة باعتبار انها تطاع تسمى (ديناً) ومن حيـث انه يجتمع عليها تسمى (ملة) [20] أى الطائفة التى اجتمعت على هذا الدين .

ويواصل شيخنا عـرض لآراء الفـلاسفة الإسـلاميين ابـن سـينا والشهرستانى وابن تيمية ويقول : ان هذه خلاصة آراء الفلاسفة الإسلاميين فى العلاقة بين الدين والفلسفة وإذا كان الفلاسفة يحاولون غالباً التوفيق بـين الشريعة والحكمة فى اسلوب ليس فيه عنف ولانزوع إلى كبرياء فان لبعضهم اساليب تكاد تكون مهاجمة للدينيين أو دفـاعـاً بعنف [21] ولعل هذا راجـع إلى ان المشكلة اصلاً دقيقة للغاية (جليل الكلام) من منطلق مرجعية مـن يتحكم فى من ؟ هل الدين يتحكم فى العقل والفلسفة ام ان الفلسفة هى التـى تتحكم فى الدين ؟ .

رشد من مشكلة التوفيق بين الفلسفة والدين وطبع أكثر من مرة – طبعة القـاهرة – طبعـة أولـى 1895م وطبعة مكتبة المحموديـة التجارية – مصر 1935م وطبعة بتحقيق د. ألبير نادر نصرى – بيروت 1961م وطبعة أخيرة – دار إحياء الكتب العربية مصر 1985م .

(19) مصطفى عبد الرازق : تمهيد .. ص 81/80 ، أنظر أيضاً : الـديـن والـوحى الإسـلام – ص 19 وهامش ص 23.

(20) السيد الشريف الجرجاجنى : شرح المواقف للايجى ج1 ص 108 طبعة القاهرة – بدون .ت

(21) مصطفى عبد الرازق : تمهيد – ص 81

ويواصل شيخنا سرد آراء الفلاسفة ، وتحدث عن ماذكره أبو حيان التوحيدى اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء فى القرن الرابع الهجرى فى ان الشريعة طب المرض والفلسفة طب الاصحاء والانبياء يطيبون المرضى حتى لا يتزايد مرضهم وحتى يزول المرض بالعافية فقط ، وأما الفلاسفة فانهم يحفظون الصحة على أصحابها حتى لايعتريهم مرض اصلاً [22] فإذا كان هذا هو رأى الفلاسفة فما هو رأى علماء الدين ؟

رأى علماء الدين :

أما علماء الدين فمنزعهم غير ذلك المنزع وهم فى أكثر الأمر خصوم للفلسفة فى غير هوادة ولارفق لان بعض الدينيين ممن كان للفلسفة فى عقولهم أثر لايخلو طعنهم على الحكمة من رفق ، وفى كتاب (اللطائف) لاحمد عبد الرازق المقدسى – كما جاء فى التمهيد – إن ابا عثمان الجاحظ مدح الفلسفة وذمها فيما مدحه وذمه من العلوم ، معرباً عن قدرته على الكلام وبُعدْ شأوه فى البلاغة .

فقد قال فى الفلسفة مادحاً : " قيل ما الفلسفة " ؟

قال : أداة الضمائر وألة الخواطر وعلل الأشخاص والعدد واختلاف الاخلاق والطبائع والسجايا والغرائز .

كما قال فى الفلسفة ذاماً فى باب الذم : " قيل ما الفلسفة " ؟

قال : كلام مترجم وعلم مترجم بعيد مداة ، قليل جدواة ، مخّوف على

---

(22) ولقد اعتمد الشيخ الفيلسوف عند عرض آراء التوحيدى على كتابين فقط من كتب التوحيدى وهما : المقابسات والإمتاع والمؤانسة ج2 ص11. ولمزيد من التفاصيل عن التوحيدى ومؤلفاته يراجع كتابنا أبو حيان التوحيدى " دراسة حياته وأدبه وفكره " وتناولت فيه آراؤه الفلسفية والمنطقية والصوفية وبخصوص مؤلفاته وتصنيفها يراجع من ص 56-66 نشر الدار الأندلسية بالإسكندرية – الطبعة الأولى 1998م.

صاحبه سطوة الملوك ، وعداوة العامة [23].

والجاحظ كما نعلم من رجال المعتزلة كمتكلم بالإضافة إلى أنه شاعر واديب وهو أستاذ التوحيدى وهو على رأس فرقة كلامية معتزلية تسمى الجاحظية والصلة بين الفلسفة والدين على مذاهب الاعتزال معروفة ، فهم غالباً ما يرجحون العقل والفلسفة على النص والدين ، ومن علماء الدين من لاصلة بهم بالاعتزال ولكنهم مع ذلك ليسوا غرباء عن الفلسفة وليس فى كلامهم عن الصلة بين الفلسفة والدين تلك الجفوة التى نجدها فى أساليب المتأخرين ، ومن هؤلاء العلماء – كما يذكر الشيخ مصطفى عبد الرازق – أبو القاسم الحسن بن محمد الراغب الاصفهانى (ت 1108/502م) المعتبر من أئمة السنة وصاحب كتاب " الزريعة إلى مكارم الشريعة " الذى قيل أن الإمام الغزالى كان يستصحبه دائماً ويستحسنه لنفاسته [24].

والإمام الغزالى (505هـ/1111م) مع شدته فى الرد على الفلاسفة ومعاداته للفلسفة لم يبلغ فى ذلك مبلغ من رد الفلسفة جملة وحرم الاشتغال بها من غير تفصيل وقد استشهد الشيخ الفيلسوف بكتاب الغزالى تهافت الفلاسفة رغم ان هذا الكتاب كان سبباً فى نفور العامة من الفلسفة . ولعل كتاب المنقذ من الضلال اخف وطأة من التهافت ولعلة سيرة ذاتية اكثر منه كتاب فلسفى ولكن الغزالى يرسم رأيه فيما بين الدين والفلسفة من صلة عند الكلام عن الإلهيين من الفلاسفة وهم الصنف الثالث وهم المتأخرين مثل سقراط وأستاذه أفلاطون وتلميذهما ارسطو واضع المنطق ومنهج العلوم ؛ ووويجوز ما صح عن الغزالى من فلسفة ارسطو بحسب نقل هذين الرجلين (يقصد بها الشيخ الرئيس ابن سينا والفارابى) يعدها الشيخ الفيلسوف فى ثلاثة

---

(23) مصطفى عبد الرازق : تمهيد – ص 82 (نقلاً عن المقدس فى اللطائف ص19/17).

(24) مصطفى عبد الرازق : نفس المصدر – ص 83.

اقسام لاحظ انه نفس حصر الامام الغزالى فى التهافت) :

- قسم يجب التكفير به .
- قسم يجب التبديع به .
- قسم لايجب انكاره اصلاً .

ولكن الإمام الغزالى يفصل هذه الاقسام العلمية بالنسبة للشرع بقولة :-

"تنقسم علوم الفلسفة (لاحظ جعله الفلسفة علماً ؟!) بحسب الغرض منها إلى ستة أقسام : رياضية ومنطقية وطبيعية وإلهية وسياسية وخلقية"(25).

ويواصل شيخنا سرد وعرض آراء الفلاسفة والمتكلمين حول مشكلة الصلة بين الدين والفلسفة مستخدماً منهجاً تاريخياً تحليلاً إلى ان يصل عرض لآراء استاذه الاول **الإمام محمد عبده** فى رسالة التوحيد وغيرها(*).

ثم أورد لنا أراء طاش كبرى زادة الذى هاجم الفلسفة والحكمة هجوماً كبيراً وحذر منها وقال فيهم شعراً :

وما انتسبوا إلى الإسلام إلاَّ لصون دمائهم عن أن تُسالا
فيأتون المناكر فى نشاط ويأتون الصلاة وهم كُسالى

(25) الإمام أبو حامد الغزالى : تهافت الفلاسفة – بتحقيق وتقديم د./ سليمان دنيا – الطبعة السادسة – دار المعارف بمصر – سلسلة ذخائر العرب – العدد (15) : 1980م ص 58 وما بعدها .

(*) سبق وان قتم بتحليل وتفنيد آراء الإمام محمد عبده الكلامية والفلسفية فى بحث مستقل نشر بمجلة الإنسانيات – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية (فرع دمنهور) – العدد الأول – السنة الأولى 1998م . من ص 180/129 فآثرت عدم التكرار .

فالحذر الحذر منهم وإنما الاشتغال بحكمتهم حرام فى شريعتنا وهم أضر على عوام المسلمين من اليهود والنصارى .

ولقد وضع شروط للنظر فى علوم الفلسفة ومنها :-

أ - أن لا يتجاوز مسائلهم المخالفة للشريعة وان تجاوزوها فإنما يطالعها للرد لا لغيره .

ب- أن لا يمزج كلامهم بكلام علماء الإسلام .

ويهاجم طاش كبرى زادة - نصير الدين الطوسى هجوماً عنيفاً ويثنى على الإمام الغزالى والرازى لأنهما مزجا كتب الكلام بالحكمة لكن للرد على مخاليفهم كما نراه فى تصانيفهم ولا بأس من ذلك.

المهم فى الأمر أن الشيخ الفيلسوف بذل جهوداً غير عادية فى سرد وعرض الآراء التى تهاجم الفلسفة والتى تؤيدها والتى لاتعرف الهوادة ولا اللين ، ويقول عنهم : أنهم لم يتذوقوا طعم الفلسفة ولم بتنسموا ريحها وفى كلامهم من الخلط ما يدل على أنهم لايتكلمون عن علم فيما عالجوا من أمور الفلسفة (26) .

ويرى الشيخ مصطفى عبد الرازق أن الإسلام يجمع بين الدين والشريعة والعقل ولقد استوفى الدين كله فى القرآن الكريم ، ويرى ان ما لفت انتباه الغربيين فى الفلسفة الإسلامية انها فلسفة دينية ، وهذا هو الجديد والمبتكر فيها وهو ايضاً ما جعل من فلاسفة الإسلام دعاة ومبشرين بالدين

---

(26) مصطفى عبد الرازق : تمهيد - ص 88/87 (واستند الشيخ الفيلسوف فى عرض آراؤه على نقول من كتاب مفتاح السعادة ومصباح السعادة ج1 ص 27 لأحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زادة (ت 962هـ) ونرى ان الشيخ الفيلسوف تخلى هنا عن منهجه التاريخى حيث انه أورد آراء طاش كبرى زادة وعرضها بعد أن تحدث عن الإمام محمد عبده الأكبر معاصرة .

الإسلامى وأن موقف ابن حزم مثلاً كما قلنا من إنه لم ير تعارضاً بين الدين والفلسفة فغاية تعليم الدين العلم الحق وغاية الفلسفة العمل الحق وكلاهما غاية امتثال الانسان لما ينبغى من الانفعال التى تفيد السعادة وتجنب الأفعال التى تفسيد الشقاء ، كما أن الفارابى لم يكن يرى فرقاً بين الاثنين سوى إن منهج الفلسفة – البرهان اليقينى ، ومنهج الدين – الإقناع [27] (الإيمانى) كما ذكرت .

* * *

(27) د. عبد المنعم الحفنى : موسوعة الفلسفة والفلاسفة – الطبعة الثانية – مكتبة مدبولى – 1996م – ج2 ص 1316

خامساً

فى العلاقة بين العلم والدين :

أ – تقديم ..

قبل الخوض فى هذا الموضوع يجدر . ا أن نوضح ما قاله الشيخ الفيلسوف عن علم الكلام والفلسفة فى معرض حديثه عن بيئة الكندى : " أما علم الكلام فلم تكن حين ذاك رغم تشجيع الخلفاء لها – إلا فنوناً من النظر العقلى مبتدعة ينكرها أهل الزعامة الدينية (لعله يقصد الفقهاء) وهى بعيدة الصلة بالحياة وحاجاتها فلا جاه لها من دين ولا من دنيا ؛ أما الفلسفة وما إليها فلم تكن إلا علوماً دخيلة يشتغل بتعريبها أناس لاهم مسلمون ولاهم من العرب ...." (28) .

وبالطبع ما يقصده شيخنا هو توضيح للتوجه الفلسفى والكلامى إبان عصر الكندى (القرن الثانى الهجرى) ولايعبر عن رأيه هو الشخص المخالف تماماً لهذا الخطاب الفلسفى وهذا ما سنراه فى كتابه الهام " تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ".

ونرى من ناحية أخرى ان الرأى السابق مطابق إلى حد ما لما ذهب إليه بعض المستشرقين الذين ينكرون على العرب وخصوصاً الاوائل منهم أى فكر ابتكارى من منطلق مرجعية الفصل بين الجنسيات (النظرية العرقية) وتقسيمها إلى آريين وساميين ، وهذا الموقف نفسه الذى تبناه كل من : أرنست رينان وتنمان وغيرهما وقد وقف شيخنا مدافعاً عن وجهة نظرة فى الكتاب وكما سنرى فيما بعد .

المهم فى الأمر ان شيخنا حقق للفيلسوف الكندى كل اخباره وحياته

(28) مصطفى عبد الرازق : فيلسوف العرب والمعلم الثانى – مرجع سابق – ص 25 وما بعدها .

ومصنفاته راجعاً إلى أمهات الكتب المعتمدة (29) وذكر شواهد عديدة تمنهج طريقة الكندى فى النقد ، وهو مذهب فلسفى يقوم على العناية بسلامة المعنى من الوجهة المنطقية واستقامته فى نظر العقل (30) وتتبع شيخنا اسلوب الكندى فى الترجمة واشار إلى أنه لم يُدرس بعد (حتى عصره على الأقل) كما اشار إلى ذلك الأستاذ ماسينيون فى كتابة " مجموع نصوص لم تنشر متعلقة بتاريخ التصوف فى بلاد الإسلام " بسبب ضياع اكثر كتب الكندى . ولانرى ضياع كتب الكندى أخرت التصوف حيث أنها ضئيلة فى هذا الفرع .

ولاحظ شيخنا أن أسلوب الكندى – فيما وصله اعتماداً على المصادر الضئيلة – فيه غموض يأتى بعضه من أن الألفاظ الاصطلاحية الفلسفية والعلمية لم تكن استقرت فى نصابها وتحددت معانيها ، وضرب لنا لذلك مثلاً بما جاء فى كتاب اثولوجيا الذى نقله إلى العربية عبد المسيح بن عبد الله بن ناعمة الحمصى ، وأورد لنا سبب الغموض من عدم وضوح المعنى فى نفسه وقد أشار إلى ذلك الاستاذ جلسن Gilson فى كلامه عن نظرية العقل عند الكندى حسبما ورد فى " رسالة فى العقل الموجود " وهى فى الأصل باللغة اللاتينية ترجمة إلى الفرنسية (31) وبعد عصر الشيخ مصطفى عبد الرازق ظهرت مدرسته الفلسفية وظهر فيما ظهر من قيضة الله ليوضح لنا مذهب وأسلوب الكندى بتحقيق كتبه ورسائله بشكل أكثر شمولية ، وهنا يبرز دور ومجهودات د. محمد عبد الهادى أبو ريدة .

(29) وذكر الشيخ الفيلسوف أمثلة لذلك منها : سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون وطبقات الأطباء والفهرست لابن النديم وكتاب المعارف لابن قتيبة وأسد الغابة فى معرفة الصحابة وتاريخ بغداد والعقد الفريد للملك السعيد لابن عبد ربه ... إلخ .

(30) مصطفى عبد الرازق : فيلسوف العرب .. مرجع سابق ص 33/26.

(31) Gilson (E.T) : Archives d'histoire doctrine et littéraire de Moyen Age – Paris année 1929-30- Vol. IV. P. 27.

ويواصل الشيخ مصطفى حديثه عن أوائل الفلاسفة العرب وتحدث عن الفارابى المعلم الثانى ونسبه وموطنه ومولده ونشأته وثقافته ورحلاته ومؤلفاته ووفاته ومكانته الفلسفية ومذهبه فى الجمع بين رأييّ الحكميين (أفلاطون وارسطو) ورأيه فى السعادة ومذهبه فى إحصاء العلوم وتصنيفها فى عجالة لا تفى بالغرض المطلوب [32] وبعد عصره تحدث عن الفارابى الكثير والكثير وأبرزهم د. إبراهيم بيومى مدكور وماجد فخرى وناجى التكريتى وغيرهم .

ب ـ الدين والوحى والإسلام :

عالج الشيخ الفيلسوف عام 1945م موضوعات ثلاثة متداخلة وهى بلاشك مدخل للكلام عن العلاقة بين الدين والعلم " وقلنا من قبل إن (الدين والوحى والإسلام) من أهم مؤلفات الشيخ الفيلسوف بعد كتابه (التمهيد) ويذكر الفيلسوف فى مقدمته للكتاب أنه عرض فى :

الموضوع الأول : لثلاثة مباحث

أولهما : فى العلاقة بين العلم والدين

ثانيهما : فى تحديد الدين وبيان أصله فى نظر علم اللغات بين الفرنجة

ثالثهما : فى الدين والنظر الإسلامى (أصل مادة الدين ومعانيها) اللغوية المختلفة ، والدين فى لسان القرآن والمعنى البشرى لكلمة الدين عند الفلاسفة الإسلاميين والفرق بين الدين والفلسفة ، وقد قمت بمعالجة هذه الجزئية الاخيرة .

الموضوع الثاني : عرض الشيخ الفيلسوف لمبحثين "

أولهما : فى المعانى المختلفة لكلمة الوحى فى اللغة والقرآن والسنة

(32) مصطفى عبد الرازق: فيلسوف العرب..مرجع سابق ص80/75 أنظر أيضاً من ص 91/90

ثانيهما : أهم النظريات فى تفسير ظاهرة الوحى (مذهب المتكلمين / مذهب الفلسفة الإسلامية / رأى الصوفية) ثم عرض لمذهب ابن خلدون وآراء المسلمين فى العصور الحالية.

الموضوع الثالث : فقد عرض لنا فى قسمه الأول للنظريات المختلفة فى العلاقة بين المعنى اللغوى والمعنى الشرعى لكلمة اسلام(33).

ج - بين العلم والدين :

وفى تمهيد فى العلاقة بين العلم والدين يذكر الشيخ الفيلسوف ما قاله العلامة الفرنسى إميل بوترو Emile Boutroux فى أن أمر العلاقات بين الدين والعلم يثير أشد العجب فإنه على الرغم من تصالح الدين والعلم مرة بعد مرة وعلى الرغم من جهود أعاظم المفكرين والتى بذلوها ملحين فى حل هذا المشكل حلاً عقلياً ؛ لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ؛ ولم ينقطع بينهما صراع يريد به كل منهما ان يدمر صاحبه لا ان يغلبه فحسب ، على ان هذين النظامين لايزالان قائمين . ولم يكن مجدياً أن تحاول العقائد الدينية تسخير العلم فقد تحرر العلم من هذا الرق وكأنما انعكست الآية منذ ذلك وأخذ العلم ينذر بفناء الاديان ولكن الأديان ظلت راسخة وشهد بما فيها من قوة الحياة عنف الصراع (34).

ونلحظ من عبارات بوترو ان هناك نوعاً من الصراع أو التصادم أو الكفاح أو التدمير والغلبة بين العلم والدين ؛ وهنا نجد شيخنا يقول بانه لايريد ان يعرض لتاريخ العلاقات بين الدين والعلم على مر العصور وما تناوبها من سلام وحرب لأن ذلك بحث يطول وليس هو مما يقصده من كتابه هذا ، وقد ذكر هذا التمهيد بمناسبة حديثه من الدين وكل ما ذكره شيخنا هو بعض

(33) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام – مرجع سابق – ص 5 ، 6 .

(34) مصطفى عبد الرازق : المصدر السابق – ص 9 .

ما كتبه إميل بوترو عن موقف العلم والدين فى إيامه أى منذ ½ قــرن مــن الزمان إذ يقول : " ليس التصـادم الآن (عام 1945) فيما يظهر بـين الـدين والعلم باعتبارهما مذهبين بل التصادم أدنى أن يكون بـين الـروح العلميـة والروح الدينيه ، فليس يعنى العالم ان يكون ما جاء فى الدين من عقائد متفقاً مع نتائج العلم لان الاساس الذى يعتمد عليه الدين فيما يجيئ به يختلف عـن الأساس الذى يعتمد عليه العلم ؛ فالدين يقدم مسائله على أنها عقائـد يجـب الإيمان بها أى يجب ان يتقيد بها العقل والوجدان ويعرضها فى صورة تـدل على إتصال الإنسان بنوع من الأشياء يعجز علمنا الطبيعـى عـن إدراكـه (أمور إلهية / غيبية / توفيقية) والمتدين من ناحية إذا وجد جميـع عقائـده وعواطفه واحكامه العملية مفسرة بل مثبته بالعلم يكون هيئته أبعد شيئ عـن مسالمة العلم ؛ فإن هذه الشئون إذا شرحت على هـذا الوجـه فقـدت كـل خواصها الدينيه " [35].

وبتحليل نص بوترو الهام جداً والذى ساقه شيخنا فى كتابه يتضح لنـا انه لايرى أدنى علاقة بين العلم والدين واعتبر ان لكل منهما خواصـه، وان الإنسان بعيد جداً عن مسالمة العلم أن كان متديناً ، ونختلف معـه فـى هـذه الجزئية حيث انه لاتعارض بين العلم والدين وهذا الربط الـشرطى يبـين أن الإنسان متديناً وبعيداً عن العلم أو عالماً وبعيداً عن التدين هى أرهاصة مـن ارهاصات العلمانية التى انتشرت خلال نهاية الفرن العشرين وبدايـة الألفيـة الجديدة . ولكن العذر معه لانه لم يقرأ كتاب المسلمين (القرآن الكـريم) لانـه ملئ بالآيات التى تأمرنا للنظر والتأمل فى الظواهر الطبيعيـة المحيطـة بنـا وتحضنا على استخدام الحواس والعقل معاً، والدين يشجع على طلـب العلـم ويترك الفكر حراً فى تفسير الظواهر الطبيعية ، ومنطـق العالم سليم فى نظر

(35) مصطفى عبد الرازق : المصدر السابق – ص 10.

الدين أساسه المشاهدة ، والعلم ليس بضاعة أوربية ولا أمريكية وليس ذا طابع شرقي ولاغربى بل هو مشاع بين الأمم ولاوطن له ويطلب فى الصين كما يطلب فى أمريكا ويوجد أينما وجد الفكر البشرى من منطلق ان العقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس ، كما قال الفيلسوف الفرنسي ديكارت . ويزدهر العلم حينما ترتفع الحضارة وتعلو النفوس وتتحرر العقول [36].

ومن هنا لاتعارض بين العلم والدين شريطة أن نلتزم اخلاقياً ونحذر العلماء من شطحاتهم وتجاوزاتهم التى عندما يتخطوها يتجاهلون الدين والعقيدة وينسبون العقل إلى أنفسهم وعقولهم وينسون خالق النفس والعقل وخالق كل شئ .. وهنا نتمثل قول الله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾ [37].

ولقد ذهب الإمام محمد عبده (أستاذ الشيخ الفيلسوف) إلى أن الدين والعلم متى فُهما على الوجه السليم لايمكن أن يكون بينهما خصومه أو نزاع وهو يقول أيضاً فى ذلك ان العلم الصحيح مقوم الوجدان ، والوجدان السليم من أشد اعوان العلم ، والدين الكامل علم وذوق وعقل ، ولب وبرهان واذهان فكر ووجدان " [38]. وبهذا المعنى كان (رابلية) يقول : علم بلا ضمير فيه تلف للنفس ، ومن هنا لا تعارض ولا تناقض بين الفلسفة والعلم والدين [39] .. هذا الثالوث الذى ينظم الكون وبدونها

---

(36) د. عبد المنعم الحفنى : موسوعة الفلسفة والفلاسفة – مقال عن الدكتور (مصطفى مشرفة 1898/1950) ج2 ص 1310.

(37) سورة فاطر : آية 28 .

(38) د. عثمان أمين : الإمام محمد عبده رائد الفكر المصرى – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى 1955م – ص 80.

(39) د. شبل بدران : رواد التنوير الفكرى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى – القاهرة 1993م – ص 69.

لا تستقيم أمور الفكر الحر والمستنير ، وهذا ماندعو إليه اليوم فى عالم يهتم بالعلم والتقدم والتكنولوجيا وفى نفس الوقت دون أن نخسر أخلاقنا ونضيع فى بحر متلاطم امواجه ، وحتى لايقال إن ديننا لايدعو إلى العلم والتقدم !!

د ـ الدين من وجهتى النظر الغربية والإسلامية :

حدد – الشيخ الفيلسوف فى فصل مستقل – الدين وبيان أصله فى نظر الباحثين من الفرنجة وربطها بعلم اللغات ؛ ولكن ماهو وجهة النظر الإسلامية من هذه القضية ؟

سيتضح ذلك بعد عرضنا لآراء الفرنجة ووجهة نظرهم . بداية يجب الاشارة إلى أن هناك فكرتان رئيسيتان مسيطرتان على النظريات الدينية هما : فكرة التطور وفكرة التوحيد (الوحى الأول) ، وبين الفكرتين تنازع مطلق فى السيطرة على تلك النظريات وإمدادها بالأساس التى تستند عليه ؛ كما ان العلماء ينقسمون إلى قسمين مختلفين:

- قسم يذهب إلى فردية الدين .
- وقسم يذهب إلى جمعيته .

وأنتج الأولون نظريات مختلفة أهمها نظريتان : النظرية الحيوية أو نظرية حيوية المادة ، والنظرية الطبيعية .

ألهم الأولين نظرياتهم وابحاثهم فى الموت والاحلام عند البدائيين وألهم الآخرين ابحاثهم عالم الطبيعة وظواهره ، ومايقترف به فى ردع البدائى من احاسيس نفاذة ومشاعر يعتاص حلها.

أما العلماء الذين ذهبوا إلى جمعية الدين فتمثلهم المدرسة الفرنسية الاجتماعية فى أوائل القرن العشرين ؛ وقد هاجموا أصحاب النظرية الفردية

الاولى هجوماً عنيفاً وراعتهم فكرة العقل الجمعى ورأوا فيها رمز الدين (40).

والمراد بتعريف الدين تعيين الخصائص التى لابد لكل دين منها والتى لايسمى الدين ديناً إلاّ بها ، والبحث فى تعريف الدين مرتبط أشد الإرتباط بالبحث فى أصل الدين وجرثموته الأولى (41).

والإنسان هو أولاً وبالذات مفكر ، واللغة أول مظهر من مظاهر تفكيره الدينى وغيره ، وفى ذلك يذكر شيخنا ما قاله ماكس مولر Max Muller فى انه يمكن ان يقال فى الدين ما قيل فى اللسان من أن كل جديد فيه فهو قديم وكل قديم فيه فهو جديد ، وتاريخ الدين كتاريخ اللغة يرينا فى كل مكان ألوانا متتابعة فى التأليف المستحدث بين عناصر أصيلة لا قديمة ، وفى أنه قد آن الآوان لوضع خطة ثابتة لعلم الدين كالخطة التى وضعت لعلم اللغة ، وهنا يقول الشيخ الفيلسوف : "إن الباحثين لا يزالون منذ القرن الماضى يحاولون أن يضعوا للأديان شجرة أنساب كالتى وضعوها للغات " (42).

وإذا ما حاولنا أن نبحث عن تعريف للدين واتجهنا إلى انفسنا لنستخلص ماهيته العميقة وأن نستبطن من الداخل هذا الشعور البدائى الأول وإذا ما حاولنا هذا لتوصلنا إلى تعريفات متعددة تكشف كل واحد منها عن جانب من جوانب الدين . فالدين كما يقول هربرت سبنسر H. Spencer هو الإحساس الذى نشعر به حينما نغوص فى بحر من الأسرار ؛ أما ماكس مولر فيحدده بأنه إحساسنا باللامتناهى، ويذهب شليرماخر Schleiermacher إلى

(40) د. سامى النشار : نشأة الدين – النظريات التطورية والمؤلهة – نشر مكتبة الخانجى بمصر – الطبعة الأولى 1948 ص 2 ، 3 .

(41) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام – مرجع سابق – ص 11 .

(42) مصطفى عبد الرازق : المصدر السابق – ص 14 .

أنه خضوع الإنسان لموجود أسمى منه ، وأخيراً يرى فورباج Feurbach إن الدين هو الغريزة التى تدفعنا نحو السعادة ، ونلاحظ ان هذه التعريفات فردية وانها لاتتجه نحو تبين عمومية الظاهرة الدينية وقد نقيم على هذه التعاريف فلسفة أم العلم فلا . فالمنهج الاستنبا ى أذن لايؤدى إلى تعريف واضح عام للدين ؛ أما التعاريف التى تستند إلى فكرة الحدس (المنهج الحدسى) فاوضحها تعريف هنرى برجسون فى كتابه : Les deux sources de la Religion et de morale حيث ميز بين نوعين من الدين : الدين الديناميكى والدين الاستاتيكى [43].

ولقد تتبع الشيخ الفيلسوف معانى كلمة (دين) ومقابلاتها عند الامم الأوروبية الحربية وقال إن لفظ (دين) العربى / الإسلامى هى فى الغرب رليجيون Religion المقتبسة من اللغة اللاتينية القديمة على الرغم من الاختلاف فى بنية الإشتقاق لصيغة رليجيو Religio اللاتينية نفسها والمتقدمين يردونها إلى مادة تفيد معنى الربط الشامل لربط الانسان والناس أجمع بعضهم ببعض ولربط البشر بالآلهة (خوفاً أو رهبة أو تقديس) ، ويحاول بعض متأخرى العلماء أن يجعل مأخذ الكلمة فى اللفظ الاول الذى هو مصدر الاشتقاق ، وكلمة رليجيو Religio اللاتينية تدل فى غالب استعمالاتها على معنى الشعور بحق الألهة مع الخشية والاجلال .

أما كلمة رليجيون Religion الحديثة فتطلق على معان ثلاثة :

المعنى الأول : نظام إجتماعى لطائفة من الناس يؤلف بينهما إقامة شعائر موقوته (كالصلاة والصوم والحج فى الإسلام)
وإيمان بأمر هو الكمال الذاتى المطلق أو هو الله الواحد

---

(43) د. على سامى النشار : نشأة الدين – مرجع سابق – ص 22 وما بعدها .

المعنى الثانى : حالة الشخص الخاصة المؤلفة من عواطف وانفعالات وعقائد ومن أعمال عادية تتعلق بالله تعالى .

المعنى الثالث : إحترام فى خشوع لقانون أو عادة أو عاطفة ، ويرى الشيخ الفيلسوف أن هذا المعنى هو أقدم هذه المعانى(44) .

ويسرد لنا مذاهب علماء النفس وعلماء الاجتماع فى أصل الدين والتعاريف المختلفة للدين ونقدها ، فيذكر رأى العالم الإجتماعى دوركايم Durkheim والفيلسوف هربرت سبنسر H.Spencer وماكس مولر ... إلخ

ويصل بنا إلى الأديان الخالية من فكرة الالوهية ومن فكرة الكائنات الروحية ، كما يشهد بذلك دين البوذية القديم (فى الهند) ولعله استئناس لتعريف دوركايم فهو يقسم الدين على الوجه الآتى :-

أ - العقائد وهى شأن من شئون الفكر وهى عبارة عن علم .

ب-العبادات وهى عبارة عن صور خاصة بالعمل .

وهنا نجد الربط بين العلم والعمل ، وجميع العقائد الدينية المعروفة تحتوى على ذات مشترك بينها وهو ان الأشياء كلها ظاهرة أو باطنة على مرتبتين وعلى نوعين متقابلين : مقدس وغير مقدس.

وقد ميز دوركايم فى كتابه العظيم بين المقدس Le Sacrè وغير المقدس Le pofane وبين الدينى وغير الدين والكتاب بعنوان : Les formes élémantair de la vie religieuse •

---

(44) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام – مرجع سابق – ص 17، 18،أنظر أيضاً :
Emile Bautraux : Science et Religion, Paris Flamarion, 1922 - P.390

فالأشياء المقدسة هى المحرمة (نظام التابو) التى يميزها عن غيرها ويفردها تعلق النهى بها بخلاف الاشياء التى ليست مقدسة فإنها غير محاطة بسياج من هذه النواهى ، فالعقائد الدينية هى العلم بطبائع الأمور المقدسة وما بينها من روابط والعلاقات بعلاقاتها بالأمور غير المقدسة، أما العبادات فهى نظم للسلوك تقرر كيف ينبغى للإنسان أن يكون بإزاء الأشياء المقدسة (45).

وليست الأمور المقدسة مقصورة على الآلهة والأرواح فقد يكون التقديس لصخرة أو شجرة أو بئر أو بيت أو تمثال أو بقرة أو شمس أو قمر .. إلخ . طبقاً لاعتقادات أصحاب العقائد الغير مؤلهة . ويقرر الشيخ الفيلسوف ان تعريف الدين بهذا التمييز بين المقدس أو غير المقدس ليس وافياً فى نظر دوركايم لأنه يشمل أمرين مختلفين يحتاجان إلى تفرقة بينها وهما : السحر والدين ، فإن الدين ينفر من السحر بقدر نفور السحر من الدين .

والسحر نزاع إلى إمتهان الأمور المقدسة وهو فى افاعليه يعارض الأعمال الدينية (رغم وجود السحر فى القرآن الكريم) ويمارسه الناس للأسف مع حرمانيته وإذا لم يكن الدين يحرم افاعيل السحر والسحرة – افتراضاً – فإنه ينظر إليه غالباً نظرة إزدراء أو إنكار ، والذى يفرق بين السحر والدين هو أن العقائد الدينية على الحقيقة (أى ما عقد فى القلب بحبل متين) هى دائماً مشتركة بين جماعة معينة تؤمن بها وتعمل مايسايرها من العبادات مثال ذلك لدى أصحاب الديانات الثلاثة الكبرى : اليهودية والمسيحية والإسلام .

---

(45) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام – ص20 أنظر أيضاً : د. على سامى النشار – نشأة الدين – ص17 ، ص25.

ويسرد لنا الشيخ الفيلسوف التعريف الكامل المطرد المنعكس للـــدين على النحو الآتى :-

الدين هو نظام من عقائد وأعمال متعلقة بـــشئون مقدســـة [46]، أى محيرة محرمة تؤلف من كل من يعتنقونها أمة ذات وحدة معنويـــة وقـــد عرض لالاند Lalande لمناقشة دوركايم قائلاً بهذا الشأن إنه لاتناقض من جهة الشكل بين تعريف برونتير للدين وتعريف دوركايم فإن المقابلة التـــى يقررها دوركايم بين المقدس وغير المقدس تطابق ما يقرره برونتير بـــين الطبيعى والخارق للطبيعة والواقع ان الذى يحقق ماهية الدين هـــو التمييز بين حالتين أو عالمـــين مختلفين اختلافاً ذاتياً [47] ، أو بعبارة أخـــرى أدق الإيمان بنوع من الموجودات أسمى من سائر الأنواع ، ولعل هذا هو رأى إكيين Euchen ، ونحن إذا اعتبرنا الدين إنسانى بحت كما قلت ووضـــع لغاية نحا إليها الأنبياء وهى صلاح البشرية وإقامة العمران ، أو بمعنى أدق ذهب هؤلاء الفلاسفة إلى أن الإنسان صنع الديـــن ، ولكن إذا كان هــــذا التفسير الالحادى قد ذهـــب إلى " انسانية الدين " أو كما قال كال مـــاركس الدين أفيون الشعوب فإن التفسير الاجتماعى للدين وطبقـــاً لمـــنهج ثابـــت ووضعى – أراد أن يكمل هذا التفسير وان يحصل من الـــدين – بجانـــب إنسانيته – دراسة وضعية اجتماعية ولم يرض هذا كثيراً من رجال الأديان، وقد حاولوا أن يجدوا فى أساس البشرية الأولى اعتقاداً كامناً فطرياً يتقـــدم فى نفس البدائى من فكرة الإله الأسمى أو السامى [48] ، ضف إلى ذلك ما كان لدى فلاسفة اليونان من اللوغوس والنوس والمحـــرك الاول والفـــيض

---

(46) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى فى الإسلام . ص 21.

(47) La Lande (A): No Cabulaire technique et Critique de la Philosophie 1980 – P. 284.

(48) مصطفى عبد الرازق : الـديـــن والـــوحى والإســـلام . ص22 ، أنظـــر أيـــضاً : د. علـــى ســـامى النشـــار : نشـــأة الـــديـــن – ص 10 .

والواحد وغير ذلك .

وجملة القول – كما يذهب الشيخ الفيلسوف – أن الـدين يكـون حينئذ شاملاً للسحر وليس كل العلماء على رأى دوركايم فى التفرقة بين السحر والدين فإن الأمم الساذجة (المرحـ الميثولوجية) قد يختلط دينها بالسحر والشعوذة والطلسمات وقد يكون السحرة فيهـا هـم الزعمـاء الدينيين (حالة غياب العقل) ولكن يبقى أن الدين وتعريفه قـد حيـر العلماء والفلاسفة ويبقى أيضاً ان الدين دين والسحر سحر والعلم علم فى الأسس والبناء والعمارة الفلسفية والمرجعيات .. تلك هى كلمات السطور التالية :–

هـ – الدين بين اللغة والقرآن :

مما لا شك فيه أن للدين دوراً هاماً فى بناء الحـضارات وهـى الفكرة المركبة التى تحدث الشرارة فـى الحـراك التـاريخى والتغييـر الاجتماعى ويمكن القول بإن الدين فى الوضع اللغوى لـه عدة اطلاقات تتضمن إلزاماً وإلتزاماً وملتزماً به أو بعبارة أخرى علاقة بين طـرفين تتضمن عهداً ومبدأ يلتزم به فالإلتزام من قبل المُلـزم يقابلـه خـضوع والتزام وهى حالة نفسية وعملية تسمى عملية التدين ، ثم المبدأ الملتزم به وهى الحقيقة الخارجية وجملة المبادئ التى تدين بها أمة من الأمم اعتقاداً وعملاً (49).

ولو بحثنا عن كلمة (دين) العربية واصل مادتهـا ومعانيهـا المختلفة فى لسان العرب ومعاجم اللغة العربية وكتب التعريفات لوجدنا لها معان متعددة بلغ بها بعضها عشرين معنى أو تزيد ، ولكن فى هذه

(49) د. محمد عبد الله دراز : الدين – بحوث عهدة لدراسة تاريخ الأديـان – دار القلـم – الكويـت – 1990م – ص 32 وما بعدها .

المعانى ماهو مولد بعضه من بعض وفيها ما هو مجازى وبعضها متداخل [50].

ومن معانى الدين اللغوية (الملة) Eglise ويقرر الجرجانى ان الدين والملة يتحدان بالذات ويختلفان بالإعتبار ، فإن الشريعة باعتبار أنها تطاع تسمى (ديناً) ، ومن حيث أنه يجتمع عليها تسمى (ملة) ، ومن حيث أنها يرجع إليها تسمى (مذهباً) ، وقيل الفرق بين الدين والملة والمذهب إن الدين منسوب إلى الله تعالى والملة منسوبة إلى الرسول ﷺ والمذهب منسوب إلى المجتهد [51].

وَهنا نجد قول الشيخ الفيلسوف إن الإسلام يجمع بين الدين والشريعة ولقد أستوحى الدين كله فى القرآن الكريم ، ولم يكل الناس إلى عقولهم فى شئ ، وأما الشريعة فلقد استوفى اصولها ثم ترك للنظر الإجتهادى تفصيلها وتمثل رسالة الإمام الشافعى بان جعل إبتلاء طاعة المسلمين فى الإجتهادِ . كإبتلاء طاعتهم فى غير ذلك ، مما فرض عليهم . والحكمة سُنة رسول الله ﷺ والمسلم مأمور بتعلم الكتاب والحكمة ، والحكيم مجتهد [52].

ويرى الشهرستانى (فى الملل والنحل) إن المعانى الأصلية لكلمة (دين) هى الطاعة والإنقياد والجزاء والحساب ، ثم يجعل الدين بمعنى الملة والشريعة متفرعاً من جملة تلك المعانى الثلاثة [53].

---

(50) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام – ص 24.

(51) الجرجانى : التعريفات – مطبعة مصطفى البابى الحلبى – الطبعة الأولى – مصر 1938م – مادة (الدين / الملة) – ص 95/94.

(52) د. عبد المنعم الحفنى : موسوعة الفلسفة والفلاسفة – مقال بعنوان : " مصطفى عبد الرازق الشيخ ، ج1 ، ص 1313.

(53) الشهرستانى : الملل والنحل – ج1 ص 135 .

ويذكر الشيخ الفيلسوف في موضع آخر - معنى الدين قائلاً : "وهو أيضاً له معنى متولد كما نص عليه الراغب الأصفهانى فى كتاب المفردات فى غريب القرآن إذ يقول : والدين يقال للطاعة والجزاء وأُستعير للشريعة والدين والملة ، ولكنه يقا" بأعتبار الطاعة والإنقياد للشريعة ، فللدين على رأيه معنيان لغويان اصليان هما : الطاعة والجزاء ، ومعنى الشريعة مُستعار من المعنى الأول [54]، ولفظة (دين) Religien مجموعة معتقدات وعبادات مقدسة تؤيد بها جماعة معينة ؛ يسد حاجة الفرد والجماعة على السواء أساسه الوجدان ، وللعقل مجال فيه [55] ، ويؤكد الفارابى أن الدين والملة يكادان يكونان أسمين مترادفين [56] ، ولم يفرق بينهما.

وينقل لنا الشيخ الفيلسوف قول المستشرق ماكدونالد Macdenald فى الفصل الذى كتبه عن لفظة (دين) فى دائرة المعارف الإسلامية حيث توجد ثلاث كلمات متباينة فى ثنايا الخليط من المعانى التى يحشوها اللغويون للفظ (دين) :-

أ - كلمة آرامية عبرية بمعنى حكم .

ب- كلمة عربية بمعنى العادة والدين .

ج- كلمة فارسية لا صلة لها بالكلمتين الاولبين تدل على معنى الملة

ويستبعد الشيخ الفيلسوف ان يكون لفظ (دين) بمعنى (ملة) تدل على معنى الملة الاعتراف بوجود اللفظ نفسه عربياً بمعنى آخر فى رأى

---

(54) مصطفى عبد الرازق (الدين والوحى والإسلام) - ص 25.

(55) مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفى بتصوير د. إبراهيم مدكور - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - الطبعة الأولى 1979 - ص 86 وما بعدها (دين).

(56) الفارابى : كتاب الملة - طبعة بيروت - لبنان 1968م - ص 32.

ماكدونالد . والناظر فى هذه المادة يجد تفنن العرب فى الاشـتقاق فيهـا وتعدد الصيغ وتشعب الاستعمالات لها ما لم تجربه عادتهم فى الكلمـات العربية [57].

وإذا كان استعمال (الدين) فى معنى الملة (إستعمالاً مولـداً مـن معنى أصلى للمادة فـإن الشيخ الفيلسوف لايميل إلى رأى القائلين بأن هـذا المعنى الأصيل هـو الطاعة أو الجزاء أو هو جملـة الطاعـة والحـساب والجزاء ، ويعلل على ذلك بأن الطاعة تستلزم أمراً مطاعاً وآمراً يطـاع ، فهى تستدعى ان يكون الدين ذا إله وشـريعة وكـذلك الجـزاء والحـساب يستدعيان مجازياً محاسباً بيد ان من أديان العرب فى الجاهلية التى تسمى فى لسانهم (ديناً) من غيـر شك ما ينكر الإله القادر وينكر الحساب والعقـاب ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم إلا يظنون ﴾ [58] وهؤلاء هم الدهريون (مذهب الدهرية) وهم الذين رد عليهم الامام جمال الدين الأفغـانى فى العصر الحديث وهو من اساتذة الشيخ الفيلسوف ، والقرآن الكريم نفـسه يسمى ما كان عليه العرب ديناً إذ يطلب إلـى الرسـول (ﷺ) أن يقـول للكافرين : ﴿ ... لكم دينكم ولى دين ﴾ [59].

ولايفوتنا ان لفظة (الدين) أو (دين) وردت فى القـرآن الكـريم أكثر من تسعين مرة فى مواضع مختلفة لاسباب متعددة فنجد علـى سـبيل المثال لا الحصر ان لفظة الـدِّيـن وردت 62 مرة / ديـن وردت مـرة واحدة / ديناً وردت 4 مرات دِينُكُمْ وردت 11 مرة / دِينِهِ وردت مـرتين /

---

(57) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام – ص 25 .

(58) سورة الجاثية : آية 24 .

(59) سورة الكافرون : آية 6.

دِينهُمُ وردت 10 مرات ، دينى وردت مرتين هذا بخلاف لفظة دَيْن وردت 5 مرات [60] وهى تختلف فى المعنى عن المقصود تماماً.

ويؤيد الشيخ الفيلسوف رأى الراغب الأصفهانى فى ان الدين فى القرآن الكريم يفسر بالطاعة تارة والجزاء تا : أخرى ، ويرد بمعنى الملة أيضاً ويقول :

" لعل أسلم الآراء هو ما يدل عليه كلام الأصفهانى فانك قد لاتجد كبير عناء فى حمل الدين فى الآيات القرآنية على معنى الجزاء أو الطاعة أو الملة " [61] .

وهناك تخريج آخر بخصوص الاستعمال القرآنى لمصطلح الدين حيث يرد بمعنين :

- ❑ معنى **المعتقد والمنهج** الذى يتخذه الإنسان فى هذه الحياة ويفسر به الوجود ويشكل به نظرة وتصويراً عن الخالق والكون والحياة ، وهذا ينظر إليه من ناحيته الإنسانية العملية ؛ أى تلك الممارسات العملية (التدين).

- ❑ **ومعنى ثان وهو** بالنظر إلى الحقيقة لهذا المنهج وواضعه ، وفى هذا يصير هناك دينان فقط ، دين الحق ودين الضلاله أو بعبارة أخرى دين الله الإسلام وغيره من الاعتقادات التى تخالفه مهما كانت [62].

---

(60) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – دار الحديث – الطبعة الأولى – القاهرة – 1986 – ص 269/268.

(61) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام ، ص 27 ، 28 .

(62) بدران بن مسعود بن الحسن : الظاهرة الغربية فى الوعى الحضارى 1 نموذج مالك بن – سلسلة كتاب الأمة – قطر – العدد 73 السنة التاسعة عشر – رمضان 1420هـ – ص90.

❑ **وهناك بعد آخر** ينبغى الإلتفــات إليه وهو ما بينته الآية الكريمة : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ (63).

نعود ونقول إن القرآن الكريم استعمل لفظ (الدين) فى المعــانى المعروفة عند العرب على وفق استعمالاتهم ، ومن تلك الاستعمالات الدلالة بلفظ (دين) على معنى الملة ؛ ولقد جاء القرآن الكريم والعرب فى موقف تشعب دينى وإضطراب والقرآن من أصدق المراجع فــى تــصوير حالــة العرب عندما ظهر الدين الإسلامى ، وقد ذكر القرآن فى ثلاث آيات مــن آياته ما يدل على الأديان التى كان للعرب إتصال بها فى عهده وأوردهــا الشيخ الفيلسوف فى كتابه (64) والآيات هى :-

الآية الأولى : ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون﴾(65)

والآيــة الثانــية : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هــادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الأخر وعمل صالحاً فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ (66).

والآية الثالثــة : ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شئ شهيد﴾(67)

---

(63) سورة الروم : آية : 30

(64) الشيخ مصطفى عبد الرازق – الدين والوحى والإسلام – ص 29.

(65) سورة البقرة : آية 62.

(66) سورة المائدة : آية 69.

(67) سورة الحج : آية 17.

ويفهم من الآيات انه كان للعرب إتصالاً باليهود والنصارى والصابئة والمجوس وإذا كان كل من اليهود والنصارى لهما كتابان منزلان هما: التوراة والإنجيل ولهما أيضاً رُسل من عند الله تعالى هما : سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام ، فإن مذهب الصابئة على ما يحيط بتاريخه من غموض يكاد يتم الإتفاق على أنه يقر بالألوهية، ويرى أنا نحتاج في معرفة الله ومعرفة أوامره واحكامه إلى متوسط أو وسيط ويجب ان يكون روحانياً لاجسمانياً ففزعوا إلى هياكل الأرواح وهى الكواكب وعبدوها ، فهم عبدة الكواكب ، أما المجوس فهم ثنوية أثبتوا للعالم أصلين اثنين قديمين مدبرين يقتسمان الخير والشر ، يسمون أحدها إله النور (إهرمن) والثانى إله الشر (يزدان) او الظلمة ، والمجوس الأصلية يزعمون ان الأصلين لايجوز ان يكونا قديمين أزليين ، بل النور أزلى والظلمة محدثة ، ويعتقد المجوس ان الدين يجب ان يكون بواسطة نبى وأن يُعتمد على كتاب ، أما المشركون فهم طوائف عدة فمنهم من أنكر الخالق ، والبعث وقالوا بالطبع المحيى والدهر المفنى (الدهريين) ، ومنهم من أقر بالخالق وأثبت حدوث العالم وإبتداء الخلق (68) ، ومنهم أيضاً من أثبت قدم العالم مثل الفلاسفة.

والقرآن الكريم قرر فى أمر الدين أصولاً جعلت للدين معنى شرعياً خاصاً ، فالدين لايكون إلا وحياً من الله إلى أنبيائه الذين يختارهم من عبادة ويرسلهم أئمة يهدون بأمر الله كما يؤخذ من كثير من آيات الكتاب (69).

---

(68) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام ، ص 29 ، 30.

(69) يراجع فى ذلك : سورة الرعد : آية 43 ، سورة النحل : آية 43 ، وسورة النساء آيات 163 ، 164 ، 165

وهذا الدين الذى يوحيه الله إلى أنبيائه هو واحد لايختلف فى الأولين والأخرين ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ شرع لكم فى الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ... ﴾ (70).

ومن هنا قد بين لنا القرآن الكريم أن هذا الدين الواحد الحق لايتغير بتغيير الأنبياء ، فالأصول المشتركة ثابتة والفروع الشرعية متغيرة ، وهذا الدين الواحد هو المعبر عنه فى آيات من القرآن الكريم بالإيمان وعن أهله بالمؤمنين والذين آمنوا.

تلك هى جهوده الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق الذى جعل من دراسة الفلسفة دراسة فى القرآن الكريم والإسلام ، وربط بين الفلسفة والدين ربطاً متيناً فى منظومة واحدة ، وأوضح لنا دور الوحى والدين والإسلام فى ثلاثية مقدسة ليجعل من دراسة الفلسفة الإسلامية دراسة فى الدين رغم إعتراض البعض على ذلك من المشارقة والمغاربة . والآن ما هو دور الشيخ الفيلسوف فى درء تعصب المستشرقين وما هو موقفه من آراؤهم المختلفة ؟

* * *

(70) سورة الشورى – آية : 12.

سادساً

جهود الشيخ مصطفى عبد الرازق

ضد آراء المستشرقين :

ومن المعروف إن جهود الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق لم تقف عند حد بعث الذات العربى القديم كالفلسفة الإسلامية وعلم الكلام والتصوف وعلم الاخلاق وعلم أصول الفقه بمدراسها الكبرى ، كما نجد ذلك فى كتاباته عن الكندى (أول فلاسفة العرب والإسلام) والفارابى (المعلم الثانى) ، وحتى لدى بعض الشعراء كالمتنبى والبهاء زهير .. بل لقد كان الشيخ الفيلسوف واسع الاطلاع فى العلوم العقلية والنقلية وخصوصاً الفلسفة وبالأخص الفلسفة الغربية عند الفرنسيين إبان دراسته فى جامعتى السوربون وليون بفرنسا واحتكاكه باساطين الفلاسفة الفرنسيين ، واتخذ موقفاً نقدياً بين السلب والإيجاب ، وخير دليل على ذلك ما كتبه الشيخ الفيلسوف عن الإمام محمد عبده (71) أستاذه وعدد لنا أشهر مؤرخى فرنسا فى مرحلة العودة(**)، ومنهم فرنسوا جيزو F. Guizot (1787-1874م) وميشيلية Michelet (1798-1874م) ومينية Mignet (1796-1884م) وتيير Thiers (1797-1877م) وغيرهم (72).

إن الموقف النقدى من الاستشراق الفلسفى سلباً / وإيجاباً وصلة

---

(71) مصطفى عبد الرازق - محمد عبده - دار المعارف بمصر - 1946م ، ص 83 وما بعدها

(**) هى مرحلة من مراحل الواقع التاريخى للمؤرخين الفرنسيين أطلق عليها فى فرنسا مرحلة العودة أى عودة آل بوربون إلى الحكم مرة أخرى بعد أن أسقطتهم الثورة الفرنسية الكبرى فى عام 1789م . وهى الفترة التى تمتد من 1841-1830م . ولقد كشفت هذه المرحلة عن حقيقة الواقع التاريخى للعلاقات الاجتماعية الحديثة فى فرنسا.

(72) أنظر فى ذلك : د. محمد عبد السلام الشاذلى - تطور الفكر العربى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الأولى - القاهرة 1993م - ص 106.

الشيخ الفيلسوف بالفكر الغربى لم تقتصر على المستشرقين أصحاب المذاهب الفلسفية ، بل كان الدرس الفلسفى أحد هذه الميادين ، فلقد درس الشيخ علم الاجتماع وعلم الاخلاق فى باريس على يد الفيلسوف وعالم الاجتماع دوركايم واتصل باعلام الدراسات الإنسانية فى جامعة ليون ، ومن أهم اعماله التى نوه بها بروكلمان فى ترجمة له بين أعلام النثر العربى الحديث تلك الترجمة التى انجزها بالاشتراك مع العالم الفرنسى برنارد ميشيل.

المهم فى الأمر أن الشيخ الفيلسوف يذكر فيما يذكر عن أستاذه الإمام محمد عبده أنه كان يسارع إلى مطالعة ما يعرف من الكتب ويترجمه . وقد كان فيما كتبه فى جريدة الأهرام الاسبوعية فصل فى تقريظ كتاب التحفة الأدبية فى تاريخ الممالك الاوربية الذى هو تعريب لكتاب أصله الفرنسى بعنوان L'histoire de la civilisation en Europe et en France.: أى تاريخ المدنية أو الحضارة فى أوروبا وفرنسا لمؤلفه الوزير الفرنسى فرانسوا جيزو F. Guizot .

ولقد تعرض الشيخ الفيلسوف لمقالات الغربيين ومؤلفاتهم التى كانت تتأرجح بين الدفاع عن أصالة الفكر الفلسفى الإسلامى والهجوم عليها ، بل احياناً الهجوم على الدين الإسلامى نفسه وعلى القرآن الكريم وعلى شخص سيدنا محمد (ﷺ) – حاشا لله. وهذا الهجوم إنتشر فى أيامنا هذه مع إنتشار وسائل الإعلام للأسف الشديد ، ولكن أين نظير الشيخ الفيلسوف؟!

وتتبع الشيخ الفيلسوف نماذج من آراء المستشرقين الغرب واعتبر ما قاله تنمان (G.Th. Tennemanne. ت 1819م) فى أحد كتبه مُعبراً عن رأى مؤرخى الفلسفة فى الفلسفة الإسلامية المعاصرة فى بداية القرن التاسع عشر الميلادى ، ولقد تتبع الشيخ نماذج من تطور هذا الرأى حتى وصل

إلى عصره (القرن العشرين الميلادى) ، ونورد هنا قول تنمان فى مقالة بعنوان "عرب" : " إن العرب شعب مجبول على استعدادات قوية وثابتة ، ولقد كان أولاً صابئياً ثم أستمد حماسة دينية وحربية من دين محمد (ﷺ) المتوفى 632م " . والغريب فى الأمر والشئ الذى يعجب له الإنسان انه بعد هذه الفقرة يقول : "..... وهو دين شهوانى وعقلى معاً !!" ولانفهم ماذا يقصد المؤلف تنمان بشهوانى هذه !؟ .

ونحن نتساءل بدورنا كيف يجتمع الشهوانى والعقلانى معاً ؟؟ لعلها شهوة تحصيل العلم والمعارف وألاّ فإننا لانرى اى وجهه إتفاق او إتساق فى المعنى بين الشهوة والعقل ، وهذا ما يؤخذ على رأى تنمان ، ويؤخذ أيضاً على شيخنا الفيلسوف الذى لم يرد فى حينه . على كل حال فقد عاونت هذه النزعات (العقلية) خلفاء العباسيين من أمثال :

- المنصور الذى تولى الخلافة من 754م إلى 775م (136هـ/158هـ)
- والمهدى الذى توفى 785م (158هـ / 169هـ).
- وهارون الرشيد المعاصر لشرلمان وكان خليفة فيما بين 786/809م. ت (193هـ)
- والمأمون الخليفة (المستنير) من 813/833م (198هـ/218هـ).
- والمعتصم المتوفى 842م (200هـ/ 227هـ) .

.. وهؤلاء الخلفاء امروا بنقل كتب اليونانيين الى العربية وأنشأوا المدارس ودور الكتب والحكمة [73].

---

(73) Tennemanne (G.th):Manuel de l'histoire de la philosophie – seconde Edition Paris - 1839 - Teme No., 1 - P.P. 350-357

ويذكر الشيخ مصطفى عبد الرازق فى بداية كتابه إلهـام .. "تمهيـد لتاريخ الفلسفة الإسلامية" .. قول المستشرق تنمان فـى ان أرسـطو مـع شراحه يكاد يكون من بين سائر الفلاسفة هو الذى استرعى أنظـار العـرب ومن الشراح نجـد فيلوبنـوس Jean Philopons السكندرى (ت608م) ويعرف أيضاً بيحيى النحوى ، ولقد تلقوا جملة ما ألفه ارسطو ولكنهم تلقوها على الحقيقة عن تراجم ناقصة جداً بوساطة خادعة هى وسـاطة المـذهب الأفلاطونى الجديد [74] (الأفلوطنية المحدثة) أو هى الصورة المشوهة وليست الحقيقية [75] لانتقال الفلسفة من اليونان إلى العرب . وأضافوا إلى هذا دراسة العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخ الطبيعى والطب والفلك ولكن عدة عقبات ثبطت تقدمهم فى الفلسفة (أى المسلمين) وهذه العقبات ..علـى حـد قـول المستشرق تنمان هى :-

1- كتابهم المقدس الذى يعوق النظر والتفكير العقلى الحر.

2- حزب أهل السنة وهو حزب قومى متمسك بالنصوص .

3- أنهم لم يلبثوا ان جعلوا لارسطو سلطاناً مستبداً على عقولهم ذلك إلى ما يقوم دون حسن تفهمهم لمذهبه من الصعوبات.

4- ما فى طبيعتهم القومية من ميل إلى التأثـر بالأوهام ، ويقول فى هذا "... من اجل ذلك لم يستطيعوا ان يصنعوا أكثر من شروحهم لمذهب ارسطو وتطبيقه على قواعد دينهم الذى يتطلب إيماناً أعمى !! ".

ولنا وقفة نقدية مع العقبات الأربعة التى عرضها المستشرق تنمـان

---

(74) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لنماذج الفلسفة الإسلامية – مرجع سابق – ص 5.

(75) د. على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج1 – ص111 وما بعدها – الطبعة الثانية – دار المعارف بمصر 1981م.

ويعدها من المثبطات لتقدم الفلسفة فى بلاد الإسلام ، ونــقول له ولغيره ممن يتجرأ على الدين الإسلامى فيما يختص بالبنود الأربعة :-

بنـد 1: مغالطة من مغالطات المستشرقين وتجنى من تنمان المتحامل علـــى القرآن الكريم الذى يحث بـــل يأمر علـــى النظـــر العقلـــى الحـــر والتفكير والتدبير والتذكـــر والقرآن الكريم ملئ بآيات كثيرة تـــدل على ذلك نذكـــر منهـــا على سبيل المثال لا الحصر :

- ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ (76).
- ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات واصابة الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ (77).
- ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ...﴾ (78).
- ﴿ .... وسع ربى كل شئ علماً أفلا تتذكرون ﴾ (79).
- ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت والسماء كيف رفعت ﴾ (80).

فكيف بعد هذا يمكن لقائل أن يقول إن كتابنا المقدس (القرآن الكريم) يعوق النظر والتفكير الحر العقلانى ونحن أمة أقرأ .؟!.

---

(76) سورة البقرة : آية 219.

(77) سورة البقرة : آية 266.

(78) سورة آل عمران: آيتان 191/190.

(79) سورة الأنعام : جزء من آية 80.

(80) سورة الغاشية : آيتان 18/17.

بنـد 2: نرى إن إطلاق لفظ حزب على أهل السُنة فيه مغالطة كبيرة أيـضاً لان أهل السُنة والجماعة هم المسلمون حقاً المتمـسكون بالكتـاب والسُنة وما كان عليه السلف الصالح والصحابة والتابعين ، ولفظة حزب سياسة أكثر منها عقدية بل يمكن ان نطلـق عليهـا فرقـة اسلامية تجاوزاً.

بند 3: بخصوص سلطة وهيمنة أرسطو المستبدة على العقلية العربية لانوافق المستشرق تنمان عليها لاننا لسنا نقلة حرفيين بل ترجمنا وقرأنـا وأستوعبنا واضفنا من هويتنا ما أضفنا وتركنا لهم ما لا يتناسـب معنا (فكراً / عقيدة) ونقد المسلمون أرسطو وخاصة فى المنطق وأصبح لديهم منطقاً خاصاً بهم وأرجانوناً جديداً وقياس واسـتقراء فللمسلمين سلطان واحد هو سلطان الله من خلال الكتاب المنزل من عند الله وهو دستور القرآن الكريم وكون المسلمون يأخـذون مـن أرسطو هذا دليل على الإنفتاح والتنوير وهو قول مـردود علـى المستشرق تنمان .

بند 4: بخصوص نظرية الاوهام والاصنام والإيمان الأعمى لدى المـسلمين نقول له (أى المستشرق) اننا لسنا قوم موهومين ولانعبد الاصـنام التى كان أجدادنا فى الجاهلية يعيدونها بل حطمنا الأصـنام وآمنـا بالله رباً ومحمد رسولاً وبالقرآن كتاباً فأى أوهام يقصد ؟!.

- وفى جزئية أخرى يذكر الشيخ الفيلسوف قول المؤلف الفرنسى تنمان فى فصل بعنوان فرق الفلاسفة عند العرب[81].

" كان يوجد غالباً عند العرب طائفتان من الفلاسفة عظيمتان :-

---

(81) Tennemanne : Manuel teme 1, p.p 3,58-259

أحدهما : طائفة الفلاسفة على الحقيقة وهم القائلين بالوجود المثالى Idealistes يعتقدون تبعاً للمذهب الأفلاطونى الاسكندرى ان العالم قديم (فلاسفة الإسلام التابعين لأرسطو) ويبحثون عن سبيل لوصل هذه الفكرة بالدين المنصوص ويدخل في هذا القسم الزهاد الذين هم الصوفية .

ثانيهما : طائفة فلاسفة جدليين أهل نظر هم المتكلمون أو المشاؤون الذين تقوم عقائدهم على الأصول الدينية الواردة فى القرآن الكريم .

ثم يعدون **طائفة ثالثة** هى طائفة الاشعرية المؤلفة من جبريين لايرون للأشياء عللاً إلاَّ إرادة الله .

تلك هى بعض الأراء التى أوردها الشيخ الفيلسوف عن المستشرق المتعصب المتناقض مع نفسه تنمان .

وقد قمت بتفنيد بعض آراوه ولكن ما هى أهم ملاحظات الشيخ الفيلسوف على هذا الكلام ؟!.

أورد لنا الشيخ الفيلسوف خمسة ملاحظات ضمنها كتابه الهام (تمهيد) رداً على كلام المستشرق تنمان نلخصها فيمايلى :-

أ - إن تنمان ينسب الفلسفة التى نحن بصددها إلى الشعب العربى دون أن يذكر انها إسلامية خالصة.

ب- يعتبر هذه الفلسفة شاملة لما يسمى فلسفة على الحقيقة مع ما اتصل به عرضاً فى بعض الأطوار من تاريخ الاشراقيين وشاملة لمذاهب المتكلمين

ج- ثم هو يجعل هذه الفلسفة ليست فى الغالب إلا شرحاً مضاعفاً لمذهب

أرسطو ومفسراً له ولا تطبيقاً لهذا المذهب على قواعد الدين العربى

د- ويعدد العقبات التى عاقت سير الفلسفة عند العرب فيردها إلى المرجعية الدينية وهى القرآن والمرجعية التحزبية وهو حزب أهل السُنة ومرجعه قومية وهى استعداد العرب للتأثير بالأوهام وخضوع عقولهم لسلطان ارسطو – وقد قمت بالرد على هذه الجزئية .

هـ- ثم ينتهى إلى الإعتراف المكرر بأن مصنفات الفلاسفة من العرب لم تدرس حق دراستها [82].

وهنا نتساءل كيف حكم عليها إذن ؟؟

بين الساميون والآريون :

وتقسيم الناس إلى ساميين وآريين هو من صنع علماء تاريخ اللغات فى القرن التاسع عشر – والسامى نسبة إلى سام على ما جاء فى التوارة من أنه كان لنوح أبناء ثلاثة : سام وحام ويافث ، فسام أبو الإسرائليين وإخوانهم وحام أبو الزنوج ويافث أبو بقية البشر.

أما الآرى فمنسوب إلى آريا وآريا باسم شعب كان مهد النجد الفارسى من بلاد الأفغان وما إليها ثم انحدر فيما حوالى 2000 سنة ق.م إلى الشمال الغربى من الهند ومعه دين جديد من أديان الشرك هو دين الفيدين وله كتاب مقدس هو مجموع مزامير موجهة إلى الآلهة تسمى : فيدا [***]

---

(82) مصطفى عبد الرازق – تمهيد – مرجع سابق – ص 7 ، 8

(***) نسبة إلى الفيدا كتاب الهندوس المغربى وهى كلمة سنسكريتية معناها العلم أو المعرفة وهى تضم أربعة أسفار (يراجع فى ذلك : جون كولر : الكلمة الشرقى القديم سلسلة عالم المعرفة – العدد 199- ترجمة د. كامل يوسف حسين ، ومراجعة د. إمام عبد الفتاح إمام – الكويت يوليو 1495م – ص 32 – أنظر أيضاً : جفرى بارندر : المعتقدات الدينية لدى الشعوب – سلسلة عالم المعرفة – العدد 173 مراجعة د. إمام عبد الفتاح إمام – الكويت – مايو 1973م – ص 136 وما بعدها.

وهو اليوم دين البراهمة ودين الهندوسين لم يدخله إلا تغيير يسير ، ولقد كان لمزامير هذا الدين المقدس وما ألهمته من فلسفة أثر كبير في حياة آسيا العقلية ووصل صدى ذلك إلى أوروبا منذ القدم.

لذلك لم يكن يستقر الاستعمار الأور ، فى بعض أنحاء الهند حتى أحيل علماء أوروبا على دراسة الفيدا وقد راعهم ما لاحظوه من التشابه بين اللغة السنسكريتية التى هى لغة الفيدا وبين اللغات الأوروبية

وهكذا نشأ علم مقارنة اللغات Philologie Compareé فصنفت اللغات أصنافاً وردت كل مجموعة منها إلى أصل واحد ثم جعل العلماء هذه الأنساب اللغوية للأمم التى تتكلم بها، ونبتت فى القرن التاسع عشر الميلادى نظرية الشعب الآرى الذى هو أصل الأمم الأوروبية ولبعض الأمم الآسيوية ممن ترجع لغاتهم إلى أصل واحد هو اللغة السنسكريتية أوغيرها والمستشرق ارنست رينان كان أول من قرر نظرية الاجناس فى كتابه تاريخ اللغات السامية[1].

ورينان (1892م) متعصب بخصوص الجنس وتقسيم الناس بهذه النظرة العرقية التى قال بها مع بعض المستشرقين والتى فيها نوع من التعصب والهوى وعقيدة الاستعلاء والأنا ، وبخس حق الشخصية العربية ولقد صوروا العقلية العربية بانه (مشتت / مجزء / مفرق) وليس مجمع وهذا التقسيم العرفى بين السامى والآرى قال به أيضاً دافيد سانتلانا (1840/1931م) فى كتابه المذاهب اليونانية الفلسفية فى العالم الإسلامى واتهم فيه العرب والعقلية العربية بأنهم غير قادرين على هضم الفلسفة .

---

(1) مصطفى عبد الرازق : تمهيد – ص 101 – 113 (بتصرف)

انظر أيضاً : **Renan(E): Histoire générale et système compare des langues Sémitiques – Paris - Vole. 1.p.5.**

وهذا ما نجده لدى اليهودى المجرى المتعصب جولدتسيهير (1921م) وغيره من المستشرقين من أمثال جوستاف دوجا ولسن وليون جوتييه الفرنسيين ودى بور (1942م) الهولندى ونيكلسون الانجليزى (1962) وهنرى كوربان الفرنسى (1979) واميل برهيه (1951) وكارا دى فو (1953) أما لويس ماسينيون (1964) . فإنه أنصف الإسلام من ناحية التصوف الإسلامى وفلاسفة الإسلام أصحاب القلاقل والآلام كما جاء فى مؤلفه الكبير عن الحلاج. ومن هنا جاء موقف الباحث الفيلسوف الإسلامى المعاصر من هذا العنت حين ألقى اولى محاضراته فى الفلسفة الإسلامية فى الجامعة المصرية ووضع المنهج وقدم إطار عام للفلسفة الإسلامية وقدم رؤية بانورامية فى كتابه الهام " تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية " وكان يهدف هدم نظرية العقل الآرى والعقل السامى وتقديم ابداعات العقل العربى واجتهاده فى ميدان الفكر العقلى والفلسفى .

ومن هنا جاءت جهوده فى تطور الفكر الفلسفى الإسلامى المعاصر مواكبة ومتفقة مع منهجه فى الدرس الفلسفى الإسلامى ، فلقد خصص الشيخ الفيلسوف القسم الثانى من كتابه عن منهجه فى درس الفلسفة الإسلامية وخص

الفصل الأول :

عن بدايات التفكير الفلسفى الإسلامى والعربى عند ظهور الإسلام والدين والجدل.

والفصل الثانى :

عن العرب بعد ظهور الإسلام من خلال الدين والشريعة وعن الإسلام والجدل فى الدين ، وأستند إلى عدة آيات قرآنية نذكر منها : ﴿قل يا

أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [83] ، ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم ...﴾ [84] ، وهي بالقطع آيات تدعوا إلى التعاون والوحدة والاعتصام بحبل الله وعدم الفرقة والشهادة بان البشر كلهم مسلمون ، وكان على القرآن الكريم ان يجادل مخالفيه من أرباب الاديان الأخرى والملل المختلفة فى بلاد العرب وغيرها إبان الفتح الإسلامى رداً على الشبهات التى كانوا يثيرونها حول عقائد الدين الجديد على أنه لايمد حبل الجدل حرصاً على الألفة وكثيراً ما تختتم آيات الجدال بمثل قوله تعالى : ﴿ إن الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ﴾ [85].

ولقد اتضح لنا ان شيخنا كان لــه موقفاً نقدياً من الاستشراق الفلسفى الذى احتوى مادته على آراء وافكار خاطئة تضمنها دعاوى جانحة من جانب بعض المستشرقين المتعصبين ضد الإسلام والفلسفة الإسلامية ، ولقد اثبت الشيخ خطأ دعاوى هؤلاء المستشرقين وان النظر العقلى وحرية الرأى والكلمة والفكر المستنير قد واكب ظهور الإسلام وما بعد ذلك فى وضوح وصراحة.

الخاتمة وأهم النتائج :

أما وقد وصلنا إلى نهاية المطاف فى بحثنا المتواضع عن جهود الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق فى تطور الفكر الفلسفى الإسلامى المعاصر فى مصر والعالم العربى شرقه وغربه آن لنا أن نذكر أهم نتائج الدراسة فى النقاط الآتية :-

---

(83) سورة آل عمران : آية 64 .

(84) سورة آل عمران : آية 103.

(85) سورة الزمر : آية 3 (ولقد وردت آيات بنفس الإكتاظ فى القرآن الكريم بمعانى مختلفة حوالى 10 مرات – أنظر فى ذلك فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مرجع سابق – ص 240

1- إن الجهود المتواصلة للمفكر الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق تلوح فى علاقة جدلية خصبة فاعلة بين الذات المفكرة الواعية بالماضى (إستشهاداته المتعددة بالتراث) ، ومقومات الأصالة ، وبين الموضوع الذى يحتوى الواقع فى زمانه ومكانه (حاضر علاقاته بالغرب / معايش يثرى الفكر) ومعطياته ومشخصاته وثوابته (عقائد) ومتغيراته (فكر متجدد) والمتعلقة بالأنا (عربى / مسلم / شرقى) والأخر (غربى / مسيحى).

2- إن مسئولية الريادة فرضت على الشيخ الفيلسوف فى أن يكون له دوراً أصيل فى نشأة الفكر الفلسفى الإسلامى المعاصر وتطوره (منهج / مذهب أصيل) لم يسبقه إليه أحد ، فهو يُعد مؤسس لمدرسة أيديولوجية متميزة تخرج فيها كثير من أعلام الفكر المعاصر .

3- إن مؤلفاته رغم ضآلتها (كمية) إلا أنها عظيمة الشأن (كيفية) ويكفى أنه من خلال مؤلفاته وضع لنا قواعد التفكير ومنهجه وأصول البناء الفلسفى الإسلامى تعد عظيمة الشأن إلى يومنا هذا ، رغم إعتراض البعض سواء على طريقة منهجه أو أسلوبه فى معالجة بعض القضايا أو حتى على التسمية التى يمكن أن تطلق على نوع الفلسفة أو الفكر الذى ينبت فى أرض عربية / إسلامية . وآثر شيخنا أن نسميها فلسفة إسلامية ورفض أى توجه أخر ، ومن ثم يجب الأخذ بهذا الأسم ولايصلح العدول عنه ولايجوز المشاحنة فيه ، فلا مشاحة فى اللفظ مادام المعنى واحد .

4- تميز الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق بدقة العرض والتحليل والنقد وإعطاء كل ذى حق حقه دون النظر إلى أى إعتبارات ، وملامح الوفاء والإخلاص لأساتذته سواء كانوا من الغرب أو الشرق كانت واضحة (لاحظ إمتداحه لبعض المستشرقين الذين تعلم عليهم فى باريس وليون وكذا إمتداحه للشيخ الإمام محمد عبده أساتذه المباشر لدرجة أنه خصه بكتاب).

5- أن جهود الشيخ الفيلسوف فى بعض القضايا الفلسفية / الكلامية / الفقهية لاتنكر فلقد أدلى بدلوه فى مشكلة الأخلاق وربطها بالنفس ، والحرية والتصوف الإسلامى ، وعرض لمشكلة الصلة بين الدين والفلسفة والدين والعلم وما يتفرع عنهما من الوحـ والدين والإسلام ، وفرق بين الدين والملة والعقيدة .

6- قام الشيخ الفيلسوف بالرد على المستشرقين القائلين بأن العقلية العربية غير قادرة على التفلسف لإنها عقلية سامية لم تعرف التركيب ولأنها لاتعقل إلا ان تجمع بين الأشياء وبصرف النظر عن كونها متناسقة / متناسبة مع بعضها أو غير متناسقة ، على عكس العقل الآرى الذى دأبه – فى زعمهم – التأليف والتركيب بين الأشياء بوسائل متدرجة ولقد وضح الشيخ الفيلسوف – وكما أثبتنا ذلك فى متن البحث إن هذه الدعاوى باطلة لاأساس لها من الصحة بدليل ان لدى المسلمين فلسفة واستخدموا اللفظ اليونانى تأكيداً منهم بأن تنسب الفلسفة إلى الأصل اليونانى ، ولكن الحكمة (وهى نفس اللفظة مترجمة) ليست بالعلم المجهول عن العرب ومنهم ، ألم يدعونا كتاب الله العظيم(القرآن الكريم) بالعلم والحكمة والموعظة الحسنة والتأمل والتدبر والتفكر فى خلق السموات والأرض والموجودات والكون والإنسان وخالق الأشياء كلها والجدل الذى هو ألة الفلسفة لم يكن غريباً على القرآن الكريم فقد أستخدمه للرد على المخالفين والطاعنين فى الإسلام ، والجدل القرآنى هو طريقة النظر الإستدلالى / المنطقى / الفلسفى لأنه يقوم على التروى وإستخدام الحكمة كما فى قوله تعالى : " يؤتى الحكمة لمن يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلاّ أولوا الألباب " – سورة البقرة – آية 269 .

وجدير بالذكر إن لفظة الحكمة ومشتقاتها مذكورة فى القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة مما يدل على ان الشرقى المسلم السامى لم يكن بعيـداً عن الحكمة والفلسفة يوماً من الأيام .

7- بالإضافة إلى ذلك ما نود أن نقوله إن من أسباب نشأة علم الكلام هو أنه أريد به أن يكون فلسفة إسلامية أو إلهام وإسهام فلسفى للمسلمين خاص بهم (علماء الكلام / فلاسفة الإسلام) وبعقيدتهم وأيضاً إتخاذ المسلمون المنطق أله للفلسفة وعلم الكلام للدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية (العقل والنقل) وأضافوا إليه وأصبح لهم منهجاً خاصاً بهم يضاهى ما ظهر لدى فلاسفة الغرب فيما بعد . ناهيك عن علـم التـصوف وعلـم أصول الدين وعلم الفقه والأخلاق والسياسة والجمال وغير ذلـك أى إن نظرية رينان وغيره مهدومة من أساسها .

8- لقد أرسى الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق دعائم النهضة الحديثة فى العالم العربى الإسلامى فى مجال الفكر الإسلامى المعاصر ، وكان واحداً من أخلص تلاميذ رواد حركة التجديد ومدرسة الإحياء والتجديـد والإصلاح الدينى والاجتماعى فى مـصرنا الغاليـة وأمتنـا العربيـة الإسلامية التى تتعرض هذه الأيام لهجمة شرسة من المغرضـين فـى الغرب سواء كانت على هيئة مقالات أو دراسات أو رسوم كاريكتاريـة أو خطب مضادة للإسلام أو حتى إغتيالات جسدية ومعنوية فـى ظـل تخاذل عربى إسلامى ضعيف هانت عليه نفسه فكان الهوان من الآخـر أسهل وأيسر .

* * *

مصادر ومراجع الدراسة الرابعة

أولاً: المصادر

مؤلفات الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق

1. **تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية :**

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - طبعة الأولى - القاهرة - 1363هـ / 1994م.

2. **الدين والوحى والإسلام :**

الهيئة العامة لقصور الثقافة - مكتبة الشباب - الطبعة الثانية - العدد (50) - القاهرة - 1997م.

3. **فيلسوف العرب والمعلم الثانى :**

مطبوعات مكتبة الشباب - الطبعة الثانية - القاهرة - 1997م (وقد طبع الكتاب لأول مرة 1945م بالقاهرة بتصدير الدكتور/على عبد الواحد وافى والدكتور / عثمان أمين).

4. **محمد عبده :**

دار المعارف بمصر - الطبعة الأولى - 1946م (بمقدمة وافية للدكتور/ محمد عثمان نجاتى ، وطبع مرة أخرى بمطبعة دار الكتب المصرية - الطبعة الثانية - القاهرة - 1997م).

5. **الإمام الشافعى :**

سلسلة أعلام الإسلام - الطبعة الأولى - القاهرة - 1945م.

بالإضافة إلى العديد من المقالات والدوريات والمقدمات والمترجمات والجرائد والمجلات من أمثلة :

جريدة السفور - أعداد : مايو 1915 ، يوليو 1916م

جريدة السياسة- اعداد: ديسمبر 1925م - يناير1926م

ثانياً

المراجع العربية (القديمة والحديثة)

1. **أبا زيد (د.صابر عبده)** :

أبو حيان التوحيدى – دراسة حياته وأدبه وفكره – نشر الدار الأندلسية بالاسكندرية – الطبعة الأولى – 1998م

2. **ابن رشد (أبو الوليد بن أحمد بن محمد)** :

فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الإتصال – طبعة دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – الطبعة الرابعة – 1985م.

3. ________ :

الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة بتحقيق د / محمود قاسم – مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الأولى – القاهرة – 1955م.

4. **ابن حزم الأندلسى (الإمام أبو محمد على بن أحمد)** :

الفصل فى الملل والأهواء والنحل –ج1 – طبعة القاهرة – 1317هـ.

5. **ابن الحسن (بدران بن مسعود)** :

الظاهرة الغربية فى الوعى الحضارى – انموذج مالك بن نبى – سلسلة كتاب الأمة – العدد (73) – السنة (19) – دولة قطر – رمضان 1420هـ.

6. **أمين (د. عثمان)** :

الإمام محمد عبده رائد الفكر المصرى – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الأولى – القاهرة – 1955م.

7. **بدران (د. شبل)** :

رواد التنوير الفكرى – الهيئة المصرية العـامة للكتاب – الطبعة الأولى – القاهرة – 1993م.

8. **الجرجانـى (السيد الشريف على بن محمد)**:

التعريفات – مطبعة مصطفى الحلى – مصر – الطبعة الأولى – 1935م.

9. ـــــــــــ :

شرح المواقف للأيجى – ج1– طبعة القاهرة– ب.ت

10. **جفـرى بـارنــدر** :

المعتقدات الدينية لدى الشعوب – سلسلة عالم المعرفة – العدد (173) – ترجمة د. إمـام عبد الفتاح إمام – مراجعة د. عبد الغفـار مكـاوى – الكويت – مايو 1993م.

11. **جـون كـولـر**:

الفكر الشرقى القديم – سلسلة عالم المعرفة – العدد (199) – ترجمة د. كامل يوسف حسين – مراجعة د. إمام عبد الفتاح إمـام – الكويـت – يوليو 1995م.

12. **الحفنـى (د. عبد المنعـم)** :

موسوعة الفلسفة والفلاسفة – الطبعة الثانية – مكتبة مدبـولى – ج1 ، 2 – القاهرة 1999م.

13. **دراز (د. محمـد عبـد الله)** :

الدين – بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان – دار القلم للطبع والنشر – الكويت – الطبعة الأولى – 1990م

14ـ **الشاذلى** (**د. محمد عبد السلام**) :

تطور الفكر العربى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى – القاهرة – 1993م.

15ـ **الشهرستانى** (**أبو الفتح محمد بن عبد الكريم**) :

الملل والنحل – ج1 – وبهامشه الفصل لابن حزم – المطبعة الأدبية – الطبعة الأولى – القاهرة – 1320هـ.

16ـ **عبد الباقى** (**محمد فؤاد**) :

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – دار الحديث – الطبعة الأولى – القاهرة – 1986م.

17ـ **العراقى** (**د. عاطف**) :

الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل – رؤية عقلية نقدية – دار الرشاد – الطبعة الأولى – القاهرة – 1998م.

18ـ **الغزالى** (**الإمام ابو حامد**) :

تهافت الفلاسفة – بتحقيق وتقديم د. سليمان دنيا – دار المعارف بمصر – الطبعة السادسة – سلسلة ذخائر العرب – العدد (15) – 1980م.

19ـ ــــــــــــ :

المنقذ من الضلال – الطبعة الأولى – القاهرة – ب.ت.

20ـ **الفارابى** (**أبو نصر**) :

تحصيل السعادة – طبع دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند – الطبعة الأولى – 1345هـ.

21ـ __________ :

كتاب الملة – طبعة بيروت – لبنان – 1968م.

22ـ **مجمع اللغة العربية :**

المعجم الفلسفى بتصدير د. إبراهيم مدكور – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – الطبعة الأولى – القاهرة – 1979م.

23ـ **النشار (د. على سامى) :**

نشأة الدين – النظريات التطورية والمؤلهة – نشر مكتبة الخانجي بمصر – الطبعة الأولى 1948م.

24ـ __________ :

نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – ج1 – دار المعارف بمصر – الطبعة الثانية – 1981م.

ثالثاً

البحوث والمقالات والدوريات المتخصصة :

1. **أبا زيد** (**د. صابر عبده**) :

الإمام محمد عبده وآراؤه الكلامية – بحث منشور بمجلة الإنسانيات – كلية الآداب – فرع دمنهور – جامعة الاسكندرية – العدد الأول – السنة الأولى – 1998م.

2. **الخضيرى** (**د. زينب محمود**) :

بحث عن الشيخ مصطفى عبد الرازق ضمن أعمال مؤتمر الشيخ الفيلسوف بالمجلس الأعلى للثقافة في الفترة من 22–23 فبراير 1997م.

3. **صبحى** (**د. أحمد محمود**) :

اللقاء بين العلم والدين فى الشرق والغرب – مقال بمجلسة القاهرة – العدد السادس – مارس 1985م.

4. **العراقى** (**د. عاطف**) :

بحث بعنوان : " التنوير عند مصطفى عبد الرازق برؤية نقدية " ضمن أعمال مؤتمر الشيخ مصطفى عبد الرازق بالمجلس الأعلى للثقافة – لجنة الفلسفة فى الفترة من 2223 فبراير 1997م . بالإضافة إلى الكتاب التذكارى – الطبعة الثانية بالقاهرة .

5. **وحيد** (**أ . علاء الدين**) :

مقال بعنوان : " الشيخ مصطفى عبد الرازق وملامح شخصيته " – جريدة صوت الأزهر – العدد العاشر – ديسمبر 1999م.

رابعاً: المراجع الأجنبية

1- **Bautraux (E) :**

Science et Religion, Paris – Flamarion, 1922.

2- **Brehier (E) :**

Histroire de la Philosophie – Tome, 7 – Paris –1926.

3- **Gilson(E.T) :**

Archives d'histoire doctrin et littèraire de Moyen Age- Paris – Annee 1929 – 30 Vol. VI.

4- **Lalande (A.) :**

Vocabulaire Technique et Critique de la Phlosophie – Paris – 1920.

5- **Renan (E.) :**

Histoire Generale et Systéme Compareè des langues semitiques – Paris – Vol. I.

6- **Tennemanne (G.th) :**

Manuel de l'histoire de la Philosophie seconde étition – Paris – 1839 – Teme No. I.

* * *

فهرس الكتاب

الدراسة الأولى

الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية
(محاولة نحو فهم الآخر)

الدراسة الثانية

دور الاستشراق فى تشكيل صورة الإسلام فى الغرب
(الفكر الفلسفى نموذجاً)

الدراسة الثالثة

لويس ماسينيون وجهوده فى الفكر الفلسفى الإسلامى
(مع نصوص مترجمة من الفرنسية)

الدراسة الرابعة

الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق
وجهوده فى تطور الفكر الفلسفي الإسلامى المعاصر

تم بحمد الله

المؤلف فى سطور

أ.د / صابر عبده أبازيد

- مواليد 1955 بجمهورية مصر العربية .
- دكتوراه فى الآداب
  - تخصص الفلسفة الإسلامية - جامعة الإسكندرية - بمرتبة الشرف الأولى - عام 1992م
- يعمل حالياً :
  - أستاذاً للفلسفة - كلية الآداب - جامعة جنوب الوادى.
  - عميد كلية الآداب - أسوان - جامعة جنوب الوادى .
- سبق وأن تبوأ مناصب عليمة وإدارية بالجامعة منها :-
  - مؤسس قسم الفلسفة ــ كلية الآداب ــ قنا .
  - أستاذ ورئيس قسم الفلسفة ــ كلية الآداب ــ قنا .
  - وكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب لمدة 7 سنوات ــ كلية الآداب ــ قنا .
  - رائد عام اتحاد طلاب كلية الآداب ــ جامعة جنوب الوادى.
  - عضو لجنة شئون التعليم والطلاب ــ جامعة جنوب الوادى .
  - رئيس مجلس إدارة صندوق التكامل الاجتماعى للطلاب ــ جامعة جنوب الوادى.
  - عضو مجلس إدارة ــ جامعة جنوب الوادى .
  - عضو مجلس إدارة الانتساب الموجه ــ جامعة جنوب الوادى .
  - عضو لجنة المكتبات بمجلس الجامعة ــ جامعة جنوب الوادى .
  - عضو مجلس إدارة التعليم المفتوح ــ جامعة جنوب الوادى .
  - عضو مجلس التأديب ــ كلية العلوم ــ بأسوان ــ جامعة جنوب الوادى .
  - عضو مجلس التأديب ــ كلية الخدمة الاجتماعية ــ كلية الآداب ــ بأسوان ــ جامعة جنوب الوادى .
  - رئيس مجلس التأديب ــ كلية الآداب ــ أسوان ــ جامعة جنوب الوادى .
  - عضو الجمعية الفلسفية المصرية بالقاهرة .
  - عضو الجمعية الفلسفية العربية بالأردن .
  - عضو المهمة العلمية بباريس 2002 / 2003 ــ جامعة السوربون .

- شارك فى العديد من المؤتمرات والندوات العلمية المحلية والدولية فى مجال الفلسفة يتجاوز عددها 25 مؤتمر وندوة .
- له أكثر من 18 بحث فلسفى منشور فى مجلات علمية دورية محكمة .
- له أكثر من 13 كتاب مؤلف منها :ـ
  - أبو حيان التوحيدى (حياته ـ فكره ـ أدبه) ـ الدار الأندلسية ـ الإسكندرية
  - فكرة الزمان عند إخوان الصفا ـ مكتبة مدبولى ـ القاهرة .
  - الإمامية الإثنى عشرية (شخصيات وآراء) ـ دار الحضارة ـ طنطا.
  - منهاج أهل السنة فى الرد على القدرية ـ دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ـ الإسكندرية
  - من التراث الإسلامى ـ شرح القوشجى على تجريد العقائد ـ دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ـ الإسكندرية .
  - موقف ابن تيمية والغزالى من المسيحية ـ دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ـ الإسكندرية
  - الحوار الدينى بين المسيحية والإسلام ـ دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ـ الإسكندرية .
  - لويس ماسينيون وجهوده فى الفلسفة الإسلامية (مترجم عن الفرنسية) .
  - كما شارك فى الكتابة فى عدة موسوعات منها :
  - موسوعة لونجمان
  - وساهم فى بعض الكتب التذكارية لأعلام الفلسفة فى الوطن العربى .
  - أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه (20 رسالة حتى الآن) .
  - ناقش عدد كبير من الرسائل العلمية بجامعات القاهرة ـ الإسكندرية ـ جنوب الوادى ـ بيروت .


دراسات فلسفية
فى الحوار والإستشراق
الأستاذ الدكتور
صابر عبده أبازيد


Bibliotheca Alexandrina
1090568